



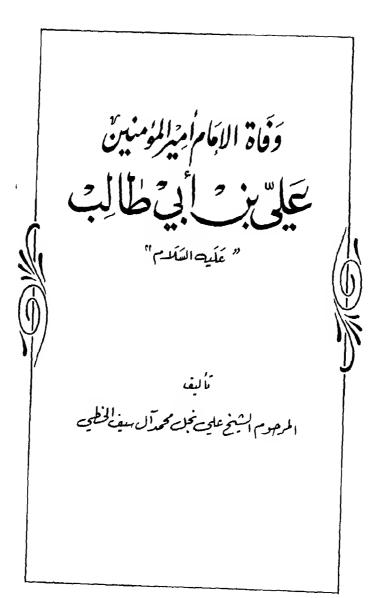
مجموعة من من من المراد المرد المراد المراد

> مَاٰليف مَراجِع مهٰ لعلماء الأعِلام

طبعة جَدِيدة مُحَقّقة وَمُصَحّحة

دُلْوَالْمِیْکُالِعِیْکُالِعِیْکُالِعِیْکُالِعِیْکُالِعِیْکُالِعِیْکُالِعِیْکُالِعِیْکُالِعِیْکُالِعِیْکُالِعِیک

لم انَّهُ (كُنُوكُه مَ كُنْ الْمُحَدِّقِ الْمُؤْكِةِ مِنْ الْمُؤْكِةِ مِنْ الْمُؤْكِةِ مِنْ الْمُؤْكِةِ مِنْ الطبعة الأولى 1216مر - 1991مر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بعموم الأحوال ، المشكور بجزيل النعم والنوال ، المتنزه عن مشاركة الاغيار ومناسبة الأمثال ، المتعالية ذاته بعزة العظمة وكمال الجلال ، المتفرد بدوام الملك وامتناع الزوال ، وأشهد أن لا إلّه إلا الله المقتدر الفعال ، وأن محمداً عبده ورسوله المرتضى لوحيه في جميع الخصال ، وأن الخليفة من بعده بلا واسطة ولا انفصال ، ووزيره وابن عمه صاحب ذي الفقار والحوض الزلال ، ذو المعجزات العضال ، ووسيلة الدعاة إلى ذي الجلال ، على بن أبي طالب سهم الله الصائب في أهل الضلال ، شهادة تصلح لقائلها ضعيف الأعمال ، وتنجحه من مرديات قبائح الأفعال ، صلى الله وسلم عليهما وعلى الطاهرة الدركية أم الحسنين وزوجة على بن أبي طالب (سلام الله عليهم) .

أما بعد: لما تصفحت أحوال الإمام ، فوجدت أحدهما على ما فيه من حسن التطويل ، قد اقتصر في الاستشعار بوفاته على نزر قليل ، والآخر أسهب في وصف قطام وشبيب ، فلم يحسن إذ ذاك إطنابه ، فكأنما هو ذا تسمع له طرفاً من ديوان الصبابة ، فعن لي أن أجمع بينهما وهما بحران ، فاستقصرتهما على مغالبة الزمان ، وأخرجت منهما اللؤلؤ والمرجان ، ونظمتهما خلال ما

استطرفته ، وعقدتهما مع ما استحسنته ، ولا أدعي البراءة من الغيب . وتحصنت بالله عن أرجاف المراء وجنود الريب ، على كلام مختصر رقيق ، وأسلوب مستحسن أنيق ، مسترقاً من الله نفسي الامارة من الرياء والإعجاب ، مسترفقاً توفيقه في سلوك الحق والصواب ، سائلاً منه أن يجعله مدخراً ليوم الحساب ، منتظراً به الشفاعة يوم المآل ، ملتزماً بعض ما التزمه المؤلف الأول ، معولاً على ما نقله وربما عليه المعول فقد أغير في الشعر ، وقد أحذف منه وربما أذكر بعض الرواية في سلك مناسبته ، بم يعن لي ذكر بعضها الآخر مع ما ينتظم به فلا يعجل باللوم علي عجول ، ولا يبتدر في الإعابة إلي ملول ، وليسدد أخ ناصح كريم ، ويستر الهفوة مني لامح حليم ، فإنني بالقصور معذور ، على أن لا يسقط الميسور بالمعسور ، فها أنا أقول وبالله التوفيق ومنه نيل المأمول .

سبق (صلوات الله وسلامه عليه) فخراً فجل أن يسابق ، ولحق من تقدمه فضلاً وأنى يلاحق ، حتى غرس في قلوبٍ أبت الهدى غرائس الأضغان ، وغرس نفوسهم بمحمود سعيه غرائس الأشجان ، فأنتجت له نتائج الحسد والعدوان ، ولم تأخذه في الله لومة لائم ، جانب النصف ومتع نفسه الزكية في الله بالتلف ، وشغف بالقرب منه غاية الشغف ، فاستوطن قباب الأخطار ، واستأجن شرب الراحة والاصدار ، فلذلك التهب نفس كل حاسد بما أخفاه ، وحاقد بسالف من الكفر أرداه ، فدعوه عن رتبته ودفعوه عن منزلته ، ومنعوه من بلغته ، وبالغوه في أذيته ، لكنه لحظ الإسلام بطرف الرحمة والألطاف ، وبسط بلغته ، وبالغوه في أذيته ، لكنه لحظ الإسلام بطرف الرحمة والألطاف ، وبسط له أنماطاً للشفقة والأعطاف ، ولم يجعل للدنيا في حماه منصباً ، ولا خالط زلال مطلبه من أجاجها مشرباً ، فسالم في الله راغماً جد معطسه (۱) ، واستبق زلال مطلبه من أجاجها مشرباً ، فسالم في الله راغماً جد معطسه (۱) ، واستبق ظفر ، هانت عليه كما قال رسول الله (ص) : يا علي إن الله زينك بزينة لم يزين

⁽١) المعطس: الأنف.

بها أحداً من الخلق ، الزهد في الدنيا ، وجعل الدنيا لم تنل منك شيئاً . فكان سلام الله عليه كما قال النجم الزاهر ابنه محمد الباقر : والله إن علياً ليأكل أكلة العبد ، ويجلس جلسة العبد ، وانه ليشتري القميصين فيخير غلامه خيرهما ، ثم يلبس الأخير ، فإذا جاز أصبعه قطعه ، وإذا جاز كعبه حذفه .

وقال (ع) : لقد تزوجت فاطمة الزهراء ، وما لى ولها فراش غير جلد كبش ، كنا ننام عليه في الليل ، ونعلف عليه الناضج في النهار ، وما لي خادم غيرها . ولقد ولي علي (ع) خمس سنين ، ما وضع أجِرة على أجِرة ، ولا لِبنة على لبنة ، ولا قطع قطعياً ، ولا ورث بيضاء ولا صفراء ، وإنه كان ليطعم الناس خبز البر واللحم ، ويذهب إلى منزله فيأكل خبز الشعير والـزيت والخل ، وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضيٌّ ، إلَّا أخذ بأشدهما على بدنـه ، ولقد أعتق الف مملوك من كد يداه ، وعرق فيها وجهه ، وإنه ليصلى في اليـوم والليلة ألف ركعية ، وناهيك ما فاهت به ألسن أعدائه ، وطبق الأفاق مما رق من مناقبه وراق ، فمن ذلك اصطفاه من هذا العالم بالغ الحكمة ، لمقتضى عظيم اللطف بهم وواسع الرحمة ، فلما أراد الله أن يبـرز نور نبـوته من مكنـون علمه في خيـر بريته ، جعله المنذر وعلي الهادي إليه ، فكان مما صنع الله بـه وزاده من الخير ، ان قريشاً أصابهم القحط الشديد والجدب المبيد ، وكان أبو طالب كثير العيال ، فقال رسول الله (ص) للعباس : يا عم إن أخاك ذو عيال كثير ، وقد أصاب الناس ما ترى ، فانطلق بنا نخفف عنه من عياله ، آخـذ أنا رجـلًا وتأخـذ أنت رجلًا ، فنكفيهما عنه . قال العباس : نعم ، فأتيا إلى أبي طالب ، فقالا : إنا نريد أن نخفف عنك عيالك ، حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال أبو طالب : إن تركتما لي عقيلًا فاصنعا ما شئتما ، فأخـذ رسول الله (ص) عليـاً فضمه إليه ، فلما أمر الله تعالى جبرائيل أن يهبط إلى الأرض بإظهار الرسالة ، وجد رسول الله قائماً بالأبطح بين أميـر المؤمنين وجعفر ، وجلس جبـرائيل عنــد رأسه وميكائيل عند رجليه ، وانتبه رسول الله (ص) فأدى إليه جبرائيل الرسالة عن الله عزّ وجلّ .

قال الثعلبي في تفسير قوله تعالى : ﴿والسابقون الأولون﴾(١) فلم يـزل علي مع رسول الله(ص) حتى بعثه نبياً ، فاتبعه علي وآمن بـه وصدقـه ، ونزل جبرائيل يوماً على النبي وهو بأعلى مكة فغمز جبرائيل بعقبة وانفجر الماء فتوضأ النبي (ص) وصلى النظهر ، واتبعه علياً في تلك الصلاة ، وهي أول صلاة فرضها الله عز وجل ، ثم نزلت الآية : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾(٢) .

روى الثعلبي في تفسيره عن البراء بن عنازب قال: لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله بني عبـد المطلب ، وقـال : إني أنـا النـذيـر إليكم من الله عـزّ وجلُّ ، وجئتكم بما لم يجيء به أحد ، جئتكم بالدنيـا والآخرة ، فـأسلموا ، أو سلموا وأطبعوا ، فمن يؤاخيني ويؤازرني ، ويكون لي وليبي ووارثي ووصيبي بعدي ، وخليفتي وقاضي ديني ؟ فسكتـوا ، وأعاد القـول ثلاثـاً ، ولم يقل غيـر علي بن أبي طالب (ع) أنا ، فقال رسول الله (ص) : أنت أنت ، قال : فقاموا وهم يقولون لأبي طالب : أطع ابنك فقد أمَّر عليك ، ولما مات أبي طالب ، كثر منهم الأذي إلى رسول الله ، وأمير المؤمنين يتحمل عنه مكان أبيه ، ويكابــد الأذي والمشقة فيه ، حتى أذن الله لنبيه بالمهاجرة إلى يشرب ويخلف علياً لأداء الديون ، ورد الودائع ، وكفالة النساء ليخرج بهن إليه ، وأمره الله أن يبيتـه على فراشه ليخفي حروج رسول الله على قريش ، فيفرط عليهم مـا دبروه في هــــلاكه ومكروه في قتله ، فأخبر علياً بذلك فانسُّر سروراً عظيماً ، وسجد لله شكـراً ، فقال له علي بن أبي طالب : امض فيما أمرت به فإني الله ولك مطيع ، فـداك أبي وأمي ونفسي ، فخرج رسول الله قاصداً إلى الممدينة ، وبــات أمير المؤمنين على فراش رسول الله فادياً له بنفسه ، وأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل إني قــد آخيت بينكما وجعلت عمر أحــدكما أطــول من الآخر ، فمن منكمــا يؤثــر أخـــاه بالحياة ، فاختار كل واحد منهما الحياة لنفسه ، فقال : الله تعمالي : ألا كنتما

⁽١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠ .

⁽٢) سورة الشعراء ، الآية : ٢١٤ .

مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين ابن عمه محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ، اهبطا إليه واحرساه من عدوه . فهبطا إليه وجلس جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، وجبرائيل يمسح عليه بجناحيه ويقول : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب من مثلك ، وقد باهى الله بك الملائكة ، فنزل قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾(١) وأحاط القوم ببيت رسول الله ، يقذفوه بالحجارة ليخرج إليهم رسول الله (ص) ليقتلوه ، غير شماكين أنه على فراشه ، فلما قرب الصبح انتضوا أسيافهم وهجموا عليه ، فخرج لهم أمير المؤمنين ، فتفرقوا عنه ، ثم تهيأ للخروج للمدينة ، بعد رد الودائع وأداء الديون .

فلما وصل (ع) المدينة ، استقبله رسول الله (ص) وضمه إلى صدره ، وقبله وهو يقول : من مثلك يا أبا الحسن ، وقد وفيت بعهد الله وأنجزت وصية رسول الله ، ووقيته بنفسك ، أنت مني بمنزلة هارون من موسى .

ولله در من قال :

والله ما يهواك إلا مؤمن صهر النبي ونفسه وأمينه فالدين والاشراك لولا سيفه من لم يدر وجها إلى صنم ولا ومبيته فوق الفراش مجاهداً رجلًا يتيه به الفخار مفاخراً

بر ولا يقلوه إلا ملحد ووليه المتعطف المتودد ما قام ذا شرفاً وهذا يقعد للات والعزى قديماً يسجد بمهاد خير المرسلين يمهد ويسود إذ يعزا إليه السؤدد

قال: وكان منطقه وتاجه، وبه أظهر الله كواكبه، وأمد سراجه، حتى غدا غسق ليله فلقا من صباحه، وعاد من هشيم مرتعه يقهقه بوروده واقاحه، فلو تفكروا بعقول فارغة من شواغل الحسد والأضغان، لعلموا مكان هذه الفدية

⁽١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

الشريفة والبينة المنيفة ، والمنزلة الراجحة المباركة ، التي فاز بفضيلة المؤازرة والمشاركة في جميع فوائد النبوة والرسالة ، من اهتدى من الأمة إلى يوم القيامة ، وانه سبب سلامة النبي وحفظه ، وانتظام أمر الدعوة إلى الملة الحنيفة ، وانه الحامل للإجابة إليها ، والناصر لجيوش رسول الله وسراياه ، فقلا قاتل في (بلر) حتى هزم المشركين ، وغنم المسلمون أموالاً كثيرة وأسارى . وفي (أحد) وقد فر المسلمون عن رسول الله ، وانقطع سيفه وأعطاه الله (ذو الفقار) ، فما زال به إلى أن أصابه سبعون جراحة ، واعجب الملائكة بثباته فقال جبرائيل : يا رسول الله إنها لهي المؤاساة ، فقال رسول الله : انه مني وأنا منه فعرج جبرائيل ينادي « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي » وهرد الله أصحاب قريش ، إذ أقبل عمرو بن عبد ود وابنه ، فنزل قوله تعالى : ﴿ورد الله المذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً () فقال رسول الله : قتل علي لعمرو أفضل من عبادة الثقلين إلى يوم عزيزاً () الفيامة .

وقتـل في غـزاة بني النضيـر رامي قبـة النبي (ص) ، وعشــرة دونـه وفــرًّ الباقون .

وفي غزاة ذات السلاسل ، إذ جاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، إن جماعة من العرب يريدون أن يقتلوك ، فأنفذ أبا بكر في سبعمائة فرجع مهزوماً ، ثم بعث عمر فرجع بالرعب يجبن أصحابه وهم يجبنوه . فقال رسول الله : في الثالثة : أين علي بن أبي طالب ؟ قال : ها أنا ذا يا رسول الله ، فأعطاه الراية ، فسار بها متنكباً للطريق ، فظل يسير بالليل ، ويكف بالنهار ، لئلا يعلم به أحد من القوم فيفروا ، حتى اتصل بفم الوادي ، فتيقن ابن العاص وصولهم فدعته الضغينة والحسد لأمير المؤمنين (ع) ، إلى أن يعمل الحيلة حتى يعلم به القوم

⁽١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢٥ .

فيفروا ، ويفرط على على بن أبي طالب ما دبره في هلاك أعداء الله وأعداء رسوله ، فأوعز للأول والثاني ، أن قولا لعلي بن أبي طالب أن هذه الأرض كثيرة السباع والذئاب ، فالرأي أن يعلو على الجبل ، فلم يلتفت أمير المؤمنين (ع) لمقالتهما ونكس على القوم ، فجرى واستأصلهم ، فأنزل الله تعالى على نبيه البشارة بسورة العاديات . فخرج رسول الله (ص) يتلقاه ، فلما رآه أمير المؤمنين (ع) ، ترجل لرسول الله إجلالاً له ، فقال رسول الله : اركب يا على ، فان الله ورسوله عنك راضيان .

وفي غزاة بني المصطلق ، قتل مالكاً وابنه ، وفرَّ الباقدون ، وغنم المسلمون أموال الباقين .

وفي خيبر إذ دفع الراية رسول الله لأبي بكر ، ففر ، ثم إلى الثاني ففر ، ثم إلى الثاني ففر ، فقال (ص) : لأعطين الراية رجلًا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، كراراً غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ، فلما كان من الغد دعا بعلي بن أبي طالب (ع) فأتى به سلمان الفارسي يقوده من الرمد ، فبصق رسول الله في عينيه فما اشتكاهما ، فدفع إليه الراية ودعا له ، فخرج وقتل مرحباً ، وفر الباقون إلى حصنهم وأغلقوه عليهم ، فعالجه أمير المؤمنين (ع) ، حتى قلع بابه ، وكان يعالج إغلاقه وفتحه أربعون رجلًا منهم ، وجعله جسراً للخندق ، قيل وأكمل بيده حتى اقتحم المسلمون الحصن ، وأثخنوهم قتلًا وغنموا أموالهم .

ولله در من قال :

أقسمت بالمشرفيات الرقاق وبالجرد وكل أبلج طعم الموت في فمه لقد نجا من لظى نار الجحيم غداً مولى تعالى أن يحيط به لا يدرك الفكر من كلي مدحته لولا حدود مواضيع لما انتصبت

العتاق وبالعسالة الذبل يوم الكريهة أحلى من خبا العسل في الحشر كل موال للإمام على وصف وجل عن الأشباه والمشل جزءاً ويرجع عنه العقل في عقل ولا استقامت قناة الدين من ميل خييب والأحزاب والحمل لم فضائل ما جمعن في رجل ملؤ المسامع والأفواه والمقل مزيل الكرب عن أنبياء الله في الأزل أهل تراها على التفصيل والجمل وإن وجدت لساناً قائلًا فقل في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

سل عنه بدراً وأحداً والنضير ويوم وسل من العلماء الراسخين ترى قبل فيه واسمع له وانظر إليه ترى زوج البتول أخو الهادي الرسول يا من يرى أنه يحصي مناقبه إن وجدت مجال القول ذا سعة وإلا فسل عنهم الذكر المجيد تجد

قال : وكان قد أهلك المسلمين العجب ، بكثرتهم حتى قال الأول : إنَّا لن نغلب من قلة ، وكانوا اثني عشر ألفاً ، ففروا عن رسول الله (ص) ، ولم يبق معه من يذب عنه بسيفه غير علي بن أبي طالب (ع) ، حتى قتل جمعاً منهم ، فانهزم المشركون وتراجع المسلمون من هزيمتهم ، قتلًا وأسراً ، وغنموا أموالهم ، وأصاب جيش رسول الله الوهن في تبوك ، حتى فرَّ عنه أصحابه ، وقد خلف أمير المؤمنين ، فنزل جبرائيل على رسول الله وقال : يا رسول الله أدر وجهك نحو المدينة ، ونادى يا أبا الغيث أدركني يا على ، فسمع على نداء رسول الله ، وهو مع سلمان في حديقة من المدينة ، وهـ و على نخلة ينزل منهـا كربا ، وسلمان يجمعه . قال سلمان : فسمعت أمير المؤمنين يقول : لبيك لبيك يا رسول الله ها أنا جئتك فنـزل والحزن ظـاهر عليـه ، ودمعه ينحـدر على لمته ، فقلت : ما شأنك يا أبا الحسن ؟ قال : يا سلمان انكسر جيش رسول الله ، وبقى فريـداً يدعـوني ويستغيث بي ، ثم ذهب إلى منزلـه ، ولبس لامة حربة ثم قال (ع) : ضع قدمك على موضع قدمي ، قال سلمان : فاتبعته حلو النعل بالنعل سبعة عشر خطوة ، فعاينت جيوش المشركين ، وعلى قلد دخل فيهم ، فصرخ صرخة ألهبت النار فيهم ، وحكم سيفه فأخذ منهم مأخذه حتى ولوا الدبر، ونصر الله نبيه، وكانت كلمة الله هي العليا ونبيه المنصور، ودخل الناس في دين الله أفواجاً وأسلمت قبائل اليمن وملوك حمير ، وتتابعت

وفود العرب من كل ناحية ، ومن إنشاده (ع) يقول :

الله أكرمنا بنصر محمد في كل معترك تطير سيونا ويرزورنا جبريل في أبياتنا في أبياتنا في خيك في كلها نحن البرية كلها نحن البدية كلها انا لنمنع من أردنا منعه

وبنا أقام دعائم الإسلام منه الجماجم عن فراخ الهام بفرائض الإسلام والأحكام ومحرم لله كل حرام وإمامها وإمام كل إمام ونجود بالمعروف للمعتام

قال عبدالله بن عمر: ما كنا نعرف المشركين والمنافقين ، على عهد رسول الله إلا ببغضهم لعلي بن أبي طالب ، وعلم ما يجري عليه ، من أهل الشقاق والنفاق الشاكين في الله ورسول الله (ص) ، ألبسه الله من الفضل والفضائل حلل أنواره ، وجليل مناره ، لتقوم به الحجة على الخلائق ، بحيث لا يبقى عذر لمنافق أو مفارق .

روى التغلبي في تفسيسره والشافعي والخسوارزمي في المناقب، قال أنس بن مالك: أهدى إليّ النبي بساط ابن جندب، فقال لي : يا أنس ابسطه، فبسطته، فقال : ادع لي العشرة، فدعوتهم، فأمرهم بالجلوس على البساط، فقال : ادع لي علياً، فدعيته له، فناجاه طويلاً، ثم رجع على البساط فقال : يا ربح احملينا، قال أنس : فحملتنا الربح، والبساط يدف بنا دفيفاً، ثم قال : يا ربح ضعينا قال : فوضعتنا الربح قال : فقال : أمير المؤمنين أتدرون في أي مكان أنتم ؟ قلنا : لا قال : هذا موضع الكهف والرقيم، قوموا وسلموا على إخوانكم، قال أنس : فقمنا وسلمنا عليهم، فلم يردوا علينا، فقام أمير المؤمنين وقال : السلام عليكم يا معاشر الصديقين والشهداء، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، قال أنس : فقلت : يا أمير المؤمنين ردوا عليك السلام، ولم يردوا علينا، فقال أمير المؤمنين دوا عليك السلام، ولم يردوا علينا، فقال أمير المؤمنين : ما أمير المؤمنين ردوا عليك السلام، ولم يردوا علينا، فقال أمير المؤمنين وصي نبي بالكم لم تردوا على إخوانكم ؟ فقالوا : لا نكلم بعد الموت إلا نبياً أو وصي نبي

ثم قال (ع): يا ريح احملينا ، فحملتنا الريح ، والبساط يدف دفيفاً ثم قال (ع): يا ريح ضعينا ، فإذا نحن بالحرة ، فقال أمير المؤمنين (ع): ندرك النبي في آخر ركعة ، فتوضينا وأتيناه ، وإذا النبي يقرأ آخر ركعة : ﴿أَم حسبت أَن أَصِحابِ الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ﴾ (٢).

وفي روضة الواعظين ، عن الصادق (ع) قال : اجتمعت التسعة يعني اللذين كانوا مع علي (ع) على البساط ، في دار الأقرع بن حابس ، مسكن صهيب الرومي يومشذ ، فقالوا : لقد كثر محمد في ابن عمه علي ، حتى لو أمكنه أن يقول لنا اعبدوه لفعل ، قال سعد بن أبي وقاص : ليت محمداً أتانا فيه بآية من السماء ، كما أتاه الله في نفسه من انشقاق القمر وغيره . فباتوا ليلتهم ، فنزل نجم من السماء ، حتى صار في ذروة جدار أمير المؤمنين (ع) ، متعلقاً يضيء في المدينة ، حتى دخل ضياؤه في البيوت والأبار والمغارات والمواضع المظلمة ، فانذعر أهل المدينة ذعراً شديداً ، فخرجوا وهم لا يعلمون على دار من نزل ، إنما يرونه على بعض منازل رسول الله ، فخرج رسول الله لما سمع ضجيج الناس إلى المسجد ، فقال : ما الذي أذعركم وأخافكم ، لعله هذا النجم الذي نزل على دار أخي وابن عمي علي ، قالوا : نعم يا رسول الله ، قالو : أفلا تقولون لمنافقيكم التسعة الذين اجتمعوا أمس في دار صهيب الرومي وقالوا : فيَّ وفي أخي ما قالوه ؟ قال قائل منهم : ليت محمداً أتانا في علي بآية شرفة أمير المؤمنين ، وقد أنزل الله في هذا النجم قرآناً تسمعونه .

ثم قال : ﴿ والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحي يوحى ﴾ (١) وبقي على شرفة أمير المؤمنين ، إلى

⁽١) سورة الكهف، الآبة: ٩.

⁽٢) سورة النجم ، الآيات : ١ _ ٤ .

أن غاب كل نجم وهم ينظرونه :

ما كانت الدنيا ولا الفلك إلى الوجود فهذا المالك الملك

هــذا هــو الســـر الخفي ومن لـــولاه ولا تكـــوَّن هـــذا الكـــون من عـــدم

فقال بعض المنافقين: لو شاء لأمر محمد هذه الشمس أن تنادى باسم على هـذا ربَّكم فاعبدوه ، فهبط جبرائيل فأخبر النبي بما قالوه . وكان ليلة النجم ، فأقبل على الناس بوجهه في صبيحتها ، ثم قال : استدعوا لي علياً من منزله ، فدعى له ، فقال : يا أبا الحسن إن قوماً من منافقي أمتى ما قنعوا بآية النجم ، حتى قبالوا: لبوشاء محمد لأمر هذه الشمس فنادت باسم علياً هذا ربَّكم فاعبدوه ، فأت البقيع في غد معي ، فقف نحو طلوع الشمس ، فإذا بزغت فادع بدعوات أنا ألقنك إياها وقبل للشمس : السلام عليك ، يا خلق الله الجديد ، وتسمع ما تقول لك الشمس ، وترد عليك فسمع التسعة وانصرفوا ، يقول بعضهم لبعض : لا تزالون تغرون محمداً بأن يظهر في ابن عمه كل يـوم آية ، مثلما قال في مشل هذا اليوم ، فقال الأول والثاني : والله لنحضرن البقيع ، فننظر ونسمع ما يكون من الشمس وعلى ، فلما صلى رسول الله أقبل على علي وقال : قم يا أبا الحسن إلى ما أمرك الله به ، حتى تأتي البقيع وتقـول للشمس ما قلت لك ، وأسر إليه سراً كانت فيه الدعوات التي علَّمه إياها ، فخرج أمير المؤمنين يسعى إلى البقيع ، حتى بزغت الشمس ، فهم بالدعاء همهمة لم يعرفوها ، فقالوا : هذه الهمهمة مما علمه محمد من سحره ، فقال لها : السلام عليك يا خلق الله الجديد ، فأنطقها الله تعالى بلسان عربي مبين ، وقالت : السلام عليـك يا أخـا رسول الله ووصيـه ، أشهد أنـك الأول والآخر ، والـظاهر والبـاطن ، وانك عبـد الله وأخو رسـول الله حقاً ، فـأرعـدوا واختلطت عقولهم ، ورجعوا إلى رسول الله مسودةً وجـوههم بغيظ نفوسهم ، فقـالوا : يــا رسول الله ما هو إلا العجب العجيب ، الذي لم نسمع به من النبيين ، ولا من المسرسلين ، ولا من الأمم السالفة القديمة ، لوكنت تقول أن علياً ليس ببشـر

فاعبدوه ، فقال رسول الله (ص) : أسمعتم ما قالت الشمس ، وتشهدون بما سمعتم ؟ قالوا : يحضر علياً ويقول ، ونسمع ونشهد بما قال للشمس وما قالت له . فقال لهم رسول الله : بل تقولون ، فقالوا : قال علي للشمس : السلام عليك يا خلق الله الجديد ، بعد أن همهم همهمة تزلزل منها البقيع ، فأجابته الشمس : السلام عليك يا أخا رسول الله ووصيه ، أشهـد أنك الأول والآخـر ، والظاهر والباطن ، وأنك عبد الله وأخو رسول الله ، فقال رســول الله : الحمد لله الـذي خصنًا بما تجهلون ، وأعـطانـا علم مـا لا تعلمــون ، اني واخيت عليـاً دونكم ، وأشهدتكم أنه أخى ووصيى ، فماذا أنكرتم ، عساكم تقولون ما قالت له الشمس ، إنك الأول والآخر والظاهر والباطن ، فقالوا : نعم يـا رسول الله لأنـك أخبرتنـا أن الله هو الأول والأخـر ، والظاهـر والباطن ، في كتـابه المنـزل عليك . فقال رسول الله : ويحكم وأنَّى لكم علم بما قالت الشمس ، أما قـولها (الأول): فإنه أول من آمن بالله وبي من الرجال ، وخديجة من النساء . وقولها (الآخر) : لأنه آخر الأوصياء وأنا آخر الأنبياء والرسل . وقولها (الظاهر): انه ظهر على كل ما أعطاني الله من علم وحكمة ، فما علمه معى غيره ، ولا يعلمه بعدي إلَّا هـ و ، ومن ارتضاه الله لسره من ولـ ده . وقـ ولهـ ا (الباطن): لأنه والله باطن علم الأولين والآخرين، وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين ، وما زادني الله به من علم ما لا تعلمون ، وفضل ما لم تعطوه ، فماذا أنكرتم ؟ فقالـوا بأجمعهم : نحن نستغفـر الله ، فاستغفـر لنا . فأنزل الله عليه : ﴿ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين ﴿(١) .

> تسبأ لـنـاصـبـة الأنـام لـقـد قـاسـوا عتيقـاً بحيـدرة سخنت

تهافتوا في الضلال بل تاهوا عيونهم بالذي به فاهوا

⁽١) سورة المنافقون ، الآية : ٦ .

كم بين من شك في عقيدته وبين من قال إنه الله

فمن نظر في حال ذاته الطاهرة ، وصفاته الباهرة ، ومناقبه العالية ، ومذاهبه الشافية ، قضى بسليم عقله من وصمات الجسد إنها نصوص صريحة بمقتضى الحكمة البالغة ، إذ عرف رتبة النبوة ، وعلم مقام الهداية ، وانه نفس رسول الله كما في آية المباهلة .

وقـد اعترف منهم العلماء ورواه منهم الجمهـور ، فهـو الحقيق بمقـامـه ورتبته ، والهادي من بعده لأمته .

⁽١) سورة طه ، الأيات : ٢٥ ـ ٣٢ .

ناطقاً ﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴿(١) . أللهم وأنا محمد عبدك ، ورسولك ، وصفيك ، أللهم فاشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، وأجعل لي وزيراً من أهلي علي أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري ، قال : فما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل جبرائيل من عند الله تعالى فقال : يا محمد اقرأ ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ (٢) .

وفي روايسة الشافعي وابن المغازلي بطريق إلى ابن عباس: قال رسول الله: الحمد لله الذي جعلها في وفي أهل بيتي، ثم أكمل الحجسة وأكدها ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حيي عن بينة، فقال تعالى: ﴿يا أَيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (٣) فأقام رسول الله (ص) في غدير خم علياً علماً للناس.

وفي ما رواه المغازلي عن أبي هريرة وقد أخذ رسول الله (ص) بيد علي بن أبي طالب (ع) فقال : ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ فقالوا : بلى يا رسول الله . قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله . فقال عمر : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، فأنزل الله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾(أ)

ومن رواية ابن مردويه قال : قال رسول الله (ص) : الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضى الرب سبحانه وتعالى برسالتي إليكم ، والولايـة

⁽١) سورة القصص ، الآية : ٣٥ .

⁽٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

⁽٣) سورة الماثلة ، الآية : ٦٧ .

⁽٤) سورة المائلة ، الآية : ٣ .

لعلي بن أبي طالب . وأمر أبا بكر وعمر وعثمان أن يقوموا ويسلموا على علي بإمرة المؤمنين ففعلوا وهنوه بالخلافة عليهم ، وأمر أزواجه فسلمن عليه بإمرة المؤمنين .

حتى إذا قبض النبيّ ولم يكن خانسوا مواثيق النبيّ وخالفوا واستبدلوا بالرشد غياً بعدما يما للمنة مفتونة يما للرجال لأمنة مفتونة أضحى بها الأقصى البعيد مقرباً لعبوا بها حيناً وكل منهم ولو اقتدوا بإمامهم ووليهم لكن شفوا بخلافه ابداً ما سعدوا

في لحده من بعد غسل يلحد ما قالمه خيس البرية أحمد عرفوا الصواب وفي الضلال تمردوا سادت على السادات فيها الأعبد والأقرب الأدنى يذاد ويبعد متحيراً في حكمها متردد سعدوا وكان هو الولي الأوكد به وهو الولى الأسعد

قال: فلما أمكنتهم الفرصة انتهزوها ، فبلغوا غاياتهم من إظهار الإسلام ، وحصلوها إذ طلبوا الحيلة بذلك الايقاع والبطش برسول الله (ص) وأهل بيته (ع) كما رواه سعيد بن العاص: أنه لما بلغ عبدالله بن عمر ما فعل يزيد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من القتل والأسر والتنكيل ، استنهض أهل المدينة والحجاز على حربه حتى بلغ بجنده دمشق ، فخرج له ينزيد وقال: يا عبدالله أبوك قلدني أمر الشام ، قال: نعم ، قال: أتحب أن أريك الصك الذي كتبه أبوك إلى أبي إذ ولاه ؟ قال: نعم ، فأخرج له طوماراً من سفط وفيه صك ، فقال: يا عبدالله هذا خط أبيك ؟ قال: نعم ، فقرأه فإذا فيه:

إن الذي أكرهنا على الإقرار به فأقررنا والصدور وغِرَة ، والنفوس واجفة ، والبصائر شائكة ما كانت عليه ، من جحدنا ما دعانا إليه فأطعنا فيه رفعاً لسيفه وتكاثره بالحي علينا من اليمن ، وتعاضد من سمع به ممن ترك دينه ، وما كان عليه آباؤه في قريش ، فبهبل أقسم واللات والعزّى ما جحدها عمر منذ عبدها ، ولا عبد للكعبة ربّاً ، ولا صدق لمحمد قولاً ، ولا ألقى السلام إلاً

للحيلة وإيقاع البطش به ، فإنه قد أتانا بسحر عظيم . فخذ يا بن سفيان سنة قومك واتباع ملتك ممن جحد هذه الأبنية التي يقولون ان لها رباً أمرنا بإتيانها ، وجعلها لهم قبلة والسعي حولها ، فجعلوا صلاتهم للأحجار فما الذي أنكره علينا ، لولا سحره ما أطعنا ، فانظر بعين مبصرة واسمع بأذن واعية ، وتأمل بعقلك واشكر اللات والعزى واستخلاف السيد الرشيد عتيق ابن العزى على أمة محمد وتحكمه في أموالهم ودمائهم وشريعتهم ، فعاش يخضع جهراً ويشتد سراً ، ولقد وثبت وثبة على شهاب بني هاشم الثاقب ، وقرنها الزاهر ، وعلمها الناصر المسمى بحيدرة المصاهر لمحمد على المرأة التي جعلوها(۱) سيدة نساء العالمين ويسمونها فاطمة الزهراء حتى أتيت دارها ، وهي فيها مع علي وابنيهما الحسن والحسين وابنتهما زينب وأم كلشوم والأمة المدعوة بفضة ، ومعي خالد بن الوليد وقنفذ ، فقرعت الباب فأجابتني الأمة فضة ، فقلت لها : قولي لعلي دع عنك الأباطيل ولا تلج نفسك إلى طمع الخلافة ، فالأمر لمن اختاره المسلمون .

ثم قلت للمهاجرين والأنصار: الإمام في قريش فقالوا: إذاً هي للأصلع البطين أمير المؤمنين (ع) الذي أخذ رسول الله البيعة على أهل ملته ، وسلمنا له بإمرة المؤمنين في أربعة مواطن ، فإن كنتم نسيتموها يا معاشر قريش فما نسيناها ، وليست البيعة ولا الإمامة ولا الوصية إلا حقاً مفروضاً وأمراً صحيحاً لا تبرعاً ولا ادعاء ، فكذبناهم ، وأقمت أربعين رجلاً شهدوا على محمد أن الإمامة بالاختيار ، فعند ذلك قالت الأنصار: نحن أحق ، وتنازعوا ، فقلت والجمع يسمعون: لا نختار إلا أكبرنا سناً ، قالوا: فمن ؟ قلت : أبي بكر ، فأقبل بنوها معاشم يتميزون غيظاً ، فقالوا: لا نبايع إلا علياً ، فوثبت إلى أبي فضيل وصافحته وتلاني عثمان وسائر من حضر .

ثم قال : من ينكرون بيعة أبي بكر : ويقولون ما فعل عليٌّ . فأقول لـه : خلعهـا وصار جليس بيتـه ، فيبايعـون وهم كارهـون فعلمنـا أن عليـاً يستنفـرهم

فيعدونه للنصرة ليلًا ، ويقعدون عنه نهاراً ، فأتيت داره لأخرجه منها فقالت لي الأمة فضة : إن أمير المؤمنين مشغول بنفسه فقلت : خلى عنك وقولي له يخرج وإلَّا دخلنا عليه وأخرجناه كرهاً ، فخرجت فاطمة الزهراء ووقفت من وراء الباب، فقالت لنا: أيها الضالون المكذبون ماذا تقولون وأى شيء تريدون؟ فقلت : يما فاطمعة ما بال ابن عمك قمد أوردك للجواب وجلس من وراء الحمجاب؟ فقالت: طغيانك يا شقى أخرجني ، وألزمك الحجة وكل ضال غوى ، فقلت : دعى عنك الأباطيل وأساطير النساء وقولي لعليُّ بن أبي طالب يخرج ، فقالت : لا حباً ولا كرامةً فقلت لخالد بن الوليد : أنت ورجالنا هلموا في جمع حطب الجزل ، إني مضرمها فقالت : عليك يا عدو الله وعدو رسوله . فضربت بيدها على الباب لتمنعني من فتحه فتصعب على ، فضربت كفيها بالسوط حتى آلمها ، فسمعت لها زفيراً وبكاءً فكدت ألين وأنقلب ، فذكرت أحقاد على وولوغه في دماء العرب وصناديه اليمن ، وكيد محمد وسحره ، فركلت الباب وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه ، وسمعتها قد صرخت صرخة حسبتها جعلت أعلى المدينة أسفلها ، وقالت : يا أبتاه يا رسول الله . هكذا يفعل بي وأنا حبيبتك وابنتك ، آه يا فضة إليك فخذيني ، فقـد قتل والله مـا في أحشائي من حمل ، فجعلت تمخض وهي مستندة على الجدار ، فدفعت الباب ودخلت فأقبلت عليّ بوجمه أغشى بصري نبوره فصفقتها على خديها من ظاهر الخمار ، فخرمت أذنيها فتناثرت أقراطها إلى الأرض ، فخرج علي فلما أحسست به أسرعت إلى خارج الدار فقلت لخالد بن الوليد ومن معه : نجوت من أمر عظيم ، وخرج على وقد ضربت فاطمة بيديها على ناصيتها لتكشف عنها وتستغيث بالله مما نزل بها ، فأسبل على عليها ملاءتها وقال : يـا بنت رسول الله إن الله بعث أباك رحمة للعالمين ، وأيم الله لئن كشفت عن ناصيتك شاكيــة إلى ربُّك ليهلكن هذا الخلق لأجابك حتى لا يبقى على وجه الأرض منهم أحداً ، فكونى يا سيدة النساء رحمة ولا تكوني عذاباً .

واشتد عليها المخاض ودخلت البيت واسقطت سقطأ قد سماه علي

محسناً ، وجمعت جمعاً كثيراً لا مكاثرة لعلى ولكن ليشتد بهم قلبي ، وجئت واستخرجته من بيته مكرهاً مغصوباً ، وسقته للبيعة سوقــاً حثيثاً وإنى لأعلم علمــاً يقيناً لو اجتهد من على الأرض على قهره ما قهرناه ، ولكن لهنات في نفسي أعلمها ولا أقولها ، وقام أبو فضيل ومن بحضرته يهزؤون بعلى فقال على : يـا عمر أتريد أن أعجل لك ما أخرته عنك ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين ، فسمعنى خالد وأسر إلى أبي بكر، فقال أبو بكر عند ذلك ما لي ولك يا عمر ثلاث مرات ، فقمت أنا وأبـو فضيل وعثمـان وأنا أقـول : جزى الله عليـاً خيـراً ، لم يمنعك البيعة . فوثب جندب بن جنادة وهو يقول : والله يا عدو الله ما بايع على عتيقاً ، وكلما لقينا قوماً نخبرهم أن علياً بايع وأبو ذر يقول : والله ما بــايع ، فمن دخل يا معاوية بعلى واستثار أحقاده السالفة غيرى ، وأما أنت وأبوك وأبو سفيسان وأخوك عتبة ، فإني أعرف منكم في تكذيبكم لمحمد في جبل حرى لقوله : إنكم لم تسلموا طوعاً ، وإنما أسلمتم كرهاً . فجعلكم طلقاء ، حتى قال أبـوك لمحمد : والله يا ابن أبي كبشة لأملأنها عليك خيلًا ورجالًا ، وأحول بينك وبين هذه الأعواد ، وكان محمد يظهر للناس أن لا يعلوها غيره وغير على ومن يليه من أهل بيته ، فبطل سحره وخباب سعيه ، وعملاها أبـو بكر وعلوتهـا بعده ، وإنى لأرجو أن تكون لبني أمية عيدان اطنابها فمن ذلك وليتك وخالفت قولــه فيكم وما أبالي من تأليف شعره ونشره إذ قسال ينوحي إلى ﴿والشجسرة الملعونسة في القرآن﴾(١) فزعم بها أنتم ، وأنا مع تذكيري إياك يا معاوية وشرحي لك ، ناصح ومشفق عليك فيما أوصيتك به ومكنتك من شريعة محمد وأمته ، أن تبدي لهم مطالبة بضغن أو شماتة بموت ، ولا تنقض فرضاً ، ولا تغير لمحمد سنة فتفسد علينا الأمة ، بل خـ ذهم من مأمنهم واقتلهم بـ أيديهم وتـ وصل إلى قتلهم برئيسهم ، واعف عنهم يطيعوك ويحبوك . فما آمن علينا وعليك من ثورة على وشبليه الحسن والحسين فإن أمكنك في عدة من الأمة ، فبادر ولا تقنع بصغار

⁽١) سورة الإسراء ، الآية : ٦٠ .

الأمور ، واحفظ وصيتي وعهدي لـك ، واخفه ولا تبـديـه ، واسلك طــريق أسلافك واطلب بثارك ، فقد أخرجت إليك بسري وجهري .

فلما أتى عبدالله على آخره ، أمسك عن لـ وم يزيـ د وعما عـ زم عليـ ، وتفرق أصحابه وجنده ورجع معتذراً . ولله در من قال :

فوالذي رفع السماوات العلا لولا تأسينا بكم لتقطعت لكنكم غربتم وضربتم وحرمتم وثلبتم وشبيتم والمختم والمختم والمختم والمختم والمختم والمختم والمختم والمختم والمختم واقل رزؤكم يسهون عندنا وأقل رزؤكم يسهون عندنا وأنصاريها وغدا مهاجرها وأنصاريها والمرتضى أرداه في محرابه فتكلم الحسن ابنه في حقه ولذلك سالم مكرها حتى قضى ما كان أدهى يومه وأمره

وله يدين فصيحها والأعجم أكبادنا وجلودنا والأعظم وسلبتم وحرقتم وأضعتم وأجعتم وأضعتم وأجعتم قلنا مصابكم أجل وأعظم أرزاءنا اللاتي تشف وتسقم غصبا وعبرتها تسح وتسجم كل له في ذاك سهم يسهم بيمين أشقاها الحسام المخذم بيلسم وهو والمستظالم المسلم عيني بما فيها أسر وأكتم فلطعمه حتى القيامة علقم فلطعمه حتى القيامة علقم

روي عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قلد أبو بكر الصدقات بقرى المدينة وضياع فدك الأشجع بن مزاحم الثقفي وهو معروف بالزندقة والنفاق، وله أخ قتله أمير المؤمنين (ع) بهوازن، فجعل أول قصده ضيعة من ضياع أهل البيت (ع) تعرف بـ (بانقيا) ، فجاء بغتة واحتوى عليها وعلى صدقات كانت لعلي (ع) وتغطرس على أهلها فابتدر أهل المدينة برسول إلى علي يخبرونه بما فرط من الرجل ، فدعى بفرسه السابح ، واجتذب رمحه المرتجز ، وتقلد

سيفين واصطحب معه ابنه الحسين (ع) ، وعمار بن ياسر ، والفضل بن العباس ، وعبدالله بن جعفر حتى وافى القرية ، فوجه ابنه الحسين (ع) إلى الأشجع يسأله المسير إلى أمير المؤمنين (ع) فأتاه الحسين وقال له : أجب أمير المؤمنين فقال الأشجع : ومن أمير المؤمنين ؟ فقال له الحسين : على بن أبي طالب ، فقال له الأشجع : أنا أعرف أمير المؤمنين أبا بكر وقد خلفته ، فقال الحسين : أجب على بن أبي طالب فقال : أنا سلطان ، وعلي بن أبي طالب من العوام والحاجة له ، فليسير إلي ، فقال له الحسين (ع) : ويلك أيكون أبي من العوام وأنت سلطان ؟ فقال : أجل لأن أباك بايع أبي بكر كرها ونحن بايعناه طائعين وكنا له غير كارهين ، وشتان بيننا وبينه .

فأعلم الحسين (ع) أباه بمقالة الأشجع ، فالتفت أمير المؤمنين (ع) إلى عمار بن ياسر وقال له : يا أبا اليقظان سر إليه ، وألطف له المقال ، واسألـه أن يصير إلينا ، فأنا كتاب الله يؤتى إليه ولا يأتى . فسار له عمار وألطف له القـول ، فانتهر عماراً وأفحش له في المقال ، فوضع عمار حمائل سيف في عنقه ، ومــد يده إلى السيف ، فقيل لأمير المؤمنين أدرك عمار ، فوجه أمير المؤمنين (ع) أصحابه وقال لهم : صيروا به إلي ، وكان مع الأشجع ثـ لاثون فــارساً ، فلمــا وصل أصحاب أمير المؤمنين (ع) قالوا له : ويلك هـذا عليّ بن أبي طالب قتلك وقتل أصحابك عنده دون النطفة ، فسكت أصحابه جـزعاً ، فلمـا أتوا بــه إلى أمير المؤمنين قال : لا تعجلوا عليه ، فإن العجلة بالطيش لا تقوم بها حـــــــود الله وبراهينه ، ثم التفت إليه وقال : يا ويلك بما استحللت ما أخذت من أهــل البيت ، وما دليلك على ذلك ؟ فقـال الأشجع : وأنت بمـا استحللت قتل هـذا الخلق في كـل حق وباطـل وان مـرضـاة صـاحبي أبي بكـر أحب إلى من اتبـاع مرافقتك . فقال أمير المؤمنين : ايه عليك ، ما أعرف لنفسى عندك ذنباً إلا قتل أخيك بهوازن ، وليس بمثل هذا تطلب الثارات ، قبحك الله وترحك . فقال الأشجع : بل قبحك وبتر عمرك ، فإن حسدك للخلفاء لا يزال بك حتى يــوردك موارد الهلكة والمعاطب، وبغيك على الخلفاء يقصر بك مرادهم. فغضب الفضل بن العباس ، وتمطى إليه بسيف وضرب عنق ، فاجتمع أصحاب على الفضل ، وسل أمير المؤمنين سيفه ذا الفقار ، فلما نظروا إلى لمعانه وبريق عيني أمير المؤمنين (ع) رموا أسلحتهم وقالوا : الطاعة الطاعة يا أمير المؤمنين ، فقال (ع) : أف لكم ، انصرفوا برأس صاحبكم هذا إلى صاحبكم الأكبر ، فما بمثلكم يطلب الثار ولا تنقضي الأوتار .

فانصرفوا برأس صاحبهم حتى ألقوه بين يدي أبي بكر ، فجمع المهاجرين والأنصار فقال : معاشر الناس إن أخاكم الثقفي قلد صدقات المدينة فغافصه علي بن أبي طالب فقتله أخبث قتلة ، وقد خرج نفر من أصحابه إلى الحجاز ، فليخرج إليه من شجعانكم من يرده عن سنته ، فسكت القوم ملياً كانما على رؤوسهم الطير . فقال أبو بكر : أخرس أنتم أم ذو ألسن ؟ فابتدر إليه الحجاج بن صخر وقال له : إن سرت سرنا معك ، أما والله لو سار جيشك لينحرهم علي نحر البدن ، ثم قال غيره : إلى من توجهنا ؟ إلى الجزار الأعظم الذي يخطف النفوس بسيفه ، وإن لقاء أحدنا الموت أهون من علي بن أبي طالب ، فقال إذا ذكرت لكم علي بن أبي طالب دارت أعينكم في وجوهكم ، وأخذتكم سكرة الموت ، فقال عمر : ليس لها إلا خالد بن الوليد ، فأرسلاه في جيش عظيم وقالا له : إن نابذك علي بالحرب فتجيئنا به أسيراً .

فنظر الفضل إلى غبرة الخيل وقال: يا أمير المؤمنين قد وجه إليك ابن أبي قحافة بقسطل فقال: يا ابن عباس هون عليك، فلو كانوا صناديد قريش وقبائل حنين وفرسان هوازن لما استوحشت إلا من ضلالتهم، ثم شد محزم المدابة واستلقى على قفاه غير مكترث بهم، وانتبه لصهيل الخيل، فقال له خالد: يا أبا الحسن إنك عليم غير معلم، وفهيم غير مفهم، فما هذه اللوثة التي بدرت منك والنبوة التي ظهرت فيك ؟ فإن كنت كارهاً لهذا الرجل فليس يكرهك، ولا تكونن ولايته عليك ثقلاً على كاهلك، ولا شجىً في حلقك، ودع الناس وما تولوا، ضل من ضل، وهوى من هوى، وهدي من هدي، ولا

تضرم النار بعد خمودها فتجد غبة غير محمودة ، فقال أمير المؤمنين (ع) : أتهددني بنفسك يا خالد وبابن أبي قحافة ، فما بمثلك ومثله تهديد ، فدع عنك ترهاتك واقصد إلى ما جئت فيه ، فقال خالد : يا عليَّ ارجع عن سنتك فتحظى بالكرامة ، وإلّا حملتك أسيراً ، فقال له أمير المؤمنين (ع) : يابن اللخناء والردة عن الإسلام ، أتحسبني يا ويلك ، مالك بن نويرة قتلته ونكحت امرأته ، يا خالد جئتني برقة عقلك واكفهرار وجهك وتشميخ أنفك ، والله إن تمطيت عليك وعلى أوغادك بسيفي هذا لأشبعن من لحومكم عود الضباع وطلس الذئاب، فقال خالد توعدني وعــد الأسد ، وتروغ روغان الثعلب ، ومــا مثلك إلّا من يتبع قوله فعله ، فقال أمير المؤمنين (ع) : شأنك ، فسلَّ أمير المؤمنين سيفه ، فلما رأى خالد تصميم أمير المؤمنين قال : لم أرد هذا يا أميـر المؤمنين ، فخفق عليه بسيفه ولم يرد قتله ، إلَّا أنه كان إذا أومى لم يـرد يله ، فنكســه عن دابته ولحق أصحابه الجزع والخوف ، فقال لهم (ع) : ما لكم تكافحون عن سيدكم ، والله لــوكانت أمــوركم إلى لسلخت رؤوسكم عن أجسـادكم هــو أخف من حب الحصيد على أيدي العبيد وعلى السيل تقتسمون مال الفيء ، فقال المثنى بن الصباح وكان عاقلًا وقال : والله يا أمير المؤمنين ما جئنا لعداوة بيننا وبينك ، وإنا لنعرفك صغيراً وكبيراً ، ونحن أتباع مأمورون وجند مؤازرون ، فتباً لمن وجه بنــا إليك ، أما كان له معرفة بيوم بدر وأحد ، فاستحى أمير المؤمنين وقال : يا خالد ما أطوعك للخائنين والناكثين ، جئتني تجوب مقاوز البسابس لتحملني إلى ابن أبى قحافة أسيراً بعد معرفتك بي ، وأنا قاتل عمرو بن عبد ود ومرحب وقالع باب خيبر ، وتزعم أنه قد خفي على ما تقدم به إليك صاحباك وأنت تذكر لهما ما كان منى قديماً ، فقالا لك إنما ذلك من دعاء النبيِّ وهو الآن أقــل من ذلك ، فــوالله لولا ما تقدم به إلى من رسول الله (ص) لكان مني إليهما ما هما أعلم به منك ، فاتق الله يا خالد ولا تكن للخائنين عضداً . فقال خالـد : يا على ارجـع عن سنتك وأنا أعرف ما تقول ، وما عدلت عنك العرب إلّا لطلب دخول آبائهم قديماً ، وصعوبة إخراج مال الله من يــدك ، وما دهــاهـم به من بيعــة أبى بكر إلاً

استلانة جانبه وأخذ الأموال فوق استحقاقهم ، ولعل اليوم من يميل إلى الحق وأنت قد بعت الدنيا بالآخرة ، ولو اجتمعت أخلاقهم إلى أخلاقك لما خالف خالد فقال أمير المؤمنين (ع) : والله ما أوتي بخالد إلا من جهة هذا الخؤون المفتن ابن صهاك ، لا زال يؤلب القبائل ويوسعهم من عطائه ، ويذكرهم ما أنساهم الدهر ، وسيعلم غب فعله إذا فاضت نفسه . فقال خالد : يا أبا الحسن بحق أخيك إلا قطعت هذا الكلام من نفسك وصرت إلى منزلك مكرماً إذا كانوا راضين بالكفاف ، فقال : لاجزاهم الله خيراً عن أنفسهم ولا عن المسلمين خيراً .

فسركب أميسر المؤمنين (ع) دابته وأتى المدينة وصار إلى قبر رسول الله (ص) وأبو بكر في المسجد ، فقال للعباس : ادع لي ابن أخيك علياً لأعاتبه في الأشجع ، فقال العباس : إني اخاف عليك منه إذا عاتبته أن لا تنتصر منه ، فقال أبو بكر : أتخوفني منه دعني وإياه ، فدعاه العباس وأتى إلى جانبه ، فقال يا بن أخي إن أبا بكر استبطأك فقال : لو دعاني لأجبته ، ثم عاتبه أبو بكر في الأشجع ، فقال : ما أنت أعرف بالحلال والحرام مني ، إنما قتلت زنديقاً منافقاً في بيته صنم من الرخام يتمسح به ويصير إليك ثم ترادد الكلام بين العباس وأبو بكر ، حتى قال العباس أبلغ من شأنك يا أبا بكر تتعرض لولدي وابن أخي ، أنت ابن أبي قحافة ابن مرة ونحن بنو عبد المطلب بن هاشم أهل بيت النبوة والخلافة ، تسميتم بأسمائنا ، وتقدمتم علينا في سلطاننا ، وقطعتم أرحامنا ، ومنعتم ميراثنا ثم أنتم تزعمون أن لا إرث لنا وأنت أولى وأحق بهذا الأمر منا ، فسحقاً وبعداً أنّى تؤفكون ، ثم أخذ بيد عليّ وانصرفا ، فقال علي رع) : ليس لنا إلا الصبر ، دعهم يا عم يستضعفونا يحكم الله وهوخير علي رع) : ليس لنا إلا الصبر ، دعهم يا عم يستضعفونا يحكم الله وهوخير الحاكمين . ولله در الشاعر حيث يقول :

ودولة ملكت ملاكها السفل برتبة الوحي مقرون ومتصل

ياللرجال الدين قسلُ ناصره أضحى أجير ابن جذعان لها خلفاً

فأين أجلاف تيم والخلافة ولا فرع ولا فحضار ولا زهد ولا ورع وقال منها أقيلوني فلست إذا ونصها وهو منها المستقيل على ثم اقتفاها عدي من عداوته وأجمعوا الشور في الشورى وقلدها تداولوا لها على ظلم وأورثها وصاحب الأمر والمنصوص فيه من لم يعش في غوات الجاهلين عافوه وهو أعف الناس بينهم حتى قصى وهو مظلوم وقد

والحكم الربوبي لولا معشر جبل ولا وقار ولا علم ولا عدمل بخيركم وهو مسرور بها جنال الثاني ففي أي شيء يصدق الرجل وانفض من فضها العدوان والجدل أمية وكذا العدوان تنتقل بعض لبعض فبش الحكم والدول بأمر الله عن حكمه ناء ومعتزل نوي غي ولا مقتدي آراءه هبل ظفلاً وأعلى محلاً وهدو مكتهل ظلم الحسين من بعده والظلم ينتقل

وفي أحد التأليفين وضمانه على مؤلفه ، حاصله في الإرشاد من كتاب سليم قال : لقيت محمد بن أبي بكر ، فقلت : وهل شهد موت أبيك أحد غيرك وغير أخيك عبد الرحمٰن وعائشة وعمر ؟ قال : لا ، قلت : فما الذي سمعوا ؟ قال : دعا بالويل والثبور ، وقال : هذا رسول الله وعلي يبشراني بالنار ، ومعهما الصحيفة التي تعاقدنا عليها في الكعبة ، ورسول الله يقول لي : قد وفيت بها وظاهرت علياً ولي الله ، فابشر أنت وصاحباك بالنار في أسفل درك الجحيم في أسفل السافلين ، فلما سمع عمر خرج وهو يقول : إنه ليهجر ، قال : لا والله لا أهجر أين تذهب ، ثم قال : ألم أحدثك أن محمداً ولم يقل رسول الله - قال لي وهو في الغار ، أن سفينة جعفر وأصحابه تعوم في البحر ؟ قلت : يا رسول الله أرنيها ، فمسح يده على وجهي ، فلما نظرت إليها أضمرت أنه ساحر ، فقال عمر : يا هؤلاء إن أبا بكر يهجر ، فلا تخبروا واكتموا لئلا يشمت بنا أهل هذا البيت .

ثم خرج وخرج أخي وخرجت عائشة لتتوضأ للصلاة ، فأسمعني من قولـه

ما لم يسمعوا ، فقلت له لما خلوت به : يا أبت قل لا إله إلا الله قال : لا أقولها ولا أقدر عليها أبداً حتى أرد النار فأدخل التابوت ، فلما ذكر التابوت ظننت أنه يهجر ، فقلت له : أي تابوت ؟ قال : تابوت من نار مقفل عليه بقفل من نار ، فيه اثنا عشر رجل أنا وصاحبي هذا فقلت له : تعني الثاني قال : نعم ، قال : أعني أنه في جب من جهنم مقفل عليه بصخرة ، قلت له : تهذي ؟ قال : والله أعني أنه في جب من جهنم مقفل عليه بصخرة ، قلت له : تهذي ؟ قال : والله لا أهذي ، لعن الله ابن صهاك هذا الذي أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني فبئس القرين ، ثم ألصق خده بالأرض ، فما زلت أسمع منه يدعو بالويل والثبور حتى القرين ، ثم ألصق خده بالأرض ، فما زلت أسمع منه يدعو بالويل والثبور حتى أغمضته ، ثم دخل عمر فقال : هل حدثك بشيء بعدنا ؟ فحدثته بكل ما سمعت منه ، فقال : رحم الله خليفة رسول الله ، اكتم يا محمد ، هذا كله هذيان . ثم قال لي : إياك أن يخرج من فمك شيء مما سمعت ، فيشمت بنا علي بن أبي طالب وأصحابه .

برئت إلى الرحمٰن ثم محمد ومن دان في أقسوالهم وفعسالهم فلعنهم للدين أصل مؤصل

وحسدرة وابنيه والأم منهم ومن كل شيعي نفى اللعن عنهم ودين بلا أصل فذاك مسهدم

وأما الثاني فلم يزل في ولايته يسعى لشيعة علي (ع) بالأذى ، ويظهر لهم العداوة والبغضاء ، ويبدي لهم الاهانة والحفا ، فاشتكوا منه إلى أمير المؤمنين (ع) فقال : اصبروا إن الله مع الصابرين .

ثم لقيه يوماً خارج المدينة يريد بساتينها ، فقال أمير المؤمنين : يا عمر إن شيعتي يشتكون منك ، فقال : وإن فعلت فلا أبالي ، فقال أمير المؤمنين (ع) أتحب أن أريك ما لا تبالي ؟ وكان أمير المؤمنين (ع) في يده قوس ، فألقاه عليه ، فإذا هو ثعبان كهيئة البغل فاتح فاه وهو يريد ابتلاعه ، فالتجا عمر إلى أمير المؤمنين (ع) وهو يتضرع بين يديه ، فمد أمير المؤمنين (ع) يده . وتناوله فإذا هو قوساً بإذن الله تعالى .

ثم رجع إلى منزله ودعا بسلمان الفارسي ، وقال له : امض إلى عمر وقل

له إن أهل المشرق أرسلوا مالاً فوصله خفية ، فإن لم يقسمه على الفقراء والمساكين فضحته ، قال سلمان : فمضيت إلى عمر وأخبرته فقال لي : من أخبر علياً وقد جاء في جوف الليل ؟ فقال سلمان : أما علمت أن علياً يعلم من علم الله تعالى ، فقال عمر : بل هو ساحر ، فلا عليك أن تتركه وتواليني أكرمك ، فقال سلمان (رض) : ويلك يا عمر لو أن الدنيا قبضتك ، وخيرتني بينها وبين شعرة واحدة من رأس علي بن أبي طالب (ع) ، لما اخترتك ، أما علمت أنه إمام المتقين ، ويعسوب الدين ، وولي الجبار ، ووصي سيد الأبرار ؟ فقال عمر : لا تخبره بما صار بيني وبينك ، وقل له إن عمراً سامع مطيع لله ولك . قال سلمان : فلما رجعت إلى أمير المؤمنين أخبرني بما جرى حرفاً ، ولله در من قال :

يسا نبي الموحي والكتساب وطة في همواكم وهجمو شمان قملاكم كيف يحصي الثناء سطور طمروس أو يحيط القمريش منكم بسوصف

والمشاني وما حوى السورات السن المدح والهجا قاصرات نحت وشى بردها فقرات وعليكم تنزلت آيات

وفي المخصال: أن عمراً أمر عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقاص أن يدخلوا بيتاً ومعهم أمير المؤمنين ، ويغلقوا عليهم الباب يتشاورون فيما بينهم في أمر الخلافة ، وأجّل لهم ثلاثة أيام ، فإن توافقوا وأبى واحد منهم يقتلوه ، زعم أن علياً يأبى فيقتلوه ، فلما توافقوا على عثمان قال أمير المؤمنين (ع): ألا تسمعون مني قولاً ، فإن يكن حقاً فاقبلوه ، وإن يكن باطلاً فاتركوه ، فقال أمير المؤمنين: أنشدكم الله هل فيكم أحد زوّجه الله تعالى فاطمة سيدة نساء العالمين غيري ؟ قالوا: أللهم لا ، قال : هل فيكم أحد إبناه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة غيري ؟ قالوا: اللهم لا قال : هل فيكم أحد أعلم بناسخ القرآن ومنسوخه غيري ؟ قالوا: أللهم لا ، قال : هل فيكم أحد أعلم بناسخ القرآن ومنسوخه غيري ؟ قالوا: أللهم لا ، قال : هل فيكم أحد قال فيه رسول الله : من كنت مولاه فعلي مولاه ، أللهم وال من والاه

وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وادر الحق معه حيثما دار غيري ؟ قالوا : أللهم لا ، ثم قال : هل فيكم من قال فيه رسول الله : إذا تغلقت خزائن العلوم فعلي مفتاحها غيري ؟ قالوا : أللهم لا ، فما زال ينشدهم بما ينكرون مما خصه الله تعالى إلى خمس وأربعين منقبة ، ثم قال : إذا أقررتم وبان لكم فضلي عليكم ، فاتقوا الله ولا تتعرضوا لسخطه ، وردوا الحق إلى أهله واقتفوا سنة نبيكم محمد ، فإن خلافي خلافه وطاعتي طاعته ، ولم أقل هذا راغباً في دنياكم ، ولا افتخاراً وتزكية لنفسي ، وإنما حدثت بنعمة الله لتقوم عليكم الحجة .

ثم أن عثمان بعد عمر تسلمها في نكرها ، وتسنمها على دبرها ، وحطم بحنبطها ربيع الدين في ابان بلوغه ، وهشم أنيع الحق عجلان ولوغه ، وبدد أموال الله في غير أهلها ، ورفع درجات بني أمية وهم الشجرة الملحونة في القرآن على لسان أهل البيت وأشراف الأصحاب ، وكان على خلاف رسول الله (ص) مدة حياته ، فآوى المغيرة عمه وقد هدر رسول لله (ص) دمه ، فقال لابنه رسول الله (ص) وكانت يومئذ تحته : إياك أن تخبري أباك بمكان المغيرة ، غير موقن أن الـوحي ينـزل على رسـول الله ، فقــالت لا أكتم على رسول الله عدوه ، فنزل الوحي بإخبار النبيّ بمكان المغيرة وبعث رسول الله إليه ليقتله ، فأخفاه عثمان ولم يظفر به ، فلما خرج أمير المؤمنين (ع) من منزل عثمان ، ، أخذ بيد عمه وأتى بسه إلى النبي ، فقال (ص) : أللهم العن المغيرة بن العاص ، والعن من يأويه ، والعن من يحمله ، والعن من يطعمه ، والعن من يسقيمه والعن من يجهزه ، والعن من يعطيه سقاءً أو حذاءً أو وعاءً ، وانطلق به عثمان وأخرجه سرقة ، وفعل به جميع مـا لعن عليه رسـول الله (ص) فانتقب حذاءه في مسيره ، وتورمت قدماه ولم يطق المسير ، واستظل بسمرة ، فعلم به النبي (ص) وبعث إليه على (ع) فقتله . وجاء عثمان لابنة رسول الله (ص) فضربها حتى أنهكها ضرباً وكان سبب وفاتها . باعوه بالأمر الضعيف سفاهة وقت الحياة فكيف بعد وفاته خلوه في وقت يخاف ويرتجى أيراد منهم أن يفوا لمماته

ونفى أبا ذر إلى الربذة ، وضرب عماراً حتى فرث لحمه ، وكسر أضلاع ابن عباس ، وتتبع شيعة على بن أبي طالب (ع) بأنواع العذاب والأذى ، وكتب إلى معاوية أفحش وأشنع مما كتبه عمر ، وتظاهر باللعب حتى أنكر عليه المسلمون واجتمع الأنصار على قتله تقرباً لله تعالى وطلباً لطاعته ، وعائشة تحرضهم على قتله وتقول اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر .

في وفاته (ع)

الحمد لله عز شأنه ، وأشكره بما عمني من فضله وإحسانه ، وأشهد أن لا إله أنّى ينتهي أمده أو يحد مكانه ، وأشهد أن محمداً (ص) عبده رسوله ، أرسله والكفر جاش قد ارتفع بنيانه ، فأيده بأمير المؤمنين (ع) حتى هدّ شامخه ، وتداعت أركانه ، صلى الله وسلم عليهما وعلى ذريتهما الأكرمين ، ما اتضح الصباح وامتد لسانه .

أما بعد فهذه كلمات يسيرة قد اقتصرت عليها من الوفاة الكبيرة لئلا يسأم السامعون ، وينام الحاضرون ويذم الطامعون فيعرضون ، فأقول والله الموفق : سبق صلوات الله وسلامه عليه كل سابق ، وأردف خلفه كل ملاحق ، غرس في فجاج قلوب أبت الهدى غيرائس الأحزان حتى نتجت له نتائج الحسد والعدوان ، فدعوه عن رتبته ودفعوه عن منزلته ، فمضى الأول بضغينته ، ومضى الثاني بجفاه وإهانته لشيعته ، وأفحش الثالث في نوبته ، وأشنع فيما ارتكبه من نكره وخطيئته ، حتى اجتمع المهاجرون والأنصار على قتله تقرباً لله ورغبة في طاعة الله ، فلم تزل المرأة تحرضهم على ذلك وتستحثهم عليه فتقول : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ، فلما قتل اجتمعوا على مبايعة أمير المؤمنين (ع) فأبى ، وترددوا عليه مراراً حتى أجابهم على شروط شرطها عليهم ، منها المساومات في العطاء ، وأن القوي والضعيف سواء ، يأخذ الحق للضعيف من القوي ، فأول

من بايعه طلحة حتى قيل ان البيعة لا تتم لأن أول يد بايعته شلاء وأن يد طلحة شلت بأحد ، ثم الزبير وسائر الأنصار والمهاجرين .

فلما سمع معاوية حرّض أهل الشام على قتال أمير المؤمنين يتعلل عليه بدم عثمان ، وبايعه طلحة والزبير وكتب إليهما وأمرهما أن يصيرا إلى البصرة ، فأتيا أمير المؤمنين (ع) وطلبا إليه أن يزيدهما في النفقة ، فقال لهما أمير المؤمنين : ألم تبايعاني على المساواة ؟ فإن انتظرتم عطائي زدتكم ، فقال : إنّا لم نرد شيئاً من ذلك ، ثم استأذناه للعمرة ، فقال : كلا بل تريدان الغدرة ، ثم أذن لهما ، فلحقا بمكة واتفقا مع عائشة على قتال أمير المؤمنين ، وقصدوا بجمعهم للبصرة ، وخرج أمير المؤمنين (ع) في أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار في ثاقب المناقب .

قال ابن عباس: قلت لأمير المؤمنين (ع) وهو متوجه إلى البصرة: انك في نفر يسير فلو تأنيت حتى يلحق بك الناس، فقال: يجيئنا من الغد من ناحية الكوفة خمسة كراديس كل كردوس خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلاً. قال ابن عباس: فلما صليت الفجر قلت لغلامي: اسرج لي على فرسي، قال: فتوجهت نحو الكوفة، وإذا بغبرة قد ارتفعت، فسرت نحوها، فلما دنوت منها صيح بي من أنت؟ قلت: أنا ابن عباس، فقلت: لمن هذه الراية؟ قالوا: لفلان، قلت: كم أنتم؟ قالوا: طوي الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلاً. قال: ثم مضوا ومضيت، ئم التفت فإذا أنا بغبرة قد ارتفعت، فدنوت منهم، فصيح بي من أنت؟ قلت: ابن عباس، فأمسكوا عني، فقلت: لمن هذه الراية؟ فقالوا: لربيعة، ابن عباس، فأمسكوا عني، فقلت: لمن هذه الراية؟ فقالوا: كم أنتم؟ قالوا: فليت من رئيسها؟ قالوا: زيد بن صوحان العبدي، قلت: كم أنتم؟ قالوا: فمضوا ومضيت على وجهي، وإذا أنا بغبرة قد ارتفعت، فأخذت نحوها، فصيح بي من أنت؟ قلت: امن هذه فصيح بي من أنت؟ قلت: امن هذه فصيح بي من أنت؟ قلت: امن عباس، فأمسكوا عني، قلت: لمن هذه فصيح بي من أنت؟ قلت: ابن عباس، فأمسكوا عني، قلت: لمن هذه فصيح بي من أنت؟ قلت: ابن عباس، فأمسكوا عني، قلت: لمن هذه

الراية ؟ قالوا: لفلان ، قلت: كم أنتم ؟ قالوا: طوي الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلاً ، قال: فمضوا ومضيت ، وإذا أنا بغبرة قد ارتفعت ، فدنوت منهم ، فصيح بي من أنت ؟ قلت: ابن عباس ، فأمسكوا عني ، قلت: كم أنتم ؟ قالوا: طوي الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلاً . قال: فمضوا ومضيت على وجهي ، وإذا أنا بغبرة قد ارتفعت ، فدنوت منهم ، فصيح بي من أنت ؟ قلت: ابن عباس ، فأمسكوا عني ، فقلت: لمن هذه الراية ؟ قالوا: رئيسها الأشتر ، قلت: كم أنتم ؟ قالوا: طوي الديوان عند الجسر على خمسة آلف وستمائة وخمسة وستون رجلاً قال: فمضوا ومضيت إلى العسكر ، فقال لي أمير المؤمنين (ع): من أين أقبلت ؟ قلت: إني سمعت مقالتك ، فاغتممت مخافة أن يجيء الأمر على خلاف ما قلت ، فقال أمير المؤمنين : نظفر بهم إن شاء الله تعالى ، ثم نقسم أموالهم ، فيصيب كل واحد منا خمسمائة دينار .

فلما كان من الغد أمر أمير المؤمنين (ع) أن لا يحدثوا شيئاً من الحرب حتى يكون الابتداء منهم . قيل وأرسل إلى طلحة والزبير فلم يرتدعا ، وكتب إلى عائشة ما للنساء وقود العساكر ، أتطلبين بدم عثمان وبالأمس تقولين اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ، فاتقي الله يا عائشة ، وارجعي إلى منزلك ، واسبلي عليك سترك ، فلم تفعل . ثم أن أمير المؤمنين خطب من بايعه وقال :

أيها الناس: إني ما تأنيت عن هؤلاء إلاّ ليرجعوا عن الحرب، فلم يستجيبوا لي ، وبعثوا إليّ أصبر للطعان وأثبت للجلاد ، وقد كنت لا أهدد بالحرب ولا أذعن إليها ، ولعمري لئن أبرقوا وأرعدوا فلقد عرفوني ورأوا مكاني ، فأنا أبو الحسن الذي فللت حدهم ، ومزقت جماعتهم ، فبذلك ألقى عدوي وأنا على بينة من ربّي لما وعدني من النصر والظفر ، وإني لعلى غير شبهة .

ثم رفع يده إلى السماء وقال: أللهم إن طلحة بن عبدالله أعطاني صفقة

يمينه طائعاً ، ثم نكث بيعتي ، أللهم فعاجله بالعقوبة ولا تمهله ، وإن الزبير بن العوام قطع قرابتي ، ونقض عهدي ، وظاهر عدوي ، ونصب لي الحرب وأنت تعلم أنه ظالم لي ، فاكفه كيف شئت وأنّى شئت .

ثم أنه أعطى الراية ابنه محمد بن الحنفية ، وجعل على الميمنة ابنه الحسن ، وعلى الميسرة ابنه الحسين ، وعلى الخيالة عماراً ، وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر ، وعلى المقدمة عبدالله بن العباس ، فجعل أهل البصرة يرمون أصحاب أمير المؤمنين حتى عقروا بنبلهم جماعة . فقالوا : ما انتظارك بهؤلاء وقد عقرونا بنبلهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال (ع) : أللهم اشهد أني قد أعذرت وأنذرت ، فكن لي عليهم شاهداً .

ثم دعا بالمصحف فقال: من يأخذه ويدعو هؤلاء إلى ما فيه ؟ فأخذه مسلم بن عبدالله المجاشعي ، فقال لهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، فضربه رجل منهم على يده اليمنى فقطعها ، فأخذ المصحف بيده اليسرى فقطعت ، ثم احتضنه فما زال يضرب عليه حتى قتل رضوان الله عليه .

ثم أمر أمير المؤمنين (ع) ابنه محمد أن اقتحم ، فحمل الراية وظل يضرب ويطعن حتى أعجب أباه ، فرجع محمد رضي الله عنه وحمل أمير المؤمنين ، فما زال يضرب بالسيف حتى انحنى سيفه ، فوقف يسويه بركبته ، فقال له أصحابه : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فلم يجب ، وحمل ثانية ، فجعل يضرب قدماً قدماً حتى التوى السيف ، فرجع يسويه بركبته وهو يقول : والله ما أريد بذلك إلا الله والدار الأخرة ، ثم التفت إلى ولده محمد بن الحنفية ، فقال : هكذا فاصنع يا بني .

ثم اشتبك العسكران واقتتلوا قتالاً شديداً حتى احمرت الأرض بالدم ، وصار هودج فلانة كالقنفذ من كثرة النبال ، وقطع على خطام جملها ثمان وتسعون كفاً مخضباً ، وما زالت الحرب على ساقها حتى عقر جملها . فقال أمير المؤمنين (ع) لأصحابه : ادفعوه فإنه شيطان ، فدفعوه وقد قتل طلحة ثم

طعن أمير المؤمنين هودجها وقال لها: هكذا أمرك رسول الله ؟ قالت: ظفرت يا أب الحسن فأحسن وملكت فاسمح ، فقال لمحمد أخيها: شأنك أختك ، فادخلها البصرة ثم أمرها أن تعود إلى المدينة .

قال ابن عباس في حديثه السابق: فقال أمير المؤمنين (ع) للخازن: اقسم المال، فقسمه، ثم قال له: هل بقي عندك شيء ؟ فقال: ألفي درهم، فقال: هل أعطيت الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية خمسمائة خمسمائة، وعزلت لي خمسمائة ؟ قال: لا، قال هذه لنا، فلم تزد درهماً ولا تنقص درهماً كما أخبر (ع) وهي من بعض فضائله.

قال الراوي: وكتب إلى جميع الأمصار فأجابته سوى معاوية ، هش للسلطنة ويتعلل عليه بقتل عثمان وكتب إليه مع جرير البجلي إنه لزمك البيعة ، لأنه بايعني من بايع أبا بكر وعمر ، ولست ممن تحل له الخلافة فبايع جريراً . فكتب إلى أمير المؤمنين بعدم الإجابة يتعلل بما تعلل به من طلب دم عثمان ، وأن يرجع الأمر شورى فيمن يختاره أهل الشام ، فكتب إليه أمير المؤمنين (ع) أتاني كتاب ليس له نور يهديه ، ولا قائد يرشده ، زعمت أن خطيئتي في عثمان من سدت عليك بيعتي ، وما أمرت بامر يلزمني خطأه ، وليس في أهل الشام من يحكم على المسلمين حتى تحل له الشورى ، فإن سميت أحداً كذبك المهاجرين والأنصار .

فصار معاوية بعد ورود الكتاب عليه يستشير ثقاته في حال القتال ، فقال عقبة أخوه: ابعث إلى ابن العاص واخدعه بالأموال والولايات فانه قريع زمانه ، وقلوب أهل الشام تميل إليه ، فما زال به حتى أجابه ونهضوا لحرب أمير المؤمنين ، فخرج من الكوفة يريد ملاقاتهم وأدرك أصحابه العطش ، فلاح لهم دير راهب ، فمالوا إليه وسألوه عن الماء ، فقال : إنه بعيد عن هذا المكان جداً ، فأمر أمير المؤمنين بالحفر بالقرب من الدير فانكشف لهم عن صخرة تلمع كأنها الثلج ، فعجزوا عن اقتلاعها ، وقلعها أمير المؤمنين وحده ودحى بها عن

موضعها أذرعاً ، وإذا بماء يفوق على الشهد ، فشربوا منه وارتووا ، ثم وضع الصخرة وعفى الموضع ، ونزل الراهب ، فقال : إن الدين مبني على معرفة قالع الصخرة ومظهر الماء المعين ، فمن يكون هذا ؟ قالوا : وصي رسول الله ، فأسلم وتبعه حتى استشهد معه .

قال الأصبغ بن نباتة : لما التقى الجيشان بصفين ، مضيت إلى معاوية ومعه ملأ من أصحابه ، ودفعت إليه كتاباً من أمير المؤمنين فقرأه ثم قال : إن علياً لا يدفع إلينا قتلة عثمان ، فقلت له : يا معاوية لا تتعلل علينا بقتلة عثمان ، لأنك تطلب الملك والسلطان ، ولو أردت نصره لنصرته حياً ، لكنك تربصت به لتجعله سبباً إلى وصول الملك إليك . قال الأصبغ : فأردت أن أزيـد غيظه ، فقلت لأبي هريرة : أحلفك بالله يما صاحب رسول الله أشهدت غدير خم ؟ قال : نعم ، قلت : ما سمعت من رسول الله في عليٌّ ؟ قال : سمعتـه يقول : من كنت مولاه فعلى مولاه ، أللهم وال من والاه ، وعماد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيثما دار . فقلت له : إنك واليت عدوه وعاديت وليه ، فتنفس صعداً وحولق وتغير وجه معاوية ، فانتهـرني وقال : لا تخدع أهل الشام عن طلب دم عثمان ، وعند صاحبك قتلته ، وقد أغراهم بـ فهم اليوم عضده وأنصاره ، قال : فمضيت إلى أمير المؤمنين (ع) وأخبرته ، فقال : إني لا أعجب من بغض معاوية وحسده ، لكنما عجبي ممن رأى منزلتي من رسول الله كأبي هريرة وأبي الـدرداء وغيرهم ، وقـد أزمعوا على قتـالى ، ثم عقد الألوية للحرب ، فلما رأى أصحاب رسول الله (ص) لواءه بكوا لتذكار رسول الله ، وبكى أمير المؤمنين بكاءً شديـداً ، وقال لمـالك الأشتـر : إن معي رايــة لم أخرجهــا منــذ قبض رســول الله إلا يــومي هـــذا ، وقــد قـــال لي رسول الله (ص) عند وفاته : يا أبا الحسن إنـك لتحارب النـاكثين والقاسـطين والمارقين ، وأي تعب ونصب يصيبك من أهل الشام فاصبر على ما أصابك إن الله مع الصابرين ، قال : وسبق أهل الشام على الماء ، ومنعوا أصحاب أمير المؤمنين (ع) الماء ، فشربوا ماء آسناً جتى فشى فيهم السقم ، فأرسل

أمير المؤمنين (ع) من يستعطف معاوية ويداري أهل الشام ، فامتنع معاوية حتى قال قائلهم اقتلوهم عطشاً كما لم يرحموا عثمان ، فقال بعض أصحاب معاوية : أما والله لو سبقك على لما منعك الماء ، فلوكانوا من الترك والديلم والروم فطلبوك الماء لما يحل لك أن تمنعهم ، فكيف وهم أصحاب رسول الله وابن عمه وصاحب سره وخليفته ، لكنه الجور والله ، ثم لحق بأمير المؤمنين (ع) وقاتل معه حتى استشهد رحمه الله تعالى ، واستأذن مالـك الأشتر والأشعث بن قيس وخواص أمير المؤمنين في حال القتال ، قالوا : نموت عطشاً ومعنا الأسنة والأسياف فأذن لهم بالقتال ، وقال لقنبر : اخرج رمح رسول الله الملموس بيــده الشريفة ، وسيصير لابني الحسن ثم ينكسر بيد ابني الحسين في كربلاء ، وتقلد سيف رسول الله (ص) وتدرُّع بدرعه ، وخرج وعليه جحفته وقضيبه الممشوق ، واقتتلوا قتـالًا شديـداً حتى انكشف أهل الشـام عن الماء بعـد قتل ذريـع ، وقـد أثخنوا بالجراح ، ونزلت مقدمة أمير المؤمنين (ع) على الماء ، ونزل (ع) عند مقدمته ، ثم استسقى معاوية من أمير المؤمنين الماء ، فقال بعض أصحاب معاوية وهو الذي قال: اقتلوهم عطشاً كما لم يرحموا عثمان: يا أبا الحسن ملكت فاسمح وجد علينا بالماء ، فقال أمير المؤمنين : قولوا لمعاوية يشرب ويسقى دوابه لا أمنعه ، ولا يحول بينه وبين الماء حائل ، ولله در من قال :

ولما ملكتم سال بالدم أبطح غدونا عن الأسرى نعف ونصفح وكل إناء بالذي فيه ينضح

ملكنا فصار العفو منا سجية وحللتم قتل الأسارى وطالما فحسبكم هذا التفاوت بيننا

قال الراوي: ثم قامت الحرب بينهم أياماً وشهوراً ، وروي أن عماراً استسقى يوماً فأتي له بقدح فيه لبن فشربه ، فقال: الله أكبر قد قال لي رسول الله: آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن ، وتقتلك الفئة الباغية ، وهذا آخر أيامي من الدنيا ، ثم حمل على القوم وهو يقول: الجنة الجنة تحت ظلال الأسنة ، اليوم ألقى الأحبة محمداً وصحبه ، فأحاطوا به حتى قتل رضوان الله

عليه . ودعى أمير المؤمنين قنبراً وقال له : قل لابني محمد وعبدالله بن جعفر ليحملا إذا أنا حملت ، وقال لكميل بن زياد قل لسليمان بن صرد ليحمل إذا أنا حملت ، فحمل (ع) وحملوا معه ، وازدحم الناس بعضهم ببعض وجثوا على الركب ، وكسفت الشمس ، وثار الغبار ، وأظلمت الدنيا ، وظلت الألوية ، وفقدت الرايات ، ومر مواقيت الصلاة ، وصاروا لا يسجدون إلا تكبيراً ، ولا يسمع إلا وقع الحديد على الحديد ، حتى تكادموا بالأفواه ، ونادى القوم في تلك المفازات الله الله يا معشر العرب في الحرمات من النساء والبنات ، واتصل الليل بالنهار ، فكانت ليلة الهرير ، وسمع فيها لأمير المؤمنين خمسمائة تكبيرة عدد من قتله بيده ، وأصبح أصحاب أمير المؤمنين (ع) والمعركة خلفهم فاقتحموها .

فلما رأى ابن العاص أن الحرب عفتهم أشار على معاوية برفع المصاحف على رؤوس الأسنة ، وقال : بيننا وبينكم كتاب الله ، فامتنع أصحاب أمير المؤمنين عن القتال لما رأوا المصاحف على رؤوس الرماح ، فقال لهم أمير المؤمنين : ذرونا نناجزهم ، فما هي إلاّ ساعة فإن الحرب قد عفتهم ، فلم يجيبوه ، فقال (ع) : هذه خدعة ، وأنا كتاب الله الناطق ، فلم يفعلوا وكتبوا بينهم إمهال إلى شهر رمضان ، ثم خدع معاوية ثانية أصحاب أمير المؤمنين (ع) حتى ألجأوه إلى تحكيم الحكمين ، فأراد أن ينصب لهم ابن عمه عبدالله بن العباس ، فأبى أصحابه وقالوا : إلا أبو موسى الأشعري ، فأجاب وهو كاره ، وجعل معاوية من قبله ابن العاص ، وبعث كل بحكمه . فغدر ابن العاص بأبي موسى الأشعري إذ قال : إنا لنخلع علياً ومعاوية ، وندع الناس ومن يختارونه ، موسى الأشعري إذ قال : لقد سمعتم ما قال وإني قد أقررت خلع علي وأثبت صاحبي ، وبادر الحصين وضرب أبا موسى الأشعري بعصى كانت في يده ، ثم صاحبي ، وبادر الحصين وضرب أبا موسى الأشعري بعصى كانت في يده ، ثم ندم وقال : ليتها كانت السيف ، فرجع أمير المؤمنين (ع) مرغوماً قد استضعفه ندم وخرج من طاعته ثمانية آلاف من عباد قومه ونساك خاصته ، وكانوا إثنا فومه ، وخرج من طاعته ثمانية آلاف من عباد قومه ونساك خاصته ، وكانوا إثنا

عشر ألف ، وأمّروا فيهم عبدالله بن الكوا ، فأرسل لهم أمير المؤمنين عبدالله بن العباس ، فقالوا : ليخرج علي بنفسه لعله يزيل ما بأنفسنا ، فخرج لهم أمير المؤمنين بنفسه ، وبرز عبدالله بن الكوا في عشرة رجال وقال : يا أمير المؤمنين أنا آمن سيفك قال : نعم ، قال له : يا عبدالله عما نذر الحرب عن معاوية ؟ فقال : برفع المصاحف على رؤوس الأسنة وأمر الحكمين ، قال : ألم أقل لكم إنها خدعة فناجزوهم فأبيتم ، وأردت أن أنصب لكم ابن عمي عبدالله بن العباس فإنه لا ينخدع ، فألحيتم في أبي موسى الأشعري ، فأجبتكم كارها ، ولو وجدت أعوانا دونكم لما أجبتكم ، ألم أشترط على الحكمين بمسمعكم أن يحكما بما أنزل الله في كتابه المجيد من فاتحته إلى خاتمته وإن لم يفعلا فلا طاعة لهما ؟ قال ابن الكوا : صدقت قد كان هذا كله فلا ترجع إلى حربه ، قال (ع) : حتى تنقضي المدة بيننا ، قال ابن الكوا : فأنت مجمع عليه ، قال (ع) : لا يسعني غيره .

فرجع ابن الكوا والعشرة الذين كانوا معه عن رأي الخوارج ، ولحق بأمير المؤمنين ، وتفرق القوم عنه واجتمعوا إلى عبدالله بن وهب الراسي وذي الثدية ، وأمروهما وعسكروا بالنهروان ، وخرج أمير المؤمنين (ع) وعسكر على فرسخين ، وبعث لهم عبدالله بن العباس ، فقال لهم : ما الذي نقمتم على علي ؟ قالوا : أشياء كثيرة لوكان حاضراً لكفرناه بها ، فأبلغ علي (ع) مقالتهم ، فأتاهم وقال : أيها الناس أنا علي بن أبي طالب فتكلموا بما نقمتم علي ، قالوا : نقمنا عليك أنك أبحتنا بعد قتال أهل البصرة في العسكر ، ومنعتنا أسر النساء والذرية ، فإن كانوا كفاراً فهلا أحللته لنا ، وإن كانوا مسلمين فقتالهم وسلبهم علينا حرام ؟ فقال لهم (ع) : أهل البصرة بدؤنا بالقتال فحل لنا قتالهم ، ولنا سلب من قتلناه ، والنساء لم يقاتلن والذرية على الفطرة ، وقد رأيت رسول الله من على المشركين ، أفلا تمنوا على المسلمين بأن لا تسلبوا نساءهم وذريتهم ؟ فقال قوم منهم : لا تخاصموا قريشاً ، فإن الله قال : ﴿ بل

هم قوم خصمون (١) وقال الباقون: نقمنا عليك أيضاً لأنك محيت اسمك من إمرة المؤمنين يوم صفين، فلست إذا بأمير علينا، فقال لهم: اقتديت برسول الله حين محى اسم الرسالة في صلح قريش، فقالوا: نقمنا عليك قولك للحكمين انظروا في كتاب الله، فإن كنت أفضل من معاوية فاثبتاني في الخلافة، فأنت إذاً في شك من نفسك، فنحن أشد شكاً فيك، فقال: أردت منهما أن ينصفاني، فلو قلت احكما لي واتركاه لم يرض معاوية، كما قال رسول الله لنصارى نجران وفنجعل لعنة الله على الكاذبين (٢) فلو قال فنجعل لعنة الله عليكم لم يرضوا، قالوا: نقمنا عليك قد حكمت فيما هو حق لك، لعنة الله عليكم لم يرضوا، قالوا: نقمنا عليك قد حكمت فيما هو حق لك، كل ناحية جماعة التوبة التوبة يا أمير المؤمنين، واستأمن إليه ثمانية آلاف وطلبوا كل ناحية جماعة التوبة التوبة يا أمير المؤمنين، واستأمن إليه ثمانية آلاف وطلبوا الاعتزال، فأجابهم، وبقي على حربه أربعة آلاف رجل، فتقدم عبدالله بن الراسي وذو الثدية وقالا: والله ما نريد بقتالك إلا الله والدار الآخرة، فتلا علي (ع) هذه الآية: وقل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً و(٢).

ثم التحمت الحرب بين الفريقين ، وأسعرت الحرب لظاها ، وأسفرت عن زرقة صبحها وأحمر ضحاها ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى فني كثير من الخوارج ، فقام عبدالله الراسي ونادى يا ابن أبي طالب ، والله لا نبرح حتى تأتي على آخرنا ، فابرز وفر الناس جانباً ، فقال أمير المؤمنين وهو يبتسم : ما أقل حياؤه إنه ليعلم أني حليف السيف ، وخدين السرمح ، لكنه يئس من الحياة . فحمل عليه أمير المؤمنين (ع) فقتله ، فما كانت إلا كدورة الرحى حتى أتى على آخرهم ، فلم يفلت منهم إلا عشرة كما أنه لم يقتل من أصحابه عشرة ، وقد أخبر (ع) قبل منصرفه وقال : إنا نقتلهم ولم يفلت منهم إلا عشرة ،

⁽١) سورة الزخرف ، الآية : ٥٨ .

⁽٢) سورة أل عمران ، الآية : ٦١ .

⁽٣) سورة الكهف الآية : ١٠٣_ ١٠٤ .

وحسين مطروح بعرصة كربلا أفديه مسلوب اللباس مسربلا بدمائه ترب الجبين مرملا ماء سوى دمه المبدد منهلا بسريره جبريل كان موكلا وطأت وصدر غادرته مفصلا شرفاً له كان النبيّ مقبلا ولهاء معولة تجاوب معولا بأبي النساء النادبات الثكلا هجروا القصور وآنسوا وحش الفلا أمست بأرض الغاضرية آفلا بأبى الفريق المظاعن المترحلا شاطى الفرات عن المواطن موثلا وأبيك تقتنص الكلاب الأشبلا بسيموفهم دمهم يمراق محللا زرق الأسنة والوشيع الذبلا أسفاً وكمل في الحقيقة مبتلى بدم السوريد وذا ينقاد مغللا أسرى وتفترس الكلاب الأشبلا الحديد مقيدأ ومكسلا كانت له بين المحامل محملا

ولم يقتل منا إلا عشرة . ولله در من قال : يا ليت في الأحياء شخصك حاضر عبريان يكسبوه الصعيد مبلابسأ متموسداً حمر الصخمور معفراً ظمآن مجروح الجوارح لم يجد ولصدره تطأ الخيول وطالما عقرت أما علمت لأي معظم ولثغره يعلو القضيب وطالما وبنسوه في أسسر السطغياة صسوارخياً ونسساؤه من حبوليه يستدينه يندبن أكرم سيد من سادة بأبى بدوراً في المدينة طلعاً نزحت عن عقر دارهم أيدي العدى ضاقت بهم أوطانهم فتبوأوا ظفرت بهم أيدي البغاة ولم أجد منعبوهم ماء الفرات ودونه هجرت رؤوسهم الجسوم فواصلت يبكى أسيرهم لفقد قتيلهم هـذا يميل على اليمين معفراً ومن العجائب أن تقاد أسودها لهفى لزين العابدين يقاد في ثقل أفدى الأسير وليت خدي موطئاً

قال الراوي : وعن جويرية بن مسهر البجلي قال : لما أقبلنا مع أمير المؤمنين (ع) من قتل الخوارج ، حتى إذا قطعنا أرض بابل حضرت

الصلاة ، فنزل أمير المؤمنين ونزل الناس معه ، فقال (ع) : أيها الناس إن هذه الأرض ملعونة قد عذبت في الدهر ثلاث مرات ، وفي خبر مرتين ، وهي تتوقع الثالثة ، وهي أول أرض عبد فيها وثن ، وهي إحدى المؤتفكات ، وإنــه لا يحل لنبيّ أو وصي نبيّ أن يصلي فيها ، فمن أراد أن يصلي فليصل ، فمال الناس عن جنبي الطريق يصلون ، وركب بغلة رسول الله (ص) ، قال فمضيت خلفه ، وقلت : والله لأتبعن أمير المؤمنين وأقلد بـ ه صلاتي اليـوم ، فمضيت خلفـ ، فوالله ما جزنا جسـر سـوري حتى غـربت الشمس ، فشككت ، فـالتفت إلىّ وقال : يا جويرية شككت ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فنزل عن دابته في ناحية ، فتوضأ ثم قام ، فنطق بكلام لا أحسبه إلا كأنه بالعبرانية ، ثم نادى الصلاة الصلاة ، فنظرت والله إلى الشمس وقد خرجت من بين جبلين ولها صرير ، فصلى العصر وصليت معه ، فلما فرغنا من الصلاة غابت الشمس وعاد الليل كما كان أولاً ، واجتمع نفر من الخوارج وقالوا : إن علياً ومعاوية قد أفسدوا هذا الأمر ، فلو قتلناهم لعاد الأمر إلى أهله ، فقال رجل من أشجع : وما أمر العاص بدونها وإنه أصل هذا الفساد ، وتأسفوا على من قتل بالنهروان ، فقال عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي والبرك بن عبيدالله التميمي وعمرو بن أبي بكر التميمي فلو شرينا من الله أنفسنا والتمسنا غرة هؤلاء وقتلناهم لأرحنا منهم العباد والبلاد ، فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم علياً ، فقيل لــه : وأنَّى لك بــه ؟ قال : أغتاله ، وقال البرك بن عبدالله : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمر بن أبي بكر : أنا أكفيكم ابن العاص ، ومضوا إلى البيت شرفه الله تعالى وتحالفوا على الوفاء بينهم ، فأتى إلى أمير المؤمنين (ع) رجل من مراد وقال له : احرس نفسك يا أمير المؤمنين ، فإن أناساً من مراد يريدون قتلك ، فقال : مع كل رجل ملكان يحفظانه ما لم يقدر عليه أحد ، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه ، وكفى بالأجل جنة حصينة ، ثم إنه (ع) أنشأ يقول :

تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما فازوا وما ظفروا فإن بقيت فرهن ذمتي لهم وإن عدمت فلا يبقى لهم أثر وسوف يورثهم فقدي على عجل ذل الحياة بما خانوا وما غدروا

قال الراوي: ثم إن ابن ملجم قصد الكوفة مع الوفد الذين بعث بهم حبيب بن المنتجب عامل أمير المؤمنين ليتربص الفرصة ، ودخل في جملتهم عليه وسلم كما سلموا ، وكان طلق اللسان حسن المقال ، فأعجب أمير المؤمنين (ع) لما سمع من مقالته ، ورأى حسن تأدبه في أقواله وأفعاله ، فسأله عن اسمه ، فلما أخبره أطرق برأسه يفكر ، ثم رفع رأسه وقال : أمرادي أنت أنت ؟ ثلاث مرات وهو يقول : نعم فاسترجع أمير المؤمنين (ع) وحولق وتمثل ببيت ابن معد يكرب الزبيدي وهو يقول :

أريد حسياته ويسريد قستملى خليملي من عسزيسزي مسن مسراد

ثم دعاه للبيعة واستحلفه مراراً كثيرةً ، وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يغدر به ، فقال : ما رأيتك يا أمير المؤمنين فعلت بغيري مثلما فعلت بي ، أتراك تؤكد على البيعة ثلاثاً وتستحلفني ثلاثاً ؟ فقال : إني لا أرى أنك تفي بما عاهدت عليه ، وستخضب هذه من هذا ، وأشار إلى لحيته ورأسه ، ولقد قرب وقتك وحان زمانك ، فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين هذه يميني وهذه شمالي فاقطعهما أو فاقتلني ، فقال أمير المؤمنين : وكيف أفعل ولم تستوجب قبل شيئاً ؟ ولو أنني أعلم أنك قاتلي ، لكن هل كانت لك حاضنة يهودية وكنت إذا بكيت تلطم وجهك وتقول لك اسكت يا من هو أشقى من عاقر ناقة صالح ؟ قال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين .

وفي بعض الروايات قال له: إذا أنا قتلتك فمن يقتلني وقد سبق القضاء، إنك قاتلي، فسمع ذلك مالك الأشتر رضي الله تعالى عنه والمقداد بن الأسود الكندي فجردا أسيافهما، وأتيا إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: ومن هذا الكلب الذي تخاطبه بما سمعنا، فأمرنا بقتله، فقال: افتأمروني بأن أقتل رجلًا لم يفعل بعد شيئاً ؟

واجتمع نفر من أصحاب أمير المؤمنين وخواص شيعته ، فقالـوا : إنَّـا

نقترح أن نجعل كل ليلة على قبيلة تحرس سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (ع) ، فإنه يخرج غلساً إلى الجامع ونخاف أن يغتاله هذا اللعين فيفجعنا فيه ، فابتدأت بذلك أهل الكنائس ، فلما أقبل أمير المؤمنين (ع) وجدهم شاكين في سلاحهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : تخوفنا عليك من هذا المرادي اللعين فجئنا لنحرسك فجزاهم خيراً وتلا قوله تعالى : ﴿قُلُ لَن يَصِيبنا إلّا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (١) ثم قال : إذا نزل القضاء فلا راد له وكفى الأجل حارساً .

فتفرق القوم ، فكانت في الكوفة امرأة من الخوارج اسمها قطام بنت سجية بن تميم من تيم الرباب ، وقد خطبها ابن ملجم وتمكن في قلبه حبها ، فقالت : نعم على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة ، وأشترط عليك قتل الخليفة علي بن أبي طالب ، فقال : والله ما أقدمني إلى هذا المصر وكنت بعيداً منه إلا قتل هذا الرجل ، فلك ذلك ، ولله در الفرزدق حيث يقول متعجباً من هذا الإقدام :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة شلائمة آلاف وعسد وقسسة فلا مهر أغلى من على وإن علا

كمهر قطام من فصيح وأعجمي وضرب علي بالحسام المسمم ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم

روي أن ابن ملجم دخل يـوماً الجامع ، وأمير المؤمنين على المنبر يخطب ، فقال : والله لأريحن منك العباد ، فسمعه بعض الأصحاب فأتى به ملبياً ، فقال لهم أمير المؤمنين : وما تريدون منه ؟ فأخبروه بما قال ، فقال (ع) : خلوا عنه ، فإنه لم يقتلني ، ولم يـزل يكرمه لسرعته في الخدمة ويؤثره على غيره لتأدبه استظهاراً عليه ، ومع ذلك يقول : أنت قاتلي لا محالة ، بذلك أخبرني رسول الله .

⁽١) سورة التوبة ، الآية : ٥١ .

ثم قال : دخلت أنا يوماً على رسول الله وفاطمة والحسن والحسين فبكى حين رآنا وقال بعض من حضر : أما تستر برؤيتهم يا رسول الله ؟ فقال : والذي بعثني بالحق نبياً أنا وهم لأكرم الخلق على الله تعالى ، وما على وجه الأرض نسمة أحب إليّ منهم ، أما عليّ بن أبي طالب فإنه أخي ، وابن عمي ، وخليفتي ، ووصيي على أهلي وأمتي في حياتي وبعد وفاتي ، محبه محبي ، ومبغضه مبغضي ، وهو مولى كل تقي ، بولايته صارت أمتي مرحومة ، وإنما بكيت على ما يحل بهم بعدي من غدر الأمة ، وإنه ليزال عن مقامه ومحله ومرتبته التي وضعه الله فيها ، ثم لا يزال كذلك حتى يضرب على قرنه في محرابه ضربة تخضب لحيته ورأسه في بيت من بيوت الله ، في أفضل الشهور شهر رمضان ، في العشرة الأواخر منه ، يضربه بالسيف شر الخلق والخليقة ، أخو قدار ابن قديرة عاقر ناقة صالح ، ثم استعبر وبكى بكاءً شديداً عالياً .

ثم قال: وأما ابنتي فاطمة الزهراء، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين، وهي بضعة مني ونور عيني وروحي التي بين جنبي، الحوراء الانسية النهراء الزاهرة التي أزهرت من نورها السماوات بكواكبها، والأرضين بأقطارها، ويقول الله تعالى إلى الملائكة: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي إذا قامت إلى الصلاة وهي ترتعد خيفة وخشية مني، اشهدوا أني قد آمنت شيعتها من النار، ولكن ذكرت ما يصنع بها بعدي كأني بها، وقد دخل عليها في بيتها المذل والهوان، فترى نفسها ذليلة بعد ما كانت عزيزة في حياتي، فتناديها الملائكة بما نادت به مريم ابنة عمران (أن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على الملائكة بما نادت به مريم ابنة عمران (أن الله المطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) (١) فتمرض عند ذلك، فيبعث الله لها مريم ابنة عمران فتمرضها، فتقول: إني قد سئمت الحياة وتبرمت من أهل الدنيا، أللهم فالحقني بأبي، فيلحقها الله بي في المدة القليلة، فتقدم علي محزونة مغصوبة

⁽١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٢ .

مكروبة مغمومة ، أللهم العن غاصبيها وظالميها ، وخلد في النار من آذاها وضرب جسمها حتى ألقت جنينها ، فتقول الملائكة آمين .

وأما ولدي الحسن فإنه قرة عيني وثمرة فؤادي ولكن ذكرت ما يحل به بعدي من الذل والهوان ، حتى يقتل بالسم ظلماً وعدواناً ، فتبكيه الملائكة وكل نبي حتى الطير في الهواء ، والحيتان في لجج البحار ، فمن بكاه لم تُعمَ عيناه يوم القيامة .

وأما ولدي الحسين فإنه مني وأنا منه ، وهو خير الخلق بعد أبيه وأخيه ، وهو إمام المسلمين وخليفة رب العالمين ، وسيد شباب أهل الجنة أجمعين ، ولكني كلما نظرت إليه فكأني به وقد استجار بحرمي وقبري فلا يجار ، فأضمه في منامي إلى صدري ، وآمره بالرحيل إلى أرض مصرعه ومقتله ، فيرتحل للشهادة إلى أرض تعرف بأرض كربلاء ، تنصره جماعة من المسلمين ، أولئك سادات أمتي يوم القيامة ، وكأني أنظر إليه وقد رمي بسهم في قلبه ذي ثلاث شعب ، فيخر عن فرسه الميمون صريعاً يفحص في التراب برجليه ، ثم يذبح فرج الشاة من قفاه .

ثم بكى وأبكى من كان حاضراً حوله ، ونهض وهـويقـول : أللهم إني أشكو إليك ما يلقى أهل بيتي من بعدي .

فيا ليت شعري من أنوح ومن له أأشجو علياً حين عمم رأسه له أم لبنت المصطفى بعد ما قضى أم الحسن المزاكي سقت جعيدة وإن حنيني للشهيد بكربلا فديت إماماً بالطفوف كأنما

أبكي وما قلبي عليه بسالي بسمنسطات ذي رونق وصقال قضت لم تفز من إرثها بخلال من السم قتالاً بغير قتال لباق فلا يقضى له بزوال ركائبه قد قيدت بحيال

فديت وحيداً قد أحاط برحله يقول لأنصار له قد أبحتكم الا فارحلوا فالليل مرخ سدوله فقالوا جميعاً وما يقول لنا وما تقيك من الموت الشديد نفوسنا فديت الذي يرنو الفرات بغلة فديت فتى قد خرعن سرج مهره فديت صريعاً قد علا الشمر صدره فديت طريحاً تركض الخيل فوقه

لآل أبي سفيان جيش ضلال ذمامي وعهدي فاسمعوا لمقالي عليكم ومنهاج البسيطة خالي نقول جواباً عند رد سؤال ويرخص عند النفس ما هو غالي وما يلها من بردها ببلائي كما خرطود من منيف جبال لقطع وريد أو لجز قذالي ترض خباجن صدره بنعالي

وروي عن أنس بن مالك قال : مرض أمير المؤمنين في حياة رسول الله وعدته وعنده أبو فضيل وعمر ، فدخل علينا رسول الله ونظر في وجهي فبكى ، فقال أبو فضيل وعمر : لقد تخوفنا عليه يا رسول الله ، فقال : لا بأس عليه ، وإنه لن يموت إلا مقتولاً مضروباً على أم رأسه مخضوباً بدمائه ، في شهر الله الحرام شهر رمضان ، في أثناء صلاته في بيت من بيوت الله ، فوا شوقاه ووا أسفاه ووا حزناه ، ثم بكى بكاءً شديداً .

وفي المجالس عنه (ع) قال: سألت النبي ما أفضل الأعمال في شهر رمضان ؟ قال: الورع من محارم الله ، ثم بكى ، فقلت له: وما يبكيك يا رسول الله ؟ قال: أبكي لما يحل عليك من بعدي في شهر رمضان ، كأني بك وأنت في محرابك إذ انبعث إليك أشقى الخلق من الأولين والآخرين ، شقيق عاقر ناقة صالح ، فيضربك ضربة على مفرق رأسك ويشقه نصفين ، ويخضب لحيتك من دم رأسك ، فقلت له: يا سيدي أفي سلامة من ديني ؟ فقال: نعم يا علي ، من قتلك فقد قتلني ، ومن سبك فقد سبني ، لأنك مني وأنا منك ، وروحك روحي وروحي روحك ، إلى أن قال: وإنه لا يقرب الحوض مبغض لك أبداً ، ولن يغيب عنه محب لك أبداً . فخر علي (ع) ساجداً لله تعالى

وقال: الحمد لله الذي منّ عليّ بك يا مولاي ، فلما مضى من شهر رمضان شطره ، دخل المسجد يوماً فصلى ركعتين ، ثم صعد المنبر وخطب خطبة أكثر فيها من الحمد والثناء ، ثم التفت إلى ولده الحسن وقال له : يا أبا محمد كم بقي من شهرنا هذا ؟ فقال الحسن (ع) : ثلاثة عشر يوماً يا أمير المؤمنين ، ثم التفت إلى ولده الحسين (ع) وقال له : يا أبا عبدالله كم مضى من شهرنا هذا ؟ فقال الحسين : سبعة عشر ليلة يا أمير المؤمنين ، فضرب على لحيته وهي يومئذ بيضاء ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، ليخضبها بدمها إذ انبعث أشقاها ، ثم قال (ع) : قل ما أصحبكم ، قالت أم كلثوم : لما سمعت ذلك من أبي قلت له : وكيف ذلك يا أبتاه ؟ قال (ع) : رأيت البارحة نبي الله في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول : يا علي لا عليك وقد قضيت ما عليك .

وما زال ابن ملجم يتربص به الغفلة ، وينتهز فيه الفرص ، ويصلح سيفه ويكرر صقله ويسقيه ، فلدخل يوماً بيته فأخذته الملعونة قطام وأخرجته من جفنه تنظر إليه وإلى حسن صقله ، فقالت : إني أريد أن أسقيه سماً نقيعاً عندي ، فقال ابن ملجم : إنه لا حاجة له في السم ، وهو لو وقع على حجر ابرأه شطرين ، فقالت : لا بدّ له من السم ، لأن علياً ليس كمن لاقيت من الشجعان ، فما زالت تصفه وتعظمه في عينه بكلام يغيظه ليجهد نفسه في قتله ، فأخذه بعدما عملت فيه ما شاءت من السم ، وخرج إلى السوق ومر على الإمام (ع) وهو عند ميثم التمار ، فسلم عليه بخشوع النفاق وخضوع الملاق ، فجعل أمير المؤمنين يطيل النظر إليه ، ويرسل الفكر فيما عزم عليه ، فقال : يا فجعل أمير المؤمنين يطيل النظر إليه ، ويرسل الفكر فيما عزم عليه ، فقال : يا ميثم هذا قاتلي لا محالة ، فقال : ومتى يكون ذلك يا سيدي ؟ فقال (ع) : فيمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (١) وإذا نزل القضاء فلا مرد له ، وكفى بالأجل حارساً ، ثم استرجع وحولق وذكر رسول الله (ص) وقال :

⁽١) سورة الرعد، الآية: ٣٦.

كل امرء لا بد ياتيه الفنا لكل شيء آخر وانتها شيئاً وياباه عليه القضا لكل شيء مدة وانقضا يمشي وقد حل عليه القضا ما لإنسان من المموت نجا تبارك الله وسبحانه يعقد الإنسان في نفسه لا تأمن الأيام في مكرها فبينما الإنسان في غفلة

قال الراوي : وانصرف الملعون ، فبقي شبيب بن بحرة التميمي ، فقال له : هل لك في المعونة على قتل على بن أبي طالب لنحوز من الله الشواب؟ فقال له شبيب : ويلك وأنِّي لك بذلك ؟ فقال : نكمن له في بعض صلاته ونضربه ضربة رجل واحد ، فإن نحن قتلناه شفينا غل صدورنا منه ، وإن كانت الأخرى كنا كمن مضى من قبلنا من أهل الخير والصلاح ، فقال له : قـد عرفت بلاءه في الإسلام وسابقته مع ابن عمه رسول الله ، وما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبداً . فما زال به حتى أجابه ، قال : فأخبر قطام بذلك ، فبعثت إلى بعض أقاربها فدعته إلى مساعدة ابن ملجم ، فغدوا جميعاً إلى الأشعث بن قيس ، وأبدوا إليه ما في نفوسهم من العزيمة على قتىل أمير المؤمنين ، فواطأهم على ذلك ، فلما كانت الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان ، أتى (ع) بعد أن صلى المغرب وما شاء من النفل ليفطر ، وكان سلام الله عليه يتعشى ليلة عنسد الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبدالله بن جعفر ، ولا يزيد على ثلاث لقم ، وكان يقول : أرجو أن ألقى الله وأنا خميص الحشى ، فقـدمت إليه ابنتــه أم كلثوم قرصين من شعير وقصعة فيها لبن وجريش ملح ، فقال (ع) : قدمت إلى أدامين في طبق واحد ، وقد علمت أنني متبعاً ما كان يصنع ابن عمى رســول الله ، ما قــدم إليه أدامــان على طبق واحد حتى قبضــه الله إليه مكــرمــاً ، ارفعي أحدهما فإن من طاب مطعمه ومشربه طال وقوفه بين يدي الله يوم القيامة ، ثم أكل قليلًا وحمد الله كثيراً وأخذ في الصلاة والدعاء إلى أن غفت عيناه ، فاستيقظ وقال : رأيت النبيّ فشكوت إليه ما أنا فيه من التبلد بهذه

الأمة ، فقال لي : ادع عليهم فإن الله تعالى لا يرد دعائك ، فقلت : أللهم أبدلني بهم خيراً ، وأبدلهم بي شراً . ثم إنه (ع) أسبغ الوضوء ، وأخذه الفكر مما لحقه من التعب في طلب إصلاح هذه الأمة وما قصدوه به من الأذية ، فخرج يسعى .

قال إسماعيل بن عبدالله الضلعي: بت قريباً من الحيرة ، فلما جنني الليل وإذا أنا برجل قد أقبل ، فاستتر برابية ، ثم صف قدميه فأطال في المناجاة ، وكان فيما قال : أللهم إني سرت فيهم بما أمرني رسولك وصفيك المرسل فظلموني ، وقاتلت المنافقين كما أمرني فجهلوني ، وقد مللتهم وملوني ، وبغضتهم وبغضوني ، فلم يبق لي خلة انتظرها إلا المرادي ، أللهم فاجعل له الشقاء ، وتغمدني بالسعادة ، إنه قد وعدني نبيك إذا سألتك أللهم وفإنه لن يرد دعائي] وقد رغبت إليك في ذلك . ثم مضى فقفوت خلفه حتى دخل منزله ، فإذا هو علي بن أبي طالب

ولما أخذ مضجعه بعد أن صلى العشاء الآخرة ، رأى النبيّ محمداً (ص) وهو يقول له : يا أبا الحسن إني إليك مشتاق ، وإن الله سيلحقك بنا عن قريب وعند الله خير وأبقى ، ثم انه انتبه (ع) وجميع أولاده وأهل بيته وعشيرته ، فأخبرهم ونعاهم نفسه ، فأخذوا في البكاء والنحيب ، فنهاهم عن ذلك وجعل يوصيهم بفعل الخير واجتناب السوء ، ثم تفرقوا واشتغل بالصلاة والدعاء والتلاوة ، ثم يخرج تارة إلى خارج الدار ينظر في الكواكب والعلامات لما أخذه من القلق والأرق ، ويكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أللهم بارك لي في الموت وما بعد الموت ، أللهم بارك لي يوم ألقاك ، والله ما كذبت بارك لي في الموت وما بعد الموت ، أللهم بارك لي يوم ألقاك ، والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعسدت فيها . ثم نعس قليلا واستيقظ وأسبغ الوضوء ، ونزل وكان في الدار إوز أهدي للحسن والحسين (ع) ، فلما صار في صحن الدار تصارخن في وجهه فقال : لا إله إلا الله صوائح تتبعها نوائح من نسوة صوارخ ، فسمع ذلك الحسن ، فقال : وما ذاك يا أبتاه ، قال : يا بني إن

قلبي يحدثني أني مقتول لا محالة ، قال لابنته أم كلشوم بحقي عليك إلا ما أطلقت هذا الإوز يأكل من حشائش البر ، ولا تحبسي من لا له لسان ولا يقدر على الكلام ، وأطعميه وخلي سبيله ، ثم مد يده إلى الباب ليفتحه فانحل مئزره فشده شداً وثيقاً وقال :

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا ولا تبجزع من الموت إذا حل بواديكا ولا تبغتر بالدهر وإن كان يواتيكا فكم رَفّع أقواماً وقد كانوا صعاليكا كما أضحكك الدهر كذاك الدهريبكيكا

قالت أم كلثوم: كنت أمشي خلف أبي ، فلما سمعت ذلك منه قلت: واغوثاه يا أبتاه ما لي أراك يا قرة عيني تنعي نفسك ، فأخذت في البكاء فوقف عندي وجعل يعزيني على نفسه وهو يبكي ، ثم خرج فأعلمت أخوي الحسن والحسين وقلت لهما: إن أبانا قد تنكر حاله في هذه الليلة ، فأخبرتهما بما جرى فأدركاه ، فقال له الحسن : ما لك يا أبتاه خرجت في هذه الساعة ؟ فقال (ع) : لأجل رؤيا أفزعتني ، فقال الحسن : وما هي يا أبتاه ؟ فقال : رأيت كأن أخي جبرائيل نزل من السماء على جبل أبي قبيس ، فتناول منه حجرين ومضى بهما إلى مكة ، فضرب بأحدهما الآخر فصارا رماداً فذراهما في الهواء ، فلم يبق بمكة ولا بالمدينة ولا بلد من بلاد الإسلام بيت إلاّ دخله من ذلك الرماد شيئاً . فقال الحسن : وما تأويل ذلك يا سيدي ؟ قال : يا بني إن صدقت رؤيا أبيك فإنه مقتول ، ولم يبق بيت من بيوت الإسلام إلاّ دخله من ذلك هم وحزن ، فقال الحسن : ومتى يكون ذلك يا أبتاه ؟ فقال : إن الله تفرد بخمسة أشياء لم يطلع عليها نبي ولا وصي نبيّ وهو قوله تعالى : وإن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما

تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير (١) قال : فأردنـا أن نصحبه إلى مصلاه فأبى ، وقال : بحقي عليكما إلاّ ما رجعتما إلى منـزلكما ، قـال : فأتينـا البيت ، وإذا بـأختي أم كلشوم خلف البـاب ، فجلسنـا معهـا نبكي وقـد مضى وحده .

قال عبدالله بن محمد الأزدي: كنت أصلي في المسجد الأعظم تلك الليلة ، وهي الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان مع رجال من أهل مصر كانوا يصلون ذلك الشهر من أوله إلى آخره ، إذ نظرت إلى رجل قريب من السدة ، فأقبل أمير المؤمنين (ع) وهو ينادي الصلاة الصلاة يرحمكم الله تعالى ، قال حجر بن عدي : وسمعت الأشعث بن قيس يقول : النجاة النجاة لحاجتك فقد فضحك الصبح ، فعلمت ما أراد ، وخرجت لأخبر أمير المؤمنين ، فإذا هو قد خرج وسبقني إلى الجامع . قال عبدالله الأزدي : فما رأيت إلا بريق السيوف وقائلاً يقول : الحكم لله لا لك ولا لأصحابك يا علي وشد عليه شبيب وضربه فأخطأه ، وشد عليه ابن ملجم فضربه على مفرق رأسه فشقه نصفين ، فخر يخور في دمه وهو يقول : فزت وربّ الكعبة .

شعر للمؤلف:

طلی شیبه قان من الحلم رشده فدیت دماء بالعلوم مسیلها فمن مبلغاً عنی الرسول معزیاً ومن مبلغاً یا شمس دارة فخرها وإن عیون المجد إذ فجعت به وها معصرات الورق تبدی حنینها

توم هداة المستقين زواهره أحالت وجوهاً للمدارس ناظرة بأن أهاضيب الشريعة هابرة لقد أصبحت تلك المعالم دائرة تسح أماقيها من الثكل هامرة تطارح مسجور الحشاشة شاعرة

قال عبدالله الأزدي : وهرب الثالث السذي كان معهما ، وسمعت

⁽١) سورة لقمان ، الآية: ٣٤ .

أمير المؤمنين (ع) يقول: لا يفوتكم الرجل، ولزم رأسه الشريف بيده وهو يقول: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله. وغشي عليه من انبعاث الدم على لحيته ووجهه، وقد صبغ جميع أثوابه وبدنه حتى احمرت الأرض، وسمع الناس نعي جبرائيل يقول: تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست أعلام التقى، وانفصمت العروة الوثقى، قتل والله علي المرتضى، قتل الوصي المجتبى، قتل خاتم الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء. فقامت أم كلثوم لاطمة خدها صارخة وا أبتاه واعلياه وا أماه وا فاطماه، فأخذت الناس الدهشة وهم لا يعلمون وإلى أين يذهبون حتى أحاطوا به (ع)، واختلطت النساء بالرجال، وهبت ربح سوداء مظلمة، والملائكة تنعاه في السماء.

وأقبل الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وبقية أولاده فوجدوه مشقوق الرأس، وقد علته الصفرة من انبعاث الدم وشدة السم، والناس من حوله في النياحة والعويل والبكاء المحرق للأكباد، فأخذ الحسن رأسه ووضعه في حجره، فأفاق وقال: هذا ما وعد الله ورسوله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العنظيم، ثم نظر إلى أولاده فرآهم تكاد أنفسهم تزهق من النوح والبكاء، فجرت دموعه على خديه ممزوجة بدمه، قال (ع): أتبكيا علي ؟ ابكيا كثيراً واضحكا قليلاً، أما أنت يا أبا محمد ستقتل مسموماً مظلوماً مضطهداً، وأما أنت يا أبا عبدالله فشهيد هذه الأمة وسوف تذبح ذبح الشاة من قفاك، وترض أعضاك بحوافر الخيل، ويطاف برأسك في مماليك بني أمية وحريم رسول الله تسبى، وإن لي ولهم موقفاً يوم القيامة. فقال الحسن: من فعل بك هذا الفعل يا مولاي ؟ فقال: فعله ابن ملجم المرادي وسوف يطلع عليكم الساعة من هذا الباب، وأشار بيده إلى باب كندة على يد رجل محب لنا أهل البيت، فاشتغل الناس بالنظر إلى باب كندة على يد رجل محب لنا أهل البيت، فاشتغل الناس بالنظر إلى باب كندة على يد رجل محب لنا أهل البيت، فاشتغل الناس كندة وقد غص بهم الجامع وهم بين باك وباكية، فبينما هم كذلك وإذا هم برجال قد دخلوا بابن ملجم اللعين مكشوف الرأس، وحذيفة بالناش وذاكم ع برجال قد دخلوا بابن ملجم اللعين مكشوف الرأس، وحذيفة كذلك وإذا هم برجال قد دخلوا بابن ملجم اللعين مكشوف الرأس، وحذيفة

يذود الناس عنه وكل منهم يود [أن] يبرد غلة صدره ، وأنّى لهم الشفاء بعد قتل سيد الأوصياء ، وكيف يبرد منهم الغليل وقد فقد من اهتز له عرش الجليل ، لكنما الأمر لله ولا حول ولا قوة إلّا بالله .

عجباً لمصقول أصابك حده في الرأس منك وقد علاه غبار لم لا تقطعت السيوف بأسرها حزناً عليك وطنت الأوتار

قال : ثم انكب الحسن على وجه أبيه يقبله ، ففتح عينيه وقال : رفقاً بي ملائكة ربي ، فقال الحسن : يا أبت هـذا عدو الله قـد أمكننا الله منـه ، فالتفت إليه وقال : يا عدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلي ، قال : فما حملك على ذلك؟ قال: إنى شحذته أربعين صباحاً ، وسألت الله أن يقتل بـه شر خلقـه . فقال الحسن لحذيفة : كيف ظفرت بعـدو الله ؟ قال : كنت نـائماً وزوجتي إلى جانبي إذ سمعت نعى جبرائيل ينعى أمير المؤمنين أباك في السماء ، فأيقظتني زوجتي وقالت لي : أنت نائم لا نامت عيناك وقلد قتل أمير المؤمنين ، فقلت مكذباً لها : فض الله فاك ، قد ألقى الشيطان على سمعك ذلك ، فقالت : والله ما أظن بيتاً في الكوفة إلا دخله صوت التعزية من السماء وترديد القول بالنعاء ، فوهي فؤادي وتحدرت مدامعي ، فظللت مبهوتاً ، وإذا الناعي ينعي أباك في الأزقة والطرقات ، والناس لا تفيق من البكاء والنحيب في كل جهمة ، فمددت يدي إلى قائم سيفي وسللته من غمده ونزلت حتى صرت في الجادة ، وإذا بعدو الله يطلب مهرباً وقد انسدت عليه الطرق في وجهه ، فقلت : من أنت ؟ فتسمى لي بغير اسمه ، فسألته عن الصيحة وقتل أمير المؤمنين ، فقال : لا علم لي بذلك ، قلت : هلا تجيء معى نتحقق الخبر ، قال : أنا ماض [لا] أمر أهم من ذلك ، قلت : أظن أنك قاتله ، فأراد أن يقول لا فقال نعم ، فهممت عليه فراغ عني ، وإذا ببريق سيفه تحت ثيابه فتحققت أنه قاتـل أمير المؤمنين ، فعلوتـه بسيفي ، فسقط إلى الأرض ، فوقعت عليه ، فخرج من أهل الجادة من ساعدني عليه وجئت به يا سيدي ، فقال : الحمد لله الـذي نصر وليـه وخذل عدوه ، فابشر يا حذيفة بمغفرة ذنوبك ، ولله در من قال:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة قتلت أفضل من يمشي على قدم وأعلم الناس بالقرآن ثم بما صهر النبيّ ومولاه وناصره وكان منه على رغم الحسود له ذكرت قاتله والدمع منحدر قد كان يخبرنا [أن] سوف يخضبها

هدمت ويحك للإسلام أركانا وأحسن الناس إسلاماً وإيمانا سن الرسول لنا علماً وتبيانا أضحت مناقبه نوراً وبسرهانا مكان هارون من موسى بن عمرانا فقلت سبحان رب العرش سبحانا شر البرية أشقاها وقد كانا

قال: ولما حمل (ع) من مصلاه، والناس من حوله قد أشرفوا على الهلكة من شدة البكاء والنحيب، وبلغوا به منزله ومعهم ابن ملجم موثوقاً، وأقبلت فضة أمة فاطمة الزهراء وبيدها حربة، فقالت: أموالي ذروني أضرب عدو الله بهذه الحربة فأشفي بعض جوى صدري، فقد أحرق فؤادي، وأقلق رقادي، وهيج حزني، وأوهى ركني، وأجرى دمعي، وهتك ستري، واجتث أصلي وفخري، وانقضت عليه كالشهاب، فقال لها الحسن (ع): اصبري يا أمة الله، وردها إلى الدار فقالت لابن ملجم: ويلك يا عدو الله أفجعتنا وجميع الإسلام، فمصيرك إلى النار، ولا بأس على سيدي فلقد قتل في جنب الله واختنقت بعبرتها، فقال لها ابن ملجم: يا أمة الله ابكي على نفسك إن كنت باكية، فلقد سقيته السم حتى عذقه، ولوكانت هذه الضربة على من في الأرض لأفنتهم جميعاً.

قال محمد بن الحنفية : لما طرحناه على فراشه أقبلت أم كلشوم وزينب وهما يندبانه ويقولان : من للصغير حتى يكبر ، ومن للكبير بين الملأ ، يا أبتاه حزننا عليك طويل وعبرتنا لا تبرح ولا ترقى . قال : فضج الناس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب ، وفاضت دموع أمير المؤمنين على خديه وهو يقلب طرفه وينظر إلى أهل بيته .

قال الأصبغ بن نباته غدونا على أميسر المؤمنين (ع) ونحن نفر من أصحابه ، فسمعنا البكاء في منزله ، فبكيت حتى ارتفع صوتي بالبكاء ، فخرج الحسن (ع) وقال : ألم أقل لكم انصرفوا ، فقلت : لا والله يا ابن رسول الله ، لا تحملني رجلي أن أنصرف ولم أر سيدي ومولاي وبكيت ، ودخل الحسن فلم يلبث أن خرج إلي فأدخلني معه ، فوجدته معصب الرأس بعمامة صفراء ، فلم أشعر أن وجهه أشد صفرة من العمامة أو العمامة أشد صفرة منه ، فنظرته وأنا أبكي ، فقال لي : لا تبكي يا أصبغ ، إنها والله الجنة . فقلت : جعلت فداك يا صدره وعيناه تهملان دموعاً ، ثم دعا بابنيه الحسن والحسين وفتح يده وضمهما إلى صدره وعيناه تهملان دموعاً ، ثم أغمي عليه ساعة طويلة وأفاق ، وهكذا كان رسول الله (ص) لما غلب عليه السم الساري في بدنه ، فأتي له بقدح فيه لبن وعسل فشرب منه قليلاً وقال : احملوه إلى أسيركم بحقي عليكم ، طيبوا طعامه وشرابه ، فقالوا : إنه قد أفجعنا فيك ، فقال (ع) : إنا أهل بيت لا نزداد على كثرة الإساءة لنا إلا إحساناً .

قال حبيب بن عمر دخلت على أمير المؤمنين فحل لي عن جراحاته ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما جرحك هذا بشيء ، وما عليك من بأس فقال (ع) : إني مفارقكم ، فبكيت وبكت أم كلثوم ، فقال لها : يا بنية لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت ، فقلت : ما ترى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أرى يا حبيبتي ملائكة السماء وملائكة الأرض صفوفاً بعضهم في اثر بعض يتلقوني ، وأخي رسول الله جالس عندي يقول : فإن أمامك خير لك ولله در من قال :

عين تروم فراق شخصك ساعة كحلت بأميال العمى آماقها نفس للحظك لم تكن مشتاقة ضربت بأسياف العدى أعناقها

قيل وحضر عروة السلولي(١) وكان أعرف أهل زمانه بالطب ، فـذبح شـاة

(١) وفي بعض الروايات: السكوني (المصحح) .

وأخرج من ريتها عرقاً فأدخله في جراحته ثم أخرجه ، وإذا عليه بياض الدماغ ، فقال الطبيب بعد ان استعبر وبكى : أعهد عهدك يـا أمير المؤمنين فـإن الضربـة وصلت إلى الدماغ .

قال محمد بن الحنفية ، فبينما نحن ليلة عشرين من شهر رمضان عند أبي علي (ع) وقد سرى السم في جميع بدنه الشريف ، وكان تلك الليلة يصلي من جلوس وهو يعزينا على نفسه ويوصينا بما هو أهله من أفعال الخيرات واجتناب الشرور ، ويكثر من ذكر الله تعالى وقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فلما أصبحنا أقبل الناس يعودونه ويسلمون عليه فيرد عليهم وهو يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، قال الحسن (ع) : فقلت سلوه قبل أن تفقدوه وخففوا سؤالكم عنه ، فما زالوا يسألونه عما يريدون وهو (ع) يجيبهم ويعلمهم كثيراً من الأحكام ، ويبين لهم من مسائل أصول الدين والإسلام ، ويوعظهم بما يزجرهم من ارتكاب الآثام ، قال : وكان ابن عباس حاضراً عنده ، قال : وفي نفسي أن أسأله عن سبعين مسألة وأنا مشفق عليه لما أرى ما به ، فما شعرت به إلا وقد قال لي : يا ابن العم عندك مسائل تريد أن تسألني عنها ؟ قلت : نعم ، فاحتوى على ما في نفسي ، وشرح لي عن كل مسألة مسألة ، ثم قال : اثنوا لي الوسادة فثنيت له ، فقال :

الحمد لله قدره متبعين أمره كما أحب ، ولا إله إلا الله الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد كما انتسب . أيها الناس كل امرء لاق لاقٍ ما يفر منه في فراره ، الأجل مَسَاقُ النفس والهرب منه موافاته ، كم اطَرَدتُ الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر ، فأبى الله إلا اخفاءه . هيهات : علم مكنون . أما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئاً ، ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته ، أقيموا هذين العمودين ، وأوقدوا هذين المصباحين ، وخلاكم ذَمُّ ما لم تشردوا . وحُمِّل كل امرىء منكم مجهوده ، وخفِّفَ عن الجهلة . رب رحيم وإمام ودين عليم قويم ، أنا بالأمس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم غفر الله لي

ولكم ، إن تثبُّتِ الوطأة في هذه المزلَّة فذاك ، وإن تدحض القدم فانا كنا في أفياء أغصان ومهابِّ رياح ، وتحت ظل غمام اضمحل في الجومتلفَّقها ، وعفا في الأرض مخطُّها ، وإنما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً ، وستعقبون مني جثة في الأرض مخطُّها ، وإنما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً ، وستعقبون مني جثة وكلاءً ساكنةً بعد حراك وصامتة بعد نطق ، ليعظكم هُدُوِّي ، وخفوت إطراقي وسكون أطرافي فإنه أوعظ امري من النطق البليغ والقول المسموع ، وداعي لكم وداع مرصد للتلاقي ! غداً ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفوني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي ، فإن أبقى فأنا ولي دمى ، وإن أفنى فالفناء ميعادي ، العفو لي قربة ولكم حسنة فاعفوا واصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟ فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ان يكن عمره عليه حجة أو توديه إلى النار شقوة ، جعلنا الله وإياكم ممن لا تقتصر به عن طاعة الله رغبة أو تحل به بعد الموت نقمة ، فإنما نحن له وبه ، ثم أقبل علينا يوصينا ، وقال : يا حسن ضربة مكان ضربة ولا تأثم .

وجاء جماعة من اليهود وأستأذنوا عليه في تلك الساعة فأذن لهم ، فلخلوا عليه وأسلموا على يديه ، وأخبرهم عن كثير من الأحكام ، ثم سألوا عن سبب إسلامهم قالوا : نعم رأينا الساعة المياه قد تكدرت والهواء قد سكن ، والجو قد اسود ، والبهائم قد صفت آذانها ، والسحاب قد أقبل على داره ، والطير قد رفرف على بيته ، فعلمنا أنه وصى نبى ، وذلك مكتوب في التوراة .

ثم قال (ع): أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته ، اختاره لعلمه وارتضاه لخلقه ، وأن الله باعث من في القبور ، وسائل الناس من أعمالهم ، عالماً بما في الصدور ، أوصيك يا حسن وكفى بك وصياً بما أوصاني به جدك رسول الله ، فإذا كان ذلك يا بني فالزم بيتك وابك على خطيئتك ، ولا تكن الدنيا أكبر همك ، وأوصيك بالصلاة عند وقتها ، والزكاة عند محلها ، والصمت عند الشبهة ، والإقتصاد في العطاء ، والعدل في الرضى والغضب ، وحسن الجوار ، وإكرام الضيف ، .

ورحمة المجهود ، وحب المساكين ، ومجالستهم ، والتواضع لهم ، فإنه من أفضل العبادات وقصر الأمل ، وذكر الموت والنزهد في الدنيا ، فإنك رهين موت ، وغرض بلاء ، وطريح سقم ، وأوصيك يا بني بخشبة الله في سرك وعلانيتك ، وإياك ومواطن التهمة ، والمجلس المظنون به السوء ، فإن قرين السوء في جليسه ، وكن لله يا بني ذاكراً ، ولنعمائه شاكراً ، وللبلاء صابراً ، وعن المنكر ناهياً ، بالمعروف آمراً ، ودار الفاسق لدينك ، وأبغضه بقلبك ، وزايله بأعمالك ، لشلا تكون مثله ، وإياك والجلوس في الطرقات ، ودع المماراة ومجاراة من لا عقل له ، واقصد يا بني في مشيتك واقتصد في معيشتك ، والزم الصمت تسلم ، وقـدم لنفسك تغنم ، وتعلم الخيـر ، وكن لله ذاكراً على كل حال ، وارحم من أهلك الصغير ، ووقر الكبير ، ولا تأكل طعــاماً حتى تتصدق منه قبل أكله ، وعليك بالصوم ، فإنه زكاة البدن ، وجنة لأهله من النار ، واحذر جليسك واجتنب عدوك ، وعليك بمجالسة أهل الذكر ، وأكثر من الدعاء وخالط الناس مخالطة إن مت بكوا عليك ، وإن غبت عنهم اشتاقوا إليك ، فإني إليك يا بني نـاصحاً ، وهـذا فراق بيني وبينـك ، وأوصيك بـأخيك محمداً خيراً ، فإنه ابن أبيك ، وأنت تعلم حبي له ، وأما أخوك الحسين فلا أزيدك الوصاة في حقه ، والله خليفتي عليكم ، وإياه أسال أن يصلحكم وأن يكف بأس الطغاة البغاة عنكم ، والصبر الصبر حتى ينزل الأمر ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

ثم قال : يا حسن إذا مت فغسلني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله وأمك ، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل يوم مات رسول الله ، ولا تغال في كفني ، ثم ضعني على السرير ، ولا يحمل أحد منكم مقدمه ، فإذا رأيتم مقدمه قد ارتفع فارفعوا أنتم مؤخره ، فإن الله عزّ وجلّ يأمر جبرائيل وميكائيل [أن] يرفعونه ، فإذا وضع المقدم فضعوا أنتم مؤخره فإنه موضع قبري ، ثم تقدم يا حسن وصل عليّ وكبر سبعاً ، واعلم أنه لا يجوز إلا عليّ ورجل يخرج في آخر

النزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين ، ثم زحزحوا السرير واكشفوا التراب عنه ، فإنكم ترون لحداً محفوراً وساجة منقورة ، فإذا وضعتموني [في] قبري واشرجتموه فعد إليّ النظر ، فإنك لا تجدني فإني ألحق بجدك رسول الله فاجتمع به ، فإنه ما من نبي يموت ولوكان بالمغرب وبموت وصيه بالمشرق إلا ويجمع الله بين روحيهما وجسديهما ، ثم يفترقان كل واحد إلى تربته التي أعدت له .

ثم قال: يا أبا محمد ويا أبا عبدالله ، كأني بكما وقد خرجت عليكما الفتن من ها هنا وها هنا ، فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين . ثم قال: أما أنت يا أبا محمد ستقتل مسموماً مضطهداً ، وأما أنت يا أبا عبدالله فشهيد هذه الأمة ، فعليك بتقوى الله والصبر الجميل .

ثم نادى أولاده واحداً بعد واحد ، إناثاً وذكوراً ، صغيراً وكبيراً ، وأوصاهم بطاعة الله وطاعة أخويهم الحسن والحسين (ع) وشفتاه تختلجان بذكر الله تعالى ، وجبينه يرشح عرقاً وهو ينشفه بيده ، فقال له ابنه الحسن : يا أبه أراك تمسح جبينك ، فقال : سمعت جدك رسول الله يقول : إن المؤمن إذا نزل به الموت عرق جبينه وسكن أنينه . ثم أدار عينيه في أولاده وأهل بيته واحداً بعد واحد وهو يقول : أستودعكم الله ، حفظكم الله ، وهو خليفتي عليكم وكفى به خليفة . ثم قال : ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾(١) ثم مد يديه ورجليه وغمض عينيه ، وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبنه ، وأتال : أشهد أن لا إله إلا الله وسلامه عليه ، فأقام وا عزاءه ، وارتفعت الأصوات بالنياحة والعويل من أهل بيته ونسائه وهن حاسرات ، وخرجت نساء بني هاشم ، مشققات الجيوب ، ناشرات الشعور ، لاطمات الخدود ، وارتجت الكوفة بالنياحة والعويل ، ودهش الناس وصار كأنه اليوم

⁽١) سورة الصافات ، الآية: ٦١ .

الذي مات فيه رسول الله ، وأقبل الناس من كل فج ، وأخذتهم الرجفة والزلزلة ، وأظلمت الدنيا ، واغبر الأفق ، وكسفت الشمس ، وما قلب في ذلك اليوم حجر إلا وجد تحته دم عبيط ، وكثر النوح من تحت الأرض من الجن ، وسمع الناس جبرائيل مع الملائكة اينعونه في السماء وقائلاً يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول :

بنفسي ومالي ثم أهلي وأسرني علي أمير المؤمنين ومن بكت وظل له أفق السماء كانه وناحت عليه الجن إذ فجعت به تكاد الصفا والمروتان كلاهما لفقد علي خير من وطأ الشرى

فداء لمن أضحى قتيل ابن ملجم لمقتله البطحاء وأكناف زمزم شقيقة ثوب لونها لون عندم حنيناً كثكلى نوحها بترنم يهدا وبان النقص في ماء زمزم أخي المصطفى الهادي النبي المكرم

قال وعن رزين قال: كنت بالرحبة فسمعت غلاماً يقول: مات أمير المؤمنين (ع) ورب الكعبة، قال: فقمت إليه وضربته وقلت له: ما تريد من المصالح، قال: كنت أرعى الأغنام منذ خمسين سنة، وكانت الذئاب تقع فيها فتدفع عن نفسها، وأرى هذه الساعة الرعاة يضجعون من كل ناحية وما ذاك إلا فقد إمام عادل. قال: فرحلت راحلتي ودخلت الكوفة فجراً وإذا الناس يضجون من كل ناحية مات أمير المؤمنين وسيد الوصيين ولله در من قال:

عليك أميسر المؤمنين تسأسفي جللت فجل الرزء فيك على الورى مصاب أصيب الدين منه بفادح فليس بمجدفيك وجدي ولا البكا وإن سئم الباكون فيك بكائهم فما خف من حزني عليك تفجعي وينكر دمعي فيك من بات قلب

وحزني وإن طال الـزمان طـويـل كـذا كـل رزء للجليـل جـليـل تكاد لـه شم الـجبـال تـزول مفيـد ولا الصبر الجميـل جميـل مـلالاً فـإنـي للبـكـاء مـطيـل ولا جف من دمعي عليـك مسيـل خليـاً ومـا دمـع الـخلى هـطول وما هي إلا فيك نفس نفيسة تباين فيك القبائلون فمعجب فأجر بنى الدنيا عليك لشأنهم عليك سلام الله ما اتضح الضحى

يحللها حر الأسى فتسيل كثير وذو حزن عليك قليل دني وأجر المخلصين جزيل وما عاقبت شمس الأصيل أفول

قال محمد بن الحنفية: ثم أخذنا في جهاز أبي ليلاً ، وهي الليلة الحادية والعشرون من شهر رمضان. قال: وكان الحسن (ع) يغسله ، والحسين (ع) يمب الماء عليه ، وأخرجت زينب الحنوط الذي أوصى به ، فشمل أهل الكوفة ريحه ، لأنه كان من كافور الجنة ، ثم لفوه في خمسة أثواب ، ثم وضعوه على السرير ، ودخل عليه رجل أزهري اللون وانتحب وبكى برفيع صوته ودمعه كالسيل الجارى ، وقال:

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، السلام عليك يا سيد الوصيين ، السلام عليك يا وصي خاتم الوصيين ، انفصمت بك والله خلافة الأنبياء فرحمك الله يا الما الحسن ، كنت أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً ، وأشدهم يقيناً ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم عند الله بلاء ، وأحفظهم ميثاقاً ، وأكرمهم سوابقاً ، وأرفعهم درجة ، وأشرفهم منزلة ومحلا ، فجزاك الله عنا وعن الإسلام خير المجزاء ، برزت به إذ تأخروا ونهضت به إذ وهنوا ، ولزمت منهاج ابن عمك رسول الله (ص) ، كنت له خليفة حقاً ، لم تنازع فيها ، ولم تعجل على المنافقين الذين تعدوا عليك في أخذها ، صبرت على كظم الغيظ ، وكثرة الحاسدين وضغن ، الفاسقين ، قمت بالأمر حين فشلوا ، ومضيت بنور الله إذ وقفوا ، كنت أحفظهم صوتاً ، وأعلاهم فضلاً ، وأقلهم كلاماً ، وأصوبهم منطقاً ، وأحسنهم رأياً ، وأشجعهم قلباً ، وأحسنهم عملاً ، وأعرفهم للأمور ، كنت والله للدين يعسوباً حين تفرق الناس ، كنت للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً ، وحملت أثقالهم حتى قضيت نحبك ماجوراً ، وحفظت إذ عابك عابك عيالاً ، وحملت أثقالهم حتى قضيت نحبك ماجوراً ، وحفظت إذ ضاعوا ، كنت للكافرين عذاباً صباً والمؤمنين غيثاً وخصباً ، حضيت والله ضاعوا ، كنت للكافرين عذاباً صباً والمؤمنين غيثاً وخصباً ، حضيت والله

بنعمائها ، وفزت بحبورها ، لم تهلكك الصفوف ، ولم تكثرت بالألوف ، ولم يرخ قلبك ، ولم تضعف بصيرتك ، كنت ولم تجبن نفسك كالجبل العظيم الذي لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف ، كنت كما قال ابن عمك رسول الله ضعيفاً في بدنك ، قوياً في ذات الله ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله ورسوله ، جليل عند المؤمنين ، لم يكن لأحد فيك مهمز ، ولا لقائل فيك مغمز ، ولا لأحد عندك هوادة الضعيف ، والقوي عندك واحد ، والقريب فيك مغمز ، ولا لأحد عندك هوادة الضعيف ، والقوي عندك واحد ، والقريب والبعيد عندك سواء في العطاء ، تأخذ للضعيف من القوي ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وقولك حق ، وأمرك حتم ، ورأيك علم ، فانقرضت وقد أوضح بك السبل ، وأطفئت بك النيران ، واعتدل بك الدين ، وقوي بك الإسلام ، فجللت عين من لا يبكي عليك ، وقد عظمت رزيتك في السماوات والأرض ، فجللت عين من لا يبكي عليك ، وقد عظمت رزيتك في السماوات والأرض ، وقد هدت مصيبتك جميع الإسلام وجميع الأنام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وضينا عن الله قضاءه وسلمنا إليه أمره ، فوالله لن يصاب الإسلام بمثل مصيبتهم رضينا عن الله قضاءه وسلمنا إليه أمره ، فوالله لن يصاب الإسلام بمثل مصيبتهم بك ، كنت لهم كهفاً حصيناً ، وعلى الكافرين غيظاً ، فألحقك الله بنبيه ، ولا حرمنا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك .

وكان الناس كلهم يبكون لما يسمعون من كلامه ، ثم انتحب باكياً ثم انتحب باكياً ثم انتحب باكياً وانكب عليه يقبله والناس مما عاينوه منه سكارى كأنهم سقوا خمراً ، ثم غاب ولم يعلمه ، فسألوا الحسن (ع) وهو يبكي ، فقال : هذا أخوه الخضر ، ثم تأوه (ع) وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وا انقطاع ظهراه وا أبتاه وا علياه وا فاطماه وا محمداه من أجلكم تعلمنا البكاء ، فإلى الله المشتكى وهو المستعان على الأمور كلها .

ثم ارتفع مقدم السرير ، فرفع الحسن والحسين (ع) مؤخره ونحن نسمع تسبيحاً ، وتقديساً ، وتكبيراً ، وتهليلاً من أعلى الهواء ، وقائلاً يقول : أحسن الله لكم العنزاء في سيدكم حجنة الله ، وأعظم لكم الأجنر وجزاكم أحسن الجزاء ، والصوت يردد هذه التعزية على هذه الصفة وخرجن نساء أهل الكوفة

وهن بحالة تصدع القلوب القاسية بالندب والبكاء فردهن الحسن (ع) ، وان الحيطان والجدران والنخيل والأشجار لتنحني على سريره إجلالاً له وشوقاً ، حتى إذا بلغوا به الغري فوضع المقدم فوضعوا المؤخر ، ثم تقدم الحسن وصلى عليه كما أمره ، وكشفوا التراب وإذا بقبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها بخط حسن : (هذا قبر ادخره نوح النبي للعبد الصالح والميزان الراجح والصراط الواضح والعلم اللائح والزناد القادح ، سراج الأمة والكاشف عن وجه رسول الله (ص) الغمة ، إمام المشارق والمغارب علي بن أبي طالب (ع) .

ثم سمعوا هاتفاً يقول: انزلوا الجسد الطاهر في التربة الطاهرة ، فلقد اشتاق الأب إلى ولده ، والحبيب إلى حبيبه . فالحده الحسن (ع) وخرج من قبره ، فوقف عليه صاحبه صعصعة بن صوحان العبدي وأرسل دموعه كالسيل الجاري وهو يقول: هنيئاً لك يا أبا الحسن بهذه الشهادة وهذه التربة ، فلقد طبت وطاب مولدك فطيّب الله بك التراب ، وقد عظم صبرك ، وارتفع قدرك وجاهك ، وربحت تجارتك ، ولحقت بدرجة ابن عمك محمد المصطفى (ص) ، وشربت بكأسه الأوفى ، فلقد منَّ الله علينا بك ، وباقتفاء المصطفى (ص) ، وشربت بكأسه الأوفى ، فلقد منَّ الله علينا بك ، وباقتفاء أثرك ، والعمل بسيرتك ، وبموالاتك ، ومعاداة عدوك ، فنسأل الله أن يحشرنا في زمرتك ، فلقد نلت من الشرف ما لم ينله أحد ، وأدركت ما لم يدركه مجتهد ، ولقد جاهدت الفجّار والكفّار بين يديّ رسول الله (ص) حتى أقيمت بك السنن ، وارتفعت بك الفتن ، واستقام بك الإسلام ، وانتظم من أجلك بك السنن ، فكم قصم الله بك من جبار عنيد وذي بأس شديد ، وكم هدم بك من حصون الكفر والضلال ، فهنيئاً لك لك يا أمير المؤمنين ، كنت أقرب الناس حصون الكفر والضلال ، فهنيئاً لك لك يا أمير المؤمنين ، كنت أقرب الناس إلى رسول الله نسباً ، وأولهم سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأسخاهم كفاً ، وأعدلهم قسماً ، وأقربهم جاهاً ، فعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

فبكي وأبكى جميع من حضر ، ثم أشرجوا عليه اللبن ، وأهالوا عليه

التراب ، وسويت الأرض ، ثم رفعوا لبنة من قبره من عند الرأس الشريف ، ونظروا فإذا ليس في القبر أحد والهاتف يقول : كان عبداً صالحاً فألحقه الله بنبيه محمد (ص) ، وكذلك يفعل بالأنبياء ، حتى لو أن نبياً مات بالمشرق والوصى بالمغرب لألحق الله النبيّ بالوصى . ولله در من قال :

آه لها من حسرة لا تنقضى طول الزمان وعبرة لا تنفذ بالله يا حادي السرى سحراً إذا وافاك ربع للوصى ومعهد فاقبل وقبل بالجفون ترابه فترابه لقذى النواظر أئمد وقل السلام عليك يا من عنده يهبط أملاك السماء ويصعد

قال ورجع الحسن والحسين ومن معهما من خواصهما وأهل بيتهما ، مروا على مكان خرب من الكوفة ، فسمعوا أنيناً ، فقفوا أثره ، فإذا به رجل قد توسد لبنة وهو يحن حنين الثكلي الوالهة ، فوقف عنده الحسن والحسين وسألاه عن حاله ، فقال : إني رجل غريب لا أهل لي قد أعوزتني المعيشة ، وأتيت إلى هذه البلدة منذ سنة ، وكل ليلة يأتيني شخص إذا هدأت العيون بما أقتات به من طعام وشراب ، ويجلس معي يؤنسني ويسليني عما أنا فيه من الهم والحزن ، وقد فقدته منذ ثلاثة أيام ، فقالا لـه (ع) وهما يبكيان : صفه لنـا ، فقال : إنى مكفوف البصر ولا أبصره ، فقالا : ما اسمه ؟ قال : كنت أسأله عن اسمه فيقـول : إنما أبتغي بـذلك وجـه الله والـدار الآخـرة ، فقـالا لـه : اسمعنـا من حديثه ، قال : دأبه التسبيح ، والتقديس ، والتكبير ، والتهليل ، وإن الأحجار والحيطان تجيب بإجابته ، وتسبح بتسبيحه ، وتكبر بتكبيره ، وتهلل بتهليله ، وتقدس بتقديسه ، فقالا له : هذه صفات سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (ع) ، فقال الرجل الغريب: ما فعل الله به ؟، فقالا (ع) وهما يبكيان: قد أفجعنا فيه أشقى الأشقياء ابن ملجم المرادي ، وها نحن راجعون من دفنه . فلما سمع ذلك منهما لم يتمالك دون أن رمي بنفسه على الأرض وجعل يضرب برأسه الأشجار ، ويحثو على رأسه التراب ، ويصرخ صراخ المعولة الفاقدة ، فأبكى

من كان حاضراً ، ثم قال لهما : بالله ما اسمكما واسم أبيكما ؟ فقالا له : أبونـا أمير المؤمنين (ع) عليّ بن أبي طالب ، وأنا الحسن ، وهـذا أخي الحسين ، وهؤلاء بقية أولاده وأقربائه وجملة من أصحابه راجعين من دفنه ، فقال : سألتكما بالله وبجدكما رسول الله وأبيكما ولي الله إلا ما عرجتما بي على قبره لأجدد به عهداً ، فقد تنغص عيشي بقتله وتكدرت حياتي بعد فقده .

فأخذه الحسن (ع) بيده اليمني ، والحسين (ع) بيده اليسرى ، والناس من ورائهما بالبكاء والعويل المقرّح للأكباد ، حتى أتوا إلى القبر المنور ، فجثى عليه وجعل يمرغ نفسه عليـه ويحثو التـراب على رأسه ، حتى غشى عليـه وهم حوله يبكون ، وقد أشرفوا على الهلاك من كثرة البكاء والنحيب ، فلما أفاق من غشوته رفع كفيه إلى السماء وقال: أللهم إنى أسألك بحق من سكن هذه الحفرة المنورة أن تلحقني به وتقبض روحي إليك ، فإني لا أقدر على فـراقه ولا أستطيع التحمل لوجده واشتياقه ، فاستجاب الله دعاؤه ، فما وجدوه إلا مثل الخشبة الملقاة ، فجهزوه ، وقيل دفنوه بجنب أمير المؤمنين (ع):

يا قبر سيدنا المجن سماحة صلى عليك الله يا قبر فليعذبن سماح كفك في التراب وليورقن بجنبك الصخر والله لو بك لم أدع أحداً إلا قتلت لفاتني الوتر

قال الراوي : قال حبيب بن عمر : لما رجع الحسن (ع) من دفن أبيه تلك الليلة وهي الليلة الحادية والعشرون من شهر رمضان ، رقى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على جده ، ثم قال :

أيها الناس إن في هذه الليلة نزل القرآن ، وفي هذه الليلة رفع عيسى ابن مريم (ع) ، وفي هذه الليلة قتـل يـوشـع بن نـون ، وفي هـذه الليلة مـات أبي أمير المؤمنين ، إنه كان لا يسبقه أحد كان قبله من الأوصياء ولا بعده ، وإنه كان رسول الله ليبعثه في السرية فيقاتل جبرائيل عن يمينـه وميكائيـل عن شمالـه ، ومات ولم يورث بيضاء ولا صفراء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطاياه ، كان يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله ، ثم خنقته العبرة وبكى . ثم نزل عن المنبر وصلى بأهله وخاصته صلاة الصبح ، ثم جلس في معزا أبيه ، فأتت الناس إليه للتعزية . ثم انه (ع) أمر بإحضار اللعين ابن ملجم ، فلما مثل بين يديه قال للحسين : يا أبا محمد إني ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به ، وإني عاهدت الله أن أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما ، وقد قتلت أباك ، فإن شئت خليت بيني وبين معاوية ولك الله على إن قتلته لاتينك حتى أضع يدي في يدك . فقال الحسن : لا والله حتى تعاين النار . ثم قال للحسن : يا ابن رسول الله إني أريد أن أسارك بكلمة ، فأبي الحسن وقال : إنه يريد أن يكدم على أذني ، فقال الملعون : أي والله لو أمكنني منها لقلعتها من صماخها .

ثم تراددوا في القول كيف يقتلونه ، فقال الحسن : أنا ماض فيه بما أوصاني به أبي ضربة بضربة ولا تأثم ، فإني سمعت رسول الله يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور . ثم أبركوه على ركبتيه وقام الحسن وضربه ضربة بالسيف شق بها رأسه ، فانقلب عدو الله يخور في دمه لا رحمه الله تعالى ، وقيل استوهبت جثته أم الهيثم زوجة حذيفة بن اليمان وأحرقتها بالنار ، وأما شبيب بن بحرة فلقيه رجل حين أصيب أمير المؤمنين (ع) وخرج من الجامع فصرعه وبرك عليه يريد قتله ، فرأى الناس يقصدونه ، فخشي أن يكونوا عليه ، فغلاه حتى دخل منزله ، فرآه ابن عم له يحل الحرير من صدره ، فقال له : لعلك قتلت أمير المؤمنين ، فأراد أن يقول : لا ، فقال : نعم ، فقتله ، وأما الثالث فلم يظفر به أحد ، قيل وكانت قطام جالسة على روشن لها ، فسمعت ضجيج الناس وقائلاً يقول : قتل أمير المؤمنين ، فصفقت كفيها فرحاً ، فأقلب الله عليها الروشن ، فما وجدوها إلا كالرغيف المحترق وعجل الله بروحها إلى النار ، وأما اللذان تعاقدا مع ابن ملجم على قتل علي ومعاوية وابن العاص ، فقد خاب أملهما وقتلا ، أما ابن العاص فاستخلف على الصلاة تلك الليلة خارجة العامري فظن عمرو التميمي أنه ابن العاص واستخلف على الصلاة تلك الليلة خارجة العامري فظن عمرو التميمي أنه ابن العاص واستخلف على الصلاة تلك الليلة خارجة العامري فظن عمرو التميمي أنه ابن العاص واستخلف على الصلاة تلك الليلة خارجة العامري فظن عمرو التميمي أنه ابن العاص [فضربه فمات خارجة من

تلك الضربة] ثم قتل ، وأما معاوية فأصابه البرك في اليتيه ثم قتل . وسلم معاوية وفيه يقول ابن زيدون :

فليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بما شاءت من البشر

وكتب ابن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان يخبـره بقتل عليٌّ وســــلامته . فبلغه الكتاب وكمان في مجلسه ضرار بن ضمرة ، فقمال له : صف لي علياً يا ضرار _ مظهراً للشماتة _ فقال : اعفني من ذلك ، قال لـ ه معاويـ ة : لا أعفيك ، فقال ضرار: رحم الله أبا الحسن علياً ، كان فينا كأحدنا ، ينبئنا إذا استنبأناه ويجيبنا إذا سألناه ، ويقربنا إذا أردناه ، لا يغلق دوننا بابه ، ولا يمنعنا حجابه ، ونحن والله مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة منه ، وكـان إذا ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلًا ويحكم عدلًا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة عن لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، كـان والله غزيـر الدمعــة ، كثير الفكــرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، ويناجى ربه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، كان يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى في بطشه ، ولا يبأس الضعيف من عدله . فقال معاوية وهو يبكي : زدني يا ضرار ، فقال ضوار : رحم الله أبا الحسن ، كان طويل السهاد قليل الرقاد ، يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار ، فكيف بك يا معاوية لو رأيته في محرابه وقد أرخى الليـل سدولـه وغابت نجـومه ، وهـو قابض على لحيتـه يتملمـل تملمـل السليم ، ويئن أنين السقيم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غري غيري ` أبي تعرضتي أم إليّ تشوقتي ، هيهات هيهات فلد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصير ، وخطرك كبير ، وعيشك حقير ، ثم يقول : آه آه لبعمد السفر ، وقلة الزاد ، ووحشة الطريق ، وعظم السرى .

فبكى معاوية وجلساؤه ، ثم قال : يما ضرار كمان والله أبو الحسن كمذلك وأكثر ، ثم قال معاوية : رحمك الله يما أبما الحسن ، كنت عفيماً عمن جني

عليك ، حليماً بما سطى عليك ، رقيق القلب ، فكيف صبرك عنه يا ضرار؟ فقال : صبري والله صبر من ذبح ولدها الواحد في حجرها بعد كبرهما ، فهي لا ترقى لها عبرة ، ولا تبل لها حسرة ، ولا تبرد لها زفرة . ثم قال : معاوية لأصحابه : أما إنكم لو فقد تموني ما كان فيكم من يثني عليّ مثلما يثني هذا على صاحبه على ، فقال له بعضهم: الصاحب على قدر صاحبه .

وشوهدت أم شيبان المذحجية بحضرة معاوية بهذه الأبيات تقول:

لما ملكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هادياً مهدياً فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت فوق الأراك حساسة قسمريا أوصى إليك بنسا وكسان وفيسا هيهات نأمل بعده انسيا

قبدكنت بعبد محميد خلفياً لنبا

قيل وبعث معاوية إلى دار مية الحجونية ، فلما حضرت عنده قال لها : أتدرين لم بعثت إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله تعالى ، قال : بعثت إليك الأسألك عن حبك لعلي وبغضك إلى ، واليتيه وعاديتني ، قالت : اعفني ، قال : لا أعفيك ، قالت : إذا أبيت فإني أحببت علياً على عدله في الرعية ، وقسمته بالسوية ، وبغضتك على تقدمك على من هو أولى منك بالأمس وطلبك ما ليس لك بحق ، وواليت علياً على ما عقده له رسول الله من الـولاية ، وعلى حبه المساكين وتعظيمه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء وحكمك في الهوى .

وروي أنه قدمت عليه سودة بنت معمر الهمدانية شاكية من عامله بشـر بن أرطأة وقد جار فيهم ، فقالت : يا معاوية إن عزلته عنا شكرناك أو إلى الله شكوناك ، فقال معاوية : والله لأحملنك إليه على قتب الشوس فينفذ فيك حكمه ، فأطرقت رأسها ساعة ثم رفعت رأسها باكية حزينة وهي تنشد وتقول : صلى الأله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا قسد حالف الحق لا يبغى بسه بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرونا

ثم قال: يا سودة من هذا الذي قلت فيه هذين البيتين ؟ قالت: هو والله زوج البتول فاطمة بنت الرسول ، هو والله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، اعلم يا معاوية أني جئته مشل مجيئي لك شاكية إليه من رجل ولاه علينا وجار نال معاوية أني جئته مشل مجيئي لك شاكية إليه من رجل ولاه علينا وجار بوجه طلق ورحمة ورفق ، وقال لي : ألك حاجة ؟ فقلت : نعم يا مولاي . هاحبريه ، فبكي رحمة لي ، ثم قال : أللهم إنك تعلم أني لم آمره بظلم ، ثم خرم من جيبه قطعة جلد وكتب فيها ﴿ بسم الله الرحمن السرحيم ، قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ ما عندك وما بين يديك من عملك حتى يأتي من بقبضه منك والسلام . فاحفظ ما عندك وما بين يديك من عملك حتى يأتي من بقبضه منك والسلام . واصرفوها مكرمة غير شاكية .

ورثاه أبو الأسود الدؤلي وقيل لغيره بهذه الأبيات :

ألا يما عين ويحك فاسعدينا وابكي خير من ركب المطايا ومن حداها ومن حداها ومن صام الهجير وقام ليلا إماما صادقاً براً تقيا شجاعاً أشوساً بطلاً هماما زكياً سيداً قرماً هزبراً مضى بعد النبي فدته نفسي إذا استقبلت وجه أبي حسين

ألا فابكي أميس المؤمنينا وفارسها ومن ركب السفينا ومن قسراً المشاني والمبينا وناجى الله رب العالمينا فقيهاً قد حوى علماً ودينا ومقداماً لآساد العرينا حمياً أروعاً بطلاً بطينا أبوحسن وخيس الصالحينا رأيت البدر راع الناظرينا

⁽١) سورة الأعراف ، الآية: ٨٥ .

نسرى المولى رسول الله فينا ويقضي بالفرائض مستبينا وحسن صلاته في الراكعينا فلا قرت عيون الشامتينا سيلقى الشامتون كما لقينا بخير الخلق طراً أجمعينا نعام جال في بلد سنينا بذلنا المال فيه والبنينا فإن بقية الخلفاء فينا وكنا قبل مقتله بخير يقيم الدين لا يرتاب فيه فلا والله لا أنسى علياً فلا يفرح معاوية بن حرب وقل للشامتين بنا رويداً أفي الشهر الحرام فجعتمونا كنان الناس مذ فقدوا علياً فلو إنا سألنا المال فيه فلا يفرح معاوية بن حرب

قيـل ومن خواص تـربته(ع) إسقـاط عذاب القبـر ، وترك محـاسبـة منكـر ونكير .

وعن أبي عبدالله (ع) أنه قال : بين قبره والكوفة دار السلام محشر أرواح المؤمنين ، وكأني بأناس منهم على منابر من نور يتنعمون إلى يوم القيامة .

وروي أنه (ع) خرج يوماً إلى ظهر الغري ، وإذا برجال ومعهم جنازة ، فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام ، ثم قال لهم : من أين أقبلتم ؟ فقالوا : من اليمن ، فقال : لمن هذه الجنازة ؟ ، فقال أحدهم : هذي جنازة والدي ، وقد أوصاني أن أدفنه هنا ، فقلنا : لماذا يا أبتاه وهو مكان شاسع ؟ فقال : إنه سيدفن بهذه الأرض رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر ، ولا سبيل على هذه الأرض لأجل من يقبر فيها ، فقال (ع) : أنا والله ذلك الرجل ، فدفنوه وانصر فوا .

ولله در من قال:

إذا مت فادفني مجاور حيدر أبا شبر أكرم به وشبير فتى لا يخاف النار من كان جاره ولا يختشي من منكر ونكير

جـوار عـليّ فـادفنـونـي فـإنـه أأظمأ وهـو العـذب في كـل مـورد فعار على حامي الحمى وهوفي الحمى

أميسري ومن حر الجحيم مجيسري وأظلم بين الناس وهو خفيسري إذا ضل في البيدا عقال بعيد

وعن الرضا (ع) قال : إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته ، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كانوا أثمتهم وشفعائهم يوم القيامة .

وعن الصادق (ع) أنه قال : من زار إماماً مفترض الـطاعة وصلى عنـد قبره أربع ركعات ، كتب الله له حجة مبـرورة وعمرة ، ومن زار واحـداً منا كـان كمن زار رسول الله . وعنه أيضاً أنه قال : من زار أمير المؤمنين ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين .

وقال (ع) وقد سأله ابنه الحسن يا أبت ما لمن زار قبرك بعد موتك ؟ قال : يا بني من أتاني زائراً بعد موتى فله الجنة ، ومن أتك زائراً بعد موتك فله الجنة ، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة .

قال رسول الله (ص) للحسين: يا بني تزوركم بعد موتكم طائفة من أمتي يريدون بذلك بري وصلتي ، فإذا كان يوم القيامة زرتها في مواقفها وأخذت بأعضادها وأدخلتها الجنة ، ثم قال لعليّ (ع): لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها ، وزواركم هم المخصوصون بشفاعتي يوم القيامة ، فابشر وبشر محبيك ، فإن لهم في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأن حثالة طائفة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها في آخر الزمان ، أولئك شرار أمتى يوم القيامة .

وروى صفوان الجمال قال : كنت عند مولاي جعفر بن محمد الصادق ، وكنا نسير إلى نجف الكوفة ، فلما بلغنا إلى هذا المكان المعروف بالأكمة ، قال لي : أنخ الناقة ، فأنختها ، فقام واغتسل ، واحتفى ، وتضرع ، وقال لي :

افعل كما فعلت ، ثم قال لي : قصر خطاك فإن لك بكل خطوة مائة ألف حسنة ، وتمحى عنك مائة ألف سيئة ، وترفع لك مائة ألف درجة ، ويكتب لك ثواب كل شهيد وصديق مات أو قتل في سبيل الله . ثم مشى ومشيت خلفه وعلينا السكينة والوقار ، ونحن نسبح الله ونقدسه ونهلله ، إلى أن بلغنا الأكمة ، فوقف ، فنظر يمنة ويسرة وخط بعكازه خطاً وقال لي : اطلب فطلبت ، وإذا أنا بأثر قبر في الخط الذي خطه ، فارسل دموعه وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال :

السلام عليك أيها الوصي البر التقي ، السلام عليك أيها النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون وعنه مسؤولون ، السلام عليك أيها الصديق الشهيد ، السلام عليك أيها الصديق الزكي ، السلام عليك أيها الوصي ، وصي رسول ربّ العالمين ، السلام عليك يا خيرة الله من الخلق أجمعين ، أشهد أنك حبيب الله وخاصته وخالصته ، السلام عليك يا ولي الله ، وموضع سره ، وعيبة علمه ، وخازن وحيه .

ثم أنه (ع) انكب على القبر وبكى بكاءً شديداً وقال : بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ، بأبي أنت وأمي يا حجة الخصام ، بأبي أنت وأمي يا باب الله والمقام ، بأبي أنت وأمي يا نور الله التمام ، أشهد أنك قد بلغت عن الله عزّ وجلّ ورسوله (ص) ما حملت ، ورعيت وحفظت ما استودعت ، وحللت ما حلل الله وحرّمت ما حرم الله ، وأقمت أحكام الله ، ولم تتعدد حدود الله ، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين ، صلى الله عليك وعلى الأثمة من ولدك .

وصلى ركعتين عند رأسه الشريف ، ثم قال لي : يا صفوان ، من زار أمير المؤمنين (ع) بهذه الزيارة من قرب أو بعد ، وصلى مثل هذه الصلاة ، رجع إلى أهله مغفوراً ذنبه ، مشكوراً سعيه ، وكتب له ثواب من زاره من الملائكة وغيرهم .

ثم رجع (ع) مقهقراً وهو يقول: يا جداه، يا طيباه، يا طاهراه، لا جعله الله آخر العهد مني لزيارتك، ورزقني العود إليك وإلى المقام في حرمك، والسكون مع الأبرار من ولدك الصالحين، والسلام عليك وعلى الملائكة المحدقين بك ورحمة الله وبركاته. فقلت: يا سيدي أتأذن لي أن أعلم الناس؟ قال: نعم فأعطاني دراهم فأصلحت بها القبر، فكان ما هو الآن معروفاً عند شيعته، وقد كان مختفياً لوصية سبقت منه لعلمه بما [في] قلوب المنافقين والمارقين، حتى قيل ان صبيحة دفنه أخرجوا أربعة ثوابيت، فبعثوا بواحد إلى بيت الله الحرام، وواحد إلى المدينة، وواحد إلى بيت المقدس، وأدخلوا بيته واحداً.

وروي ان سبب ظهوره أن هارون الرشيد خرج يوماً للصيد والقنص في ظاهر الكوفة ، فرأى ظبياً كثيراً ، فأرسل عليهم الصقور والكلاب ، فالتجات الظبا بالأكمة ، فوقفت عنها الصقور والكلاب . وكان يفعل ذلك مراراً كثيرةً ، فأخبر هارون عن تلك الأكمة أخبره رجل من بني أسد عن آبائه أن فيها قبر أمير المؤمنين (ع) فبنى عليه قبة ، ولعل ذلك بعد اندراسه من العمارة الأولى لهجرانه خوفاً من الأعداء . يقول الصادق (ع) من ترك زيارة أمير المؤمنين خوفاً من أحد لم ينظر الله إليه ، ألا تزورون من تزوره الملائكة .

ولله در من قال من الرجى :

قد قلت للبرق الذي شق الدجا يسا برق إن جئت الغري فقل له فيك ابن عمران الكليم وبعده بسل فيك نور الله جل جلاله فيك الإمام المرتضى فيك الوصي هذا ضمير العالم الموجود من هذي الإمامة لا يقوم بحملها

فكان زنجياً هناك يسجلع أتسراك تعلم من بارضك مسودع عيسى يقفيه وأحمد يتبع للذوي البصائر يستشف ويلمع المجتبى فيك البطين الأنزع عدم وسر وجوده المستودع حلفاء هابطة وأطلس أرفع

تأبى الجبال الشم عن تقليدها هــذا هـو النــور الـذي عــذبــاتــه ما العالم العلوي إلا تربة كانت لجئته الشريفة موضع

وتضبج تيهاء وتشفق بسرقع كانت بخرة آدم تتطلع

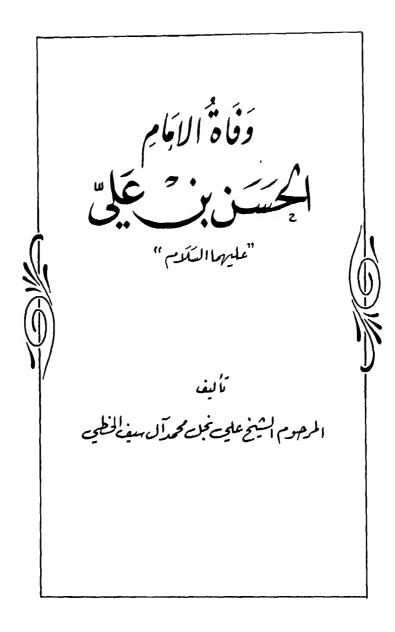
وروي أن محمد بن الحنفية بكي حتى أنحل جسمه وتغير لونه ، وكان يسمى سادس البكائين . قيل دخل يـوماً دمشق ، فسمـع رجلًا يقـول : هذا ابن أبي تراب ، فأسند ظهره إلى جدار محراب جامع دمشق ، ثم قال : اخسئوا ذرية النفاق ، وحشوة النيران ، وحطب جهنم ، عن البدر الزاهـر ، والنجم الثاقب ، واللسان النافذ ، وشهاب المؤمنين ، والصراط المستقيم ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولاً ﴾(١) أتـدرون أي عقبة تقتحمون ؟ أخو رسـول الله تستهدفون ؟ ويعسوب الدين تلمزون ؟ فبأي سبيل رشاد بعد ذلك تسلكون ؟ وأي حرف بعــد ذلك تدفعون ؟ هيهات برز لله بالسيف ، وفاز بالخضل ، واستولى على الغـاية ، وأحرز الحظ ، وانحسرت دونه الأبصار ، وانقطعت دونه الرقاب ، وقـرع الذروة العلياء ، وكسرت والله من الأمة التبعة ، وفات الطلب ، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ، اقلوا عليهم لا أبالكم من اللوم ، وسدوا المكان الذي أبي يسد ثلمة أخيه رسول الله إن سفعوا وشقيق لنبيه إذ حصلوا ، وبدين هارون من موسى إذ مثلوا ، وذي قربي كبيرها إذ امتحنوا ، ومصلى القبلتين إذ انحرفوا ، والشهـود له بالإيمان إذ كفروا ، والمدعو للخيـر إذ نكلوا ، والمندوب لعهـد المشركين إذ نكثوا ، والخليفة على المهاجرين إذ جزعوا ، والمستودع للأسرار ساعـة الوداع إذ حجوا .

شيبا بماء فعادا بعد أبوالا هــذي المكــارم لا تعبـان من لبـن واني يبعد من كل عـ لا وسنى ، فبأي آلاء أميـر المؤمنين تختبرون ؟ وعن

⁽١) سورة النساء ، الآية: ٤٧ .

أمر من حديثه تأثرون ، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وفي هذا القدر كفاية إن شاء الله تعالى للمنصف ، وغاية كمد للمتعسف ، وغرض المحزون لبث الشجون ، وإذراف المدامع من العيون على ما صدر بأمير المؤمنين (ع) من الكفرة الملاعين والمنافقين ، تشتبت من البال وتعاقب المحن والأشجان والبلبال ، وتراكم سحائب الهموم ، وتفاقم المصائب والغموم ، ملتمساً منكم أيها الاخوان والجماعات من المؤمنين والمؤمنات الابتهال إلى الله تعالى العالم بالخفيات ، والتضرع إليه بكشف ما منيت به من البليات ، وأن يفرج عني وعن المؤمنين والمؤمنات ما حظيت من الكربات ، وأن يكف بمنّه عني بأس الباغين ، والعفو عما أجريته في كل حين ، وأن يحشرنا وإياكم مع الأثمة في زمرتهم ، وأن يثيبنا على محبتهم ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ كل شيء ووارثه ، وخالق العالم ماضيه وحادثه ، والصلاة والسلام على محمد معدن الرسالة ، وفلك الفضل والجلالة ، وعلى آله خير البرية ، المبتلين في أموالهم وأنفسهم ، ولن تبعد من الحق بلية ، صلاة دائمة بدوام الدهور والأيام .

وبعد فإني إن شاء الله تعالى مورد في هذه الأوراق نبذة يسيرة مما يتعلق بالأخبار التي وردت في أمر الحسن (ع) مما يتعلق بحال خلافته ، وصلحة لمعاوية ، وما يتعلق بوفاته وبعض أحواله المناسبة لذلك ، طلباً للشواب الجزيل ، من الإله الجليل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

روي أن أمير المؤمنين (ع) لما ضرب ليلة تسعة عشر من شهر رمضان ، وقد كانت وصيته تقدمت لابنه الحسن (ع) وجعله إماماً بعده ، ونصبه علماً للناس بعده ، فمما أوصى به للحسن (ع) ما روي عن الحسن ، قال : لما حضرت أبي الوفاة أقبل يوصي ، فقال : هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمد رسول الله . أول وصيتي أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وخيرته ، اختاره لعلمه ، وارتضاه لبريته ، وان الله باعث من في القبور ، ثم إني أوصيك يا حسن وكفى بك وصياً بما أوصاني به النبي ، فإذا

كـان ذلك يـا بني ، فالـزم بيتك ، وابـك على خطيئتـك ، ولا تكن الدنيـا أكبـر همك ، وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها ، والزكاة في أهلها عنـد محلها ، والصمت عند الشبهة ، والإقتصاد والعدل في الغضب والرضى ، وحسن الجوار ، وإكرام الضيف ، ورحمة المجهود وأهل البلاء ، وصلة الرحم ، وحب المساكين ومجالستهم ، والتـواضع ، فـإنه من أفضـل العبادة ، وقصـر الأمل ، وذكر الموت ، والزهد في الدنيا فإنك.، رهين موت ، وغرض بـلاء ، وطريـح سقم ، وأوصيك بخشية الله في سرك وعلانيتك ، وأنهاك عن التسرع بالقـول والفعل ، فإذا عرض عليك شيء من أمر الدنيا فابدأ به ، وإذا عـرض عليك شيء من أمر الآخرة فتأنى حتى تصيب رشدك ، وإياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء ، فإن قرين السوء يعير جليسه ، وكن يا بني لله عــاملًا ، وعن الخنا زاجراً ، وبـالمعروف آمـراً ، وعن المنكر نـاهياً ، وآخى الإخــوان في الله وحب الصالح لصلاحه ، ودار الفاسق في دينك ، وابغضه بقلبك ، وزايله بأعمالك ، لئلا تكون مثله ، وإياك والجلوس في الطرقات ، ودع المماراة ، ومجاراة من لا عقل لـ ولا علم ، واقصد يا بني في معيشتك ، واقصد في عبادتك ، وعليك فيها بالأمر الـدائم الذي تـطيقه ، والـزم الصمت تسلم ، وقد لنفسك تغنم ، وتعلم الخير تعلم ، وكن لله ذاكراً على كـل حـال ، وارحم من أهلك الصغير ، ووقَر الكبيـر ، ولا تأكـل طعامـاً حتى تتصدق منـه قبـل أكله ، جليسك ، واجتنب عدوك ، وعليك بمجالس الذكر ، وأكثر من الدعاء ، فإني لم آلك نصحاً ، وهذا فراق بيني وبينك .

وأوصيك باخيك محمد ، فإنه ابن أبيك وتعلم حبي له ، وأما أخوك الحسين (ع) فلا أزيدك الوصاة به ، والله خليفتي عليكم ، وإياه أسال أن يصلحكم ويكف الطغاة البغاة عنكم ، والصبر الصبر حتى ينزل الأمر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة وأمرهم باتباع أخويهم الحسن والحسين (ع) ، وأن لا يخـالفوا لــه أمراً ، وقــال : عليكم بتقــوى الله ربَّكم ولا تموتن إلَّا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ، فاني سمعت أبا القاسم يقول: إن إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام. انظروا إلى ذوي أرحــامكم يهــون الله عليكم الحســاب ، والله الله في جيــرانكم ، فــإنهــا وصيـــة نبيكم ، ما زال يوصيني بهم حتى ظننت أنه سيورثهم ، الله الله في القرآن ، فلا يسبقكم بالعمل به غيركم ، الله الله في الصلاة ، فإنها عمود دينكم ، الله الله في بيت ربَّكم ، لا تخلوا منه ما بقيتم ، فإنه ان يترك لم تناظروا ، الله الله في صيام شهر رمضان ، فإن صيامه جنة لأهله من النار ، الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم ، الله الله في الـزكاة ، فـإنها تـطفىء غضب الرب ، الله الله في ذريـة نبيكم ، فلا يظلموا بين أظهركم ، الله الله في الفقراء والمساكين ، فـاشركـوهم في معـايشكم ، الله الله في ما ملكت أيمـانكم ، ولا تخافن في الله لـومة لائم ، يكفيكم من أرادكم وبغي عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيتولى الأمر شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم . وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ١٠٤٠ . حفظكم الله من أهـل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم ، استودعكم الله واقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

ثم التفت إلى الحسن والحسين (ع) وقال: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء منها ذوى عنكما، وقولا الحق واعملا به، وارحما اليتيم والضائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في الكتاب، ولا تأخذكما في الله لومة لائم.

⁽١) سورة المائدة ، الآية : ٢ .

ثم نظر إلى محمد بن المحنفية وقال له: هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال: نعم، [قال]: اني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك، ولا توثق أمراً دونهما. ثم قال (ع) أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما يحبه، ثم قال للحسن (ع): أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك وأدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إلي ودفع كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها لأخيك الحسين (ع). ثم أقبل على الحسين (ع) وقال له: أمرك رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أومى بيده إلى علي بن الحسين (ع) وقال له: أمرك رسول الله السلام، تدفعها إلى ابنك محمد واقرأه مني ومن رسول الله السلام، ما ستودعكم الله وهو خليفتي عليكم، ولم يزل ينطق بلا إله إلا الله حتى قبض صلوات الله وسلامه عليه، فقام الحسن والحسين (ع) في جهازه، وغسله الحسن (ع) وكفنه في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وكبر عليه سبع تكبيرات، وحمل إلى ظهر الغري، ودفن هناك صلوات الله عليه.

صلى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا قد حالف الحق لا يبغي به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا

ثم رجع الحسن والحسين (ع) وأخوتهما من دفنه ، وقعد في بيته ولم يخرج ذلك اليوم ، ثم خرج عبدالله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس ، فقال : إن أمير المؤمنين (ع) قد توفي وانتقل إلى جوار الله وقد ترك بعده خلفاً ، فيإن أحببتم خرج إليكم وإن كرهتم فلا أحد ، على أحد فبكى الناس وضجوا بالبكاء والنحيب ، فقالوا : بل يخرج إلينا ، فخرج إليهم الحسن وعليه ثياب سود وهو يبكي لفقد أبيه ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه ، ثم قال :

أيهـا الناس اتقـوا الله فانـا أمراءكم وسـاداتكم وأهل البيت الـذين قال الله

فيهم: ﴿إِنَّمَا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾(١) أيها الناس لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يلحقه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيفديه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم، والتي توفي فيها يوشع بن نون، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة دينار فضلت من عطاياه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله.

ثم خنقته العبرة وبكي وبكي الناس معه ، ثم قال :

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي ابن عم محمد رسول الله ، أنا ابن البشير النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ، أنا من أهل البيت الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿إنما يريد الله ليلهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ والذي افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ﴾(٢) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

فلما انتهى إلى هذا الموضع قام عبدالله بن العباس بين يديه وقال :

أيها الناس هذا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن إمامكم وابن بنت نبيكم فبايعوه .

فاستجابوا لبيعته وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة علينا. فبايعه الناس، ونزل عن المنبر وجلس مجلس أبيه أمير المؤمنين (ع)، وذلك في يوم الجمعة يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فأتت إليه حبابة الوالبية، ولقد كانت أتت أباه علياً (ع) في رحبة المسجد وقالت: يا

⁽١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

⁽٢) سورة الشورى ، الآية : ٢٣ .

أمير المؤمنين ما دلالة الإمامة رحمك الله ؟ فقال : آتيني بتلك الحصاة ، وأشار بيده إلى حصاة هناك ، قالت : فأتيت بها ، فطبع فيها بخاتمه وقال : يا حبابة إن ادعى مدع للخلافة بعدي وقدر أن يفعل كما فعلت فاعلمي أنه محق مفترض الطاعة ، والإمام بعدي لايعزب عنه شيء يريد ، قالت : فانصرفت ، فلما قبض أمير المؤمنين (ع) أتيت إلى الحسن (ع) وهـو جـالس في مجلس أبيــه والناس حوله يسألونه ، فلما رآني قال لي : يا حبابة قلت : نعم يا مولاي قال : هاتي ما معك فأعطيته الحصاة ، فطبع فيها بخاتمه كما طبع أمير المؤمنين ، قـالت : ثم أتيت الحسين وهـو في مسجـد النبي ، فقـرب ورحب وقـــال لي : أتريدين دلالة الإمامة ؟ فقلت : نعم يا سيدى ، فقال : هاتى ما معك ، فناولته الحصاة فطبع فيها كما طبع أبوه وأخوه ، ثم قالت : أتيت على بن الحسين بعد قتل أبيه وقد بلغ بي الكبر وأنا أعد مائة وثلاثة عشر سنة ، فرأيته ســـاجداً وراكعــاً مشغولًا بالعبادة ، فآيست من الـدلالة ، فأومى إلى بالسبابة فعاد إلى شبابي ، فقلت يـا سيدي كم مضى من الـدنيا وكم بقى ، فقـال : يا حبـابة أمـا مـا مضى فنعم ، وأما ما بقي فلا ، ثم قال : هاتي ما معك فأعطيته الحصاة ، فطبع فيها ، ثم أتيت أبا جعفر محمد الباقر فطبع فيها ، ثم أتيت أبا عبدالله الصادق ، فطبع فيها ، ثم أتيت أبا الحسن موسى بن جعفر فطبع فيها ، وعاشت حبابة بعــد ذلك تسعة أشهر ثم توفيت رحمة الله عليها ، وأوصت أن تدفن معها تلك الحصاة ، فدفنت معها.

ثم ان الحسن أمر الأمراء ورتب العمال وولى عبدالله بن العباس البصرة ، وكتب إلى سائر العمال بالمبايعة له ، فبايعه سائر العمال اللذين كانوا تحت إمرة أمير المؤمنين ، وهي الحجاز والعراق وفارس واليمن ، وكتب إلى معاوية بن أبي سفيان كتاباً يقول فيه :

بسم الله السرحمٰن السرحيم من عبد الله الحسن بن أميس المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان . أما بعد فإن الله بعث محمداً رحمة للعالمين ، فأظهر به

الحق ، وقمع به الشرك ، وأعز به العرب ، وشرّف به قريش خاصة ، فقال فوإنه لذكر لك ولقومك فسوف تسألون (١) ، فلما توفاه الله تعالى تنازعت العرب الأمر بعده ، فقالت قريش : نحن عشيرته وأوليائه فلا تنازعونا سلطاننا ، فعرفت لها العرب ذلك وجاحدتنا قريش ما عرفته لنا العرب ، فها هنا ما أنصفتنا قريش ، فمضوا على ما مضوا عليه ، ولا غرو إلا منازعتك إيانا هذا الأمر بغير حق في الدنيا معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، فلله الموعد نسأل أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئاً ينقصنا عنده في الأخرة . إن علياً لما توفاه الله تعالى ولاني الأمر بعده ، فاتق الله يا معاوية ، وانظر لأمة محمد ما تحقن به دماؤها وتصلح به أمرها ، وبايع كما بايع أولو الفضل والدين والسلام .

وبعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيمي تيم الرباب ، وجندب الأسدي ، فقدما على معاوية ودفعا له كتاب الحسن (ع) ، ودعياه إلى البيعة فلم يجبهما ، وأظهر الشماتة بموت أمير المؤمنين (ع) ، وكتب إلى الحسن كتاباً فيه رد جوابه :

أما بعد فقد فهمت ما ذكرت به رسول الله وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله ، وذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده بتهمة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وصلحاء المهاجرين ، فكرهت لك ذلك ، إن الأمة لما تنازعت الأمر بعد نبيها رأت قريشاً أحقها به ، فرأت قريش والأنصار وذو الفضل من المسلمين أن يولوا من قريش أعلمها وأخشاها له وأقواها على الأمر ، فاختاروا أبا بكر ، ولم يألوا ولو علموا مكان أبي بكر رجل غير أبي بكر يقوم مقامه ما عدلوا بالأمر إلى أبي بكر ، والحال الآن بيني وبينك على ما كانوا عليه ، فلو علمت أنك أضبط لأمر الرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأكيد للعدو ، وأقوى على جمع الفيء مني ، سلمت إليك الأمر بعد أبيك [الذي] سعى على عثمان على جمع الفيء مني ، سلمت إليك الأمر بعد أبيك [الذي] سعى على عثمان

⁽١) سورة الزخوف ، الآية : ٤٤ .

حتى قتل مظلوماً ، فطالبه الله بدمه ، ومن يطلبه الله فلا يفوته ، ثم ابتز الأمة أمرها وخالف جماعتها فخالفه نظراؤه من أهل السابقة والجهاد والقدم في الإسلام ، فادعى أنهم نكثوا بيعته ، فقاتلهم حتى سفكت الدماء واستحلت الحرم ، أقبل علينا لا يدعي علينا بيعة ، ولكنه يريد أن يملكنا اغتراراً ، فحاربنا وحاربناه ، ثم صارت الحرب إلى أن اختار رجلاً واخترنا رجلاً ليحكما بما يصلح عليه الأمر وتقوم به الجماعة والألفة ، وأخذنا عليهما ميثاقاً وعليه وعلينا مثله على الرضى بما يحكما ، فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت وخلعاه ، فوالله ما رضي بالحكم ولا صبر له ، فكيف تدعوني لأمر إنما تطلبه بعق أبيك وقد خرج منه ، فانظر لنفسك ودينك والسلام .

وقال للحارث وجندب ارجعا ، فليس بيني وبينه إلا السيف .

فرجعا للحسن ودفعا إليه الكتاب وأخبراه بما قال معاوية ، وما أضمره من الشماتة بموت أمير المؤمنين (ع) ، فكتب إليه الحسن كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرحمٰن الرحيم من الحسن بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك ، فإني أحمد الله تعالى إليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن الله جل جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين ، وكافة إلى الخلق أجمعين ، لينذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين ، فبلغ رسالات الله ، وأقام بأمر الله ، حتى توفاه الله غير مقصر ولا وان ، بعد أن أظهر الله به الحق ، وقمع به الشرك ، فلما توفي تنازعت العرب سلطانه فادعت قريش سلطانه ، فسلمت لهم العرب ذلك ، وجاحدتنا قريش حقوقنا ، واستولوا على ظلمنا ، ولنا الحجة الظاهرة عليهم ، والسلطان المبين ، فالموعد الله وهو نعم المعولى ونعم النصير ، ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا ، وإن كانوا ذوي سابقة في الإسلام ، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يبيد ، وأن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلبونه بنا ، ويكون بذلك لهم سبباً إلى ما أرادوا من إفساده ، فاليوم فليتعجب المتعجب من

توثبك على يا معاوية على أمر لست من أهله ، لا بفعل في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب وأعداء قريش لرسول الله ولكتابه ، والله تعالى حسيبك ، فسترد وتعلم لمن عقبي الدار ، وبالله لتلقين ربك عن قليل ثم ليجزينك بما قدمت يداك ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾(١) ، إن علياً لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يـوم قبض ويـوم يبعث حيـاً ولاني أمـر المسلمين من بعده ، فأسأل الله أن لا يؤتينا في هذه الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا عنده في الأخرة مما عنده من كرامته ، وإنما حملني إلى الكتاب إليك الأعذار فيما بيني وبينك وبين الله تعالى في أمرك ، ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين ، فدع التمادي في الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس ممن تبعني ، فإنك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عند الله وكل أوّاب حفيظ ومن له قلب منيب ، ودع البغي واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالـك حير في أن تلقى الله بدمائهم أكثر مما تلاقيه به ، وادخل في الإســـلام والطاعــة ، ولا تنازع الأمر أهله ومن هـو أحق به منـك ، ليطفىء الله النـائرة بـذلك ، ويجمـع الكلمة ، ويصلح ذات البين ، وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيك سرت إليك بالمسلمين ، وحاكمتك حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وبلغني أنك شمت بما لم يشمت به ذووا الحجى ، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول : فإنا ومن قد مات منا لكالنب يروح فيمسي في المبيت ليغتدي

فقـل للذي يبغي خلاف الـذي مضى تجهـز لاخـرى مثلهـا فكـان قـد

ثم أرسل الكتاب إليه مع جندب الأزدي ، فقدم به على معاوية ، فقرأه وكتب جوابه :

أما بعد فقد وصل كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، ولقد علمت بما حدث ، فلم أفرح ولم آيس ، وإن علياً أباك لكما قال أعشى بن تغلبة :

⁽١) سورة فصلت ، الآبة : ٤٦ .

فأنت الجواد وأنت الذي جدير بطعنة يوم اللقى وما من بد من خليج البحار بأجود منه بما عنده

إذا ما القلوب ملأن الصدورا يضرجن منها النساء النحورا فيعلو الأكام ويعلو الجسورا فيعطي الألوف ويوفي النذورا

قال جندب لما أتيت الحسن بكتاب معاوية ، قلت له ما أرى الرجل إلا سائراً إليك فابدأه بالمسير حتى تقاتله في أرضه وبلده ، فأما أن تقول إنه ينقاد لك لا والله حتى يرى منا يوماً أعظم من يوم صفين ، فقال : أفعل إن شاء الله تعالى ، ثم أن معاوية دس رجلاً من حمير إلى الكوفة ، ورجلاً من القين إلى البصرة ليكتبا له بالأخبار ويفسدا على الحسن ، فعرف ذلك الحسن ، فأمر باستخراج الحميري من عند حجام بالكوفة فأخرج وأمر بضرب عنقه ، وكتب إلى البصرة كتاباً إلى عبد الله ابن العباس ، وكان عامله عليها ، وأمره باستخراج الرجل القيني وقتله ، فاستخرجه عبد الله بن العباس من بني سليم وقتله ، وكتب الحسن إلى معاوية :

أما بعد فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال ، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء وما أوشك ذلك ، فتوقعه إن شاء الله تعالى ، وبلغني أنك شمت بما لم يشمت به ذووا الحجى إلى آخر الكلام المتقدم ذكره .

وكتب عبد الله بن العباس : أما بعد ، ودسك أخا بني القين تلتمس من غفلات قريش مثل ما ظفرت به من يمانيتك لكما ، قال أمية بن أبي الصلت :

ارقاً كنعجة غاز حتفها بتحفر العها فطلت به من آخر الليل يتحر هلكوا أصابهم يوم من الدهر أصفر

لعمرك إني والخزاعي طارقاً أثارت عليها شفرة بكراعها شمت بقوم من صديقك أهلكوا فأجابه معاوية بما لا حاجة إلى ذكره .

ثم إن معاوية كتب إلى عماله من جميع النواحي: من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم ، وقتل خليفتكم ، إن الله بلطفه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلًا من عباده فاغتاله وترك أصحابه متفرقين مختلفين ، فجاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم ، فاقبلوا إلى حين يأتيكم كتابي بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله وبلغتم الأمل ، وأهلك الله أهل البغى والعدوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم كتب إلى زياد وكان عامل علي (ع) بفارس ، فضبطها ضبطاً حسناً ، فلما قتل على بقي زياد في عمله ، فأقره الحسن على فارس ، فخاف منه معاوية ، فكتب إليه :

من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عبيد ، أما بعد ، فإنك عبد كفرت النعمة ، ولقد كان الشكر أولى بك من الكفر ، وظننت أنه لا ينالك سلطاني ، هيهات ما كل ذي لب يصيب رشده ، بالأمس عبد واليوم أمير ، حطة ما ارتقاها مثلك يابن سمية ، فإذا أتاك كتابي فخذ لي البيعة علي [من] معك وأسرع الإجابة ، فإنك إن تفعل فدمك حقنت ونفسك تداركت ، وإلا اختطفتك بأهون سعي ، ورددتك إلى حيث كنت والسلام . فلما وصل الكتاب إلى زياد اغتاظ غيظاً شديداً وجمع الناس فصعد المنبر وقال :

عجباً لابن آكلة الأكباد ، يتهددني وبيني وبينه ابن بنت رسول الله في مائة ألف من المهاجرين والأنصار ، والله لو أذن لي فيه لـرأيته الكواكب نهاراً ، ولأوسعته ماء الخردل ، اليوم الكلام والجمع غداً .

ثم كتب لمعاوية : أما بعد فقـد وصل كتـابك وفهمت ما فيه ، فـرأيتك

كالغريق يغطشه الموج ، فيتعلق بأرجل الضفادع ، فاجتهد جهدك ، فلست أنزل إلا على حيث تكره ، ولا اجتهد إلا في ما يسؤك ، وستعلم أبنا الخاضع لصاحبه الطالب إليه والسلام .

فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمه وأحزنه ، وبعث إلى المغيرة بن شعبة وخلا به ، وقال له : يا مغيرة إن زياد قد أقام لنا بفارس يكش لنا كشيش الأفاعي ، وهو رجل ثاقب الرأي ماضي العزيمة ، وقد كنت أخشى منه إذا كان صاحبه وأخشى ممالاته حسناً ، فما الحيلة في إصلاح رأيه ؟ ، فقال المغيرة : إن زياد يحب الشرف والذكر وصعود المنابر ، فلو لاطفت له المسألة وألفت له القول لكان أميل إليك ، فاكتب إليه كتاباً وأنا الرسول ، فكتب :

من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان ، أما بعد ، فإنك قطعت رحمك ، ووصلت عدوك ، وحملك سوء ظنك بي على أن قسطت رحمي ، ووصلت خصمي ، وعققت قرابتي ، حتى كأنك لست أخي ، وليس صخر بن حرب أباك وأبي ، وقد رأيت أن أعطف عليك ولا أؤاخذك بسوء فعلك ، واعلم أنك لو خضت البحر في طاعة بني هاشم ما ازددت منهم إلا بعداً ، فإن بني عبد شمس أبغض إلى بني هاشم من الشفرة إلى الثور الصريع ، فارجع إلى أصلك واتصل بقومك ، فقد أصبحت ضال النسب ، فإن أحببت إجابتي فثق بقولي ، وإن كرهت إجابتي ففعل جميل لا إلي ولا على والسلام .

فرحل المغيرة بالكتاب حتى دخل على زياد ، فدفع إليه الكتاب ، فجعل يتأمله ويضحك فلما فرغ من قراءته قال : حسبك يا مغيرة أني أطلعك على ما في ضميري ، إني صاحب رؤية في نفسي ، فلا تعجل على ولا تبدأني بشيء حتى أبدأك به ، ثم غلبت عليه الشقاوة وحب الجاه والرئاسة ، فصعد المنبر بعد ثلاثة أيام ، ثم قال :

أيها الناس ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارغبوا في دوام العافية لكم ،

فقد نظرت في أمور المسلمين ، فوجدت أحمد العاقبتين العافية ، وساء فعل في أموركم ما تحمدون عاقبته .

ثم نزل عن المنبر ، وكتب إلى معاوية كتاباً : أما بعد ، فقد وصل كتابك وفهمت ما فيه ، والحمد لله الذي عرفك الحق وردك إلى الصلة ، ولكنك إن كنت كتبت عقداً صحيحاً ونية حسنة ، لا غدر ولا مكيدة ، فازرع في قلبي مودة وقبولاً . فأعظاه معاوية جميع ما سأله ، وكتب إليه جميع ما وثق به ، واستخلفه مراغماً لرسول الله حيث قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، فنكث زياد بيعة الحسن ، وأطاع معاوية بن أبي سفيان ، ثم اجتمعت العساكر إلى معاوية من كل جانب ومكان ، فتكاملت عنده ستون ألفاً ، فسار بهم إلى العراق ، واستخلف الضحاك بن قيس الفهري على الشام ، والحسن مقيم بالكوفة لم يشخص ، فكتب له عبد الله ابن العباس من البصرة :

أما بعد فإن المسلمين ولوّك أمورهم بعد علي ، فشمر للحرب ، وجاهد عدوك ، وقارب أصحابك ، واشتر من الضنين دينه بما لم يثلم لك ديناً ، وفضل أهل البويتات والشرف تصطلح به عشائرهم ، حتى يكون الناس جماعة ، فإن بعض ما تكره الناس إذا كانت عواقبه تؤدي إلى ظهور الحق ، وعز الدين خير مما تحبه الناس ، إذا كانت عواقبه تؤدي إلى ظهور الجور ، وذل المؤمنين ، وعز الفاجرين ، واقتد بما جاء عن أئمة العدل ، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح المخداع إلا في الحرب ، فإن الحرب خدعة ، ولك في ذلك سعة إن كنت مجمعاً على الحرب ما لم تبطل حقاً ، واعلم أن علياً أباك رغب الناس إلى معاوية ، لأنه واسى بينهم في الفيء ، وساوى بينهم في القسمة والعطاء فنفل عليهم ، واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام حتى ظهر أمر الله ، فلما وحد الرب ومحق الشرك وعز الدين أظهروا الايمان ، وقرؤوا القرآن مستهزئين بآياته ، وقاموا إلى الصلاة كسالى ، وأدوا الفرائض وهم كارهون ، فلما رأوا أنه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار ، توسموا بسماء

الصالحين الأخيار'، ليظن المسلمون بهم خيراً ، فما زالوا بذلك حتى أشركوهم في أماناتهم ، فجاهدهم ولا ترض دنية ولا خسفاً ، فإن علياً لم يجب إلى الحكومة حتى غلب أمره فأجاب ، وإنهم يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل ، فلما حكم بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتاه أجله ، فجاهد أعداء الله ورسوله حتى يحول الموت دونك والسلام .

فلما وصل كتاب ابن عباس للحسن وقرأه ، قال : لقد نصح ابن عباس فيما يراه ، ولكن هيهات أن أخالف سنة سنها رسول الله وأمير المؤمنين بعدهما طلباً لالتماس دنيا ، فإن في الحق سعة عن الباطل ، ثم أن الحسن لما بلغه توجه معاوية إلى العراق وأنه قد بلغ جسر منبج ، تحرك وبعث حجر بن عدي ، فامر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ، ونادى مناديه الصلاة جامعة ، فأقبل الناس يجتمعون من كل جانب ومكان ، وقال الحسن : إذا اجتمعت جملة الناس فاعلمني ، فجاء سعيد بن قيس الهمداني وقال له : أخرج ، فخرج الحسن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه ، ثم قال :

أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً ، وقال لأهل الجهاد من المؤمنين ﴿اصبروا فإن الله مع الصابرين﴾(١) فلستم تنالون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ، وقد بلغني أن معاوية رأس المنافقين وابن عدو الله ورسوله بلغه أنا أزمعنا على المسير فتحرك لذلك ، وأنه بلغ جسر منبج ، فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة ، حتى ننظر ونرى وترون .

قال وانه في كلامه ليتخوف خذلان الناس عنه لما يعلم ما في قلوبهم من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى ، قال : فسكتوا ، فما تكلم أحد منهم ولا أجابوه بحرف واحد ، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم الطائي قام وقال : أنا ابن حاتم يا سبحان الله ما أقبح هذا المقام ، ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم ، أين

⁽١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٦ .

خطباء ربيعة ومضر الذين ألسنتهم كالمخاريق ، فإذا جد الجد فيراوغون كالثعالب ؟ أما تخافون مقت الله ؟ أما تخشون عيبها ولا عارها ؟ ثم استقبل الحسن بوجهه وقال : أصاب الله بك المراشد ، وجنبك المكاره ، ووفقك لما تحب وترضى ، يا بن رسول الله قد سمعنا مقالتك إلى أمرك ، وسمعنا لك فيما قلت وما رأيت ، فهذا وجهي إلى معسكري ولا أزجع إلى منزلي ، فمن أحب أن يواتيني فليواف معى .

ثم مضى لوجهه وخرج من المسجد ودابته بالباب ، فركبها ومضى إلى النخيلة ، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه من الزاد ، وبفرسه وبلامة حربه ، فالحقه غلامه بذلك ، فكان عدي بن حاتم أول الناس معسكراً ، وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومغفل بن قيس الـرياحي ، وزيـاد بن خصفة التيمي ، فأنبوا القوم ولاموهم على التثاقل ، وحرضوهم على الخروج إلى الجهاد ، وكلموا الحسن بمثل كـــلام عـــدي بن حــاتم في الإجــابــة والقبــول ، وقــال لهم الحسن : صدقتم ، ما زلت أعرفكم بحسن النية ، والـوفاء ، والقبـول ، والنصية ، والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيراً ، ثم نزل وأمر إخوتـه بالتجهـز فتهيؤا ، وخرج الناس إلى معسكرهم ، ونشطوا بعد تكاسلهم ، وخرج الحسن والحسين وإخوته إلى المعسكر، واستخلف على الكوفية المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمره أن يحث الناس على الخروج . فجعل المغيرة يحثهم ويخرجهم حتى تكامل العسكر ، وكان غالب من معه من أخلاط الناس بعضهم خوارج محكمة يؤثرون معاوية على كل حال ، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم ، وبعضهم شكاك ، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين ، وليس معه من شيعة أبيه إلا فرقة قليلة ، بعض من الأنصار وبعض من همدان وإخوته وأهل بيته .

فسار الحسن في عسكر عظيم وعدة حسنة ، حتى نزل دير عبد الرحمن ، فأقام فيه ثلاثة أيام ، حتى اجتمع الناس ، ثم دعى عبيد الله بن العباس ، فقال

له : يا ابن العم إني أبعث معك إثنا عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء المصر ، كل رجل منهم يرد الكتيبة ، فسر بهم وألن لهم جانبك ، وابسط لهم وجهك ، وافـرش لهم جناحـك ، وادنهم من مجلسك ، فـإنهم بقية ثقــاة أمير المؤمنين ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفلوجة ، ثم تصير بمسكن ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك ، فإنى على أثرك وشيك ، وليكن خبـرك عندي كـل يوم ، وشــاور هذين في أمــورك كلها ، يعنى قيس بن عبادة وسعد بن قيس الهمداني ، فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك ، فإن فعل فقاتله ، فإن أصبت فقيس بن سعد على الناس ، وإن أصيب قيس بن سعد فسعد بن قيس على الناس ، فسار عبيد الله بن العباس بالجيش حتى أتـوا شينور ، حتى خـرج إلى شاهي ، ثم لـزم الفرات والفلوجـة حتى اتى إلى مسكن ، وأخذ الحسن في مسيره ببقية من الناس على حمّام عمر ، حتى أتى دير كعب ، ثم ديار بكر ، فنزل ساباط دون القنطرة ، ولما وصل إلى الحبونية قرية من قرى مسكن بجيشه ، حتى نزل بأزاء معاوية ، فلما كان من الغد توجه بخيله إليهم ، فخرج إليهم عبيد الله بن العباس بمن معه ، فضربهم حتى ردهم إلى مصافهم ؛ فلما عرف معاوية أن لا مطمع له في التوجه إلى العراق وهم من دونه ، أرسل إلى عبيد الله بن العباس ، فقال له : إن الحسن قــد أرسلني في الصلح وهـو مسلم الأمــر إلى ، فـإن دخلت الأن في طــاعتى أعطيك ألف ألف دينار اعجل لك نصفها الآن ، والنصف الآخر إذا دخلت الكوفة ، أو الشام ، فأقبل عبيد الله بن العباس ليلًا ، فدخل في عسكر معاوية ، فوفي له معاوية بما وعده ، وأعطاه الدراهم التي ضمنها ، وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله ليصلي بهم صلاة الصبح فلم يخرج ، حتى أصبحوا فـطلبوه فلم يجدوه ، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ، ثم فتشوا عن خبر عبيد الله فوجدوه قد لحق بمعاوية ، فكتب قيس بن سعد إلى الحسن يخبره بخبر عبيد الله وما فعل من لحوقه لمعاوية ، وقام قيس بن سعد خطيباً فيهم فثبطهم ، ثم ذكر عبيد الله بن العباس فنال منه ، وقال : ألا تعجبون من ابن عم رسول الله كيف اتبع هواه وغرته دنياه ، فترك بيعة الحسن ابن بنت رسول الله وخير الخلق بعدهم ، ودخل في حزب هذا الطاغي المنافق ، أيها الناس لا يحملنكم ما فعل على الشك في الحق والوقوع في الباطل ، فإن الدنيا لها طالب ، والأخرى لها طالب ، فنسأل الله تعالى بمنه أن يجعلنا وإياكم من الطالبين لما عند الله من الكرامة ، والأخرة خير وأبقى .

ثم أمرهم بالصبر والنهوض على العدو ، فأجابوه بالطاعة ، وقالوا له : انهض بنا إلى عدونا على اسم الله تعالى ، فنزل ونهض بهم ، فخرج لهم بسر بن أرطأة ، فصاحوا : يا أهل العراق ويحكم هذا أميركم عندنا ، وإمامكم الحسن قد دخل في طاعتنا فعلام تقتلون أنفسكم ، فقال قيس بن سعد لأصحابه اختاروا إحدى اثنتين إما أن تقاتلوا بلا إمام وإما أن تبايعوا بيعة ضلال ، فخرجوا وضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم .

فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويعده ويمنيه ، فكتب إليه قيس والله لا تلقاني أبداً إلا بيني وبينك الرمح والسيف ، فكتب إليه معاوية لما يئس منه :

أما بعد فإنك يهودي ابن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك ، فإن ظهر أحب الفريقين إليك نبذك وعزلك ، وإن ظهر أبغضهم إليك نكل بك وقتلك ، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ، ورمي غير غرضه ، فأكثر الحز وأخطأ المفصل ، فقتله قومه ، وأدركه يومه فمات بحوران طريداً غريباً والسلام .

فكتب إليه قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه :

أما بعد ، فإنك وثن ابن وثن ، دخلت في الإسلام كرهاً ، فأقمت فيه فرقاً ، وخرجت منه طوعاً ، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً ، لم يقدم إسلامك ، ولم يحدث نفاقك ، ولم تزل حرباً لله ولرسوله ، وحزباً من أحزاب المشركين ، وعدواً لله ولنبيه والمؤمنين من عباده ، وذكرت أبي ، فلعمري ما أوتر إلا قوسه ،

ولا رمى إلا غرضه ، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه ، وزعمت أني يهودي ابن يهودي ، وعلمت وعلم الناس أني وأبي أعداء الدين الذي دخلت فيه ، وأنصار الدين الذي خرجت منه وصرنا إليه والسلام .

فلما قرأه معاوية أغاظه وأراد إجابته ، فقال عمرو بن العاص : مهلاً فإنك إن كتبته أجابك بأشد من هذا ، وإن تركته دخل في ما يدخل فيه الناس ، فأمسك عنه ، ثم كتب معاوية إلى الحسن (ع) كتباً متعددة يطلب منه الصلح وأن يجعل الأمر له ، وشرط له شروطاً كثيرة ، ثم أرسل إليه كتب الأشراف من أهل الكوفة ورؤساء القبائل يعدونه بالنصر والغدر بالحسن وتسليمه وأهل بيته إلى معاوية .

ودس معاوية إلى عمرو بن حريث ، والأشعث بن قيس ، وإلى حجر بن الحر ، وشبث بن ربعي دسيساً ، وأفرد كل واحد بعين من عيونه ، إنك إن قتلت الحسن بن علي بن أبي طالب فلك مائة ألف درهم ، وجند من أجناد الشام ، وبنت من بناتي ، فبلغ الحسن ذلك ، فاستلام ولبس درعاً وكفرها ، وكان يحترز ولا يتقدم بهم في الصلاة إلا كذلك ، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من الدرع المستور ، ثم قدم إلى الحسن خبر عامله زياد ، أنه استماله معاوية ، واستخلص بيعته وبيعة فارس ، فعلم الحسن (ع) أن أصحابه خذلوه وكرهوا مقامه فيهم ، فقام خطيباً صبح ليلة نزوله ساباط ، ليمتحن أصحابه ويختبر أحوالهم وطاعتهم ، ليميز أوليائه من أعدائه ، ويكون على أصحابه ويختبر أخوالهم وطاعتهم ، ليميز أوليائه من أعدائه ، ويكون على فصعد المنبر ، فخاطبهم وقال :

الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسول ارسله بالهدى ودين الحق ، وائتمنه على الوحي ، أما بعد ، فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خلق الله لخلقه ، وما أصبحت حاملًا على أمرىء ضغينة ، ولا مريداً

له بسوء ولا غائلة ، وإنما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة ، وإني ناظر لكم خير من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا على أمري ، ولا تردوا على رأيي ، غفر الله لكم وأرشدني وإياكم لما فيه من المحبة والرضى .

قال: وكان غالب من معه من جنده محكمة وأصحاب فتن ، فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا: نظن أنه يريد أن يصالح معاوية ويسلم إليه الأمر ، فقالوا: كفر والله الرجل ، فشدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فانتزع مطرفه عن عاتقه ، فبقي واقفاً متقلداً سيفاً بغير رداء ، ثم دعى بفرسه فركبه ، وأحدق به أخوته وخاصته وشيعته ، ومنعوا عنه من أراده ، ودعى من معه ربيعة وهمدان فطافوا به ومنعوه ، فسار ومعه شوب من شيعته ، فلما مر في مكان مظلم بساباط ، بدر إليه رجل من بني أسد اسمه الجراح بن سنان لعنه الله ، فأخذ بلجام فرسه وبيده مغول ، فقال : الله أكبر العظم ، فاعتنقه الحسن وخرا جميعاً إلى الأرض ، فأكب عليه رجل من شيعة الحسن يقال له زيد بن حفصة التيمي فرضخ رأسه بحجر ، وخضخضه عمارة البن ظبيان(۱) بخنجر فمات الجراح من ساعته لا رحمه الله تعالى ، وقتل شخص ملعون كان يساعده ، وحمل الحسن على سريره إلى المدائن ، فبقي في المدائن أياماً كثيرة لمعالجة جرحه .

وأرسل إلى طبيب نصراني يعالجه ، فلما برىء جرحه ، أخرج كيساً فيه خمسمائة دينار وصبها بين يديه وقال له : يا أخا النصارى خذها ونحن نعتذر إليك لأنا على طريق وقد نهب أعداء الله فسطاطنا ، فضحك النصراني وقال له : يا ابن رسول الله أتدري منذ كم أتوقع قدومكم ؟ منذ فتح سعد بن أبي

⁽١) في رواية أخرى ظبيان بن عمارة .

وقاص المدائن وأخذت العرب الجزائر ، وقع في يدي كتاباً بالسريانية من بعض كتب تلامذة المسيح ، وفيه لولده : أن العام الفلاني يأتي بلدكم هذه أبناء رسول الله المبعوث في آخر الزمان ، وبالأكبر منهم جراحة ، وهو مطلوب من الأعداء فإذا لقيته يا بني فاقرأه مني السلام وقل لهما لا ينسياني من الشفاعة عنــد الله تعالى وعند جدهما رسول الله يوم القيامة ، فما برحت أحسب الليالي والأيام حتى كانت ساعتي تلك ، فقلت : إن كان الكتاب صادقاً الساعة يشرف ابناً رسول الله ، فما أتممت كـلامي إلا والمختار يـدعوني ويقـول لي : يقول لـك عمى إنه قد نزل بنا أبناء رسول الله وبالأكبر منهما جراحة ، فقلت : الله أكبر هذا هو الحق ، فكل ما أعطيتنيه يا مولاى هدية منى إليك فاقبلها منى بحق جدك رسول الله ، وإنكم أولياء الله وخلفائه ، وأنـا أشهـد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك لـه ، وأن محمداً رسـول الله وأنتم خلفاؤه في أرضـه ، فـلا تنسـاني من الشفاعة ، فقبلها الحسن وقال أنت شمعون المدعو ببطرس الأكبر ، رزقك الله عشرين ولداً ذكراً . قال : نعم ، قال : ثم دخلت عليه أم كلثوم فرأته مريضاً ، فبكت وقالت : يا اخي بأبي أنت وأمي أخبرني ما أنت عازم عليه ، وقد علمت أهل الكوفة وغدرهم ومكرهم وخذلانهم لك ، فقال (ع) : أسير إلى الحجاز وفارس واليمن واستمد بالعساكر ، فقالت : أما فارس فقد ذهب بها زياد واستخلفها لمعاوية ، وأما الحجاز واليمن فإنهم يرون رأي عثمان ، فإن وفوا لك بلسانهم فهم أغدر بقلوبهم ، فأدركته رقة فبكي ، فسمع الحسين وأخوه محمد بن الحنفية بكاه فأتياه حافين متقلدين بسيوفهما ، فقال لـ الحسين (ع) : مالك تبكي لا أبكى الله لك عيناً أتبكي من غدر أهل الكوفة بك ؟ والله إنهم أهل غــدر ونفاق ، ثم قال : يا قنبر على بسيفي ودرعي ، فوحق تربة جدي وأبي لئن أمرتني لا شربت بارد الماء ، ولا تـوسدت وسـاداً حتى أفني أهل الكـوفة ، أو ألاقي حمامي ذون ذلك ، فما على المرء المسلم من غضاضة إذا قتـل في سبيل الله . ثم قال له محمد بن الحنفية بمثل ذلك فتجلى عنه بعض ما يجده ، وقال : إن لله أمراً هو بالغه ربنا يفعل ما يشاء ويريد ، ربنا تبارك وتعالى كـل يوم

هو في شأن .

ولما وصل خبر طعن الحسن ونهبه إلى معاوية سر سروراً عظيماً ، وأشاع ذلك في عسكره وعسكر قيس الذي هم لمرابطته ليزعزع قلوبهم ويرهبهم ، وجعل أصحاب الحسن الذين مع قيس يتسللون إلى معاوية ، فكتب قيس بذلك للحسن ، فخطب الناس ووبخهم وقال : خالفتم أبي حتى حكم وهو كاره ، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم فأبيتم ، حتى صار إلى كرامة الله عز وجل ، ثم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت ، وقد بلغني خبر وهو أن أهل الشرف منكم أتوا معاوية فبايعوه ، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي .

وأما قيس فلم يلتفت إلى كلام معاوية وقال: لا أفارق هذا المكان حتى يأذن لي الحسن بالانصراف ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : ألا إن أردت منهم الصلح وتسليم الأمر فاطلب منه ذلك ، لأني أرى أنهم قد اختلفت كلمتهم وذهبت نارهم ، فكتب معاوية إلى الحسن كتاباً يقول فيه :

أما بعد ، فإن الله يفعل في عباده ما يشاء ﴿ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ﴾ (١) ، وإني أرى لك يا حسن أن تدخل في طاعتي ولك الأمر من بعدي ، ولك في بيت مال العراق من مال بالغ ما بلغ تحمله إلى حيث شئت ، ولك خراج أي كور أردت في العراق معونة لك على نفقتك يجبيها أمينك ويحملها إليك في كل سنة ، ولك أن تستولي بالأشياء ، ولا تقضى دونك الأمور ، ولا تعصى في أمر أردت ، أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب ، واحذر يا حسن أن تكون منيتك على أيدي رعاع الناس ، فأبوك من قبلك الأسد الباسل ، وقد أفسدوا عليه أمره ، فأيس من أن يجد فينا عزة ، وإن أنت أعرضت عما أنت عليه وبايعتنى ، وفيت لك بما وعدت ، وأجريت لك ما

⁽١) سورة الرعد ، الآية: ٤١ .

اشترطت ، وأكون في ذلك كما قال قيس بن تغلبة :

وإن أحد أسدى إليك أمانة فاوف بها تدعى إذا مت وافيا ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفه إن كان في المال فانيا

ثم الخلافة لك من بعدي فأنت أولى الناس بها والسلام .

وأرسل له الكتاب مع رجلين من بني عبد شمس أحدهما عبد الرحمن بن سمرة ، والآخر عبد الله بن عامر ، فقدما على الحسن (ع) ، وعرضا عليه الكتاب ، ورغباه في الأمر ، وهونا عليه الخطب ، فلما رأى الحسن خذلان أصحابه وتفرقهم عنه واستحلالهم دمه ونهبهم فسطاطه وماله ، وكتاباتهم لمعاوية في استحثاثهم في المسير إلى الكوفة ليسلموا له الحسن وإخوته ، ورأى أنه لم يبق معه إلا فرقة قليلة من أهل بيته وخاصته وشيعته وشيعته أبيه ، لا يقومون بقتال أهل الشام والعراق ، أشفق على نفسه وعياله وشيعته ، فأذعن لصلح معاوية وتسليم الأمر إليه ، وأشرط على الرجلين شروطاً كثيرة ، وأرسل معهما عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وكانت أمه هند بنت أبي سفيان أخت معاوية [وكان] يستوثق منه ، فقدما على معاوية فرضي بذلك كله ، وقال للرجلين المذكورين : اذهبا واضمنا له بكل ما شرط واعطياه عني العهود والمواثيق ، وكتب الحسن (ع) بيده كتاب الصلح :

بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين ، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين الصالحين ، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده ، بل يكون الأمر بعده شورى بين المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا في أرض الله في شامهم ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا في أرض الله في شامهم ، وعلى أن لا يتعرض لسب على ، ولا لأحد من أشياعه وأتباعه ، وعلى أن أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ، ونساءهم ، وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله

وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بما أعطاه الله من نفسه بالوفاء ، وعلى أن لا يبتغي للحسن ، ولا لأخيه الحسين ، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة سراً ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق ، شهد الله عليه وكفى بالله شهيداً ، ويشهد به فلان وفلان والسلام .

وسمى معاوية ذلك العام عام الجماعة ، لاجتماع الناس عليه ، ثم دفع الكتاب إلى رسولي معاوية فسار به ، ثم أراد معاوية التوجه إلى العراق فمنعه قيس بن سعد أشد المنع ، وقال : لا أدعك تسير حتى تأتيني من الحسن كتاباً يدل على خروجي عنك ، فكتب معاوية إلى الحسن كتاباً يقول فيه : لقد أديت الأمانة وبذلت النصيحة ، فجزاك الله خيراً ، فإذا قدم عليك كتابي هذا ، فائت بعسكرك إلى الكوفة ، فإنى سائر لها والسلام .

ثم سار الحسن (ع) من المدائن مع شيعته الذين بقوا معه ودخل الكوفة ، ورجع قيس بن سعد بن عبادة إلى الكوفة وعسكره ، ثم أتى معاوية بعسكره إلى الكوفة وضرب فسطاطه بالنخيلة قبل دخوله الكوفة ، فخرج أشراف أهل الكوفة وأمراؤها يتلقونه ، فقام خطيباً فيهم وخطب خطبة طويلة لم ينقلها الرواة تامة ، وجاءت مقطعة ، ولنذكر ما انتهى إلينا منها . قال الشعبي أن معاوية قال في خطبته بالنخيلة :

أيها الناس ما اختلف أمر أمة بعد نبيها إلا وظهر أهل باطلها على أهل حقها . ثم انتبه وندم وقال : إلا هذه الأمة فإنها وإنها ، ثم قال ألا وإن كل شيء أعطيته الحسن ، وكل شرط شرطته له فهو تحت قدمي لا أفي له منه بشيء ، ثم قال : يا أهل الكوفة والله ما قاتلتكم ، لا لتصلوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتزكوا ، ولا لتحجوا ، وإنكم لتفعلون ذلك ، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، فأعطاني الله ذلك وأنتم كارهون .

قال وكان عبد الله بن شريك إذا حدث بذلك يقول : هذا والله هـو التهتك

في الدين ، قال : ثم أن معاوية قوض من النخيلة ودخل الكوفة ودخل الجامع ، فأذن للناس بالحضور ، فاجتمع الناس ، فصعد المنبر وخطب خطبة طويلة أكثر فيها من الافتخار والتكبر ، ثم قال للحسن : قم يا حسن واصعد المنبر وأخبر الناس بما جرى بيني وبينك من الصلح ، فقام الحسن (ع) وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبي فصلى عليه ، ثم قال :

إن أكيس الكيس التقي ، وإن أحمق الحمق الفجور ، وإنكم لو طلبتم ما بين جابلقا إلى جابرصا رجلاً جده رسول الله لم تجدوا غيري وغير أخي الحسين ، وقد علمتم أن الله تعالى هداكم بجدي رسول الله ، وأنقذكم من الضلالة ، ورفعكم من الجهالة ، وأعزكم بعد الذلة ، وكثركم بعد القلة ، وأن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه ، فنظرت إصلاح الأمة وقطع الفتنة ، وإن كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت ، فرأيت أن أصالح معاوية وأضع الحرب بيني وبينه ، ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ، ولم أرد بذلك إلا إصلاحكم ﴿ وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ﴾(١) .

ثم نزل عن المنبر وحضر يوماً المسجد وفيه معاوية وعمرو بن العاص وجماعة من بني أمية ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : لو أمرت الحسن يخطب على المنبر بمجمع من الناس ، فربما يحصل له حصر فيكون أنقص لحظه بين الناس ، فقال : نعم ، فقال معاوية : قم يا حسن واخطب الناس ، فامتنع الحسن ، فناشده الله ، فقام الحسن ، فصعد المنبر ، ثم قال :

الحمد لله الذي علا في توحده ، وتفرد في ربوبيته ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، والحمد لله الذي أكرم بنا موضعكم ، وأخرج من الشرك أولكم ، وحقن دماء آخركم ، فبلاؤنا عندكم قديماً ، وحديثنا أحسن حديثاً ، إن شكرتم أو كفرتم . ثم قال : أيها الناس إن رب على كان أعلم بعلي

⁽١) سورة الأنبياء ، الآية: ١١١ .

حين قبضه إليه ، لقد اختصه الله بفضل لم تعدوا بمثله ولم تجدوا مثل سابقته ، فهيهات هيهات ، طالما قلبتم له الأمر حتى أعلاه الله عليكم ، وهو صاحبكم في بدر وأخواتها ، جرعكم رتقاً ، وسقاكم علقاً ، وأذل رقابكم ، وأشرقكم بريقكم ، فلستم بملومين على بغضه ، وأيم الله لا ترى أمة محمد خفضاً ما دامت ساداتهم وقادتهم بني أمية ، ولقد وجه الله إليكم فتنة لم تصدروا عنها حتى تهلكوا ، لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم ، فعند الله احتسب ما مضى وما ينتظر من حسن رعيتكم وحتف حكمكم .

ثم قال: يا أهل الكوفة ، فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله صائب على أعداء الله ، نكال على فجار قريش ، لم يزل آخذاً بحناجرها ، جاثماً على أنفاسها ، ليس بالملومة في أمر الله ، ولا بالسروقة في مال الله ، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله ، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه ، دعاه فأجابه ، وقاده فاتبعه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، صلوات الله عليه ورحمته يوم قبض ويوم يبعث حياً .

فأراد معاوية أن يخجله ويقطع عليه كلامه ، فقال : يا حسن حدثنـا بنعت الرطب كيف يكون ، فقال :

نعم يا معاوية إن الرطب أولاً تلقحه الشمال ، وتخرجه الجنوب ، وتنضجه الشمس ، ويصبغه القمر ، وتنفحه الريح ، والليل يبرده ، والبرودة تحليه وتطيبه ، ثم استمر في كلامه وقال : أيها الناس أنا ابن مروة والصفا ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن من على الجبال الرواسي علا ، أنا ابن من كسى محاسن وجهه الحيا ، أنا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء ، أنا ابن عديمات العيوب ، أنا ابن نقيات الجيوب ، أنا ابن أذكى الورى طراً ، وكفانى بهذا فخراً .

ثم أن معاوية أمر المؤذن أن يؤذن ويقطع عليه كلامه ، فلما قال المؤذن

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال الحسن : يا معاوية محمد أبي أم أبوك ، فإن قلت إنه ليس بأبي فقد كفرت ، وإن قلت أنه أبي فقد أقررت بحقنا ، وأنت تغصبنا ما هو لنا ولا ترد علينا حقنا ؟ فقال له معاوية : يا حسن أنا خير منك ، فقال (ع) : ولم ذلك ؟ فقال : إن الناس أجمعوا علي ولم يجمعوا عليك ، فقال (ع) : هيهات هيهات ، إن هذا لشر علوت به يابن هند ، ألم تعلم أن المجمعين عليك رجلان مطيع ومكره ، فالطائع لك عاص لله ، والمكره معذور عند الله ، وحاشا الله أن أقول أنا خير منك ، لأنك لا خير فيك ، وإن الله تعالى قد برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل ، فهل لك أب كابي تبايعني به ، أو لك قديم كقديمي تساميني به ، فهل تقول نعم يا معاوية ، أو ومن كلام الحسن ، وأدركت معاوية الندامة وقال : أصاب متثبت أو كاد ، وأخطأ عجل أو كاد ، ماذا أردت من خطبة الحسن ، ثم أن معاوية صعد المنبر فخطب خطبة طويلة وذكر علياً ونال منه ، فقام له الحسين ويده في قائم سيفه ، فغطب خطبة طويلة وذكر علياً ونال منه ، فقام له الحسين ويده في قائم سيفه ، فغطب خطبة الحسن بيده وقال :

أيها الذاكر علياً أنا الحسن وأبي علي ، وأنت معاوية وأبوك صخر ، وأمي فاطمة وأمك هند ، وجدي رسول الله وجمدك عتبة ، وجمدتي خديجة وجدتك قتيلة ، فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً وأشرفاً ، قديماً وحديثاً ، وأقدمنا كفراً ونفاقاً . فقالت طوائف من أهل المسجد : آمين .

قال الفضل بن الحسن البصري راوي هذا الحديث: آمين ، وقال يحيى بن معين: آمين ، وأنا أقول: آمين ، وقال علي بن الحسين الأصبهاني: آمين ، وقال عبد الحميد بن أبي الحديد: آمين ، قلت ويقول مؤلف هذا الكتاب: آمين ، ورحم الله عبداً قال: آمين .

ثم خرج الحسن وأخوه الحسين من المسجد ، فدخل عليه وجوه الشيعة وأكابر أصحاب أمير المؤمنين يلومونه على الصلح ويبكون إليه جزعاً مما فعله ،

فروي أنه دخمل عليه سفيان بن أبي الليل النهـدي ، قال سفيـان : فأتيت إليـه وعنده رهط من شيعته وهو جالس بفناء داره ، فقلت له : السلام عليك يـا مذل المؤمنين ، فقال : وعليك السلام يا سفيان انزل ، فنزلت وعقلت راحلتي ، ثم أتيت وجلست إلى جانبه ، فقال لى ؛ كيف قلت يا سفيان ؟ قال : قلت السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال : ما جرى هذا منك إلينا ؟ قلت : أنت والله بأبي وامى أذللت رقابنا حيث أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت له الأمر ومعك مائة الف كلهم يموتون دونك ، فقد جمع الله عليك أمر الناس ، فقال لي : يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا بـ ، وإني سمعت علياً يقـول : لن تنقضي الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرة ، ضخم البلعوم ، يأكمل ولا يشبع ، لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون لـ في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر ، وإنه لمعاوية ، وقد عرفت أن الله بالغ أمره ، ثم أمر المؤذن أن يؤذن ، فقمنا على حالب يحلب ناقة ، فتناول الحسن الإناء وشرب قائماً . ثم سقاني ، وخرج وخرجنا إلى المسجد ، فقال : مـا جاء بك يا سفيان ؟ قلت : حبكم والذي بعث محمد بالحق نبياً بالهدى ودين الحق ، قال : ابشر يا سفيان ، فإني سمعت رسول الله يقول : يرد على الحوض أهل بيتي ومن تبعهم من أمتى كهاتين ، أحدهما تفضل على الأخرى ، ابشريا سفيان فإن الدنيا تسبع البر والفاجر ، حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد ، ولما وصــل خبر الصلح إلى حجـر بن عدي رضى الله عنــه ، اغتم غماً شديداً وأنشأ بهذه الأبيات يقول:

بأن إمام الحق أضحى مسالما أراعي نجوماً خاشع الطرف واجما فإن إمامي كان بالأمر عالماً له وعلى أعدائه كنت ناقما وأعلوا بسيفي هامهم والجماجما عدوك نقرعه العداوة راغما أتاني فريق العال من آل مسكن فما زلت مدنيفاً له بكابة فراجعت نفسي ثم قلت لها اصبري فبلغه عني أنني كنت شيعة أطاعنهم بالرمح في رهج الوغى ونحن لمن سالمت سلم ومن يكن

قال : ثم أتى الحسن ودخل بيته ودخل معه المسيب بن نجبة وعبيدة بن عمر الكندي ، فقال المسيب بن نجبة للحسن : ما ينقضي عجبي منك ، بايعت معاوية ومعك أربعون ألفاً ، ولم تأخذ لنفسك وثيقة وعهداً ، أعطاك أمـراً فيما بينك وبينه . ثم قال : ما سمعت أما والله ما أراد بها غيرك ، فقال الحسن : فما ترى ؟ قال : أن ترجع لما كنت عليه ، فقد نقض ما كان بينك وبينه ، ثم قال : يا مسيب لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر على اللقاء ، ولا أثبت عند الحرب مني ، ولكن أردت إصلاحكم وكف بعضكم عن بعض ، فارضوا بقضاء الله وقدره حتى يستنزيح بنز ويستراح من فناجر ، ودخيل عبيدة بن عمر الكندي على الحسن ، وكان قد ضرب على وجهه ضربة وهو مع قيس بن سعد ، فقال له الحسن : ماذا أرى بـوجهك ؟ فقـال : أصبت مع قيس بن سعـد بن عبادة ، فـالتفت حجر بن عـدي رضي الله عنه إلى الحسن وقــال : لوددت أنك مت قبل هذا ولم يكن ما كان ، إنّا رجعنا راغمين بما كرهنا ، ورجعوا مسرورين بما أحبوا ، فتغير وجه الحسن (ع) وغمـز الحسين (ع) حجراً فسكت حجر . فقال الحسن : يا حجر ليس كل الناس تحب ما تحب ، ولا رأيهم رأيك ، ولا فعلت ما فعلت إلا اتقاء عليك ، والله كل يوم هو في شأن ، يا حجر إن رسول الله (ص) رفع له ملك بني أمية ، فنظر إليهم يعلون منبــره واحداً بعد واحد ، فشق عليه ذلك ، فأنزل الله في ذلك قرآناً ، قال :

﴿ وما جعلنا الـرؤيا التي أرينـاك إلا فتنة للنـاس والشجرة الملعـونـة في القرآن ﴾(١) .

وسمعت أبي علي بن أبي طالب يقول : سيلي أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم كبير البطن ، فسألته من هو ؟ فقال : معاوية ، وقال : إن القرآن نطق بملك بني أمية ومدتهم قال الله تعالى : ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ (٢)

⁽١) سورة الإسراء ، الآية : ٦٠ .

⁽٢) سورة القدر، الآية: ٣.

ولما وقع الصلح بين الحسن ومعاوية انعزل قيس بن سعد بن عبادة ومن معه ، وكان معه أربعة ألاف فارس ، فأبى أن يبايع ، فألزمه معاوية على البيعة وأكرهه على ذلك ، فجاء قيس بن سعد إلى الحسن وقال له : يا ابن رسول الله أنا في حل من بيعتك ؟ قال : نعم ، فانصرف قيس وبايع ، وكان قيس رجلًا طويلًا إذا ركب الفرس المشرف رجلاه تخطان في الأرض وما في وجهه طاقة شعر ، وكان يسمى خصي الأنصار لقلة شعره ، فلما أرادوا إدخاله على معاوية للبيعة قال : إني حلفت لا ألقاه إلا وبيني وبينه الرمح والسيف ، فأمر معاوية بإحضار رمح وسيف ليبر يمينه ، ودخل على معاوية ، فوضع له كرسي وجلس معاوية على سريره والحسن (ع) معه ، فقال له ، أتبايع يا قيس ؟ قال : نعم ، فوضع يده على فخذه ولم يمدها إلى معاوية ، فأكب معاوية على قيس بن سعد بن عبادة حتى مسح يده على يده ، ولم يرفع قيس إليه يده .

ثم أن الحسن (ع) أقام في الكوفة أياماً ، ثم تجهز للشخوص إلى المدينة فدخل عليه المسيب بن نجية وظبيان بن عمارة لوداعه ، فقال الحسن : الحمد لله الغالب على أمره ، لو اجتمع الخلق جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا ، فقال أخوه الحسين (ع) للمسيب : لقد كنت كارهاً لما كان طيب النفس على سبيل أبي حتى أعزم على أخي فاطعنه ، فكانما يجذ أنفي بالمواسي ، ولكنه الإمام وتجب علينا طاعته ، قال المسيب : إنه والله ما يكبر علينا هذا الأمر إلا أن تضاموا وتقصوا وأما نحن فإنهم يطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه ، فقال الحسين (ع) : يا مسيب إنا نعلم أنك تحبنا ، فقال الحسن (ع) : سمعت ابي يقول : سمعت رسول الله يقول : من أحب قوماً كان معهم ، فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع عن المسير فقال : ليس إلى ذلك من سبيل ، فلما كان من الغد خرج (ع) بأهله وإخوته وأولاده وجميع من يليه من من سبيل ، فلما كان من الغد خرج (ع) بأهله وإخوته وأولاده وجميع من يليه من أهل بيته ، وخرج سائراً ، فلما صار بدير هند ، نظر إلى الكوفة وقال :

وما عن قبلا فارقت دار معاشري هم المانعوني حوزتي وذماري

فكأني بلسان حال تلك المنازل حيث عظم عليها لفراقه الخطب النازل وساورها الخطب الهائل القيم الدائم ، فاشتمل عليه الغم المتراكم لفراق تلك الأخلاق المسكية العطرة ، والشمائل الزكية النضرة ، والاستيحاش من الانس بالتهجد في الأسحار والإشراق بالعلوم ، والاذكار بالليل والنهار ، وفقد أياديهم المقلدة أعناق الزمان بالفضل والإحسان ، تبكيهم من قلب ذائب بايد ، وطرف ساجم غير جامد ، ويبدي الشكاية والحنين ، ويدعوهم من قلب حزين ، وينشد ويقول بما قال بعض ذوي العقول :

لقد كنت أبكي والديار أنيسة فكيف وقد شط المزار وروعت إذا غبتم عن ربع حلة بابل ولا هب معتل النسيم ولا سرى وما النفع فيها وهي غير أواهل تنكر منها عرفها فاهيلها نقاضى النوى مني فما لظلاله فحسبي إن شطت بكم غربة النوى فحسبي إن شطت الدار أو نأى لعل الصبا إن شطت الدار أو نأى تمر بنا في الليل وهناً عسى بها أروم بمعتل الصبا بروء علتي فليس بمجد فيك وجدي ولا البكا فيان خف حزن الشاكلات لسلوة

وما ضغنت للطاعنين قفول فريق التداني فرقة ورحيل فيلا سبحت للسحب فيه ذيول بليل على تلك الربوع بليل ومعهدها ممن عهدت محيل غريب وفيها الأجنبي اهيل مقيل مقيل ولا مما جناه مقيل علاج يحول لا يكاد يحول مشالكم أو عز منك مشيل يداوي عليل أويبل غليل وأعجب ما يشفي العليل غليل مفيدي ولا الصبر الجميل جميل فحرني على مر الدهور ثقيل

ثم سار الحسن حتى دخل المدينة ، فأقام بها ملازماً بيته ، كاظماً غيظه ، مسلماً لله أمره ، ثم تـوجه إلى بيت الله الحـرام ، وساق معـه المحامـل ، وحج

بيت الله ماشياً لم يركب قط ، وقد فعل ذلك عشرين سنة .

وروى الكليني مرسلًا عن أبي أسامة ، عن أبي عبدالله الصادق (ع) قال : خرج الحسن إلى مكة ، فلما كان في بعض الطريق ورمت قدماه من المشى ، فقال له بعض مواليه : لـوركبت يا سيـدي لسكن هذا الـورم ، قال : كلا إذا أتينا هذا المنزل ، فإنه سيستقبلك غلام معه دهناً ، فاشتر منه ولا تماكسه ، فقال له مولاه : بأبي أنت وأمي ما قدامنا منزل فيه أحد يبيع هذا الدواء ، قال : بلى فإنه أمامك دون المنزل ، فساروا أميالًا ، فإذا هم بالغلام ، فقال الحسن لمولاه: دونك الرجل خذ منه الدهن وأعطه الثمن، فقال له الأسود: يا غلام لمن أردت هذا اللهن ؟ فقال: للحسن بن علي ، فقال: انطلق بي إليه ، فانطلق به وأدخله عليه ، فقال : بأبي أنت وأمي لم أعلم أنك محتاج إلى هذا الدهن ولست آخذاً له ثمناً ، إنما أنا مولاك ، ولكن ادع الله تعمالي أن يرزقني ولـداً ذكراً يحبكم أهـل البيت ، فإني خلفت أهلي تمخض : فقال (ع) : انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو من شيعتنا ، ثم سار (ع) من ذلك المنزل ، وكان معه رجل من ولد الزبير يتوالاه ويقر بإمامته ، فنزلوا منزلاً يَبحت نخل يابس ، ففرش للحسن تحت نخلة والربيري تحت نخلة أخرى ، فقال الزبيري : لـوكان في هـذه النخلة رطب لأكلنا منه ، فقال الحسن : وإنك لتشتهي الرطب ؟ فقال الزبيري : نعم ، فرفع يده إلى السماء ودعى الله سبحانه وتعالى بكلام لم أفهمه ، فاخضرت النخلة وصارت إلى حالها وحملت رطباً ، فقال الجمال الذي أكتروا منه : سحر والله ، فقال الحسن : يــا ويلك ليس هذا سحر ، ولكنها دعوة ابن بنت نبي مستجابة ، فصعـدوا وصرمـوا ما كان في النخلة وكفاهم وساروا إلى مكة ودخلوها ، وكان معاويـة قد أمـر على الحاج تلك السنة عمروبن العاص ، فلقي عمروبن العاص الحسن في الطواف ، فقال له عمرو : يـا حسن زعمت أن الدين لا يقـوم إلّا بك وبـأبيك ، فقـد رأيت [كيف] أقامـه معاويـة ، فجعله راسياً بعـد ميله ، وبيناً بعـد خفائـه ،

أفرضي الله بفتل عثمان ، أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يطوف الجمل بالطحن ، عليك ثباب كغرقي البيض وأبوك قاتل عثمان ، والله إنه لألم للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك . فقال الحسن : إن لأهل النار علامات يعرفون بها ، المحادة لأولياء الله ، والموالاة لأعداء الله ، والله إنك لتعلم أن علياً لم يرتباب في الدين ، ولا شبك في الله طرفة عين قط ، وأيم الله لتنتهين يا ابن أم عمرو أو لأنفذن في حضينتك بنوافد أشد من القعضبية ، فإياك والتهجم على ، فاني لست ممن عرفت بضعيف الغيرة ولا هش المساسة ولا مرى المآكلة ، وإني من قريش كواسطة القلادة ، يعرف حسبي ونسبي ، ولا ادعى لغير أبي ، وأنت ممن تعلم وتعلم الناس ، تحماكمت فيك رجمال من قريش ، فغلب عليك جزارها ألثمها حسباً وأدناها لـوماً ، فإياك عني ، فإنك رجس ونحن أهل بيت الطهارة ، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً ، فانصرف عمرو حزيناً كثيباً يرعد خوفاً ، فقال له بعض من كان معه من أصحابه: ما لك يا عمرو رعدت وفحمت ؟ فقال له: ذكرت يـا ويلكم بكلامـه شجاعة أبيه علي بن أبي طالب ، فلم أملك على نفسى ، فأنشد يقول : أما حسن يا ابن المذي كان قلبه إذا سار سار الموت حيث يسير

وهل يلد السريبال إلا نظيره وذا حسسن شبه له ونظير

ولكنه لويوزن الحلم والحجى بأمر لقالوا يلبل وتبير

ثم أن معاوية لا زال بعــد الاستقرار بــالأمر يتجبــر في ملكه ويفتــك بشيعة أمير المؤمنين ، ثم انه استلحق بزياد ، وأشاع بإخوته مراغمة لرسول الله ، حيث قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، ثم توصل إلى حجر بن عدي الزاهد العابد، فقتله رحمة الله عليه مع أصحابه، لأنه عرض عليه البراءة من علي بن أبي طالب فأبي فقتله .

وروي أن حجراً دخل على على عند حضور وفساته ، فسالتفت إليه أمير المؤمنين ، فقال لـه : كيف لي بـك يـا حجر إذا دعيت إلى سبي والبـراءة مني ، فقـال : لا والله يا أميـر المؤمنين ، بل أسمـح بنفسي دونك ، فقـال له : وفقت لكل خير يا حجر .

وكان الحسن البصري يقول: أربع خصال في معاوية لولم تكن فيه إلا واحدة لكانت عليه موبقة عظيمة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء، حتى ابتزها أمرها من غير مشاورة مشير، ولا طاعة أهل الدين، وفيهم بقايا الصحابة وأهل الدين والرأي، وإعادته زياد وقد قال رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وتوليته ابنه يزيد رقاب المسلمين وهو سكير خمير، يلبس الحرير، ويلعب بالطنابير، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، ثم ولي العراق زياد وسلطه على شيعة علي، فما زال زياد يتتبع شيعة على قتلاً ونهباً وغيلةً وحبساً وتمثيلاً بهم بأنواع العذاب، ثم نادى منادي زياد بالكوفة: إني ممهلكم ثلاثة أيام، ثم أعرض عليكم البراءة من على بن أبي طالب، فمن أبي ضربت عنقه وقتلت أعرض عليكم البراءة من على بن أبي طالب، فمن أبي ضربت عنقه وقتلت ذويه وأصحابه وأخذت ماله، فأصبحت الشيعة بالكوفة تضج من الحزن والتجأوا إلى الله تعالى، فابتلى الله زياد بقرحة في حلقه فهلك في اليوم والتجأوا إلى الله بروحه إلى النار وبئس القرار.

ثم إنه لما تم الأمر لمعاوية عشر سنين ، عزم أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده ، فنظر في نفسه فرأى أن أثقل الناس عليه مؤنة الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص الزهري . أما الحسن فلن تعدل الناس عنه إلى يزيد ، لانه إبن بنت رسول الله . وأما سعد فإنه من الصحابة أحد الستة أصحاب الشورى ، فتوصل إلى هلاكهما بكل وجه حتى يخلوله الأمر عن منازع ينازعه في ذلك ، فأرسل إلى سعد رجلًا فدس إليه سماً فمات ، ثم عزم على هلاك الحسن بن علي فأرسل إلى الأشعث بن قيس وهو قبل ذلك من حزب علي ، فولاه أذربيجان ، فاقتطع من فيء مال المسلمين مالًا وهرب به إلى معاوية وبقي عنده ، فاستشاره معاوية في هلاك الحسن ، فقال له : الرأي عندي أن ترسل إلى ابنتي جعدة . معاوية في هلاك الحسن وتعطيها مالًا جزيلًا ، وتعدها أن تزوجها من ابنك يزيد ،

وتامرها أن تسم الحسن . فقال معاوية : نعم الرأي ، وليكن أنت الرسول إليها ، فقال : لا بل يكون الرسول غيري ، لأني إذا سرت إليها يستوحش الحسن من ذلك ، فربما فات المراد ، فاستدعى معاوية رجلاً من بطانته وخاصته ، ودفع إليه مائة ألف درهم ، وكتب معه كتاباً إلى جعدة بنت الأشعث ، وأوعدها بالعطاء الجزيل ، وأن يزوجها من ابنه يزيد إذا قتلت الحسن . فسار الرجل ونزل في بعض بيوت المدينة ، وأرسل إلى جعدة سراً ، فأتت إليه ، فدفع لها المال والكتاب الذي من عند معاوية ، فسرت الملعونة بذلك سروراً عظيماً ، وكانت على رأي أبيها من بغض علي بن أبي طالب ، وعلمت أن أباها هو الذي أشار على معاوية بذلك ، فما زالت الملعونة تتربص به الغزة وتنتهز فيه الفرصة والغفلة ، حتى كانت ليلة من الليالي قدم إلى منزله ، وكان صائماً في يوم صائف شديد الحر ، فقدمت إليه طعاماً فيه لبن ممزوج بعسل قد ألقت فيه سماً ، فلما شربه أحس بالسم ، فالتفت إلى جعدة وقال بعسل قد ألقت فيه سماً ، فلما شربه أحس بالسم ، فالتفت إلى جعدة وقال وسخر بك فالله مخزيه ومخزيك .

ثم أنه (ع) لزم البيت وألزم نفسه الصبر وسلم لله الأمر ، فاشتد الأمر عليه ، فبقي طوال ليلته فأكب عليه ولده عبدالله وقال له : يا أبت هل رأيت شيئاً فقد أغممتنا ؟ فقال : يا بني هي والله نفسي التي لم أصب بمثلها ، ثم قال : افرشوا لي في صحن الدار واخرج وزي لعلي أنظر في ملكوت السماوات ، ففرش له في صحن الدار وأخرج فراشه ، فدخل عليه أخوه الحسين فرآه متغيراً وجهه ماثلاً بدنه إلى الخضرة ، فقال له الحسين : بأبي أنت وأمي ما بك فقال له : يا أخي صح حديث جدي رسول الله في وفيك ، فقال له : ما حدثك به جدك وماذا سمعت منه ؟ فبكى الحسن ومد يده إلى أخيه الحسين واعتنقا طويلاً وبكيا بكاءً شديداً ، ثم قال : أخبرني رسول الله أنه قال : مررت ليلة المعراج على منازل أهل الإيمان وبروضات الجنان ، فرأيت قصرين عاليين متجاورين

على صفة واحدة ، لكن أحدهما من الزبرجد الأخضر ، والثاني من الياقوت الأحمر ، فاستحسنتهما وشاقني حسنهما ، فقلت : يا أخي جبراثيل لمن هذان القصران ؟ فقال : أحدهما لولدك الحسن ، والآخر لولدك الحسين ، فقلت : يا أخي لم لا يكونان على لون واحد ؟ فسكت جبرائيل ولم يرد جواباً ، فقلت : لم لا تتكلم ؟ فقال : حياء منك يا محمد ، فقلت : بالله عليك إلا ما أخبرتني ، فقال : أما خضرة قصر الحسن ، فإنه يسم ويخضر لونه عند موته ، وأما حمرة قصر الحسين ، فإنه يقتل ويذبح ويخضب شيبه من بدنه ، فعند ذلك بكيا وضج الناس بالبكاء والنحيب .

وحدث عمر بن إسحاق، قال: دخلت أنا ورجل على الحسن نعوده، فقال: يا فلان سلني ؟ فقال: لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله، ثم نسألك، ثم انه دخل إلى الخلاء، ثم خرج إلينا، فقال: سلني قبل أن لا تسألني، قال: بل يعافيك الله، وأسألك، ثم انه قال: لقد رميت قطعة من كبدي، واني قد سقيت السم مراراً فلم اسق مثل هذه المرة، ثم دخلت عليه من الغد وهويجود بنفسه والحسين عند رأسه، فقال: يا أخي من تتهم ؟ فقال: وماذا تريد منه ؟ فقال: لأقتله، فقال: إن يكن، الذي أظنه فالله أشد نقمة منك وأشد تنكيلا، وإن لم يكن فما أحب أن يؤخذ بي بريء، ثم أن الحسين بكى لما رأى من حال أخيه، فقال له الحسن: أتبكي يا أبا عبدالله وأنا الذي يؤتى إلي بالسم فأقضي به، ولكن لا يوم كيومك، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدك فيقتلونك، ويقتلون بنيك وذريتك، ويسبون حريمك، ويسيرون برأسك جدك فيقتلونك، ويالسبر والتسليم لأمره، والتفويض له، لتنال الأجر الذي وعدنا به، فعليك بتقوى الله، والصبر والتسليم لأمره، والتفويض له، لتنال الأجر الذي وعدنا به، فقال له الحسين (ع) ستجدني إن شاء الله صابراً راضياً مسلماً له الأمر، وأهون علي ما نزل بي أنه بعين الله، فقال له الحسن: وفقت لكل خيريا أبا عبدالله.

ثم أن الحسن (ع) قيام في مرضه أربعين ينوماً ، ثم أنه لما تحقق دننو

أجله ، دعى بالحسين ونصبه علماً للناس ، ودفع إليه كتب رسول الله (ص) وسلاحه ، وكتب أمير المؤمنين (ع) وسلاحه ، وأوصاه بجميع ما أوصى به أمير المؤمنين ، ثم قال له : يا أخي إني مفارقك ولاحق بربي عزّ وجلّ ، وقد سقيت السم ورميت بكبدي في الطشت ، وإني لعارف بمن سقاني السم ومن أين دهيت ، وأنا أخاصمه عند الله ، فبحقي عليك لا تهرق في أمري مل محجمة دماً ، فإذا قضيت نحبي ، فغمضني ، وغسلني ، وكفني ، واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله ، لأجدد به عهداً وميثاقاً ، ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد ، وادفني هناك ، وستعلم يا ابن أمي أن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند جدي ، فيجدون في منعك ، فبالله أقسم عليك لا تهرق في أمري ملء محجمة دماً .

ثم أوصاه بجميع أهله وأولاده ، وما كان أوصى به أمير المؤمنين حين استخلفه وأهله ، ودل شيعته على إمامته ونصبه لهم علماً من بعده ، ثم التفت إلى أولاده وإخوته وأمرهم باتباع الحسين ، وأن لا يخالفوا له أمراً .

ثم أنه لما حضره الموت وكان الحسين (ع) عنده جعل يجود بنفسه ، فقال له أخوه الحسين يعزيه : يا أخي ما هذا الجزع ؟ إنك ترد على رسول الله وعلى علي وهما أبواك ، وعلى خديجة وفاطمة وهما أماك ، وعلى القاسم والطاهر وهما خالاك ، وعلى حمزة وجعفر وهما عماك ، فقال له الحسن (ع) : إني أدخل في أمر لم أدخل في مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثلهم قط . فبكى الحسين .

ثم أن الحسن قال أستودعكم الله ، والله خليفتي عليكم ، ثم أنه غمض عينيه ومد يديه ورجليه ، ثم قضى نحبه وهو يحمد الله ويقول : لا إله إلاّ الله ، فضج الناس ضجةً عظيمةً ، وصار كيوم مات رسول الله ، وخرج أولاده وإخوته يبكون وينوجون ، وأمثل بنو هاشم رجالاً ونساءً يبكون عليه ويدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور .

ثم أن الحسين قام في جهاز أخيه الحسن ، وأمر عبدالله بن العباس وعبدالله بن جعفر أن يناولاه الماء ، فغسّله ، وحنطه ، وكفنه ، كما أمره ، وصلى عليه في جملة أهل بيته وشيعته .

ثم إن والي المدينة سعيد بن العاص أتى وصلى على الحسن ، وأمر الناس بالصلاة عليه .

ثم أنهم حملوه على سريره إلى قبر رسول الله ليجددوا عهداً .

ثم أنه أتى مروان بن الحكم وخرج شاكاً في سلاحه ، ومعه بنو أمية شاكين في السلاح ، وهم لا يشكون أنهم يريدون دفن الحسن عند جده رسول الله ، فتجمعوا ولبسوا السلاح ، فلما توجه الحسين إلى قبر جده أقبلوا في جمعهم ، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول : ما لي ولكم يا بني هاشم ، أتريدون أن تدفنوا في بيتي من لا أحب .

وجعل مروان بن الحكم يقول :

يا رب هيجا هي خير من دعة

أيدفن عثمان في أقصى المدينة ، ويدفن الحسن عند جده رسول الله ؟ والله لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف ، وكادت تقع بينهم فتنة عظيمة بين أمية ، فبادر ابن عباس إلى مروان بن الحكم وقال له : ارجع من حيث جئت ، فإنا لا نريد دفنه عند رسول الله ، لكن جئنا لنجدد به عهداً وميئاقاً عند جده ، ثم نرده إلى قبر جدته فاطمة بنت أسد وندفنه هناك لوصية تقدمت منه ، ولو كان أوصى بدفنه عند جده لعلمت أنك أقصر باعاً عن ردنا عن ذلك ، ولكنه أعلم بالله ورسله وبحرمة قبره أن يطرقه هدم كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير أذنه . ثم أقبل على عائشة وقال لها : واسوأتاه لك ، يوماً على جمل ويوماً على بغل ، تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلين مع أعداء الله ، ارجعي فقد كفيتي ما تحبين ، والله منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين .

ويوم الحسن الهادي على بغلك أسرعت وفي بيت رسول الله بالظلم تحكمت

تجملت تبغلت وان عشت تفيلت لك التسع من الثمن وبالكل تصرفت

وقال: لولا عهد الحسن إليَّ بحقن الدماء وأن لا أهرق في أمره ملء محجمة دماً ، لعلمتم كيف تأخذ السيوف مأخذها منكم ، فلقد نقضتم العهد الذي بيننا وبينكم ، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا وشيعتنا .

ثم أنهم ألقوا السلاح وساروا بالحسن إلى البقيع ، فجاء مروان بن الحكم بعد كف الفتنة ودخل تحت سرير الحسن وحمل جنازته ، فقال له الحسين (ع) : أتحمل اليوم سريره وبالأمس كنت تجرعه الغيظ ؟ فقال مروان : كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

ثم أنهم أوصلوا الحسن (ع) إلى البقيع ، ونـزل الحسين القبــر ومعــه عبـدالله بن العباس وعبـدالله بن جعفر ، وألحـده الحسين ودفنه وخـرج من قبره باكياً حزيناً ، وهو يقول هذه الأبيات :

يا قبر سيدنا المجن سماحة صلى عليك الله يا قبر ما ضرقبر أنت ساكنه أن لا يحل بربعه القطر

ورجع الحسين (ع) إلى منزله وجلس في معزى أخيه الحسن (ع) ، وأقبل الناس من كل جانب ومكان يعزونه ، وبكته نساء أهل بيته ونساء بني هاشم ، وخرجت أم كلثوم ، وكانت أكبر أخواتها تجر ذيلها متجللةً بطرف ردائها ، وهي تنشد وتقول :

أخي حزني عليك اليوم باق أخي والله لا أنساك حسسى عدمت تصبري فذعنت عني يذكرني طلوع الشمس صنوي

ويومي في التحس مشل أمسي أوسد في الشرى وأحمل رمسي فاصبح ثاكلًا عبري وأمسي وأمسي وأدكره بكل غروب شمس

ولولا كشرة الباكين حولى على إخوانهم لقتلت نفسي ولا يبكمون ممشل أخي ولمكن

أسلى النفس عنه بالتأسى

ثم أقبلت زينب بنت علي (ع) وشهقت شهقةً كادت روحها أن تخرج منها ، وبكت بكاءً شديداً حتى غشى عليها ، فلما أفاقت من غشوتها بكت وقالت:

> أخى إن كنت قد أبكيت عيني بكيتك في نساء معولات دفعت بك الخطوب وأنت حي إذا قبح البكاء على قبيل

فقد أضحكتني زمنا طويلا وكنت أحق من يبدى العويلا فمن ذا يهدفع الخطب الجليلا رأيت بكاءك الحسن الجميسلا

وفي رثاء الحسن يقول سليمان بن قبة وكان محبًا له :

ليس لتكذيب نعيمه ثمن لكل حيى من أهله سكن الدار أناس جوارهم غبن أضحوا وبيني وبينهم عدن يسا كسذب الله من نعى حسسنساً كنت خليلي وكننت خالصتي أجسول فسى السدار لا أراك وفسى أبدلتهم منك ليت أنهم

ثم أن محمد بن الحنفية كان غائباً يوم وفاة أخيه الحسن (ع) فقدم في اليوم الثالث من وفاته ، فسمع بموت أخيه الحسن ، فبكى بكاءً شديداً ، ثم أتى للحسين (ع) وهو في المعزى ، فلما رأى الحسين لم يتمالك في البكاء حتى غشى عليه زمناً طويلًا ، فلما أفاق من غشوته قال : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ، لئن سررتني بحياتك فقد أحزنتني بفقدك ، فنعم الكفن كفناً تضمن جسدك ، ونعم القبر قبراً ضم جسمك ، وكيف لا تكون كذلك وأنت ابن مأوى التقى ، وخامس أهل العبا ، ابن خير الأوصياء ، وابن سيدة النساء ، محلك من الشرف وسطاً ، وتقدمت فيه فرطاً ، فلئن كانت نفوساً غير طيبة بفراقك ، فإنها غير شاكية في الخير لك ، صلوات الله وسلامه عليك يـوم تموت ويـوم تبعث حياً .

فحسبك مني ما تجن الجوانح فقد حسنت من قبل فيك المدائح على أحد إلا عليك النوائح ولا بسرور بعد موتك فارح ثم بكى بكاءً شديداً وانشأ يقول: سأبكيك ما دامت عيوني فإن تفض لئن حسنت فيك المراثي ووصفها كان لم يمت حي سواك ولم تقم فما أنا من رزء وإن جل جازع

قال أبو الحسن المدائني : ووصل نعي الحسن من المدينة إلى البصرة في يومين وليلتين ، فقال الجارود بن أبي سبرة :

وإن كان خيراً جسرد السير أربعا بإحدى الدواهي الربد سار وأسرعا

إذا كان شراً سار يوماً وليلة إذا ما بريد الشر أقبل نحونا

وكان أول من نعى الحسن (ع) بالبصرة عبدالله بن أبي سلمة ، نعاه لزياد ، فخرج الحكم بن أبي العاص الثقفي فنعاه ، فبكى الناس وأبو بكرة يومئذ مريض ، فسمع الضجة ، فقال : ما هذا ؟ فقالت امرأته منسية بنت سجام الثقفية : مات الحسن والحمد لله الذي أراح الناس منه ، فقال لها أبو بكرة : اسكتي ويحك فقد أراحه من شر كثير ، وفقد الناس بموته خير كثير . يرحم الله حسناً .

وفي بعض الأخبار أن عبدالله بن العباس كان يسوم موت الحسن (ع) بدمشق ، فلما وصل نعي الحسن إلى دمشق أقبل معاوية إلى ابن عباس ، فقال له معاوية : لا يحزنك الله ولا يسؤك ، ثم جرى بينه وبينه كلام أغلظ فيه ابن عباس لمعاوية ، فقال له : يا معاوية أصبحت سيد قومك ، فقال : أما والحسين حي فلا ، فكان ابن عباس يقول : إن أول ذل دخل على العرب موت الحسن ،

ويحق لي أن أتمثل بهذه الأبيات :

ياحي قومي فاندبين المعولات الخامشات فكان سيل دموعها يبكين سادات أماجد شمم بطارقة خضار المشترون الحمد بالأموال والمجامزون بلجمهم ذكرتني سبط الرسول عنا شديدات الأمور يا سبط لا والله لا أنسا يا سبط لا والله لا أنسا ولمناخ أضياف وأيتام ولمناخ أضياف وأيتام ولما ينوب الدهر في أن يجنحن إلى العزا قلب فلأبكينك دائماً

بسحرة شجو النوائح وجوه حرات صحائح الانضاب تخضب بالذبائح مة مسامح مة مسامح إن الحمد آنح أبداً إذا ما صاح صايح وكان مذرهن المنافح إذا ينوب لهن فادح وأرملة تلامح حرب لحرب فهو لافح حتى أوسد في الصفائح من الجوي بين الجوانح من الجوي بين الجوانح

وكانت وفاة الحسن (ع) في شهر صفر لليلتين بقيتا منه ، وقيل لليال خلت منه ، سنة خمسين من الهجرة .

وقال الشهيد رحمه الله في الدروس: قبض الحسن عام الخميس سابع شهر صفر.

ومثله قال الكفعمي رحمة الله عليه وهو المشهور في زماننا هذا والمعول عليه .

وفي رواية المدائني أنها في شهر ربيع الأول لليال خلت منه .

وكان عمره يوم مات سبع وأربعين سنة وأشهر ، أقام منها مع جده رسول الله (ص) سبع سنين ، أو ثمان سنين من الهجرة ، وقام بالأمر بعد أبيه على بن أبى طالب (ع) وله سبع وثلاثون سنة .

وأقام في خلافته ستة أشهر وثلاثة أيام ، وصالح معاوية بن أبي سفيان إحدى وأربعين ، وانما صالحه وهاونه خيفة على نفسه وأهل بيته وشيعته ، لأن جماعة من رؤساء الصحابة كاتبوا معاوية وضمنوا له تسليم الحسن (ع) ، ولم يكن فيهم من يأمن غائلته ، إلا فرقة قليلة من أهل بيته وشيعته ، لا تقوم بقتال أهل الشام .

وبعث إليه معاوية في الصلح وصالحه على شروط كثيرة منها: أن يترك السب عن علي (ع) ، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد، فأجابه معاوية إلى إذ كتب كتاب الصلح.

ثم خرج الحسن إلى المدينة وأقام بها عشر سنين ، حتى دس إليه معاوية سماً على يد زوجته جعدة بنت الأشعث ، فانتقل إلى رضوان الله تعالى ، فوفى معاوية لها بالمال الذي ضمنه لها وهو مائة ألف درهم ، وطلبت منه أن يزوجها من يزيد فأبى ، وقال : أخاف أن تفعلي بابني كما فعلت بالحسن ، فخلف عليها بعد الحسن رجل من آل طلحة فأولدها ، وكان إذا وقع بينه وبين بطون قريش كلام عيروه وقالوا له : يا ابن مسمة الأزواج ، وابتلاها الله بجنون ونقص في عقلها إلى أن ماتت لا رحمها الله .

في نسبه ووصفه (ع)

وأما ذكر نسبه ووصفه فقد قال محمد بن طلحة الشامي : حصل للحسن والحسين ما لم يحصل لغيرهما ، فإنهما سبطا النبي وريحانتاه ، وسيدا شباب أهل الجنة ، فجدهما النبي ، وأبوهما علي ، وأمهما الطهر البتول فاطمة بنت الرسول .

نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمود

وقال الشيخ على بن عيسى الأربلي في هذا المقام .

إن نسبه هو النسب الذي تضال عنده الأنساب ، وشرفه الذي سجل بصحته الأثر والكتاب ، فهو وأخوه دوحتا النبوة التي طابت فرعاً وأصلاً ، وشعبتا الفتوة التي سمت رفعة ونبلاً ، وانسانا عيني السيادة والفخار ، وسليلي الشرف المذي أظهر الخيلا في مضر ونزار ، وقد اكتنفها العز والشرف ؛ ولازمهما السؤدد ، فما له عنهما منصرف ، وأحاط بهما المجد من طرفيهما ، وتصورا من المجلالة فكادت تقطر من عطفيهما ، وتكونا من الأريحية فهي تلوح من شمائلهما ، وتبدو كما يبدو النهار على مخائلهما ، بدءا الأمثال والأضراب ، فأين الضريب والمماثل ، وترفعا في أوج الفتوة عن العديل والمساجل ، وفاقا في طيب الأعراق ، فعلت سماء

فضلهما عن اللمس ، حتى قيل وأين الثريا من يد المتناول بسبب يتصل من قبل أمهما بمحمد بلا فصل ، أبيهما علي يجتمع في عبد المطلب ، فاعجب لطيب فرع وزكى أصل .

أنتم ذووا النسب القصير وطولكم ناد على الكبراء والأشراف والخمر إن قيل بنت العنب اكتفت بأب عن الألقاب والأوصاف

وأما صفته فانه كان أيضاً مشوباً بحمرة ، دقيق المشربة ، حسن الوجه والمضحك ، ربع من الرجال إلى الطول أقرب ، كان أشبه برسول الله ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه [برسول الله] ما بين الصدر إلى القدمين .

في عدد أولاده (ع)

وأما عدد أولاده فقد قال كمال الدين المفيد رحمه الله خمسة عشر ذكر وأنثى ، زيد بن الحسن وأخته أم الحسن وأم الحسين أمهما أم بشر بنت أبي مسعود بن عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، والحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور الفزارية ، وعمرو وأخواه القاسم وعبدالله بن الحسن أمهم أم ولد ، وعبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد ، والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحة بن الحسن وأختهما فاطمة بنت الحسن أمهم أم إسحاق بن وأخوه بن عبدالله التيمي ، وأم عبدالله وفاطمة الصغرى وأم سلمة ورقية بنات الحسن ، فهن لأمهات شتى .

فأما عبد الرحمٰن ، فإنه خرج مع عمه الحسين إلى الحج وتوفي بالأبواء وهو محرم ، والحسين بن الحسن المعروف بالأثرم كان له فضل وعبادة ولا بقية له ، وطلحة بن الحسن كان جواداً كثير العطاء والصدقات ، وأما عمرو بن الحسن فكان مع الحسين بكربلاء واستشهد ، وعبدالله بن الحسن كان مع عمه الحسين وكان صغيراً لم يسراهق ابن إحدى عشر سنة ، فلما فني أنصار الحسين (ع) وعزم على لقاء الأعداء بنفسه أتى مودعاً لنسائه ، فسمع عبدالله ، وداع عمه الحسين والوصية به ، فلما خرج الحسين من الخيمة لحقه عبدالله فصاح الحسين بالنساء أمسكنه ، فخرجن النساء ليردونه ، فقال : اتركوني فوالله فصاح الحسين بالنساء أموت دونه ، فانفلت من أيدي النساء ولحق عمه ، فرأى

عبدالله مرة بن فضيل الأزدي وهو هاو إلى الحسين بسيفه ، فنادى يا ابن الزانية أتقتل عمي ؟ فالتفت إليه مرة وضربه بسيفه فاتقاها الغلام بيده فأطنها إلى الساعد ، فصاح عبدالله : يا عماه أدركني ، فحل عليه الحسين كما يحل الصقر على فريسته ، فأتاه وقتل مرة ، ثم وقف (ع) على الغلام وهو يحفص برجليه ، فقال : عزيز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك فلا ينفعك ، صوت كثر والله واتره وقل ناصره ، ولكن هون علي ما نزل بي أنه بعين الله .

وأما القاسم بن الحسن ، فإنه كان مع عمه الحسين بكربلاء ، فلما رأى تفاني أصحاب الحسين وأهل بيته ، أتى إلى عمه واستأذنه في البراز ، فلم يأذن له ، فقال له : يا ابن الأخ أنت العلامة من أخي ، وأريد أن تبقى لأتسلى بك ، فلم يأذن له في البراز ، فجلس حزيناً كثيباً من حر قلبه ، فذكر أن أباه الحسن قد ربط له عوذة في عضده وقال له : يا ولدي إذا وقع عليك أمر شديد وهم عظيم فعليك بحل العوذة وقراءتها والعمل بما تراه مكتوباً فيها ، فقال القاسم لنفسه إني مذكنت إلى الآن لم يصيبني مثل هذا الهم والغم الذي أنا فيه ، فأقبل إلى العوذة وفكها من عضده وقرأها ، وإذا فيها :

يا ولدي يا قاسم أوصيك إذا رأيت عمك الحسين بكربلاء وقد أحاطت به الأعداء ، فلا تبخل عليه بروحك ، وكلما نهاك عن البراز عاوده لتحظى بالسعادة الأبدية .

فلما وقف القاسم على العوذة أتى إلى عمه الحسين وعرض عليه ما فيها ، فبكى الحسين بكاءً شديداً وتنفس الصعداء وأنّ كِمداً ، فقال له : يا ابن الأخ هذه وصية لك من أبيك وعندي وصية أخرى منه لك ولا بد من إنفاذها .

فجاء الحسين (ع) وأخذ بيد القاسم وأدخله الخيمة وطلب عوناً وعباساً ، وقال لأم القاسم : أليس للقاسم ثياب جدد ؟ قالت : لا ، فقال لأخته زينب :

ناوليني الصندوق الفلاني ، فأتت به ، ففتحه وأخرج منه قباء الحسن وعمامته وألبسهما القاسم ومسك بيد ابنته المسماة للقاسم وعقد له عليها وأفرد له خيمة وخرج عنهما ، فعاد القاسم ينظر إلى ابنة عمه ويبكي إلى ان سمع الأعداء ينادون : هل من مبارز ؟ فرمى بيد زوجته وأراد الخروج فجذبت ذيله ومانعته عن الخروج وهي تقول : ما الذي تريده ؟ فقال : أريد ملاقاة الأعداء ، فلزمت ذيله ، فقال لها : خلي ذيلي فإن عرسنا أخرناه إلى الآخرة ، فبكت للذلك بكاء شديداً وانفجع أهل البيت بالبكاء والنحيب ، ثم قالت له : يا قاسم أنت تقول عرسنا أخرناه للآخرة وفي الآخرة بأي شيء أعرفك ، قال : فمسك القاسم يده وضرب بها على ردنه فقطعها وقال : اعرفيني بهذه الردن المقطوعة ، قال : فانفجع أهل البيت بالبكاء والنحيب لفعل القاسم وبكوا ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور .

ثم أن القاسم ركب جواده وخرج للبراز ، فلما رآه الحسين قال له : يا ولدي أتمشي برجلك إلى الموت ؟ فقال : نعم يا عم وكيف لا أمشي برجلي إلى الموت وأنت بين الأعداء وحيداً فريداً لم تجد محامياً ولا معيناً ، روحي لروحك الفدا ، ونفسي لنفسك الوقا .

فعند ذلك برز القاسم إلى الميدان ، ولم يزل يجاهد أعداء الله حتى غلب عليه العطش ، فرجع إلى عمه الحسين وقال : العطش العطش يا عماه ، أدركني بشربة من الماء ، فصبره الحسين وقال له : ما أسرع ما تلقي جدك رسول الله فيسقيك شربة لا تظمأ بعدها أبداً ، ثم أعطاه خاتمه فمصه ، فصار له ماء منه ، فارتوى وانقلب إلى الميدان ، فلم يزل يقاتل وقد جعل همته على صاحب لواء عمر بن سعد ، فاحتاطوا به من كل جانب ومكان بالنبل ، فضربه شيبة بن سعد الشامي بالرمح في ظهره أخرجه من صدره ، فوقع القاسم يخور في دمه ونادى : يا عماه أدركني ، فجاء إليه الحسين وقتل قاتله وحمله إلى الخيمة ووضعه فيها ، ففتح القاسم عينيه فرأى عمه الحسين قد احتضنه وهو

يبكى ويقول :

قتل الله قاتلك يا بني وأصلاه نار جهنم ، يعز على عمك أن تدعوه وأنت مقتول .

ثم أن الحسين (ع) ألقاه على أهل بيته وبكى أهل البيت وابنة عمه تبكي بكاءً شديداً.

أما الحسن بن الحسن (ع) فإنه كان مع عمه الحسين بكربلاء ، فجاهد معه جهاد الأسد الباسل ، وبالغ معه على احتمال الخطب النازل ، حتى أثخن بالجراح ، وبقي ملقى لم يكن به حراك إلى أن قتل عمه الحسين ، وأتى أعداء الله للتجهيز على الجرحى ، فوجدوا الحسن بن الحسن ملقى بين القتلى وبه نفس ، فأرادوا أن يجهزوا عليه ، فعرفه أسماء بن خارجة وكان بينه وبينه خولة ، فمنعهم عنه ، وقال : والله لا أدعكم تجهزون على ابن خولة أبداً .

وكانت أم الحسن بن الحسن خولة الفزارية أمها مليكة أخت أسماء بن خارجة ، فقال عمر بن سعد : اتركوه لأبي حسن ابن أخته ، فترك ، فأخذه أسماء بن خارجة وحمله إلى منزله ، فبقي يعالج جراحاته حتى برىء ورجع إلى المدينة .

وكان الحسن بن الحسن جليلًا ، فاضلًا ، ورعاً ، عالماً ، وكان يلي صدقات رسول الله (ص) بإجازة علي بن الحسين زين العابدين (ع) .

وله مع الحجاج خبر رواه الزبير بن بكار ، قال : وكان الحسن بن الحسن والي على صدقات رسول الله في عصره ، فساير الحجاج يوماً وكان إذ ذاك أمير المدينة ، فقال له الحجاج : ادخل عمر بن علي في صدقات رسول الله ، فإنه عمك وبقية أهلك ، فقال الحسن : لا أفعل ولا أغير شرطا علي ، ولا أدخل فيه من لا يدخله ، فانه جعل الولاية لنسل فاطمة خاصة ، فقال له الحجاج : إذاً أنا أدخله ، فقال الحسن بن الحسن : تنكص عنه ، فصبر حتى غفل الحجاج عنه

ثم خرج من وقته ذلك ، وتوجه إلى عبد الملك بن مروان ، حتى قدم عليه في الشام ، فوقف ببابه يطلب الإذن ، فمر به يحيى ابن أم الحكم ، فلما رآه يحيى مال إليه وسلم عليه ، وسأله عن قدومه ، فأخبره وقال : إني سأنفعك عند عبد الملك ، فلما دخل على عبد الملك قال له : لقد أسرع إليك الشيب يا أبا محمد ، فقال يحيى بن أم الحكم ما يمنعه يا أمير شيبه أماني أهل العراق لقدوم الركب عليه يمنونه الخلافة ، فأقبل إليه الحسن بن الحسن وقال له : بئس الرفد رفدك ، ليس الأمر كما قلت ، ولكنا أهل بيت يسرع إلينا الشيب وعبد الملك يسمع ، فأقبل إليه عبد الملك وقال : هلم لما جئت له ، فأخبره بقول ـ الحجاج ، فقال : ليس ذلك له ، أكتب إليه كتاباً لا يتجاوزه ، فكتب إليه ، ووصل الحسن بصلة فأحسن صلته .

فلما خرج من عنده لحقه يحيى بن أم الحكم ، فعاتبه الحسن بن الحسن (ع) على سوء محضره ، فقال له : هذا الذي وعدتني من رفدك ؟ فقال له يحيى : أيهاً عليك والله لا يزال يهابك ، ولولا هيبتك ما قضى لك حاجة ، والله ما أراد بذلك رفدك .

وروي أن الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين : اختر أيهما شئت ، فاستحى الحسن ولم يرد جواباً ، فقال له الحسين : يا بني إني اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت محمد ، فزوجه بها ، وقبض الحسن بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة ، ولما مات رحمه الله ضربت فاطمة بنت الحسين فسطاطاً تقرأ عنده القرآن ، وكانت تصوم النهار وتقوم الليل ، وكانت تشبه الحور العين لجمالها .

فلما كان رأس السنة ، قالت لمواليها : إذا أظلم الليل قوضوا هذا الفسطاط ، فلما أظلم الليل سمعت قائلاً يقول : هل وجدوا من فقدوا ؟ فأجابه آخر : بل يئسوا فانقلبوا ، فمضى الحسن بن الحسن ولم يدّع ِ الإمامة ، ولا ادعاها له مدع .

وأما زيد بن الحسن ، فإنه كان مع عمه الحسين بكربلاء ، وكان صغيراً لم يراهق ولم يقاتل ، وأخذ أسيراً مع الأسارى ، وسير بـه مع علي بن الحسين وباقي الحرم والأطفال إلى الشام ، وأدخلوا على يزيد في أسوأ حال ومقام .

روي أنه كان ذات يوم جالساً بين يدي يزيد بن معاوية ، وكان ولده خالداً جالساً معه ، فقال يـزيد لـزيد بن الحسن (ع) أتصـارع ابني خالـداً ؟ فقال : لا ولكن اعطه سكيناً واعطني سكيناً وأقاتله ، فقال يزيد بن معاوية : شنشنة أعرفها من أخزم ، هل تلد الحية إلا حية ؟ يريد أن يقتل ابني بمحضري .

ثم أن زيد رجع إلى المدينة مع علي بن الحسين وحرم الحسين وأقام بها ، وكان زيد جليل القدر ، كريم الطبع ، طلق النفس ، كثير البر ، وكان يتولى صدقات رسول الله (ص) ، ومدحه الشعراء وقصده الناس من الأفاق لطلب فضله ، وأسن زيد حتى بلغ تسعين سنة ، وذكر أرباب السير أنه لما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله في المدينة :

أما بعد إذا جاءك كتابي فاعزل زيد بن الحسن عن صدقات رسول الله وادفعها إلى فلان رجل من قومه ، وأعنه على ما استعانك عليه . فعزله عامل سليمان .

فلما تخلف عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بالمدينة :

أما بعد فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سنهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فاردده إلى عمله وأعنه على ما استعانك عليه ، وفي زيد يقول محمد بن بشر الخزرجي هذه الأبيات .

> إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة وزيد ربيع الناس في كل شتوة حمولا لأشتات الديات كأنه

نفى جدبها واخضر بالنبت عودها إذا اختلفت أبسراقها ورعودها سراج الدجى قد قارنته سعودها ومات زيد بن الحسن (ع) ولمه تسعون سنة ، ورثاه جملة من الشعراء وذكروا مآثره وفضله ، وكان ممن رثاه قدامة بن موسى الجهني حيث يقول :

فقد بان معروف هناك وجود به وهو محمود الفعال رشيد سيطلب بالمعروف ثم يعود لملتمس المعروف أين تريد إلى المجد آباء له وجدود وفي الروع عند النائبات اسود له إرث مجد لا يرام تايد كريم يبني مجدهم ويشيد

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى سريع إلى المعتزيعلم أنه وليس بقوال وقد حط رحله إذا قصر الوغد الدني بما به مباذيل للمولى محاشيد للقرى إذا انتحل المجد الطريف نما به إذا مات منهم سيد قام سيد

ومات زيد بن الحسن ولم يدُّع الإمامة ولا ادعاها له مدع .

في أزواجه (ع)

واما أزواج الحسَن فقد تزوج نساءً كثيرة جداً .

قال أبو جعفر محمد بن حبيب الكوفي : لقد تـزوج الحسن وطلق حتى خفت أن يثب عداوة ، وجلس يوماً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وقال :

أيها الناس إن ابني الحسن مطلاق فلا تزوجوه .

فقــال بعض : مــا يمنعنــا مـن تــزويجــه وهــو ابـن رســول الله وابن أمير المؤمنين ، والله لو أراد كل يوم منا جارية ما عددنا ذلك إلا شرفاً .

فممن تـزوج أم إسحاق بن طلحـة بن عبدالله التيمي ، فـولـدت لـه الحسن بن الحسن (ع) الملقب بالأثرم ، وطلحة وأخته فاطمة ، وتـزوج أم بشر بن أبي مسعود الأنصاري ، فولدت له زيـد بن الحسن واختيه أم الحسن وأم الحسين .

وتزوج امرأة من كلب ، وامرأة من بنات عمرو بن إبراهيم المنقري ، وامرأة من بنات عمرو بن إبراهيم المنقري ، وامرأة من ثقيف ، فولدت له عمر ، وتزوج امرأة من بني علقمة بن زرارة وتزوج امرأة من شيبان بن الهمام ، فقال بعض الناس إنها ترى رأي الخوارج ، فقال (ع) : أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم ، وخطب (ع) من رجل ابنته ، فقال الرجل : إني مزوجك ابنتي وأعلم انك مطلاق ، ولكن أنت

خير الناس نسباً وارفعهم جداً وأباً .

وتزوج هند بنت سهيل بن عمر وكانت عند عبدالله بن عامر بن كريز فطلقها ، فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها إلى يزيد ابنه فلقيه الحسن وقال له : ما عندك ؟ فأخبره فقال (ع) له : اذكرني لها ، فأتاها أبو هريرة وأخبرها بالخبر ، فقالت : إني أختار الحسن بن علي ، فتزوجت الحسن ، فقدم عبدالله بن عامر زوجها الأول إلى المدينة ، فقال للحسن : ان لي عند هند وديعة ، فدخل إليها والحسن معه ، فخرجت حتى جلست بين يدي عبدالله بن عامر ، فرق لها رقة عظيمة ، فقال الحسن : الا أنزل لك عنها فأنكما لا تجدا محللاً خيراً مني ؟ قال : لا ، فقال عبدالله : هاتي وديعتي ، فأخرجت له هند سفطين فيهما جواهر ، ففتحهما وأخذ من أحدهما قبضة وترك الباقي .

وكانت قبل عند عبد الرحمن بن غياث بن أسد ، فكانت تقول : سيدهم جميعاً الحسن بن علي ، وأسخاهم ابن عامر ، وأحبهم إلى قلبي عبد الرحمن بن غياث .

قال المدائني: وتزوج الحسن بن علي حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان المنذر بن الزبير يهواها، فخطبها فلم تقبل، فأبلغ الحسن عنها شيئاً فطلقها؛ وخطبها المنذز فأبت وقالت شهرني، فخطبها عاصم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فتزوجها، فبلغه عنها شيئاً فطلقها، وخطبها المنذر بن الزبير فأبت أن تتزوجه، فقيل لها تزوجيه، فقالت: والله لا أفعل شهرني مرتين، والله لا يراني في منزله.

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) إذا عزم على اطلاق امرأة جلس لها وقال لها : يسرك أن أهب لك كذا وكذا ؟ فتقول لا أو نعم ، فإذا قام عنها أرسل إليها بالطلاق .

وعن ابن غفلة قال : كانت عائشة الخثعمية عند الحسن بن علي ، فلما

أصيب علي وبويع للحسن بالخلافة ، قالت : ليهنك الخلافة ، فقال لها : يقتل علي بن طالب وتظهرين الشماتة ، اذهبي فأنت طالق ثلاثاً ، فتلفعت بساحتها وخرجت إلى منزلها ، فلما انقضت عدتها بعث إليها بقية صداقها عشرة آلاف درهم ، فقالت : متاع قليل من حبيب مفارق ، فلما بلغه قولها رق لها وبكى وقال : لولا أني سمعت من جدي رسول الله يقول : أيما رجل طلق امرأة قبل الإقرار وثلاث مبهمة لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، وتزوج جعدة بنت الأشعث لعنها الله التي سقته السم .

قال المدائني : ولقـد أحصيت زوجات الحسن بن علي فكن سبعين غيـر ما نكح لأمهات الأولاد .

في صفات المس (ع)

وأما صفات الحسن في الجود والحلم الراسخ الذي يتعجب له كل موجود فهو بحر الكرم الذي لا يعرف قراره ، ونور العلم الذي أضاء مناره ، وغرة وجه الحكم الذي لا تدرس آثاره .

وقد روي أن فاطمة الزهراء (ع) [قدمت] بالحسن والحسين على أبيها رسول الله في مرضه وقالت: يا رسول الله هذان ابناي فورثهما فقال (ص): أما الحسن فله جودي وحلمي، وأما الحسين فله هيبتي وسؤددي.

فلعمري لقد ظهرت آثار تلك الوراثة وجرى ماء النبوة في مغرسهما فما أكرم تلك الحراثة ، أما هيبة الحسين (ع) وشجاعته فهي التي تذل لها الأبطال الشوس . وتقع لها خاضعة متى ذكرت النفوس ، فهو سيد أهل المروة والاباء ، ولا غرو فجده محمد المصطفى وعلي المرتضى كان له أباً وأماً .

وأما جود الحسن وعلمه فهما لا ينتهيان إلى حد ولا يحدان برسم ولا حد قد بلغ فيها النهاية وجاوز فيها الغاية ، ولقد قاسم ربّه ثلاث مرات حتى أنه كان يعطى من ماله نعلاً ويمسك نعلاً وما استأثر لنفسه دون فقراء المدينة أصلاً .

وروي أنه سمع رجلًا يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف إلى منزله وبعث بها إليه ، وأتاه رجل وسأله حاجة فقال له : حق سؤالك يعظم علي

ومعرفتي بما يجب لك يكبر لدي ، ويدي يعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في جنب الله قليل ، فإن قبلت الميسور ورفعت عنا مؤنة الاحتفال والإهتمام بما أتكلفه من واجبك فعلت ؟ فقال : يا ابن رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية وأعذر على المنع ، فدعى الحسن بوكيله يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال (ع) له : هات الفاضل ، فأحضر خمسين ألف درهم فقال له الحسن بن علي : فبما فعلت بالمائة دينار ؟ قال : ها هي عندي فقال : هاتها ، فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل وقال : هات من يحمله لك ، فأتى الرجل بحمالين فدفع الحسن رداءه لكرا الحمالين فقال له مواليه : والله ما بقي عندنا درهما واحداً فقال (ع) : إني أرجو أن يكون لي عند الله الأجر العظيم .

وحكايات جوده (ع) تضيق بها الأرقام وتكل عن سطرها الأقلام ، وأما حلمه فكفاك ما نطقت به ألسن أعدائه المظهرين له الشنآن ، والمعلنين له بالبغض والعدوان ، فقال مروان بن الحكم لما حمل جنازته قال له الحسين : أتحمل اليوم سريره وبالأمس كنت تجرعه الغيظ ؟ فقال مروان بن الحكم : كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

وروي أنه دخل رجل من أهل الشام المدينة فرأى رجلاً راكباً على بغلة حسنة قال: فلم أر أحسن منه وجهاً ، فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل لي هذا الحسن بن علي بن أبي طالب ، فامتلأ قلبي عليه غيظاً وحنقاً وبغضاً وحسداً على أن يكون لعلي بن أبي طالب ابن مثل هذا الغلام ، فقمت إليه وقلت له: أنت ابن علي بن أبي طالب ؟ قال: نعم فقلت: ابن من ومن وجعلت أشتمه وأنال منه ومن أبيه وهو ساكت لم يرد جواباً ، فاستحيت منه فلما انقضى كلامي ضحك وقال: أحسبك غريباً شامياً ؟ قلت: نعم قال: هلم معي إلى منزلي إن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال رفدناك أو إلى حاجة عاوناك ، فاستحيت منه وعجبت من كرم أخلاقه وانصرفت وقد كنت أحبه ما لا أحب أحداً غيره وبالجملة فكرم أخلاقه لطيب أصله وأعراقه ، فلعمري فهو ثمرة شجرة النبوة

والحائز قصبات السبق بين الأمومة والأبوة ؛ ولله در الشاعر حيث يقول : فما بلغت كف امرء متطاول بها المجد إلا والذي نلت أطول ولا خبر المثنون في الحال مدحة ولا أطنبوا إلا وما فيك أفضل

- فهيهات أن يلحق وصفه سوابق الانكار وأنى يبلغ كنه مجده وقد كلت عن إدراك فضله البصائر والأبصار .

أما حديث أصله فواصفه كواصف شمس النهار و[أما] كرم أخلاقه وفضله فقد بلغت الاشتهار ، وأما حلمه فتدل عنه الجبال الرواسي ، وأما علمه فترد دونه الأبصار وهي خواسي ، فأنى يبلغ من وصفه الغاية ويطلب من تعداد مناقبه النهاية والاقتصار فيما حصل إن شاء الله كفاية .

فصلوات الله عليه وعلى جده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة المعصومين من ذرية أخيه وصلاة دائمة تدوم بدوام الأيام متعاقبة لا تنقضي حتى القيام .

وهذا آخر ما انتهى إلينا من كلام المؤلف على التمام والكمال ونستغفر الله المنان عن الزيادة والنقصان والسهو والنسيان إنه غفور منان والحمد لله حمده وصلى الله على من لا نبي بعده محمد وآله الطيبين الطاهرين .

في زيارته (ع)

السلام عليك يا ابن رسول الله ، السلام عليك يا صفى الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا ابن صفى الله ، السلام عليكم يا حجج الله ، السلام عليك يا نور الله في أرضه وبلاده ، السلام عليك يـا صراط الله في عباده ، السلام عليك أيها الطاهر الزكي ، السلام عليك أيها التقي النقي ، السلام عليك يا أبا محمـد الزكي ورحمـة الله وبركـاته ، أشهـد أنك من دعــاثـم الدين وأركان المسلمين ومعقل المؤمنين ، وأشهد أنك حجة الله على الخلق أجمعين ، لعن الله أمة قتلتك ، ولعن الله أمة ظلمتك ، ولعن الله أمة دفعتك عن مقامك وأزالتك عن مراتبك التي رتبك الله بها ، ولعن الله أمة جحدتك وتـركتك واستبدلت الجبت والطاغوت ، أللهم العنهم جميعاً وعذبهم عذاباً أليماً وأصلهم ناراً وقودها الناس والحجارة ، أللهم صل على الحسن والحسين ابني بنت نبيك صلاة زاكية نامية ، أللهم صل عليهما وآلهما فهما سبطى رسولك وسليله وحبيبه وريحانتا قلبه وثمرتا فؤاده وإماما أمته وحافظا شريعته وكهفا شيعته ولسانا حجت وهاديا خلقك وناصرا دينك وخازنا وحيك وشريكا كتابك وسيدا شباب أهل الجنة وغصنا شجرة النبوة ، أللهم إنهما ولدا في حجر نبيك وحملهما على عاتقه وضمهما كفيه وساءهما موته وقد ناغاهما أمين وحيك وآنسهما وأشبع جوعهما ، أللهم هما ما تزفرا زفرة إلا توجع لهما نبيك المصطفى وأسرعت لهما سيدة

النساء واحتضنهما صدر وصى نبيك ووليك المرتضى وقد ضمهما العبا وطهرهما الدعاء وقد بكت لهما السماء دماً ، أللهم صل عليهما صلاة شريفة تملأ الأرض وأقطارها وابلغهما عني تحيةً وسلاماً ومغفرةً ورضواناً انك ذو الفضل والمن الجسيم ، والسلام عليك يا مولاي وابن مولاي ورحمة الله وبركاته ، السلام عليكم يا أهل التقى ، السلام عليكم ياحجج الله على أهل الورى ، السلام عليكم أيها القوام في البرية بالقسط ، السلام عليكم يا أهل الصفوة ، السلام عليكم يا أهل النجوي ، أشهد انكم بلغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله وكُـذِّبتم وأسيء إليكم فعفوتم ، وأشهـد أنكم أثمة الهـدى الراشـدون طـاعتكم مفترضة ، وأن أقوالكم الصدق وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض ، لم تزالوا بعين الله أنجبكم من أصلاب طاهرة ونقلكم من أرحام المطهرات ، لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء ولم تشرك فيكم الأهواء ، وطبتم وطاب حيكم وميتكم منَّ بكم علينا ديان يوم الدين فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ومن علينـا بموالاتكم معتـرفين تصديقنـا إياكم ، وهـذا مقام من أسـرف وأخـطأ واستكان واعترف بما جنا ورجا بمقامه الخاص وأن يستنقذه بكم من منقذ الهلكي من الردي ، فكونـوا إلى شفعاء فقـد وفدت إليكم إذا زاغت عنكم أهـل الدنيا واتخذوا آيات الله هزواً واستكبروا عنها ، يا من هـو مذكـور لا يسهو ، ودائم لا يلهو ، ومحيط بكل شيء لـك المن على فيما وفقتني وعرفتني ما ثبتني عليه إذ صد عنه عبادك وجحدوا معرفتهم واستخفوا بحقهم ومالوا إلى سواهم ، فكانت المنة لك ومنك علي مع أقوام خصصتهم بما خصصتني به فلك الحمد إذا كنت عنك في مقامي هـذا مذكـوراً مكتوبـاً ، ولا تحرمني مـا رجـوت ، ولا تجبهني فيما دعوت ، والسلام عليكم ورحمة الله وبـركاتـه وأستودعكم الله ربنــا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

ثم تصلي ركعتين وتسبح تسبيح الزهراء ثم تقول :

السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله ، السلام عليك يا وارث نوح نبي

الله ، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله ، السلام عليـك يا وارث مـوسى كليم الله ، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله ، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله ، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ، السلام عليك يا ابن محمد المصطفى ، السلام عليك يا ابن على المرتضى ، السلام عليك يا ابن فاطمة الزهراء ، السلام عليك يا ابن خديجة الكبرى ، السلام عليك يا أخا الحسين الشهيد بطف كربلاء ، السلام عليك يا شبر ، السلام عليك يا شبير ، السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور ، أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله حتى أتاك اليقين ، فلعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ، ولعن الله أمة سمعت بذلك ورضيت به ، يا مولاي يا أبا محمد الحسن الزكي أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله ، أني بكم مؤمن ، وبإيابكم موقن ، وبشرائع ديني وخواتيم عملي ، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وعلى أجسادكم وعلى شاهــدكم وغـائبكم وظاهـركم وباطنكم ، بـأبي أنت وأمي يا ابن رسـول الله يا أبـا محمـد الحسن لقد عظمت رزيتك ومصيبتك علينا وعلى أهل السماوات والأرض فلعن الله أمة أسرجت وألجمت وتهيأت لقتالك يا مولاي وقتال أخيـك الحسين ، ولعن الله جعدة بنت الأشعث ولعن الله الأشعث ولعن الله معاوية وعبيدالله بن زياد ولعن الله من قصدكم بأذيته وبلغ أمنيته فيكم لعنـاً وبيلًا . قصــدتكم بقلبي زائراً ووجهت إليكم سلامي ودعائي مذعجزت عن بلوغ مشاهدكم ولعلمي أنه يبلغكم دعائي وسلامي ، فسلامه وأشرف تحياته توصلكم فأسأل الله تعالى بالشأن الذي لكم عنده ، وبالمحل الذي لكم عنده أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة . (ثم تقول) : أللهم العن معاوية وزياد ويزيد بن معاويـة وعبيدالله بن زياد وآل سفيان وآل مروان ، (ثم تقول) : أللهم العن الأشعث وجعدة بنت الأشعث (مائة مرة) ، (ثم تقول): أللهم صل على محمد وآل محمد (مائة مرة) ، (ثم تسجد وتقول) : أللهم لك الحمد حمد الشاكرين على مصابهم الحمد لله على عظيم رزيتي ، أللهم ارزقني شفاعة نبيك وأولاد نبيك يـوم الورد المورود ، وثبت لي قدم صدق عندهم ، صلوات الله عليهم أجمعين : ثم ترفع رأسك وتدعو بما أحببت والحمد لله رب العالمين .



تأليف العلكّة الدَّيْخ عليم آل الشِيخ سليمَان البِلاَدِي لِلْبِحَرَافِي

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد الله الذي خص محمداً وآله الكرام صفوته من الأنام عليهم أفضل الصلاة وأكمل السلام بالمصائب العظام والرزايا الجسام صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم القيام .

فيقول: فقير ربّه الغني السبحاني حسين بن العالم المقدس الشيخ علي آل المبرور الشيخ سليمان البلادي البحراني عفى الله تعالى عنهم وعن أرحامهم والمؤمنين والمؤمنيات وحشرهم في زمرة ساداتهم الهداة عليهم أكمل الصلوات: إني عازم بعون الله تعالى على جمع نبذة جليلة في هذه الأوراق القليلة مما يتعلق بالإمام الهمام خدين العلل والأسقام وقرين المصائب العظام زين العابدين. وسيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ملأ الخافقين، وقد سميت هذا المعتصر (مثير الوجد والأنين على الإمام زين العابدين) فأقول: ومن الله الكريم أستمد التوفيق لبلوغ المأمول.

هو الإمام الزاهد العابد زين المنابر والمساجد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف السادة الأشراف - إلى آخر ذلك النسب الشريف الغني عن التعريف ، وأمه شاه زنان بنت يزدجرد ، وقيل شهربانو ، وقيل شهربانو ، وقيل شهربانو ، وقيل المها غزالة إلى

غير ذلك مما ورد من أسمائها .

وكان أمير المؤمنين (ع) ولي حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق ، فبعث إليه ببنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، فنحل ابنه الحسين شاهزنان منها ، فأولدها زين العابدين ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر ، فولدت له القاسم فهما ابنا خالة .

روي عنه (ع) أنه كان يقول أنا ابن الخيرتين يعني جده محمداً (ص) وعلياً (ع) وكسرى فهو ابن خيرة العرب والعجم ، ولم يقل ذلك للبذخ والفخر ولكن بياناً للواقع وكأنه نظر إلى قول جده رسول الله (ص) : إن لله من عباده خيرتين فخيرته من العرب قريش ، ومن العجم فارس ، ولقد أحسن من قال من أهل الكمال :

وأن وليداً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التماثم

وكان مولده (ع) بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة فبقي مع جده أمير المؤمنين سنتين ، ومع عمه الحسن اثنتي عشر سنة ، ومع أبيه ثلاثاً وعشرين سنة ، وبعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة وقيل أربعين سنة ، وفي هذه المدة ما تهنى (ع) بعد قتل أبيه وذريه وما جرى عليه بهنى منام ولا لذيذ شراب وطعام ، كان إذا وضع خادمه بين يديه الطعام وقال له : كل سيدي يقول : آكل أم أشرب وقد قتل ابن رسول الله جائعاً عطشاناً .

لا ينبح الكبش حتى يرو من ظمأ ويقتل ابن رسول الله ظمآنا

حدث مولى له (ع) أنه برزيوماً إلى الصحراء قال : فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة ، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه ، وأحصيت عليه ألف مرة وهو يقول : لا إله إلا الله حقاً حقاً ، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً ، لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً وصدقاً ، ثم رفع رأسه من سجوده وان وجهه ولحيته قد غمرا بالدموع ، فقلت له : يا سيدي ما آن لحزنك أن ينقضى ولبكائك أن

يقل ؟ فقال لي : ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً وابن نبي له إثنا عشر ابناً ، فغيب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن ، واحدودب ظهره من الغم ، وذهب بصره من البكاء ، وابنه حي في دار الدنيا ، وأنا رأيت أبي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين ، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي ؟ . لقد تحمل من ارزائها محناً لم يحتملها نبي أو وصي نبي وكنيته (ع) أبو محمد ، وأبو الحسن ، وأبو بكر والأول أشهرها ، وألقابه كثيرة منها زين العابدين .

كان (ع) ليلة في محرابه قائماً يصلي فتمثل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته فلم يلتفت إليه ، فجاء إلى ابهام رجله فالتقمها فلم يلتفت إليه ، فآلمه فلم يقطع صلاته ، فلما فرغ منها وقد كشف الله له أنه شيطان فسبه ولطمه وقال : اخسأ يا ملعون ، فذهب مولياً عنه وقام (ع) إلى تمام ورده فسمع صوتاً لا يرى قائله : أنت زين العابدين ثلاثاً .

وقال ابن عباس : قال رسول الله : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد : أين زين العابدين ؟ فكأني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين يخطو بين الصفوف ، ومنها أنه سيد العابدين .

روي أيضاً أن إبليس تصور له (ع) وهو قائم يصلي في صورة أفعى له عشرة رؤوس محدد الأنياب ، طلع عليه من جوف الأرض من محل سجوده ثم تطاول في محرابه ، فلم يفزعه ذلك ولم يكسر طرفه إليه ، فانقض على رؤوس أصابعه يكدمها بأنيابه وينفخ عليه من نار جوفه وهو لا يكسر طرفه إليه ولا يحول قدميه ، لم يبرح إبليس حتى انقض عليه شهاب محرق من السماء ، فلما أحس به صرخ وقام إلى جانب الإمام (ع) في صورته الأولى ثم قال : يا علي أنت سيد العابدين كما سميت وأنا إبليس ، والله لقد رأيت عبادة النبيين من عهد أبيك آدم إليك فما رأيت مثلك ولا مثل عبادتك ثم تركه وولى وهو في صلاته لا يشغله كلامه .

ومنها السجاد ، قال ابنه الباقر (ع) : إن أبي علي بن الحسين ما ذكر لله نعمة عليه إلا سجد ، ولا دفع الله تعالى عنه سوءاً يخشاه أو كيد كائد إلا سجد ، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد ، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمي السجاد لذلك .

ومنها ذو الثفنات . قال أيضاً ابنه الباقر : كان لأبي في موضع سجوده آثار ناتئة ، أي مرتفعة ، وكان (ع) يقطعها في السنة مرتين في كل مرة خمس ثفنات فسمي ذو الثفنات لذلك ، إلى غير ذلك من ألقابه الشريفة ، فهو سلام الله عليه كما قال ابنه الباقر (ع) فيه : كان أبي يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكانت الربح تميله كالسنبلة وقد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد ، وقد اصفر لونه من السجود ، ورمدت عيناه من البكاء ، ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود ، وورمت ساقاه من القيام ، وفي هذا ما يدل على أنه (ع) أفضل الأنام بعد جده وآبائه صفوة الله السلام عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

وأما مناقبه المنيفة فهي كثيرة لا قدرة لكاتب ولا لعد حاسب على ذكر بعضها ، فلنأتي بنزر قليل منها وأحببت نقل كلام لإمام علماء أهل السنة الفحول ، محمد بن طلحة الشامي الشافعي قاله في الباب المعقود لذكره (ع) في كتابه مطالب السؤول وهذا لفظه :

هذا زين العابدين قدوة الزاهدين وسيد المتقين وإمام المؤمنين ، سمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله ، وسمته تثبت مقام قربه من الله زلفاً ، وثفناته تسجل بكثرة صلواته وتهجده ، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيما درت له أخلاق التقوى فتفوقها وأشرقت له أنوار التأييد فاهتدى بها ، وألفته أوراد العبادة فأنس بصحبتها ، وحالفته وظائف الطاعة فتحلى بحليتها ، طالما اتخذ الليل مطية ركبها لقطع طرق الآخرة وظمأ الهواجر دليلًا استرشد في مسافة المسافرة ، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة وثبت بالآثار المتواترة وشهد له بأنه من ملوك الآخرة . انتهى كلامه .

فمن مناقبه التي لا تعـد ومعاجـزه التي لا تحد مـا روي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال: لما قتل الحسين بن على أرسل محمد بن الحنفية إلى على بن الحسين وخلا به ثم قال : يا ابن أخي قلد علمت أن رسول الله كان جعل الوصية والإمامة من بعده لعلي بن أبي طالب ، ثم من بعده إلى الحسن ، ثم من بعده إلى الحسين ، وقد قتل أبوك صلى الله عليه ولم يوص وأنا عمك وصنـو أبيك من في سني وقـدمتي أحق بها منـك في حداثتـك ، فلا تنـازعني الوصية والإمامة ولا تخالفني ، فقال له على بن الحسين : اتق الله ولا تدعى ما ليس لك بحق ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين ، يا عم إن أبي صلوات الله عليه أوصى إلى . قبل أن يتوجه إلى العراق ، وعهد إلى في ذلك قبل أن يستشهد بساعة ، وهذا سلاح رسول الله (ص) عندي فلا تعرض لها فإني أخاف عليك تنقص العمر وتشتت الحال ، وإن الله تبارك وتعالى آلى أن لا يجعل الإمامة والوصية إلَّا في عقب الحسين (ع) ، فإن أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك . قال الباقر (ع) : وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكة ، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود فقال على بن الحسين لمحمد: ابدأ فابتهل إلى الله تعالى واسأله أن ينطق لك الحجر ثم سله ، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله تعالى ثم دعا الحجر فلم يجبه ، فقال على بن الحسين : أما أنك يا عم لو كنت إماماً ووصياً لأجابك فقال له محمد (رض) : فادع أنت يا ابن أخي ، فدعا الله على بن الحسين بما أراد ثم قال : أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا بلسان عربي مبين من الوصى والإمام بعد الحسين بن على ؟ قال : فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول من موضعه ، ثم انطقه الله بلسان عربي مبين فقال: أللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين بن على إلى على بن الحسين بن على بن أبي طالب ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهم أجمعين فانصرف محمد وهو يتولى علي بن الحسين وقيل: ان محمد بن الحنفية إنما فعل ذلك لإزالة الشكوك في ذلك .

يقول المؤلف: وهذا هو الحق الصحيح لأن محمد هذا رضي الله عنه من أجل العارفين بمراتب الإمامة وأنها لغيره لا له ، وأقوى شاهد على هذا حب أبيه أمير المؤمنين له وتوصية أخويه الحسنين به ، وكذلك أخواه البحسنان (ع) ، فلو كان في علمهم المكتوم أنه يكون فيه ميل عن الحق وانحراف لأظهروا ذلك كما فعلوه مع من ظهر منه الخلاف .

ومن مناقبه الفاخرة الدالة على أنه من سادات الأوصياء وهم العترة الطاهرة أنوار الولاية وأعلام الهداية الذين من تمسك بهم فاز ونجا ، ومن تخلف عنهم غرق وهوى ما روي عن ثابت النباتي قال : كنت حاجاً وجماعة من عباد البصرة مثل أيوب السجستاني ، وصالح المروي ، وعتبة الغلام ، وحبيب الفـارسي ، ومالك بن دينار فلما دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً وقد اشتد بالنـاس العطش لقلة الغيث ، ففزع إلينا أهل مكة والحجاج يسألونا أن نستسقى لهم ، فأتينا الكعبة وطفنا بها ثم سألنا الله تعالى خاضعين متضرعين بها فمنعنا الإجابة ، فبينما نحن كذلك إذ نحن بفتى قد أقبل قد أكربته أحزانه وأقلقته أشجانه فطاف بالكعبة أشواطاً [ثم] أقبل علينا فقال: يا مالك بن دينار ويا ثبابت الغباتي ويها أيوب السجستاني ويا صالح المروي ويا عتبة الغلام ويا حبيب الفارسي ويا سعيد ويا عمر ويا صالح الأعمى ويا رابعة ويا سعدانة ويا جعفر بن سليمان ، فقلنا : لبيك وسعديك يا فتى ، فقال : أما فيكم أحد يجيبه الرحمٰن ؟ فقلنا يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة ، فقال : ابعدوا عن الكعبة ، فلو كان فيكم أحد يجيبه لأجابه ، ثم أتى الكعبة فخر ساجداً فسمعته يقول في سجوده : سيدي بحبك لى إلا سقيتهم الغيث ، قـال : فما استتم كـــلامــه حتى آتــاهـم الغيث كــأفــواه القرب ، فقلت : يـا فتى من أين علمت أنـه يحبـك قـال : لـو لم يحبني لم يستزرني فلما استزارني علمت أنه يحبني ، فسألته بحب لي فأجابني ثم تولى عنى وأنشأ يقول :

من عسرف السرب فلم تسغيب معسرفية السرب فلذاك الشقي

ما ضرد ذا الطاعبة ما نباليه في طباعبة الله ومباذا ليقبي ما يصنع العبد بغيسر التقى

فقلت يا أهل مكة من هذا الفتى ؟ قالوا : هذا علي بن الحسين بن على بن أبي طالب .

ومنها أنه لما حج هشام بن الحكم في حياة أبيه دخل إلى الطواف وجهد أن يستلم الحجر الأسود ، فلم يصل إليه لكثرة زحام الناس عليه ، فنصب له منبر إلى جانب زمزم في الحطيم ، فجلس عليه ينظر إلى الناس وحوله جماعة من أهل الشام ، فبينما هم كذلك إذ أقبل على بن الحسين زين العابدين (ع) يريد الطواف ، فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى عنه الناس حتى أتى الحجر فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يميناً وشمالًا فقال هشام : لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهـل الشام ، وكـان الفرزدق حاضراً فقال للشامي : أنا أعرفه فقال : من هو يا أبا فراس ؟ فقال :

> هذا الذي تعرف البطحاء وطأته هــذا ابن خير عباد الله كلهم ينمى إلى ذروة العـز التي قصـرت إذا رأته قريش قال قائلها يكاد يمسكه عرفان راحته يغضى حياءً ويغضى من مهابت فى كف خيسزران ريحه عبق ينشق نور الهدى من نمور غرتمه مشتقة من رسول الله نبعته هـ ذا ابن فاطمـة إن كنت جاهله الله شرفه قدراً وعظمه وليس قمولك من همذا بضمائسره

والبيت يعمرفه والحمل والحمرم هــذا التقى النقى الـطاهـر العلم عن نيلها عرب الإسلام والعجم إلى مكارم هذا ينتهى الكرم ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم ولا يسكلم إلا حين يستسم في كف أروع في عسرنينه شمم كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم طابت عناصره والخيم والشيم بجده أنبياء الله قد ختصوا جرى بذلك له في لوحه القلم العرب تعرف من أنكرت والعجم

العرز كيل العيز ليلمشقي

كلتا يديه غياث عم نفعهما سهل الخليقة لا تخشى بوادره حمال أثقال أقبوام إذا فدحوا لا يخلف البوعد ميمون نقيبته عم البرية بالإحسان وانقشعت من معشر حبهم دين وبغضهم إن عد أهل التقى كانوا أثمتهم لا يستطيع جواد بعد غايتهم لا ينقص السر بسطاً من أكفهم مقدم بعد ذكر الله ذكرهم من يعرف الله يعرف أولوية ذا من يعرف الله يعرف أولوية ذا

يستو كفان ولا يعدوهما العدم يزينه اثنان حسن الخلق والكرم حلو الشمائل يحلو عنده نعم رحب الدراع أريب حين يعترم عنه الغباوة والإملاق والعدم كفر وقربهم أمن ومعتصم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم ولا يدانيهم قدوم وإن كرموا والأسد أسد الشرى والبأس محتدم سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا في كل بدء ومختوم به الكلم فولدين من بيت هذا أوله نعمم فالدين من بيت هدذا ناله الأمم

قال : فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ثم أخذ الفرزدق وحبسه ما بين مكة والمدينة ، وبلغ علي بن الحسين امتداحه له فبعث إليه بعشرة آلاف درهم فردها وقال : والله ما مدحته إلا لله تعالى لا للعطاء فقال : قد عرف الله لك ذلك ، ولكنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها منه .

ومنها ما روي عن إبراهيم بن أدهم وفتح الموصلي قال كل واحد منهما : كنت أسيح في البادية مع القافلة ، فعرضت لي حاجة فتنحيت عن القافلة فإذا أنا بصبي يمشي فقلت : سبحان الله بادية بيداء وصبي يمشي ، فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له : إلى أين ؟ قال : أريد بيت ربي ، فقلت : حبيبي إنك صغير السن ليس عليك فرض ولا سنة ، فقال : يا شيخ ما رأيت من هو أصغر مني مات فقلت : أين الزاد والراحلة ؟ فقال : نعم الزاد التقوى ، زادي تقواي وراحلتي رجلاي وقصدي مولاي ، فقلت : ما أرى شيئاً

من الطعام معك ؟ قال : يا شيخ هل يستحسن أن يدعوك [انسان] إلى دعوة فتحمل من بيتك الطعام ؟ قلت : لا قال : الذي دعاني إلى بيته هو الذي يطعمني ويسقيني فقلت : ارفع رجلك حتى تدرك فقال : على الجهاد وعليه الإبلاغ أما سمعت قوله : ﴿واللين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾(١) . قال : فبينا نحن كذلك إذ أقبل شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض فعانق الصبي وسلم عليه ، فأقبلت على الشاب وقلت له : أسألك بالذي أحسن خلقك من هذا الصبي ؟ فقال : أما تعرفه هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فتركت الشاب وأقبلت على الصبي وقلت له : أسألك بحق آبائك من هذا الشاب ؟ فقال : أما تعرفه هذا أخي الخضر (ع) يأتينا كل يوم فيسلم علينا ، فقلت له أسألك بحق آبائك لما أخبرتني بما تجوز المفاوز بلا زيد ؟ فقال : بلى أجوز بزاد وزادي فيها أربعة أشياء قلت : وما هي ؟ قال : وعياله ، وأرى الدنيا كلها بحذافيرها مملكة الله ، وأرى الخلق كلهم عبيد الله وإمائه وعياله ، وأرى الأرزاق والأسباب بيد الله ، وأرى قضاء الله نافذاً في كل أمر فقلت : نعم الزاد زادك يا زين العابدين وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة فكيف فقلت : نعم الزاد زادك يا زين العابدين وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة فكيف فقلت : نعم الزاد زادك يا زين العابدين وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة فكيف مفاوز الذنيا .

ومنها ما روي عن الصادق (ع) أنه قال: التصقت يد رجل وامرأة على الحجر في الطواف، فجهد كل واحد أن ينزع يده فلم يقدرا فقال الناس: اقطعوهما قال فبينما هما كذلك إذ دخل علي بن الحسين فأفرجوا له فلما عرف أمرهما تقدم (ع) ووضع يده عليهما فانحلا.

ومنها ما روي عن الباقر (ع) أنه قال : كان عبد الملك بن مروان يطوف بالبيت وعلي بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه ، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه فقال : من هذا الذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت إلينا ؟ فقيل لـه ؟

⁽١) سورة العنكبوت ، الآية: ٦٩ .

هذا علي بن الحسين فجلس مكانه فقال: ردوه إلي ، فردوه فقال: يا علي بن الحسين إني لست قاتل أبيك فما يمنعك من المصير إلينا ؟ فقال: إن قاتل أبي أفسد على نفسه بما فعل دنياه وأفسد عليه أبي آخرته ، فإن أحببت أن تكون كهو فكن فقال: كلا ولكن صل إلينا لتنال من دنيانا فجلس زين العابدين (ع) وبسط ردائه وقال: اللهم أره حرمة أوليائك عندك ، فإذا ردائه مملواً دراً يكاد شعاعها يخطف الأبصار فقال لهم: من ستكون هذه حرمته عند ربّه كيف يحتاج إلى دنياكم ثم قال: أللهم خذها فما لي فيها حاجة ، ومن هذا بعض مقاماته الكريمة ومناقبه الفاخرة المنبئة أنه من ملوك الدنيا وسلاطين الآخرة كيف تغل يداه إلى عنقه ، وتوضع جامعة الأسر على صدره ، ويطاف به وبعماته وأخواته على ظهور الجمال وهن حواسر بعد ذلك العز والجلال .

أشكال بارزة بذل المشل

تتصفح البلدان صورة سبيها تسود من ضرِب السياط متونها

فكلما نظر سلام الله عليه إليهن وهن على ذلك الحال في غايـة الأسـر والإذلال يزداد بكاءه ويعلو شجاه .

ويصيح واذلاه أين عشيرتي وسرات قومي أين أهل ودادي أين الكماة وأين جدي حيدر مردي المقروم وصارع الأساد

فيا بنفسي كم كابد سلام الله عليه من مصائب عظيمة ، وتحمل من رزايا جسيمة تندل لبعضها شامخات الجبال ، وتشيب لقليلها رؤوس الأطفال .

لقد تحمل من أرزائها محناً لم يحتملها نبي أو وصي نبي

بعينيه رأى والده الحسين سيد الشهداء وإمام السعداء جثة بـلا رأس ، منخمد الأنفاس ، عار على وجه الرمضاء ، مقطع الأعضاء ومن حـوله أهـل بيته الأبرار وأصحابه الأخيار .

صرعى على الترب لا شيء يسترهم ومن صنيع المواضى ألبسـوا حللاً

إلا السنابك أو سافي الأعاصير مثل العقيق على أجساد من نور

وأعظم المصائب التي قاساها والنوائب التي عاناها هجوم تلك العتاة الأنذال عليه وعلى تلك الحرم والأطفال وسط الحجال وكأني به في تلك الحال مغشي عليه لما لقيه من عظائم الأهوال والمرض المبيد والسقم الشديد.

قال بعض من شهد تلك الأحوال العضال: رأيت امرأة جليلة واقفة بباب الخيمة والنار تشتعل من جوانبها وهي تارة تنظر يمنة ويسرة ، وأخرى تنظر إلى السماء وتصفق بيديها ، وتارة تدخل في تلك الخيمة وتخرج فأسرعت إليها وقلت: يا هذه ما وقوفك ها هنا والنار تشتعل من جوانبك ، وهذه النسوة قد فررن وتفرقن ، ولم لا تلحقي بهن وما شأنك ؟ فبكت وقالت: يا شيخ إن لنا عليلاً في الخيمة وهو لا يتمكن من الجلوس والنهوض ، فكيف أفارقه وقد أحاطت به النار فأحرقوا الخيم بعد أن نهبوا ما فيها ، وسلبوا الفاطميات بحيث لم يبق لهن ما يستترن به .

إن أنس لا أنسى افتجاع نساه إذ أخرجن منه والهات تشتكي ماحال بنت محمد لو شاهدت

هجمت خيولهم على الفسطاط بعد انتهاك الستر ضرب سياط بمتونهن علائم الأسواط

قال الشيخ حسن بن سليمان بن محمد بن الحسن الشويكي في مقتله نقلاً من الجزء العاشر من كتاب المنن لعبد الوهاب الشعراني قال : وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب قتل مع الحسين في الطف ، وابناه سعد وعقيل كانا معه وماتا من شدة العطش ومن الدهشة والذعر بعد شهادة الحسين لما هجم القوم على المخيم للسلب ، وأمهما خديجة ابنة علي بن أبي طالب توفيت بالكوفة . وقال أيضاً في مقتله : ومن بنات علي رقية الكبرى ، وكانت عند مسلم بن عقيل فولدت له عبدالله بن مسلم ومحمد بن مسلم الذين قتلا يوم

الطف مع الحسين ومسلم قتل بالكوفة وكان رسوله ، وولدت رقية على تكة من مسلم ولها من العمر سبع سنين وهي التي سحقت يوم الطف بعد شهادة الحسين ، لما هجم القوم على المخيم للسلب . وفي بعض المقاتل أن أحمد بن الحسن المجتبى قتل مع الحسين وله من العمر ستة عشر سنة وله أختان من أمه أم الحسن وأم الحسين سحقتا يوم الطف بعد شهادة الحسين (ع) لما هجم القوم على المخيم لسلب أمهم أم بشر بنت مسعود الأنصاري وقيل الخزرجي .

وثواكمل يشجي الغيمور حنينها حرم لأحمد قمد هتكن ستورها كم حرة لما أحاط بها العمدي

لموكمان مما بين العمدات غيمور فهتكن من حمرم الإلمه ستمور همربت تخف العمدو وهي وقمور

ثم أمر ابن سعد لعنه الله بأن تحمل النساء على الأقتاب بلا وطأ وحجاب ، فقدمت النياق إلى حرم رسول الله (ص) وقد أحاط القوم بهن وقبل لهن : تعالين واركبن فقد أمر ابن سعد بالرحيل ، فلما نظرت زينب إلى ذلك نادت وقالت : سود الله وجهك يا ابن سعد في الدنيا والآخرة ، تأمر هؤلاء القوم بأن يركبونا ونحن ودائع رسول الله ، فقل لهم يتباعدون عنا يركب بعضنا بعضا قال : فتنحوا عنهن فتقدمت زينب ومعها أم كلثوم وجعلت تنادي كل واحدة من النساء باسمها وتركبها على المحمل حتى لم يبق أحد سوى زينب ، فنظرت يمينا وشمالاً فلم تر أحداً سوى زين العابدين (ع) وهو مريض ، فأتت إليه وقالت : قم يا ابن أخي واركب الناقة فقال : يا عمتاه اركبي أنت ودعيني وهؤلاء القوم ، فرجعت إلى ناقتها لأنها لم تقدر على مخالفة الإمام ، فالتفتت يمينا وشمالاً فلم تر إلا أجساداً على الرمال ورؤوساً على الأسنة بأيدي الرجال ، فصرخت وقالت : واغربتاه وأخاه واحسيناه واعباساه وارجالاه واضيعتاه بعدك يا فصرخت وقالت : واغربتاه وأأخاه واحسيناه واعباساه وارجالاه واضيعتاه بعدك يا الحجاز وما كانوا عليه من العزة والرفعة والعظمة والجلالة ، فبكيت على حالهم الحجاز وما كانوا عليه من العزة والرفعة والعظمة والجلالة ، فبكيت على حالهم وما جرى عليهم .

فبنفسي ربائب الخدر أضحت قد أماط العداة عنها رداها أين عنها حماتها ليروها

للعدى مكسباً عقيب حماها وكستها سيساطهم ما كساها باكيات وهيل يفيد بكاها

قال الراوي: فلما نظر زين العابدين (ع) إلى ذلك لم يتمالك على نفسه دون أن قام وهو يرتعش من الضعف، فأخذ عصاة يتوكأ عليها وأتى إلى عمته وثنى ركبته وقال: اركبي فلقد كسرت قلبي وزدت كربي، فأخذ ليركبها فارتعش من الضعف وسقط على الأرض، فلما رآه الشمر لعنه الله أتى إليه وبيده سوط فضربه وهو ينادي: واجداه وا محمداه وا علياه واحسناه واحسناه، فبكت زينب وقالت: ويلك يا شمر رفقاً بيتيم النبوة وسليل الرسالة وحليف التقى وتاج الخلافة، فلم تزل تقول كذا حتى نحته عنه قال: وإذا بجارية سوداء مسنة قد أقبلت إلى زينب فأركبتها فسألت عنها فقالوا: هذه فضة جارية فاطمة الزهراء (ع).

لم أنس زينب بعد الخدر حاسرة تبدي النياحة ألحاناً فألحانا مسجورة القلب إلا أن دمعها كالمعصرات تصب الدمع عقيانا

قال: ثم أركبوا الإمام (ع) على بعير أعجف فلم يتمالك الركوب من شدة الضعف، فأخبروا ابن سعد فقال: قيدوا رجليه من تحت بطن الناقة، ففعلوا ذلك وساروا بهم على تلك الحالة ورؤوس الشهداء معليات على أطراف الرماح، وجسومهم عوار على البطاح ومن بين الرؤوس رأس سيد الشهداء وإمام السعداء.

وشيبته مخضوبة بدمائه يراوحها غادي النسيم وراثحه

فعز على محمد سيد المرسلين ، وعلى علي أمير المؤمنين ، وعلى فاطمة سيدة نساء العالمين ، وعلى الحسن الزكي الأمين ، وعلى الشهيد الغريب الحسين ، بل وعلى جميع النبيين والأوصياء المرضيين والملائكة المقربين

وجميع المؤمنين ، أن ينظروا لتلك الخفرات الهاشميات على تلك الحالات المفضعات .

> حـر قبلبي لهن إذ صـرن أسـري صاديات غرثي وأعناقها في إن تــبـاكيــن مـا لـهــن رحيــم والعليمل السجماد في الأسمر يبسرا ورؤوس الهدي على السمر لاحت

حاسرات من بعد صون خساها السيسر ملوية لحامي حماها أوتنادين لايجاب نداها لسباها وذلها وعناها فاق ضوء البدور لمع سناها

قال الراوي: ومروا بهن قصداً وعناداً على مصارع الشهداء فألقين بأنفسهن من على ظهور المطاعلي تلك الجثث المرملة بالدماء ، وصاحت العقيلة زينب نادبة جدها محمد المصطفى يا جداه يا رسول الله صلى عليك مليك السماء ، هذا حسينك بالعراء مذبوح من القفا مهشم الأعضاء .

حبيبك بارسول الله أضحى تكفنه الشمائل والجنوب

يا لها مصيبة عظيمة وفادحة جسيمة تواقع تلك الحرم والأطفال على تلك الأجساد المرملة بالدماء على حر الرمال ، صار لهن من الرنة والبكاء والحزن والشجى ما أجرى المدموع من عيون الأعداء ، فبينا هن متكابين على تلك الأجساد الملقاة على الوهاد وإذا بمنادي ذوي الألحاد [ينادي] هلمن واركبن على ظهور النياق فليس إلَّا الفراق وهو يقول:

ذهب المانعون عنكم فقوموا واخلعوا العز والبسوا الاذلالا

فهتفت زينب ببكاء وحنين : أخى حسين عمادي حسين كفيلي حسين .

أو ما تنظر الفواطم بالأسر وستر الموجموه منها الأيادي ٹکسلا میا تسری لہا مین کفیسل

أحمى الضائعات بعدك ضعنا في يد النائبات حسرى بوادي حسراً بين عصبة الإلحاد

أخي حسين لـو خيرت بين المقـام عندك أو الـرحيل لاختـرت المقام ولـو تأكلني سباع البر .

أحمي المضائعات ضاع فؤادي إن أردنا المقام عاجلنا الأقوام أو سروا فالسرى يشتت شملي

بين أمرين رحلتي ونزولي بالضرب حرصاً على التعجيل بيسن طفل وأيم وشكول

فلم يمهلوهن بل أركبوهن على تلك الحالة العظيمة ، فلما صارت الحوراء زينب على ظهر ذلك البعير ونادى سائق الظعن بالمسير ، أشارت لكافلها بدمع غزير وقلب كسير .

عز علي مسرانا وجسمك مودع منذاهب الآراء ما بك أصنع حجبت أقام فؤادها يتطلع

أحجاب صوني في أمان الله ودعتك الكافي وقد سدت عليّ وسروا بها والعين تسرعاه وإن

فلم يـزالوا مجـدين المسير بهن إلى الكـوفة وهن بـدموع مـذروفة وقلوب ملهوفة إلى أن وصلوا إليها .

روي مرسلاً عن مسلم الجصاص قال : دعاني ابن زياد (لع) لإصلاح دار الإمارة بالكوفة فبينا أنا أجصص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة ، فأقبلت على خادم كان يعمل معنا فقلت : ما لي أرى الكوفة تعج بأهلها ؟ قال : الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد ، فقلت : من هذا الخارجي ؟ فقال : الحسين بن علي قال : فتركت الخادم حتى خرج ولطمت على وجهي حتى خشيت على عيني أن تنهبا ، وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس ، فبينا أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ قد أقبلت نحو أربعين بشقة تحمل على أربعين جملاً فيها الحرم والأطفال ، وإذا بعلي بن الحسين على بعير بغير وطاء وأوداجه فيها الحرم والأطفال ، وإذا بعلي بن الحسين على بعير بغير وطاء وأوداجه

تشخب دماً وهو مع ذلك يبكى ويقول: يا أمة السوء لا سقياً لربكم لو أننا ورسول الله يجمعنها تسيرونا على الأقتاب عارية تصفقون علينا كفكم فرحأ أليس جدى رسول الله ويلكم

يا أمة لم تسراعي جمدنا فينا يـوم القيامـة ما كنتم تقـولـونـا كأننالم نشيد فيكم دينا وأنتم في فجاج الأرض تسبونا أهدى البرية من سبل المضلينا

قال : وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض الخبز والأوز والتمر ، فصاحت بهم أم كلثوم : يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام ، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي بـ إلى الأرض ، قال : كل ذلك والناس يبكون على ما أصابهم .

وأعظم ما يشجي ويودع في الحشا حرارة وجد دونها لذعبة الجمر تصدق أعداها عليها شماتة بما نالها بالخبز والجوز والتمر

ثم أن أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل وقالت : صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكينا نساءكم فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء . فبينا هي تخاطبهن إذا بصيحة قد ارتفعت وإذا هم قد أتوا بالرؤوس يتقدمهم رأس الحسين، وهو رأس أزهري قمري أشبه الخلق برسول الله ، ولحيته كسواد السبج قد اتصل بها الخضاب ، ووجهه دائرة قمر طـالع والـريح تلعب بهـا يميناً وشمالًا ، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها ، وأومت إليه بحرقة قلب وهي تقول :

فقد كاد قلبها أن يذوبا ما له قد قسى وصار صليبا مع اليتيم لا يطيق وجوب

يا هللا لما استم كمالً فاله خسفه فأبدى غروبا ما توهمت يا شقيق فؤادى كان هذا مقدراً مكتوباً يا أخى فاطم الصغيرة كلمها يسا أخى قلبسك الشفيق علينسا يا أخي لـو تـري عليـاً لــدي الأسـر

وكلما أوجعوه بالضرب نادا يا أخى ضمه إليك وقربه ما أذل اليتيم حين ينادي

ك بموجمد يفيض دمعماً سكويما وسكسن فسؤاده السمرعسوسا بأبيه فلايراه مجيبا

ثم بعد أن صار عليهن ما صار من المصائب العظيمة والأهوال التي تندك لبعضها شامخات الجبال ، سيما ما وقع عليهن من الإهانية والإذلال في مجلس ذلك الطاغي نسل الأرذال ، سيّرهن ذلك الطاغى اللعين ابن زياد للشام هدية للطاغي ينزيد رأس الفجور والفساد، فلم تنزل تلك الخفرات الطاهرات وزين العابدين يسرى بهن على تلك الحالة الفظيعة من قرية إلى قرية ، ومن سوق إلى سوق ، ومن لعين إلى لعين .

سوافر بين الشامتين وجوهها تسترعن نظارها بالمعاصم ومن بلدة تسبى إلى شر بلدة ومن ظالم تهدى إلى شر ظالم

حتى وصلوا بهن للشام ذات المصائب العظام .

قال شيخنا الكفعمي (رض): في أول يوم من صفر أدخل رأس الحسين إلى دمشق الشام ، وهو عيد عند بني أمية ، وهو يـوم تتجدد فيـه الأحزان ولله در

كانت ماتم بالعراق تعدها أمية بالشام من أعيادها

عن كامل البهائي : أوقفوا أهل البيت (ع) على باب الشام ثلاثة أيام حتى يزينوا البلد ، فزينوها بكل حلى وزينة ومرآة كانت فيها ، فصارت بحيث لم تر عين مثلها ، ثم استقبلهم من أهل الشام زهاء خمسمائة ألف من الرجال والنساء مع الدفوف ، وخرج أمراء الناس مع الطبول والصنوج والبواقات ، وكان فيهم ألوف من الرجال والشبان والنسوان يرقصون ويضربون بالدفوف والصنج والطنبور ، وقد تزين جميع أهل الشام بأنواع الثياب والكحل والخضاب، وكـان خارج البلد من كثرة الخلائق كعرصة المحشر يموج بعضها في بعض ، فلما

ارتفع النهار أدخلوا الرؤوس البلد ومن ورائها الحرم والأسارى من أهل البيت .

قال سهل بن سعد: رأيت الرؤوس على الرماح يتقدمهم رأس العباس بن على نظرت إليه كأنه يضحك ورأس الإمام (ع) كان وراء الرؤوس أمام المخدرات، وللرأس الشريف مهابة عظيمة ويشرق منه النور بلحية مدورة قد خالطها الشيب وقد خضبت بالوسمة، أدعج العينين، أزج الحاجبين، واضح الجبين، أقنى الأنف، متبسماً إلى السماء، شاخصاً ببصره إلى نحو الأفق والريح تلعب بلحيته.

قال الراوي : أدخلوا الرؤوس والسبايا من باب جيرون ، وكان يـزيد لعنـه الله في منظرة على جيرون ، لما وقع طرفه على الرؤوس والسبايا أنشد :

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت تلك الشموس على ربى جيرون لعب الغراب فقلت صح أو لا تصح فلقد قضيت من النبي ديوني

قال الباقر (ع): سألت أبي علي بن الحسين (ع) عن كيفية دخولهم على يزيد لعنه الله ، فقال: أوقفونا أولاً على باب من أبواب القصر ثلاث ساعات في طلب الإذن من يزيد، ثم أدخلونا عليه ونحن مربطون بحبل واحد مثل الأغنام، وكان الحبل في عنقي وعنق عمتي زينب وأم كلثوم وباقي النساء والبنيات وكلما قصرنا عن المشي ضربونا حتى أدخلونا على يزيد لعنه الله.

فقل لسرايا شيبة الحمد ما لكم قعدتم وقد ساروا بنسوتكم حسرى

وأعظم ما يشجي الغيور دخولها إلى مجلس ما بارح اللهو والخمرا أقيمت لديمة أه واذله الهدى وكل عن النظار تنضم بالأخرى

ولنعرض عن ذكر بعض ما جرى على آل الرسول وأولاد علي والطهر البتول في ذلك المجلس الخبيث من أولئك الفجرة النغول ، إذ المصاب عظيم والرزء جسيم ، وبعد أن فعل يزيد (لع) معهن ما فعل دعاهن وخيرهن بين المقام عنده أو الرجوع للمدينة فاختاروا الرجوع لها ، وقد كان عليه اللعنة أوعد

زين العابدين بقضاء ثلاث حاجات ، فلما عزموا على الرجوع قال عليه اللعنة للإمام (ع) : اذكر حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن فقال (ع) :

الأولى : أن تريني وجه سيدي ومولاي وأبي الحسين فأتزود منه .

والثانية : أن ترد علينا ما أخذ منا .

والثالثة : إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن .

فقال عليه اللعنة: أما وجه أبيك فلن تراه أبداً ، وأما قتلك فقد عفوت عنك ، وأما النساء فلا يردهن إلى المدينة أحد غيرك ، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته فقال (ع): أما مالك فلا نريده وهو موفر عليك ، وإنما طلبت ما أخذت منا لأن فيه مغزل فاطمة (ع) ومقنعتها وقلادتها وقميصها ، فأمر برد ذلك فجهزوا وخرجوا من الشام فلما بلغوا العراق قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء ، فلما وصلوا إلى موضع المصرع وجدوا جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه مع جماعة من بني هاشم وغيرهم قد وردوا إلى زيارة الحسين (ع) فتلاقوا في وقت واحد وأخذوا بالبكاء والنحيب واللطم ، وأقاموا العزاء واجتمع إليهم نساء أهل السواد ، فخرجت زينب في الجمع وأهوت إلى رسول الله وا ابن مكة ومنى وا ابن فاطمة الزهراء وا ابن علي المرتضى آه آه ثم آه رسول الله وا ابن مكة ومنى وا ابن فاطمة الزهراء وا ابن علي المرتضى آه آه ثم آه يا غريب المديار صبري غريب وقتيل الأعداء نسومي قتيل

ووقعت مغشياً عليها فاجتمعن النساء إليها ورششن الماء عليها حتى أفاقت كأنى بها تنادى بلسان الحال:

خبسر بقت الانسا وما أعلامها بقيت اللائساً لا يسزال مقامها وهل استقرت في اللحود رمامها ياً نازلين بكربلا هل عندكم ما حال جشة ميت في أرضكم بالله هل واريتموها في الشرى فأقاموا هناك ثلاثة أيام ملازمين لإقامة المأتم وإجراء الـدموع السـواجم ، ثم بعد ذلك أمر علي بن الحسين (ع) بشد الـرحال فشـدوها ، فصـاحت سكينة بالنساء لتوديع قبر أبيها فدرن حول القبر ، فحضنت سكينة قبر أبيها وبكت بكـاءً شديداً وحنت وأنشأت تقول :

ألا يا كرب لا نودعك جسماً بلا كفن ولا غسل دفينا ألا يا كرب لا نودعك روحاً لأحمد والوصي مع الأمينا

وانكبت أيضاً فاطمة ابنة الحسين على قبر أبيها وبكت بكاءً شديـداً حتى غشى عليها .

أحسين بعدكم لاهناعيش ولا لذت مشارب ها نحن بعدك يا غريب الدار أمسينا غرايب وعلى الشدائد يا شهيد الطف شدينا المصايب

فلما أرادوا الانفصال من كربلاء ذات المصائب والبلا وضع زين العابدين (ع) يده المباركة على ذلك القبر الشريف ففاض منه دم عبيط ، فأشار إلى تلك الحرم والأطفال وقال مخاطباً لهن بلسان الحال ودموع عينيه في انهمال :

خذوا لكم من دم الأحباب تحفتكم وخاطبوا الجد هذي تحفة السفر فأخذن من تلك الدماء الطاهرة وصبغن شعورهن الفاخرة ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة بقلوب حزينة ومدامع هتونة .

قال بشر بن حذلم: فلما قربنا منها نزل علي بن الحسين (ع) فحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه ؟ فقلت: بلى يا ابن رسول الله إني لشاعر فقال (ع): أدخل المدينة وانع أبا عبدالله قال بشر: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي (ص) رفعت صوتي بالبكاء فأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرار الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

قال: ثم قلت: هذا على بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه قال : فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من حدورهن مكشوفة شعورهن ، مخمشة وجوههن ، ضاربات خدودهن ، يدعون بالويـل والثبور ، فلم أر بـاكياً أكثـر من ذلك اليوم ولا يوماً أمر على المسلمين منه.

مختار لما هوى من بينها العمد

الله أكبر مات الدين وانطمست أعلامه وهوي الإيمان والرشد وقـوضت خيم الأطهـار من حــرم الــ

قال : وسمعت جارية تنوح على الحسين (ع) وتقول :

نعى سيدي ناع نعاه فأوجعا وأمرضني ناع نعاه فأفجعا وجودا بدم بعد دمعكما معا فأصبح هذا الدين والمجد اجدعا وإن كان عنا شاحط الدار أشيعا

أعيني جمودا بسالسدمسوع واسكبسا على من دهي عرش الجليل فزعزعا على ابن نبي الله وابن وصيه

ثم قالت : أيها الناعي جددت حزننا بأبي عبدالله (ع) وخدشت منا قروحاً لما تندمل فمن أنت يرحمك الله ؟ فقلت : أنا بشر بن حذلم ، وجهني مولاي على بن الحسين وهو نازل بموضع كذا وكذا مع عيال أبي عبدالله الحسين ونسائه قال : فتركوني وبادروني ، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم فـ وجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع ، فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من الفسطاط ، وكان على بن الحسين داخلًا فخرج ومعه منديـل يمسح به دموعه وخلفه خادم معه كرسي فوضعه لـ ه وجلس عليه وهـ و لا يتمالـك [نفسه] من البكاء ، وارتفعت أصوات النساء بالبكاء وجئن النساء والجواري والناس يعزونه من كل ناحية ، فضجت تلك البقعة ضجةً شـديدةً وصــار وكأنــه

اليوم الذي مات فيه رسول الله (ص). ألا لا تسزيسن السدار إلا بسأهلهسا

على الدار من بعد الحسين سلام

فلم يزل سلام الله عليه مدة بقائه ملازماً لبكائه مصاحباً لحزنه وأشجانه ، ولم يكف أعداء الله وأعداء رسوله اولئك الطغاة اللئام ما صدر عليه وحل بــه من الفجائع العظام والرزايا الجسام والعلل والأسقام ، بل لا زالوا يرصدونه بالمخاوف ويقصدونه بالمكاره إلى أن آل الأمر إلى هشام بن عبد الملك ، وقيل الوليد بن عبد الملك عليهم اللعنة ، فدس إليه سماً في أشياء أعدها له فأكلها سلام الله عليه ، فلما سرى السم في بدنه الشريف وتيقن حلول أمر الله تعالى به وانقطاع أجله أقبل على ولـده وخليفة الله من بعـده أبي جعفر محمـد الباقـر (ع) وقال له : يا بني إن الوقت الذي وعدته قد قرب فأوصيك يا بني في نفسك خيراً ، واصبر على الحق وإن كان مراً فإنه لتحدثني نفسي بسرعة الموت لقوله تعالى : ﴿ أُولِم يروا إنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ١١٥) ، يا بني لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق أبداً قال أبوجعفر (ع): فقلت: يا أبة جعلت فداك من هؤلاء الخمسة ؟ فقال لي : لا تصحبن فاسقاً فإنه يعيبك ويبيعك بأكلة فما فوقها ثم لا ينالها ، فقلت له : ومن الثاني ؟ فقال (ع) : لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك ماله أحوج ما كنت إليه ، فقلت لـه : ومن الثالث ؟ فقـال لي : لا تصحبن كذاباً فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد ، فقلت له : ومن الرابع ؟ فقال لي : لا تصحبن أحمقاً فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، فقلت : يـا أبة ومن الخـامس ؟ فقال لي : لا تصحبن قـاطع رحم فـإنى وجدتــه ملعوناً في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع ، ثم قال (ع) : يا بني إذا أنا مت فغسلني فإن الإمام لا يغسله إلَّا إمام مثله ، واعلم أن أخاك عبدالله سيدعو الناس إلى نفسه ويدعى الإمامة بعـدي ، فإذا دعـاها فـامنعه فـإن أبي فدعـه فإن عمـره

⁽١) سورة الرعد ، الآية : ١١ .

قصير ، واعلم يا بني أني مفارقك عن قريب فإن الموت قد قرب وقد بلغ الـوليد منى مراده .

> فيا لإمام محكم النذكر بعده ويا لسقيم شفّه السقم والبكا ويا لفقيد قد أقامت مأتماً فلا عجب بيت النبوة أن دجى وماد قوام للعلى ومقوم

تداعت له أركانه والجوانب ويا لنحيل انحلته المصائب عليه المعالي فهي ثكلي نوادب ومن أفقه بدر الإمامة غارب وجب سغام للفخار وغارب

قال محمد الباقر (ع) فضمني أبي إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ، وذكر (ع) أن من جملة ما أوصاه به أبوه أن قال: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله ثم أغمي عليه ثلاثاً ، ثم فتح عينيه وقرأ ﴿إذا وقعت الواقعة﴾(١) ﴿وإنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾(٢) وقال: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين ، ثم أشرق من وجهه الشريف نور ساطع يكاد يخطف الأبصار ، ثم نادى : يا أبا جعفر عجل ، ففاضت نفسه الشريفة فلطم الباقر رأسه ورفع صوته بالبكاء وضج أهله وعياله وأهل المدينة ضجةً واحدةً كادت منها الأرض ان تسيخ بأهلها ، وقام الصراخ وعلا النحيب من كل جانب ومكان ، ومادت السماوات وناحت الملائكة وهتفت الجن بالصراخ ، ولم يرفع حجر ولا مدر إلا وجد تحته دم عبيط ، وخرجت المخدرات من خدورها ناشرة لشعورها .

قضى ميتاً بالسم روحي فداءه وأهلي ومالي والبنون له فدا قضى بنجيع السم من كيد ظالم تعدى على أهل النوة والهدى سأبكيه بالدمع الهتون صبابة وأهجر لذات الهنا مدة المدى فيا لك من رزء عظيم وفادح أهد ذرى العلياء والمجد والندى

⁽١) سورة الواقعة ، الآية : ١ .

⁽٢) سورة الفتح ، الآية : ١ .

ثم أخذ الباقر (ع) في تغسيله كما أمره وأدرجه في أكفانه ووضعه على سريره ، فحمل على الأعناق بالوجد والإحتراق حتى أتي به إلى البقيع الأشرف ودفن هناك في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب والحسن الزكي المنتجب ، فيا له من مقام سمى الشهب .

قضى السجاد مظلوماً بسم قضى السجاد فالصدقات سراً قضى كنز الأرامل واليتامى قضى عين الحياة فأي عين قضى قطب الوجود فكيف تبقى بكته الجامدات فلا عجيب وتبكيه الوقود وما عليها ويبكيه السماح وغيس بدع

فما طيب الكرى لي من مباح تقيم عليه مأدبة النياح وبحر الجود جف لدى الأجاح عقيب العين تبخل بالسفاح بنا الأفلاك دائمة السباح بأن يبكي بألسنة الفصاح وقد فقد المرجى من جناح إذا يبكي السماح على السماح

ولقد ورد أنه لما وضعه ابنه الباقر (ع) على المغتسل وجرده من ثيابه ، رأى على ظهره أثر فسئل الباقر (ع) عن ذلك فقال : هذا مما كان يحمله على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين . وقيل : قال الباقر (ع) : لما سئل عن ذلك وهو يبكى هذا أثر الجامعة التي وضعت على صدره ، والغل الذي في يمديه ،

وكانت وفاته (ع) في يوم السبت الثامن عشر من شهر المحرم ، وقيل في الثاني والعشرين منه ، وقيل : في الخامس والعشرين منه وهو المشهور . وأما السنة فقيل : سنة اثنتين وتسعين ، وقيل : أربع وتسعين وقيل : خمس وتسعين ، وعمره الشريف سبع وخمسون سنة كأبيه (ع) ، وقيل : تسع وخمسون وأربعة أشهر وأيام ، وقيل : أربع وخمسون وقيل : ثمان وخمسون وكان في سني إمامته ملك يزيد وملك معاوية بن يزيد وملك مروان وابنه عبد الملك ، وتوفي في ملك الوليد بن عبد الملك وقيل : في ملك هشام بن عبد الملك وإنه هو الذي سمه الوليد بن عبد الملك وقيل : في ملك هشام بن عبد الملك وإنه هو الذي سمه

﴿ أَلَا لَعَنَـةَ اللهُ عَلَى السَطَالَمِينَ ﴾ (١) ﴿ وسيعلم السَّذِينَ ظَلَمَـوا أَي مَنْقَلَبُ يَنْقَلُبُونَ ﴾ (٢) .

وهذا ما رمت ذكره وأحببت نشره والحمد لله رب العالمين ونسأله تعالى المغفرة والرحمة لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات إنه أرحم الراحمين وخير الغافرين ، وأنا العبد المسكين الجاني حسين ابن العالم المقدس الشيخ علي آل المرحوم الشيخ سليمان البلادي البحراني ثم القديحي القطيفي وحق أن أقول بما قاله بعض أولى العقول:

حجر على عيني يمر بها الكرى من بعد نازلة بعترة أحمد أقمار تم غالها خسف الردي واغتالها بصروفه الزمن الردي شتى مصائبهم فبين مكابد سمأ ومنحور وبين مصفد

ولقد أجاد آخر حيث يقول : عفى الله عن المؤمنين :

لا أضحك الله سن الدهر إن ضحكت وآل أحمد مظلومون قد قهروا مشردون نفوا عن عقر دورهم كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

فإنا لله وإنا إليه راجعون وما ربّك بغافل عما يعمل الظالمون . تمت هذه المختصرة على يد مؤلفها الأحقر باليوم الشامن من شهر عاشوراء سنة ١٣٥٩ هـ .

⁽١) سورة هود ، الآية : ١٨ .

⁽٢) سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٧ .

بسسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين .

هذه القصيدة الغراء في رثاء الإمام زين العابدين (ع) للفاضل الذكي الشيخ على ابن المرحوم الحاج حسن الجشي دام تأييده :

دعاها الحمام فلم ترجع لسؤلك من أن تسله يعي لعبجه المنازل والأربع فإن شئت تصبير أو فاجرع فليس عتابك بالمنجع ذمام بني المصطفى ما رعي بها أفضل السجد الركع وقال لأم المخطوب اصنعي كما ضاق رحب الفضا الأوسع أباحت حمى صبسره الأمسسع بمعناه خبيراً سوى المبيدع وإن عيظم المخطب لم تعدف

أتبجزع من وحشة الأربع وتبكي على طلل بلقع وقماسي على جيمرة بمالحمي وقيفت باربعها لاترى فرحت من الموجمد مستنطقاً وما العجم ناطقة أن تسل ودع عنسك عتسباً للدهسر أسي وهل ذمنة فنينه تنزعني وذا وفوق أسهم بخسى رمسى إذا درع المصبر في كربلا فضاق الهزمان بما أجلبت وكادت من الغيظ تقضى وما وحت علاك الذي لم يحط فهب أن ما نال منك العدى

وعيزميك أميضي مين البلمع أبادت سراتك في مصرع ضحاياً على الترب لم ترفع على فتية في الشرى صرع وتسمزج ماءك بالأدمع وشمل النبوة لم يجمع إلى أن قسسيت ولم ترفع وبالأسر في الطف لم تقنع ولكن أبت حكمة المبدع لإزهاق نفسك في المضجع وقبل هلاكك لم تهجع مناها بتدبيرها الأشنع عليما بسر القضا المودع يقطع من سمها المنقع تركت لهذا الباس من مفرع وسر الحقيقة أن يجزع جروحاً من الأسر لم تنزع وجامعة الأسر لم تنزع له أسفاً كل شيء يعي وخسست إلى قسيره الأرفع قنوطأ فسعيك لم ينجع عراه الأفول فلم يطلع

تنضيع تراث بنني أحمد وتغضى فديتك عن عصبة وأنت تراها برمضي الطفوف وتتخذ النوح طول الحياة يخالط زادك ماء العيون كستك المصائب ثوب الأسي وهل كيف تخلع ثوب الأسى وما صد عنك العدى ما أتوا فأشخصت للشام من يشرب وقد سهرت في تدابيرها كأن بقاك فذا عينها وقد هجعت عندما أدركت وما خلت تغتال بالسم يا وما خلت قليك قلب الوجود فقل للردى من لنا بعده عنذرت إمام الهدى بعده غداة رأى عند تغسيله كأن القيود وغل اليدين وحت الأسى لفقيد بكي فلاعجباً إن بكته النياق فيا وفد أفدية المكرمات ويسا طالبي السرشد بسدر الهدى

للخال المقدس الصالح الشيخ محمد صالح قدس سره في تخميس ثلاثة أبيات :

وأخلى ربسوعي من طريف وتسالم

تكلب بي دهــري وصــار معــانــدي

وف اجعني في كل شهم وماجد فلست أبالي بعد فقدان والدي لما بي من فعل الزمان يكون

بقتلك لا كهف إذا الخطب نابني وبعدك لا أقوى على ما أصابني ومن يرعني قدماً أراه أراعني أبي قد سطا دهري على وخانني وما كان عهدي بالزمان يخون

وددت بأني كنت من قبل مهلك ويا ذل حالي أن أراك وقومكما ضحايا ومن أملك صار مملكاً أبي كنت قبل اليوم لا أعرف البكا ولا سمحت لي بالدموع جفون

لبعضهم (رض) في التخميس: أنا ابن ولاة الأمر في كل موطن بنا أسس الإيمان والدين قد بني أبعد استلام الناس كعبة مسكني أقاد ذليلاً في القيود كأنني من الزنج عبد غاب عنه نصيره

يطوفون بي في فدفد اثر فدفد وهين قيود دامي العنق واليد على ناقة عجفاء أهدى لملحد وجدي رسول الله في كل مشهد وشيخي أمير المؤمنين وزيره

للفاضل الذكي الشيخ علي الجشي دام وجوده في رجوع السجاد (ع) من الكوفة لدفن أبيه :

لم أنس لما عاد من أسر العدى سراً ليدفن جسم خير قتيل ورآه مطروحاً وقد حفت به قوم تنحوا خيفة التنكيل ومذ استبانوا الحزن قالوا إننا جثنا لندفن سبط خير رسول لكن لرفع الجسم والتحريك لم نركلنا من قدرة وسبيل فدعا بسارية هناك ولفه فيها بلاكفن ولا تغسيل رفع الجنازة والملائك من أسى أموه بالتكبير والتهليل

ولحمله جاء النبي وحيدر والمجتبى في عبرة وعويل ولحمله عن لسان السجاد (ع) مخاطباً لأبيه بعد دفنه:

ظلماء كالليل والأخرى اغتدت نورا يضيء وما عنه غابت عاد ديجورا أرى من الحزن مهما عشت مسرورا

يا راحلًا تسرك الدنيا بسرحلته فأنت كالشمس أفق فيه قد طلعت سهداً لم أزل ليلي عليك ولن

وَفَاةُ الاَمَامِ حِحَدُ اللَّهِ السَّاقِرِ "عليه السلام

تأليف العلامة الثيخ حسين بن الثيخ محدبث الثيخ أحدب عصف*ى* الدارزي البحراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختبار لأوليائه دار بقائه ، وامتحنهم في دار دنياهم بيلائه ، وحبب إليهم كمال لقائه ، فسكنت أجسادهم في هذه الدار ، وعلق أرواحهم بدوح فنائه ، فصبروا على مضضها بل أعدوها من عظيم نعمائه ، والصلاة والسلام على أول مبتلى في نفسه وعترته وأوليائه محمد وعترته المقابلين لهذه الرزايا بالحمد وكمال ثنائه .

وبعد: فيقول أضعف الخلق علماً وعملاً في آخرته ودنيائه سوى تمسكه بذيل محبته وولائه ، الراجي لفيض إحسانه السبحاني حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدارازي البحراني إني لما رأيت الناس من الشيعة والمؤمنين غير عارفين بوفيات أثمتهم المعصومين (ع) لعدم اشتهارها بين آبائهم المتقدمين مع ، ندبهم إلى إقامة العزاء والمراثي مدة الأعمار والسنين ، وقد ألفت فيما سبق بعض وفاياتهم على الترتيب الواضح المبين ، وأحببت أن أستدرك وفايات الباقين [منهم] محمد بن علي باقر علوم الأولين والآخرين فألفت هذا الكتاب الموجز اللطيف وجعلته مشتملاً على ثلاثة فصول حاوية للتنصيص عليه من آبائه الطاهرين ، وعلى معجزاته الشاهدة بإمامته على اليقين ، وعلى ذكر وفاته وما أصيب به من الكفرة الملاعين ، فيكون الفصل الأول للأول والثاني للثاني

والثالث للثالث وبالله أستعين وسميته بالمصاب الفاقر في وفاة محمد بن علي الباقر .

الفصل الأول

في التنصيص عليه من النبي (ص) وآبائه الميامين سيما والـده علي بن الحسين (ع) وقد ولد يوم الجمعة غرة رجب سنة سبع وخمسين .

كما في كتاب مصباح الشيخ (ره) برواية جابر الجعفي ، وروي أنه اليوم الثالث من شهر ذي الحجة وعليه الأكثر ، واسمه محمد وكنيته أبو جعفر (ع) ولقبه باقر العلم ، وأمه أم عبد الله بنت الحسين بن علي (ع) وهو أول علوي تولد من الحسنين (ع) ، وقد جاء في حديث اللوح الذي رآه جابر (ره) عند فاطمة الزهراء (ع) المنصوص فيه عليهم وعلى آبائهم وأمهاتهم ومدتهم .

وفي المناقب أن الباقر (ع) هاشمي من هاشميين ، وعلوي من علويين ، [و] فاطمي من فاطميين ، لأنه أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين (ع) ، وكانت أمه أصدق الناس لهجة ، وأحسنهم بهجة وأبدلهم مهجة

وفي دعوات الراوندي (ره) عن أبي جعفر (ع) قال : كانت أمي قاعدة عند جدار فتصدع الجدار وسمعنا هدة شديدة ، فقالت بيدها : لا وحق المصطفى ما أذن الله تعالى لك أن تسقط ، فبقي معلقاً حتى جازته فتصدق أبي (ع) عنها بمائة دينار . وذكرها الصادق (ع) يوماً ، فقال : كانت صديقة لم

يدرك في آل الحسن (ع) مثلها ، وعمره (ع) سبع وخمسون سنة عمر أبيه (ع) وجده (ع) ، وأقام مع جده الحسين (ع) ثلاث سنين أو أربع سنين ، ومع أبيه علي بن الحسين (ع) أربعاً وثلاثين وعشرة أشهر ، وبعد أبيه تسعة عشرة سنة .

وروي ثمانية عشر سنة وذلك أيام إمامته (ع) ، وكان في سنين إمامته الملك للوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويـزيد ابن عبد الملك وهشام أخيه وإبراهيم بن الـوليد ، وقبض (ع) في أول ملك إبراهيم ، وسيأتي يـوم وفاتـه المختار منها في الفصـل الثالث لأنـه (ع) قتـل مسموماً ، وإنما اختلف في سمه .

وروى جابر بن يزيد الجعفي (ره) كما في العلل لما سأله عمر بن شمر لم سمي الباقر باقراً ؟ قال : لأنه بقر العلم بقراً ، أي شقه شقاً وأظهره إظهاراً . ولقد حدثني جابر بن عبد الله الانصاري (رض) أنه سمع رسول الله (ص) يقول : يا جابر إنك ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب (ع) المعروف بالباقر (ع) ، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام ، فلقيه جابر بن عبد الله الأنصاري في بعض سكك المدينة ، فقال : يا غلام من أنت ؟ فقال : أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ، فقال له جابر : يا بني أقبل ، فأقبل ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال (رض) : شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ورب الكعبة ، ثم قال : يا بني إن رسول الله (ص) يقرؤك السلام ، فقال (ع) : على رسول الله (ص) السلام ، فقال له جابر : يا باقر يا باقر أنت الباقر ، أنت الذي تبقر العلم بقراً . ثم كان يأتي إليه فيجلس بين يديه فيعلمه وربما غلط جابر فيما يحدث به عن رسول الله (ص) فيرد عليه الباقر (ع) ويذكره فيقبل ذلك منه ويرجع إلى قوله ، وكان يقول : يا باقر يا باقر أشهد أنك أتيت الحكم صبياً .

وفي الاختصاص عن أبان بن تغلب عن أبي عبـد الله (ع) قال : إن جــابر ابن عبد الله قال : آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص) وكان رجلًا منقطعــًا

إلينا أهل البيت (ع) ، فكان يقعد في مجلس رسول الله (ص) متعجراً بعمامته وكان يقول : يا باقر يا باقر ، وكان أهل المدينة يقولون : جابر هجر ، فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكني سمعت رسول الله (ص) يقول: إنك ستدرك رجلًا منى اسمه اسمى وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً ، فذلك الذي دعاني إلى ما أقول. فبينما جابر ذات يوم يتردد في طرق المدينة إذ مر محمد بن على (ع) فنظر إليه ، فقال : يا غلام أقبل ، فأقبل ثم قال : أدبر ، فأدبر ، فقال : شمائل رسول الله (ص) ، والذي نفس جابر بيده ما اسمك يا غلام ؟ قال : محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب (ع) ، فقبل رأسه ثم قال : بأبي أنت وأمي إن رسول الله (ص) يقرؤك السلام ، فقال (ع) : وعلى رسول الله (ص) السلام ، فرجع محمد بن علي (ع) إلى أبيه وهو ذعر فأخبره ، فقال : يا بني قد فعلها جابر ، قال : نعم قال يا بني الزم بيتك ، فكان يأتيه طرفي النهار وهو أخر من بقي من أصحاب رسول الله ، فلم يلبث أن مضى على ابن الحسين (ع) فكان محمد بن على (ع) يأتيه على الكرامة لصحبة رسول الله (ص) قال : فجلس الباقر (ع) يحدثهم عن رسول الله (ص) ، فقال أهل المدينة : ما رأينا قط أحداً أكذب من هذا يحدث عن من لم يره ، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بل عبد الله فصدقوه وكان والله جابر يأتيه فيتعلم منه .

وفي البشارة عن الصادق (ع) عن أبيه (ع) قال : دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه فرد علي السلام وقال لي : من أنت ؟ وذلك بعد ما كف بصره فقلت : محمد بن علي الباقر (ع) ، فقال (ره) يا بني ادن مني ، فدنوت منه فقبل يدي ثم أهوى إلى رجلي فقبلهما فتنحيت عنه ، ثم قال : يا بني ادن مني فإن رسول الله (ص) يقرؤك السلام فقلت : وعلى رسول الله (ص) السلام ورحمة الله وبركاته ، وكيف ذلك يا جابر ؟ ثم ذكر بقية الحديث الأول

وهذا الحديث مخالفاً لكثير من الأخبار الشاهدة بشهادة جابر له بقول رسول الله (ص) وبإقرائه السلام وهو مبصر ، ولهذا شاهد علاماته وشمائله التي

أودعها إياه وهي لا تكون إلا مع الإبصار ، فلعله قد لقيه مرتين ويشهد لهذا ما في كشف الغمة عن أبي الزبير محمد بن مسلم المكي أنه قال : كنا عند جابر ابن عبدالله فأتاه علي بن الحسين (ع) ومعه ابنه محمد (ع) وهو صبي ، فقال علي (ع) : قبل رأس عمك فدنا محمد (ع) من جابر فقبل رأسه ، فقال جابر : من هذا ؟ وكان قد كف بصره ، فقال علي (ع) : هذا ابني محمد فضمه جابر إليه ، فقال : يا محمد يا محمد إن رسول الله (ص) يقرؤك السلام ، فقالوا لجابر : كيف ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : كنت عند رسول الله (ص) والحسين (ع) في حجره يلاعبه ، فقال : يا جابر يولد لابني هذا ابن يقال له علي بن والحسين (ع) إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين (ع) ويولد لعلي بن الحسين (ع) ابن يقال له محمد ، يا جابر إن رأيته فقرأه مني السلام واعلم أن بقاءك بعد رؤيته يسيراً فلم يعش بعد ذلك جابر إلا

أبا علماً قد ذل للخلق كلهم وأبرز حكم الله بعد خفائه وبشر أصحاب النبي ببقائه حوى من صفات المصطفى بعد اسمه وقد حسدته أمة السوء يا لها فاردوه مسموماً على غير جرمة برئت إلى الله المهيمن منهم فكيف لنفسي لا تموت صبابة وقتلاً بسم مع قيود بسجنها

على دين من انهي إليه الرسالة وأوضح برهاناً له والدلالة علوماً أجنت لم تحل المقالة شمائله قد أورثته الجلالة أمية إذ نالت هناك السفالة فآذوا رسول الله أهل الضلالة فقد قابلوا علم النبي بالجهالة وقد لقيت آل النبي النكالة وهنك احترام اتبعوه نيزالة

وفي التنصص عليه من أبيه (ع) بالإمامة حين لقي حمامه فهي كثيرة جداً ، فمنها خبر عثمان بن خالد كما في كتاب النصوص والمعجزات قال : مرض علي بن الحسين (ع) مرضه الذي توفي فيه ، فجمع أولاده محمد والحسن وعبد الله وعمر وزيداً والحسين وأوصى إلى ابنه محمد (ع) وكناه الباقر وجعل أمرهم

إليه ، وكان فيما أوعظ أن قال ؛ يا بني إن العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والعقل ترجمان العلم ، واعلم أن العلم أبقى واللسان أكثر هذراً ، واعلم يا بني أن صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين: اصلاح شأن المعاش مل مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء عرفه فافطن له ، واعلم أن الساعات تذهب عمرك وأنك لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ، فإياك والأمل الطويل فكم من مؤمل أملاً لا يبلغه ، وجامع مالاً لا يأكله ، ومانع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه أو من حق منعه أصابه حراماً وورثه عدواً فاحتمل اصره وباء بوزره وورد على ربه خسراناً ، أسفاً ذلك هو الخسران المبين .

وفيه عن مالك بن أعين الجهني قال: أوصى علي بن الحسين (ع) ابنه محمد بن علي (ع) ، فقال: يا بني إني جعلتك خليفتي من بعدي لا يدعي أحد فيما بيني وبينك إلا قلده الله يوم القيامة طوقاً من نار، فأحمد الله تعالى على ذلك واشكره، يا بني اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكره فإنها لا تزول نعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت، فكل من أنعم الله عليه بنعمة وجب عليه بها الشكر وتلا ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾(١).

وفي خبر عبد الله بن عمر كما في البصائر عن أبي جعفر (ع) قال لما حضرت على بن الحسين (ع) الوفاة قبل ذلك أخرج الصندوق فحمل بين أربعة ، فلما توفي جاء أخوته يدعون في الصندوق قالوا : اعطنا نصيبنا من الصندوق ، فقال : والله ما لكم فيه شيء إنما دفعه إلى ، وكان في الصندوق سلاح رسول الله (ص) وكتبه .

وفي خبر الزهري كما في النصوص والمعجزات قال: دخلت على على ابن الحسين(ع) في المرض الذي توفي فيه إذ قدم إليه طبق فيه الخبز والهندباء

⁽١) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

قلت: وما فضل الهندباء؟ ما من ورقة من الهندباء إلا وعليها قطرة من الجنة فيها شفاء من كل داء ، ثم رفع الطعام وأتى بالدهن ، فقال : ادهن يا أبا عبد الله قالت : قد أدهنت قال : إنه هو البنفسج ، قلت : وما فضل البنفسج على سائـر الأدهان قال: فضله على سائر الأدهان كفضل الإسلام على سائر الأديان، ثم دخل عليه محمد ابنه فحدثه بالسر فسمعته يقول: عليك بحسن الخلق فقلت: يابن رسول الله (ص) إن كان أمر الله مما لا بد منه ووقع في نفسي أنه (ع) قد نعى نفسه فإلى من نختلف بعدك ؟ فقال : يا أبا عبد الله إلى ابني هذا ، وأشسار إلى ابنه محمد الباقر (ع) ، فإنه وصيي ووارثي وعيبة علمي ومعدن الحكم وباقر العلم ، ثم قال (ع) : سوف يختلف إليه خلاص شيعتى ويبقر العلم عليهم بقراً قال : ثم أرسل ابنه محمد (ع) في حاجة له إلى السوق فلما جاء قلت : يابن رسول الله هلا أوصيت أكبر أولادك قال : يـا أبا عبـد الله ليست الإمامـة بالكبـر والصغر هكذا عهد الينا رسول الله (ص) وهكذا وجدناه في اللوح والصحيفة ، قلت : يـابن رسـول الله فكم عهـد إليكم نبيكم أن يكـون الأوصيـاء من بعـده ؟ قال : ووجدناه في الصحيفة واللوح إثنا عشر أسامي مكتوبة بـأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم ، ثم قال : يخرج من صلب ابني محمد (ع) سبعة من الأولياء فيهم المهدي عجل الله فرجه .

وكم مثل هذه الأخبار الدالة على النص على إمامته (ع) مما يضيق بها الاملاء ، فلله دره من معدن علم وعمل ومحل عصمة من الخطايا والزلل ، ولهذا فوض الله إليه أحكامه وأوعز إليه حلاله وحرامه ، فضاقت نفوس الحاسدين وأرادت إطفاء نوره ، فسمت إليه وأهبطت مقامه وقصدت هدم تلك الدعامة للعداوة القديمة وما فيهم من القباحة والدمامة ، فكأن رسول الله (ص) ما أولدهم ولم ينص عليهم بالولاية والإمامة طلبوا بذلك فبذلوا فيه حطامه وأمكنهم الله من ذلك ليحبوهم الله بالشهادة ودار المقامة ، فليت نفسي الفداء لهم قبل أن يلقوا من المنون حمامه .

على باقر العلم الذي ليس يوجد فنون علوم الله فهو الموحد ولا كان من بعد الوصيين مرشد لمه بسموم فهو بساغ ومخلد ونجل حسين وابنه ويشردوا توالوا بهم حتى أبيدوا ويددوا وهذا رسول الله حزناً يعدد فيها ولا متهجد فيها ولا حكم يمهد

شعر للمؤلف رحمه الله تعالى:
سأقضي حياتي بالكآبة والشجا
ك شبه في العالمين وقد حوى
فاولاه ما قامت لأحد راية
فيا قاتل الله الغوي الذي سعى
أيقتل نفس المصطفى ووصيه
ذراري للزهراء وتيتيم شيعة
فذاك كتاب الله يبكي لفقدهم
وتلك محاريب المساجد قد خلت

الفصل الثاني

في معاجزه التي بهرت العقول ، ومكارم أخلاقه التي ورثها من الرسول وعلي فحل الفحول ومن آبائه الكرام حملة علم المعقول والمنقول ، وبها أظهـرت تلك الأحقاد والـذحول للغـل الكامن في صـدور أولئك النغـول ، وقد جرت مع خلفاء عصره عجائب لا تدركها العقول لأنه (ع) قد بقر علم الرسول (ص) بقراً ، فمنها ما وقع له في حياة أبيه (ع) حيث قد شكت الشيعة لابيه (ع) من الظلم والقهر والتشريد والأمر المهول على ما رواه في عيون المعجزات مرفوعاً إلى جابر قال: أفضيت الخلافة إلى بني أمية فسفكوا في أيامهم الدم الحرام ، ولعنوا أمير المؤمنين (ع) على منابرهم ألف شهر ، واغتالوا شيعته في البلدان وقتلوهم واستأصلوا شأفتهم ، ومالأهم على ذلك علماء السوء رغبة بحطام الدنيا ، وصارت محنتهم على الشيعة لعن أمير المؤمنين (ع) فمن لم يلعنه قتلوه ، فلما فشا ذلك في الشيعة وكثر وطال واشتكت إلى زين العابدين (ع) وقالوا: يابن رسول الله حلَّوْنا عن البلدان بالقتـل الــذريــع ، وقــد اعلنــوا بلعن أميــر المؤمنين (ع) في البلدان وفي مسجــد رسول الله (ص) وعلى منبره ولا ينكر عليهم منكر ولا يعيرهم معير فإن أنكر واحد منا لعنوه وقالوا: هذا ترابي ، ورفع إلى سلطانهم وكتب إليه أن هذا تـرابي أو ذكر أبي تراب (ع) بخير فضرب وحبس وقتل ، فلما سمع (ع) ذلك نظر إلى السماء وقال: سبحانك ما أعظم شأنك إنك أمهلت عبادك حتى ظنوا أنك أهملتهم وهذا كله بعينك إذ لا يغلب قضاؤك ولا يرد محتوم أمرك فهو كيف شئت وأنى شئت لما أنت أعلم به منا ، ثم دعا بابنه محمد بن علي الباقر (ع) ، فقال يا محمد ، فقال البيك ، فقال (ع) : إذا كان غداً فاغد إلى مسجدرسول الله (ص) وحط الخيط الذي نزل به جبرائيل (ع) على رسول الله (ص) وحركه تحريكاً ليناً ولا تحركه تحريكاً شديداً فيهلكوا جميعاً .

قال: جابر: فبقيت متعجباً من قوله لا أدري ما أقول، فلما كان من الغد جئته وكان قد طال علي ليلي حرصاً لأنظر ما يكون من أمر الخيط، فبينما أنا في الباب إذ خرج (ع) فسلمت عليه فرد علي السلام وقال لي: ما غدا بك يا جابر عنا ولم تكن تأتنا في هذا الوقت ؟ فقلت لقول الإمام (ع) بالأمس خذ الخيط الذي أتى به جبرائيل (ع) وسر به إلى مسجد رسول الله (ص) وحركه تحريكاً ليناً ولا تحركه تحريكاً شديداً فيهلك الناس جميعاً، فقال الباقر (ع): والله لولا الوقت المعلوم والأجل المحتوم والقدر المقدور لخسفت بهذا الخلق المنكوس في طرفه عين بل في لحظة، ولكنا عباد مكرمون لا نسبقه بالقول ونحن بأمره عاملون.

قال جابر: فقلت: يا سيدي ومولاي ولم تفعل هذا بهم؟ قال: ما حضرت بالأمس والشيعة تشكو إلى والدي (ع) ما يلقون من هؤلاء الأنذال؟ فقلت: يا سيدي ومولاي نعم، فقال (ع): إنه (ع) أمرني أن أرعبهم لعلهم ينتهون، وكنت أحب أن تهلك طائفة منهم ليطهر الله البلاد ويريح العباد منهم. قال جابر: فقلت: سيدي كيف ترعبهم وهم أكثر من أن يحصى، فقال الباقر (ع): امض بنا إلى مسجد رسول الله (ص) لأريك قدرة من قدرة الله تعالى التي خصنا الله بها وما مَنّ بِه علينا من دون الناس، فقال جابر: فمضيت معه إلى المسجد فصلى ركعتين ثم وضع خده في التراب وتكلم بكلام ثم رفع رأسه وأخرج من كمه خيطاً دقيقاً فاحت منه رائحة المسك، فكان في المنظر أدق من سم الخياط ثم قال لي: يا جابر خذ إليك طرف الخيط وامض رويداً،

فمضيت ، فقال (ع) : قف يا جابر ، فوقفت ثم حرك الخيط تحريكاً خفيفاً ما ظننت أنه حركه من لينه ثم قال (ع) : ناولني طرف الخيط ، فناولته إياه وقلت ما فعلت يا سيدي ؟ فقال (ع) ويحك اخرج وانظر ما حال الناس .

قال جابر رضى الله عنه : فخرجت من المسجد فإذا الناس في صيحة واحدة والصيحة من كل جانب ، فإذا المدينة قد زلـزلت زلزلـة شديـدة وأخذتهم الرجفة والهدمة ، وقد خرجت أكثر دور المدينة وهلك منها خلق كثير تزيـد على ألف رجل وامرأة دون الولدان والناس في صياح وعويل وبكاء وهم يقولـون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، خربت دار فيلان وهلك أهلها ورأيت النياس فزعين إلى مسجد رسول الله (ص)وهم يقولون : هذه هدمة عظيمة وبعضهم يقول : قد كانت زلزلة وبعضهم يقول: كيف لا نخسف وقد تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظهر فينـا الفسق والفجور وظلم آل محمـد (ص) ، والله لينزلن بنـا أشــد من هذا أو نصلح من أنفسنــا ما أفســدنا قــال جابــر (رض) : فبقيت متحيراً أنظر إلى الناس حياري يبكون ، فأبكاني بكاؤهم وهم لا يدرون من أين أتـوا ، فانصرفت إلى الباقر (ع) وقد حف به الناس في مسجد رسول الله (ص) وهم يقولون : يابن رسول الله ألا ترى إلى ما نزل بنا ؟ فادع الله تعالى لنا ، فقال (ع): افزعوا إلى الصلاة والدعاء والصدقة ، ثم أخذ بيدى وسار بي (ع) ، فقال : ما حال الناس فقلت : لا تسأل يابن رسول الله ، خربت الدور والمساكن وهلك الناس ، ورأيتهم بحال رحمتهم فيه ، فقـال (ع) لا رحمهم الله تعالى أما أنه قد بقيت عليك بقية ولولا ذلك لم ترحم أعداءنا وأعداء أوليائنا ثم قال (ع): سحقاً سحقاً وبعداً بعداً للقوم الظالمين ، والله لولا مخالفة والدي (ع) لزدت في التحريك وأهلكتهم عن آخرهم وجعلت أعلاها أسفلها ، فكان لا يبقى فيها دار ولا جدار فما أنزلنا وأولياءنا من أعدائنا هذه المنزلة غيرهم ، ولكن أمرني مولاي (ع) أن أحركه تحريكاً ساكناً ثم صعد (ع) المنارة فزلزلت المدينة زلزلة خفيفة وتهدمت دور ، ثم تلا الباقـر (ع) ﴿ ذلك جـزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور (1) وتلا أيضاً ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها (7) ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (7).

قال جابر (رض): فخرجت العواتق من خدورهن في الزلزلة الثانية يبكين ويتضرعن مكشفات لا يلتفت إليهن أحد ، فلما نظر الباقر (ع) إلى تحير العواتق رق لهن فوضع الخيط بكمه فسكنت الزلزلة ، ثم نزل (ع) عن المنارة والناس لا يرونه وأخد بيدي حتى خرجنا من المسجد فمررنا بحداد اجتمع الناس عند حانوته والحداد يقول: أما سمعتم الهمهمة في الهدم ؟ فقال بعضهم: بل كانت همهمة كثيرة وقال قوم آخرون: والله كلام كثير إلا إنا لم نطلع على الكلام قال جابر (رض): فنظر إلى الباقر (ع) وتبسم وقال: يا جابر هذا لما طغوا وبغوا فقلت: يابن رسول الله ما هذا الخيط الدي فيه العجب، فقال (ع): بقية ما ترك آل موسى وآل عمران تحمله الملائكة ونزل به جبرائيل (ع)، ويحك يا جابر إنا من الله تعالى بمنزلة رفيعة فلولا نحن لم يخلق جبرائيل (ع)، ويحك يا جابر إنا من الله تعالى بمنزلة رفيعة فلولا نحن لم يخلق الله سماء ولا ارضاً ولا جنة ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً ولا أنساً ولا جناً، ويحك يا جابر بنا وألله أنقذكم، وبنا والله أنعشكم، وبنا والله المعشكم، وبنا والله وردناه علي من ونحن والله دللناكم على ربكم فقفوا عند نهينا وأمرنا ولا تردوا علينا ما وردناه عليكم منا، فما فهمتموه فاحمدوا الله عليه، وما جهلتموه فردوه إلينا وقولوا: أثمتنا أعلم بما قالوا.

قال جابر (رض): ثم استقبله أمير المدينة القيم بها من بني أمية وقد نكب ونكبت حوله حريمه وهو ينادي معاشر الناس احضروا ابن رسول الله (ص) وتقربوا به إلى الله تعالى وتضرعوا إليه وأظهروا التوبة والإنابة لعل الله يصرف

⁽١) سورة سبأ ، الآية : ١٧ .

⁽٢) سورة هود ، الآية : ٨٢ .

⁽٣) سورة النمل ، الآية : ١٦

عنكم العذاب ، قال جابر (رض) : فلما بصر الأمير بمحمد الباقر (ع) سارع نحوه وقال : يابن رسول الله أما ترى ما نزل بأمة محمد (ص) وقد هلكوا وفنوا ؟ ثم قال له : أين أبوك حتى نسأله أن يخرج إلى المسجد فنتقرب به إلى الله تعالى فيرجع عن أمة محمد (ص) البلاء ؟ فقال الباقر (ع) : يفعل إن شاء الله تعالى ، ولكن أصلحوا ما فسد من أنفسكم ، وعليكم بالتوبة والتورع عما أنتم عليه فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

قال جابر: فأتينا زين العابدين (ع) بأجمعنا وهو يصلي فانتظرناه حتى انتقل من الصلاة فأقبل علينا ثم قال لابنه سرأ: يا محمد كدت تهلك الناس جميعاً، قال (ره): فقلت: والله يا سيدي ما شعرت بتحريكه حين حركه، فقال (ع): لو شعرت بتحريكه ما بقي نافخ نار، فما خبر الناس؟ فأخبرناه، فقال (ع): ذلك مما استحلوا منا محارم الله تعالى وانتهكوا من حرمتنا، فقلت: يابن رسول الله إن سلطانهم بالباب قد سألنا أن نسألك أن تحضر المسجد حتى تحضر الناس إليك فيدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويسألونه الإقالة، فتبسم (ع) ثم قال: ﴿ أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ (١) قلت: يا سيدي ومولاي العجب فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ (١) قلت: يا سيدي ومولاي العجب أنهم لا يدرون من أين أتوا، فقال: أجل وتلا ﴿ فاليوم نساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآيتنا يجحدون ﴾ (٢) هي والله يا جابر آياتنا، وهذه والله إحداها وهي مما وصف الله تعالى في كتابه ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾ (٣).

ثم قـال (ع) : يا جـابر مـا ظنك بقـوم أماتـوا سنتنا وضيعـوا عهدنـا ووالوا

⁽١) سورة غافر ، الآية : ٥٠ .

⁽٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥١ .

⁽٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .

أعدائنا وانتهكوا حرمتنا وظلمواحقناوغصبوا إرثنا وأعانوا الظالمين علينا وأحيوا سنتهم وساروا بسيرة الفاسقين الكافرين في فساد الدين وإطفاء نور الحق ؟ قال جابر: فقلت: الحمد لله الذي مَنَ علينا بمعرفتكم وعرفني فضلكم وألهمني طاعتكم ووفقني لموالاة أوليائكم ومعاداة أعدائكم، فقال (ع): أتدري ما المعرفة ؟ فاورد عليه الخبر بطوله.

ولله در من قال:

لقد أظهر الله آياتهم وأحيا معالم دين الآله وأحيا معالم دين الآله وقوم أعلامهم في الدورى المنهم في الدورى جهرة أيقتل خير الدورى جهرة أباقر علم النبي الذي ومن جنها في قفار لها فيا دمعتي فاسكتي دمها وعيد الأنام فما مربي ودمعى مراق ونومى جفا

كما أظهر النور من شمسها وشيدها بعدما أسسها وشيدها بعدما أسسها جهاراً وقد كان في نكسها وأبقى مرائر في نفسها ويصبح ذي الدين في نكسها توالى الخلائق من أنسها كذاك الملائك في قدسها ويا فرحتي فاذهبي امسها ولا مالت النفس في عرسها جفوني ولا ذاق من نعسها

وفي كتاب دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى بإسناده عن الصادق (ع) قال : حج هشام بن عبد الملك سنة من السنين ، وكان قد حج في تلك السنة محمد بن علي الباقر وابنه جعفر صلوات الله عليهما ، فقال جعفر ابن محمد (ع) : الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً وأكرمنا بِهِ فنحن صفوة الله تعالى من على خلقه وخيرته من عباده وخلفائه ، فالسعيد من اتبعنا والشقي من عادانا وخالفنا قال : فأخبره مسلمة أخوه بما سمع فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة ، فأنفذ بريداً إلى المدينة لإشخاصي

وإشخاص أبي (ع) ، فأشخصنا فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثة أيام ثم أذن لنا في اليوم الرابع ، فأدخلنا عليه وإذا هو قد قعد على سرير الملك وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم متسلحون وقد نصب الغرض وأشياخ قومه يرمون ، فلما دخلنا وأبي (ع) أمامي وأنا خلفه فنادى أبي وقال: ارم مع أشياخ قومك الغرض ، فقال له أبي (ع): قد كبرت عن الرمي فهل رأيت أن تعفيني ؟ فقال: وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد (ص) لا أعفيك ، ثم أومي إلى شيخ من بني أمية وقال: أعطه قوسك ، فتناول أبي (ع) عند ذلك قوس الشيخ ثم تناول منه سهما فوضعه في كبد القوس ، ثم انتزع السهم ورمي الغرض فنصبه فيه ، ثم رمي الثانية فشق فوافق سهمه إلى نصله ، ثم تابع الرمي حتى شق تسعة أسهم بعضاً في جوف بعض وهشام يضطرب في مجلسه فلم يتمالك أن قال: أجدت يا أبا جعفر وأنت أرمي العرب والعجم ، زعمت أنك كبرت عن الرمي ثم أدركته ندامة على ما قال ، وكان هشام لم يكن أجل قبل أبي (ع) ولا بعده في خلافته فهم به وأطرق إلى الأرض إطراقة يتروى فيه ، وأنا وأبي (ع) وبعه ، واقفان حذاه موجهان نحوه ، فلما طال وقوفنا غضب أبي (ع) وهم به وكان أبي (ع) إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه .

فلما نظر هشام من أبي ذلك قال له: إلي إلي يا محمد فصعد أبي السرير وأنا اتبعه ، فلما دنا من هشام قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه ، واعتنقني وأقعدني عن يمين أبي (ع) ، ثم أقبل على أبي بوجهه ، فقال له: يا محمد لا تزال العرب تسودها قريش ما دام فيها مثلك ، فلله درك من علمك هذا الرمي وفي كم تعلمته ؟ فقال أبي : قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حداثتي ، فلما أراد أمير المؤمنين ذلك مني عدت إليه ، فقال : ما رأيت مشل هذا الرمي منذ عقلت ، وظننت أن احداً في الأرض يرمي هذا الرمي أيرمي ابنك جعفر (ع) مثل هذا الرمي ؟ فقال (ع) : نحن نتوارث في تمام الدين كما قال الله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

الإسلام ديناً ﴾(١) والأرض لا تخلو ممن يكمل هذه الأمور التي يقصر عنها غيرنا .

فلما سمع هشام ذلك من أبي (ع) انقلبت عينه اليمني واحولت واحمر وجهه ، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب ، ثم أطرق هنية، ثم رفع رأسه ، فقال لأبي (ع) : ألسنا بني عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد ؟ فقال أبي : نحن كذلك ، ولكن الله جل ثناؤه اختصنا من مكنون سره وخالص علمه بما لا يخص به أحداً غيرنا ، فقال : أليس الله جل ثناؤه بعث محمداً (ص) من شجرة عبد مناف إلى الناس كافية أبيضها وأسودها وأحمرها ؟ من أين ورثتم ما ليس لغيركم ورسول الله (ص) مبعوث إلى الناس كافة وذلك قول الله تعالى ﴿ ولله ميراث السموات والأرض ١٠٤٨ الآية ، فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمد (ص) نبي ولا أنتم أنبياء ؟ فقال (ع) : عن قوله تعالى لنبيه : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ (٣) لم يحرك به لسانه لغيرنا ، أمره الله أن يخصنا به من دون غيرنا ، فلذلك كان يناجي أخاه علياً (ع) من دون أصحابِه ، فأنـزل الله تعالى بذلك قرآناً في قوله تعالى ﴿ وتعيها اذن واعية ﴾(٤) ، فقال رسول الله (ص) لعلي (ع)من دون أصحابه : سألت الله عـز وجل أن يجعلهـا أذنك يا على ، فلذلك قال على (ع) بالكوفة : علمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم ففتح لي من كل باب ألف باب خصه رسول الله (ص) من مكنون سره بما لم يخص به أحداً من قومه حتى صار إلينا فورثناه من دون أهلنا .

فقال هشام : إنَّ علياً (ع) كان يدعي علم الغيب والله تعالى لم يطلع على

⁽١) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

⁽٢) سورة الحديد ، الآية : ١٠ .

⁽٣) سورة القيامة ، الآية : ١٦ .

⁽٤) سورة الحاقة ، الآية : ١٢ .

غيبه أحداً ، فكيف ادعى ذلك ؟ فقال أبي (ع) : إن الله جل ذكره أنزل على نبيه كتاباً بيّن فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (١) وفي قوله تعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (٢) وأوحى الله تعالى إلى نبيه (ص) أن لا يبقي في غيبه وعلمه وسره ومكنون علمه شيئاً إلا يناجي به علياً (ع) ، فأمره أن يؤلف (٣) القرآن من بعده ويتولى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه وقال لأصحابه : حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي (ع) فإنه مني وأنا منه ، له أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي (ع) فإنه مني وأنا منه ، له أصحابه : إن علي بن أبي طالب (ع) يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله ، ولم يكن عند احد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلا عند علي (ع) ولذلك قال رسول الله : أقضاكم علي (ع) ، أي هو قاضيكم ، وقال عمر : لولا على (ع) لهلك عمر ، يشهد له عمر ويجحد غيره .

فأطرق هشام طويالاً ثم رفع رأسه فقال: سل حاجتك فقال: خلفت عيالي وأهلي مستوحشين لخروجي ، فقال قد آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم ولا تقم ، سر من يومك إليهم ، فاعتنقه أبي (ع) ودعاله ، وفعلت أنا كفعل أبي (ع) ، ثم نهض ونهضت معه وخرجنا إلى بابه ، وإذا ميدان ببابه وفي آخر الميدان أناس قعود وعدد كثير فقال أبي : من هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء القسيسون والرهبان وهذا عالم لهم يقعد لهم في كل سنة مرة يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم ، فلف أبي (ع) عند ذلك نفسه بفاضل ردائه ففعلت أنا كفعل أبي ، فأقبل نحوه وقعد وقعدت وراءه ورفع الخبر إلى هشام ، فأمر بعض غلمانه أن يحضر الموضع فينظر ما يصنع أبي (ع) ، فأقبل وأقبل عدد من المسلمين فأحاطوا بنا

⁽١) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

⁽٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ .

⁽٣) يؤلف: يجمع .

وأقبل عالم النصارى قد شد حاجبيه بخرقة صفراء حتى توسطنا ، فقام إليه جمع من القسيسين والرهبان مسلمين عليه فجاؤوا به إلى صدر المجلس فقعد فيه وأحاط به أصحابه وأبي (ع) وأنا بينهم ، فأدار نظره فقال لأبي : أمنا أم من هذه الأمة المرحومة ؟ فقال (ع) : من هذه الأمة المرحومة فقال : من اين أنت أمن علمائها أم من جهالها ؟ فقال أبي (ع) : لست من جهالها ، فاضطرب اضطراباً شديداً فقال لأبي : أسألك ؟ فقال أبي : اسأل فقال : من أين ادعيتم أن أهل المجنة يأكلون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون ؟ وما الدليل على ذلك من شاهد لا يجهل ؟ فقال أبي (ع) : الجنين في بطن أمه يأكل ولا يحدث . قال : فاضطرب النصراني اضطراباً شديداً ، فقال : هلا زعمت أنك لست من غاضطرب النصراني اضطراباً شديداً ، فقال : هلا زعمت أنك لست من علمائها ؟ فقال أبي (ع) : ولست من جهالها وأصحاب هشام يسمعون ذلك ، فقال لأبي : أسألك مسألة أخرى فقال أبي (ع) : اسأل فقال لأبي : من أين ادعيتم أن فاكهة الجنة غضة طرية موجودة غير معدومة عند أهل الجنة ؟ وما الدليل عليه من شاهد لا يجهل ؟ .

فقال أبي (ع): دليل ما ندعيه أن السراج أبداً يكون غضاً طرياً موجوداً غير معدوم عند أهل الدنيا لا ينقطع ابداً ، فاضطرب اضطراباً شديداً ثم قال؛ هلا زعمت أنك لست من علمائها ؟ فقال أبي ولست من جهالها .

فقال اسألك مسألة فقال: اسأل فقال: أخبرني عن ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار فقال له أبي (ع): هي الساعة التي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يهدأ فيها المبتلى ويرقد فيها الساهر ويفيق المغمى عليه، جعلها الله في الدنيا دليلاً للراغبين وفي الأخرة دليلاً للعالمين، لها دلائل واضحة وحجة بالغة على الجاحدين المتكبرين الناكرين لها، قال: فصاح النصراني صيحة عظيمة ثم قال: بقيت مسألة واحدة والله لأسألنك مسألة لا تهتدي إلى ردها أبداً فقال له: سل ما شئت، فإنك حانث في يمينك فقال اخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد عمر أحدهما خمسين

سنة والآخر عمره مائة وخمسين سنة .

فقال له أبي (ع): ذلك عزير وعزيرة ولدا في يوم واحد فلما بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين سنة مر عزير على حماره وهو راكبه على بلد اسمها انطاكية وهي خاوية على عروشها فقال: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرابه لم يتغير، وعاد إلى داره وأخوه عزيرة وولده قد شاخوا وعزير شاب في سن خمسة وعشرين سنة، فلم يزل يذكر أخاه وولده وهم يذكرون ما يذكره ويقولون: ما أعلمك بأمر قد مضت عليه السنين والشهور، وعزيرة يقول له وهو شيخ كبير ابن مائة وخمسة وعشرين سنة: ما رأيت شاباً أعلم بما كان بيني وبين أخي عزير أيام شبابي منك، فمن أهل السماء أنت أم من أهل الأرض؟ فقال: يا عزيرة أنا عزير أخوك، قد سخط الله علي بقول قلته بعد أن اصطفاني الله وهداني، فأماتني مائة سنة ثم بعثني بعد ذلك لتزدادوا بذلك يقيناً أن الله تعالى على كل شيء قدير، وهذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجت به من عندكم أعاده الله تعالى كما كان، فعند فعند وعشرين سنة ثم قبضه الله تعالى وأخاه في يوم واحد.

فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً ، وقام النصارى على أرجلهم فقال لهم عالمهم : جئتموني بأعلم مني واقعدتموه معكم حتى هتكني وفضحني وأعلم المسلمين بأنه احاط بعلومنا وأن عنده ما ليس عندنا ، والله لا كلمتكم من كلمة واحدة ولا قعدت لكم إن عشت بعد هذه فتفرقوا وأبي (ع) قاعد مكانه وأنا معه ، ورفع ذلك إلى هشام فبعث الينا بالجائزة وأمرنا أن ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ولا نجلس لأن الناس ماجوا وخاضوا فيما دار بين أبي (ع) وعالم النصارى ، فركبنا دوابنا منصرفين وقد سبقنا بريد إلى عامل مدينة مدين أن ابني أبي تراب (ع) الساحرين محمد بن على وجعفر بن محمد (ع) الكذابين بل هو الكذاب ، فيما يظهر أن من الإسلام وردا على فلما صرفتهما إلى المدينة مالا

على القسيسين والرهبان من كفار النصارى وتقربا إليهم بالنصرانية ، فكرهت أن أنكل بهما لقرابتهما فإذا قرأت كتابي هذا فناد في الناس برئت الذمة ممن يشاريهما أو يبايعهما أو يصافحهما أو يسلم عليهما فإنهما قد ارتدا عن الإسلام ، ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودوابهما وغلمانهما ومن معهما أشر قتلة فورد البريد إلى مدينة مدين .

فلما شارفنا مدين قدم أبي (ع) غلمانه ليرتادوا لنا منزلاً ويشتروا لنا ولدوابنا طعاماً وعلفاً ، فلما قرب غلماننا من باب المدينة أغلقوا الباب في وجوههم وشتموهم وذكروا علي بن أبي طالب (ع) ونالوا منه ، وقالوا لا نزول لكم عندنا ولا بيع ولا شراء يا كفار يا مشركين يا مرتدين يا كذابين با أشر الخلق أجمعين .

فوقف غلماننا على الباب حتى انتهينا إليهم ، فكلمهم أبي (ع) ولين لهم القول وقال لهم : اتقوا الله ولا تغلطوا فلسنا كما بلغكم ولا نحن كما يقولون فلسمعونا ، وقال لهم : إن كنا كما قلتم فافتحوا لنا الباب وشارونا وبايعونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى فقالوا : إن هؤلاء يؤدون الجزية وانتم ما تؤدون الجزية فقال لهم أبي (ع) : افتحوا لنا الباب وانزلونا وخذوا منا الجزية كما تأخذون منهم ، فقالوا : لا نفتح لكم الباب ولا كرامة لكم حتى تموتوا على ظهور دوابكم جياعاً أو تموت دوابكم تحتكم . فوعظهم أبي فازدادوا عتواً ونفوراً فتنى أبي (ع) رجله عن سرجه ثم قال لي : مكانك يا جعفر لا تبرح ، ثم صعد (ع) الجبل المطل على مدينة مدين وهم ينظرون إليه ما يصنع ، فلما صار في أعلاه استقبل بوجهه المدينة ثم وضع اصبعه في أذنيه ثم نادى بأعلى صوته في أحلاه استقبل بوجهه المدينة ثم وضع اصبعه في أذنيه ثم نادى بأعلى صوته في أعلاه استقبل بوجهه المدينة ثم وضع اصبعه في أذنيه ثم نادى بأعلى صوته في أحلاه استقبل بوجهه المدينة ثم وضع اصبعه في أذنيه ثم نادى بأعلى صوته موداء مظلمة فهبت واحتملت صوت أبي (ع) وطرحته إلى اسماع الرجال

⁽١) سورة هود ، الآيات : ٨٤ ـ ٨٦ .

والنساء والصبيان ، فما بقي أحد منهم إلا صعدوا السطوح وأبي (ع) : مشرف عليهم .

فكان فيمن صعد شيخ من أهل مدين كبير السن ، فنظر إلى أبي (ع) على الجبل فنادى بأعلى صوته : اتقوا الله يا أهل مدين ، فإنه قد وقف الموقف الذي وقف فيه شعيب (ع) حين دعا على قومه ، فإن أنتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من الله العذاب وإني أخاف عليكم وقد أعذر من أنذر ، ففزعوا وفتحوا الباب وأنزلونا . وكتب بجميع ذلك إلى هشام ، فارتحلنا في اليوم الثاني فكتب هشام إلى عامل مدين أن يحتال في سم أبي (ع) في طعام أو شراب فلم يتهيأ من ذلك له شيء :

بني أمية لا قدرت عيونكم جحدتم لحقوق أوجبت لهم حسدتموهم على ما خصهم ودعا اسقيتموهم سموماً بعدما نهلت أطفيتم لمصابيح الهدى فغدت يا نسل مروان ماذا قد أباح لكم أمليتم الأرض من جاري دمائهم فما هشامكم قد عف مذ ملكت سعى لقتلهم حتى أبادهم

يا باقر العلم قد جلت رزيتكم

وقد تنسى لهاتيك الخطوب وقد الله يجبر كسراً قد أصابكم

بما جنيتم على أبناء ياسين بسنص قرآنه في آي تبيين إلى تبيين إلى من ولاة الأمر والدين في دمهم عنوة بتر الملاعين دياجي الكفر عمت كل مسكين دم الرسالة يا نسل الملاعين وقد غدوا بين مأسور ومسجون يمينه عنهم من بعد تمكين عن البسيط بتنكيل وتوهين على القلوب فما دمعي بمخزون دكت معالم دين الله في حين بالقائم المرتجى بالنصر والعون بالقائم المرتجى بالنصر والعون

وفي كتاب كامل الزيارات عن أبي بصير (رض) عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : بعث هشام إلى أبي فأشخصه إلى الشام فلما دخل عليه قال له : يا أبا جعفر (ع) أنا بعثت إليك لأسألك عن مسألة لم يصلح أن يسألك عنها

غيري ، ولا ينبغي أن يعرف هذه المسألة إلا رجل واحد فقال أبي (ع) : يسألني أمير المؤمنين عما أحب فإن علمت أجبته وإن لم أعلم قلت لا أدري ، وكان الصدق أولى بي فقال له هشام : أخبرني عن الليلة التي قتل فيها أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ع) بما استدل الغائب عن المصر الذي قتل فيه علي بن أبي طالب (ع) ؟ وما كانت العلامة فيه للناس ؟ وأخبرني هل كانت لغيره في قتله علامة ؟ فقال له أبي (ع) : إنه لما كانت الليلة التي قتل فيها علي (ع) لم يرفع فيها حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر ، وكذلك فيها حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفير رفع فيها عيسى ابن مريم (ع) ، وكذلك الليلة التي قتل الحسين بن علي (ع) ، فتربد وجه هشام وامتعض لونه وهم أن يبطش بأبي (ع) فقال أبي : الواجب على الناس الطاعة لإمامهم والصدق له بالنصيحة ، وإن الذي دعاني إلى ما أجبت به أمير المؤمنين فيما سألني عنه معرفتي بما يجب له من الطاعة فليحسن ظن أمير المؤمنين ، فقال هشام : أعطني عهد الله وميثاقه أن لا ترفع هذا الحديث ما حبيت ، فأعطاه أبي من ذلك ما أرضاه فقال هشام : انصرف إلى أهلك إذا ما مبيت ، فأعله أبي متوجهاً من الشام إلى الحجاز .

فأركب هشام بريداً وكتب معه إلى جميع عماله ما بين دمشق إلى يثرب فأمرهم أن لا يأذنوا لأبي في شيء من مدائنهم ولا يبايعوه في أسواقهم ولا يبأذنوا له في مخالطة أهل الشام حتى ينفذ إلى الحجاز ، فلما انتهى إلى مدينة مدين ومعه حشمه وأتاه بعضهم فأخبره أن زادهم قد نفذ وانهم قد منعوا من السوق ، وأن باب المدينة أغلق عليهم فقال (ع) : فعلوها ، آتوني بماء للوضوء ، فجيء بماء فتوضأ منه ثم توكأ على غلام له ثم صعد الجبل حتى إذا صار في ثنية الجبل استقبل القبلة فصلى ركعتين ثم قام وأشرف على المدينة ثم نادى بأعلى صوته وقال : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً _ إلى قوله تعالى _ بقية الله خير لكم ﴾(١)ثم

⁽١) سورة هود، الآية: ٨٤ - ٨٨.

وضع يده على صدره ثم نادى بأعلى صوته أنا بقية الله أنا والله بقيته .

قال : وكان في أهل مدين شيخ كبير وقـد بلغ السن به وأدبتـه التجارب ، وقد قرأ الكتب وعرفه أهل مدين بالصلاح ، فلما سمع النداء نادي وقال : اطرحوني ، فحمل ووضع في وسط المدينة فـاجتمعوا إليـه فقال لهم : مـا هذا الذي سمعته من فوق الجبل ؟ قالوا: هذا رجل يطلب متاعباً فمنعه السلطان من ذلك فحال بينه وبين منافعه ، فقال الشيخ : أتطيعوني ؟ فقالوا : نعم فقال : إن قوم صالح إنما ولي عقر الناقة منهم رجل واحد وعذبوا جميعاً على الرضى بفعله وهذا رجل قد قام مقام شعيب (ع) ونادى نداء شعيب فارفضوا السلطان وأطيعوني واخرجوا إليه بالسوق واقضوا حاجته وإلا والله لم آمن لكم الهلكة ، قبال : ففتحوا البياب وأخرجوا السوق إلى ابي (ع) ، فيأخذنها حاجتنها ودخلوا مدينتهم . وكتب عامل هشام إليه بما فعلوه وبخبر الشيخ ، فكتب هشام إلى عامله بحمل الشيخ إليه فحمل فمات في الطريق رحمه الله تعالى .

قد هان عنه ما جني نمرود لريائه ما قدماه حسود من منكر وعفت بذاك حدود لبلاد مدين فالتقاه سعود من طغيانه وبها عراه صعود وعملي يمزيمد والمطغماة يمزيمد

والله ما عاد أتبت بفعالهم كلا ولا فرعونها وتسمود لم يجرموا مثل اجترام هشامهم ويزيدهم قد زادوهو جحود ما جاء في دين الاله فويله يا ويلهم حسيداً تمكن فيهم قد أظهروا ساداتنا ما قد رأوا مسوسي الكليم يفر من فسرعونها وهشمام باقسر علمهم ممالم ينج فعليهم وعليه لعن دائم

وفي كتاب المناقب بإسناده قال : لما أشخص أبي (ع) إلى دمشق سمع الناس يقولون : هذا من أولاد أبي تراب (ع) ، فأسنـد ظهره إلى جـدار مستقبلًا القبلة ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (ص) ثم قسال اجتنبوا أهسل الشقاق وذرية النفاق وحشو النار وحطب جهنم ، عن البدر الزاهر والبحر الـزاخر والشهاب الثاقب علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (ع) ، والصراط المستقيم في من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً فه (١) ثم قال بكلامه : أبصنو رسول الله (ص) تستهزؤون؟ أم بيعسوب المدين تلمزون؟ وأي سبيل بعده تسلكون وأي حزب تدفعون؟ هيهات هيهات برز والله بالسبق ، وفاز بالخصل ، واستولى على الغاية ، وأحرز الخطاب فانحسرت عنه الأبصار ، وخضعت دونه الرقاب ، وقرع ذروة العليا ، فكذب من رام من نفسه السعي وقد أعياه الطلب ، فأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقال : أقلوا أقلوا لا اباً لكم من اللومة أو سدوا مكان المذي سدوا ، أولئك قوم إن بنوا أحسنوا ، وإن عاهدوا وفوا ، وإن عقدوا فني يسد ثلمة أخ رسول الله (ص) إذ شفعوا ، وشقيقه إذ نسبوا ، ونكي يسد ثلمة أخ رسول الله (ص) إذ شفعوا ، وشقيقه إذ نسبوا ، والمشهود له بالإيمان إذ كفروا ، والمدعو بمبيد المشركين إذ نكلوا ، والخليفة على المهاد ليلة الحصار إذ جزعوا ، ومستودع الأسرار ساعة الوداع ، إلى آخر كلامه (ع) .

عن الخليل بن أحمد العروضي قال: حضرت مجلس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وقد اسحنفر في سبّ علي واثغنجر في ثلبه إذ خرج عليه أعرابي على ناقة له وذفراها يسيلان لشدة السير دماً ، فما رآه الوليد في منظرته قال : إأذنوا لهذا الأعرابي فايني أراه قد قصدنا ، فجاء الأعرابي فعقل ناقته بطرف زمامها ثم أذن له فدخل فأورده قصيدة لم يسمع مثلها قط جودة فلما انتهى إلى قوله :

ولما أن رأيت الدهر آلا وفدت إليك أبغي حسن عقبى وقائلة إلى من قد أراه

علي ولمح في إضعاف حالي أعيل بها خصاصات العيال يوم ومن يسرجي للمعالي

⁽١) سورة النساء ، الآية : ٧٤ .

وقاه الله من غير الليالي هو السيف المجرد للقتال وذي المجد التليد أخ الكمال فقلت إلى الوليد أؤم قصداً هو الليث الهصور شديد باس خليفة ربنا الداعي علينا

قال : فقبل مدحته وأجزل عطيته وقال : اخما العرب قد قبلنا مدحتك وأجزلنا صلتك فاهج لنا أبي تراب (ع) ، فوثب الأعرابي يتهافت قطعاً ويـزأر حنقاً ويستمد شفقاً وقال: والله إن الذي عنيته بالهجاء هو أحق بالمدح منك وأنت أولى بالهجاء منه ، فقال له الجلساء : ترحك الله فقال : علام تترحوني ولا تبشروني فما أبديت سلقاً ولا قلت شططاً ولا ذهبت غطاً ، علام إنكم فضلتم عليه من هو أولى بالفضل منه وهو على بن أبي طالب (ع) الذي تجلبب بالوقيار ، ونبذ الشنيار ، وعاف العميار ، وقصد الإنصياف ، وأبدا الأوصياف ، وحصن الأطراف ، وتألف الأشراف ، وزال الشكوك في الله بشمرح ما استودعه الرسول (ص) من مكنون العلم الذي شرفه وسلفه في الجاهلية أكرم من سلفه لا تعرف المائدات في الجاهلية إلا عندهم ، ولا الفضل إلا فيهم صفة ، اصطفاها الله تعالى واختارها فلا يغتر الجاهل بأنه قعد عن الخلافة بمثائرة من ثار عليها وجالد بها السلالة المارقة والأعوان النظالمين ، قلتم ذلك كذلك إنما استحقها بالسوء ، تالله ألكم حجة في ذلك فهل سبق صاحبكم إلى المواضع الصعبة والمنازل الشعبة والمعارك المرّة كما سبق إليها على (ع) الذي لم يكن بالعقبة ولا الهبعة ولا مضطغناً آل الله ولا منافقاً كان يـدرأ عن الإسلام كـل أصبوحـة ، ويذب عنه كل أمسية ، ويلج بنفسه في الليل الـديجور المـظلم المحلوك . مرصـداً للعدو تارة ومذلاً له تارة ، ويتضكضك أخرى ويأرب لزبة آتية قيسية وان اور نار قذف نفسه في لهوات وشيحة وعليه وزعقة ابن عمه الفضفاضة ، وبيده خطية عليها سنان لهذم فبرز عمرو بن عبد ود القرم الأود والخصم الألد والفارس الأشد على فرس عنجوج كأنه يجر نحره بالخيلوج فضرب بها قوسه وقنع بها نفسه أو نسيتم عمر بن معدي كرب الزبيدي إذ أقبل يجر دلدال درعه مدلا بنفسه قد

زحزح الناس عن أماكنهم ونهضهم عن مواضعهم ينادي اين المبارزون يميناً وشمالاً فانقض عليه كاسود ونيق وكصيخورة منجنيق فوقصه وقض القطام بحجر الحمام واتى به إلى رسول الله (ص) كالبعير الشارد يقاد كرهاً وعينيه تدمع وأنف يرمع وقلبه يجزع وكم له من يوم عصيب برز فيه الى المشركين بنية صادقة وبرز غيره وقد كشف أميل أجم أعزل.

وقال رسول الله (ص): ألا أني أخبركم بخبر علي (ع): إنه مني بأوباش كالمراطة بين الغموص أو حجابة وفقامة ومقدم ومهدم حملت به شوها شوها أقصى مميلها فاتت به محصنا وكلهم اهون على علي (ع) من سعدانة بغل افبهذا يستحق من سلبه اليه واخذ الخلافة وازالها عن الوارثة وصاحبها ينظر إلى فيئه وكأن الشبا مرعى تلبسه حتى إذا لعب بها فريق بعد فريق وخريق بعد خريق اقتصروا على ضراعة الوهز وكثرة الابز ولوردوه إلى سمت الطريق والمرت البسيط والتامور العزيز الفوه قائماً واضعاً الأشياء في مواضعها لكنهم انتهزوا الفرصة واقتحموا الغصة وباؤا بالحسرة قال: فأربد وجه الوليد وغص بريقه وشرق بعبرته كأنما فقيء في عينيه المض الحاذق.

فأشار عليه بعض جلسائه بالانصراف وهو يشك أنه مقتول فوجد بعض الأعراب الداخلين فقال له: هل لك أن تاخذ خلعتي الصفراء وآخذ خلعتك السوداء واجعل لك بعض الجائزة؟ فقبل الرجل، فخرج الأعرابي فاستوى على راحلته وغاص في بيدائه وتوغل في صحرائه واعتقل الرجل الآخر فضربت عنقه، فجيء به إلى الوليد فقال: ما هذا بصاحبنا وانفذ الخيل السراع في طلبه فالحقوه بعد لاي.

فلما أحس بهم أدخل يده في كنانته يخرج سهماً فسهماً يقتل به فارساً فارساً إلى أن قتل أربعين فارساً وانهزم الباقون ، فجاؤوا إلى الوليد فأخبروه بذلك فأغمي عليه يوماً وليلة ، فقالوا : ما تجد ؟ فقال؛ أجد على قلبي غمة من فوت هذا الأعرابي ولله دره من أعرابي وناهيك به من مادح وممدوح ، وقد بلغ

الغاية القصوى وتسنم أوج الفصاحة التي تقصر عنها فصاحة المخلوقين ، وهي دون فصاحة الخالق في القرآن المبين ولو بلغت شموسها من أفتى ألسنتهم الناطقة وظهرت كواكب بلاغتهم من بروج أفئدتهم الصادقة ، ولقد أظهر مسحة من مسحات والده الممدوح جلا بها ظلماته والشبهات من غير أن يحتاج ذلك الكلام من تبيين أو شروح وأبرز نبيل كنانته محجبات شجاعته فما ترى غير مقتول ومطروح :

ورثوا الشجاعة صاغراً عن كابر وإلى السرسول أجل خلق الله في حسدتهم الأيام حتى أمكنت فغدت دماؤهم تسيل بمنصل يا ويلهم لم يعرفوا لمقامهم في كتبه التوراة والإنجيل نفسي الفداء لهم وما أحويه من فسلاء جعلن الدهر مدة مدتى

حتى انتهت للسيد الممدوح علم وآداب وكشف فدوح منهم طبغاة اراذل وجموع قد سله جد لهم بفتوح عند الاله أليس بالمشروح والفرقان قد بانت باي وضوح مال وولد والجدود وروحي حزناً وأجعل مهجتي في روحي

وحيث أن في معاجزه عجزي عن ذكر ما فيها لقصوري عن تبوئي أدنى مراتبها فلنشرع في الفصل الثالث :

الفصل الثالث

المتضمن لوفاته (ع) وبيان الوقت الذي سلب فيه كمال حياته وهو الغاية والقصد في تأليف هذا الكتاب والسبب الذي أوجب لإخماد أنفاسه وإلحاده تحت التراب ، وأقوى سبب أجج عليه نيران العداوة ذات الإلتهاب عداوة ابن عمه زيد بن الحسن ومخاصمته معه في ميراث رسول الله (ص) عند أولئك النصاب ، حتى هتك منه الحجاب وصار لقتله أعظم الأسباب .

كما رواه أبو بصير (رض) عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : كان زيد بن الحسن يخاصم أبي (ع) في ميراث رسول الله (ص) ويقول : أنا من ولد الحسن (ع) وأولى بذلك منك لأني من ولد الأكبر فقاسمني ميراث رسول الله (ص) وادفعه إلي ، فأبى أبي (ع) ، فخاصمه إلى القاضي ، وكان زيد يختلف معه إلى القاضي فبينما هم كذلك ذات يوم في خصومتهم إذ قال زيد بن الحسن لزيد بن علي بن الحسين (ع) : اسكت يابن السندية فقال زيد بن علي (ع) : أف لخصومة تذكر فيها الأمهات والله ما كلمتك الفصيح من رأسي أبداً حتى أموت وأنصرف إلى أبي (ع) ، وقال أخي : إني حلفت بيمين ثقة وعلمت أنك لا تكرهني ولا تخيبني ، حلفت أن لا أكلم زيد بن الحسن ولا أخاصمه ، وذكر ما صار بينهما فأعفاه أبي (ع) واغتنمها زيد بن الحسن وقال : يلي خصومتي محمد بن علي (ع) فاعتبه وأؤذيه فيعتدي علي فعدا على أبي (ع)

فقال: بيني وبينك القاضي، فقال: انطلق بنا.

فلما أخرجه قال أبي (ع) لزيد : يا زيد إن معك سكين قد أخفيتها، أرأيتك إن نطقت هذه السكينة التي تسترها مني فشهدت أني أولى بالحق منك فتكف عني ؟ قال : نعم وحلف له بذلك فقال أبي : أيتها السكين انطقي بأذن الله تعالى ، فوثبت السكين من يد زيد بن الحسن على الأرض فقالت : يا زيد أنت ظالم لمحمد ومحمد أحق بالإرث منك وأولى ، وإن لم تكف لألين قتلك ، فخر زيد مغشياً عليه وأخذ أبي (ع) بيده وأقامه ثم قال : يا زيد إن أنطقت الصخرة التي نحن عليها تقبل ؟ قال : نعم ، قال : فارتفعت الصخرة التي قاما عليها على زيد حتى كادت أن تُغلق عليه ، ولم تزحف مما يلي أبي وعاما عليها على زيد حتى كادت أن تُغلق عليه ، ولم تزحف مما يلي بالأمر منك فكف عنه وإلا توليت قتلك ، فخر زيد مغشياً عليه ، فأخذ أبي (ع) بيده وأقامه ثم قال : يا زيد أرايت إن نطقت هذه الشجرة تكف ؟ قال : نعم بلامر منك فكف عنه وإلا قتلتك ، فخر أنت ظالم لمحمد ومحمد (ع) أولى بالأمر منك ، فكف عنه وإلا قتلتك ، فخر مغشياً عليه فأخذ أبي (ع) بيده وانصرفت الشجرة إلى مكانها ، فحلف زيد أن لا مغشياً عليه فأخذ أبي (ع) بيده وانصرفت الشجرة إلى مكانها ، فحلف زيد أن لا يعرض لأبي (ع) ولا يخاصمه .

فانصرف وخرج زيد من يومه إلى عبد الملك بن مروان فدخل عليه وقال؛ أتيتك من عند ساحر كذاب لا يحل لك تركه ، وقص عليه ما رأى ، فكتب عبد الملك إلى عامل المدينة أن ابعث إلى محمد بن علي (ع) مقيداً وقال لزيد أرأيتك إن وليتك قتله تقتله ؟ قال : نعم . فلما انتهى الكتاب إلى عامل المدينة أجاب عبد الملك بما هو حاصله : ليمن كتابي خلافاً لك يا أمير المؤمنين ولا راداً أمرك ، ولكن رأيت أن أراجعك في الكتاب نصيحة مني إليك وشفقة عليك ، وأن الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض اعف منه ، ولا أورع منه وإنه في محرابه فتجمع إليه الطير والسباع تعجباً من

صوته ، وإن قراءته كشبه مزامير داود (ع) وإنه من أعلم الناس وأرقهم وأشدهم اجتهاداً وعبادة ، وكرهت لأمير المؤمنين التعرض له فإن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

فلما ورد الكتاب على عبد الملك سر بما انتهى إليه من الوالي وعلم أنه قد نصحه ، فدعا يزيد بن الحسن فأقرأه الكتباب فقال : أعطاه وارضاه فقال عبد الملك : فهل تعرف أمراً غير هذا ؟ قال : نعم عنده سلاح رسول الله (ص) وسيفه ودرعه وخاتمه وعصاه ، وتركته ، فاكتب إليه فيه فإن هو لم يبعث به وجدت إلى قتله سبيلاً ، فكتب عبد الملك إلى عامل المدينة أن أحمل إلى أبي جعفر (ع) ألف ألف درهم وليعطك ما عنده من ميراث رسول الله (ص) .

فأتى العامل منزل أبي جعفر (ع) فأقرأه الكتاب فقال: أجلني أياماً قال: نعم فهيأ أبي متاعاً ثم حمله ودفعه إلى العامل، فبعث به إلى عبد الملك فسر سروراً عظيماً، وأرسل إلى زيد بن الحسن فعرض عليه ذلك فقال: والله عابعث إليك من متاع رسول الله (ص) قليلاً ولا كثيراً فكتب عبد الملك إلى بعث إليك من متاع رسول الله (ص) قليلاً ولا كثيراً فكتب عبد الملك إلى أبي (ع) إنك أخذت مالنا ولم ترسل إلينا بما طلبت وإن شئت لم يكن، فصدقه قد بعثت إليك بما قد رأيت فإن شئت كان ما طلبت وإن شئت لم يكن، فصدقه عبد الملك وجميع أهل الشام وقال: هذا متاع رسول الله (ص) قد أتيت به ثم أخذ زيداً وقيده وبعث به وقال له: لولا أني أريد أن لا أبتلي بدم أحد منكم القتلتك، وكتب إلى أبي (ع): بعثت إليك بابن عمك فأحسن أدبه، واوصلك سرج هدية مني إليك، فلما أتي به قال أبي (ع): ويحك يا زيد ما أعظم ما تأتي وما يجري على يديك، والله اني لأعرف الشجرة التي نحت منها ولكن تأتي وما يجري على يديك، والله على يديه الشر.

فأسرج له فركب أبي (ع) السرج فنزل أبي متورماً وامر بأكفان له وكان فيه ثوب أحرم فيه وقال اجعلوه في أكفاني وعاش (ع) ثلاثاً ثم مضى لسبيله ، وذلك السرج عند آل محمد (ص) معلق ثم أن زيد بن الحسن بقي بعد ذلك أياماً .

فعرض له داء فما زال يتخبطه ويهذي ويترك الصلاة حتى مات . فهذه الرواية تدل على أن القاتل له عبد الملك بن مروان أنه سمه في السرج الذي بعث به السرج فكيف يخفى على ما جعل فيه من السم ولكن قد تحتم القدر بشهادتي السرج فكيف يخفى على ما جعل فيه من السم ولكن قد تحتم القدر بشهادتي على هذا ، ولهذا قال (ع) : السرج معلق عندهم لثلا يقربه أحد وليكن حاضراً يوم ينتقم من الكافر عند الرجعة على يد قائمنا عجل الله فرجه وسهل مخرجه ، ومع ذلك فهو لا ينطبق على باقي الأخبار لتأخر وفاته عن عبد الملك بكثير فلعل الحديث كان في لفظه هشام بن عبد الملك بأنه ممن بالغ في قتله فلم يمكنه الحديث كان في لفظه هشام بن عبد الملك بأنه ممن بالغ في قتله فلم يمكنه ذلك . فيا قاتل الله من سعى هذا المسعى وكان من العلويين فما أجرأهم على ارتكاب ما قصر عنه طغاة الامويين من هذا الداء الدفين ، أيقتل باقر علوم الأولين والآخرين في العلن على يد مثل زيد بن الحسن ويهتك به حجاب الله والسنن وتنهتك به حرمة الله إلى آخر الزمن فإنا لله وإنا إليه راجعون فعلى الدار السلام .

دار خلت من آل بيت محمد أغرى الزمان بني عمومتهم وقد قد أمكنوا منهم طغاة أمية ما مات منهم سيد حتفاً بنه حسدوهم حسداً يزيد على الأذى يا عين سحي للدموع عليهم فلقد قضى قطب الشريعة من له الباقر العلم الرفيع وكاشف السيد السند الإمام الفاضل بالسم كف من اللئام عداوة فعليه صلى الله ماسح الحيا

سحقاً لها سحقاً لها من دار زادوا على الفجار والكفار والكفار وتائيج البعباس في الأدوار الا بسم أو حداد شفار أبيداه إبيس الرجيم الناري سحاً وصبي الدم بالتزفار فصل الخطاب ومعدن الأسرار الأستار عن دين النبي المختار الليث الهمام نتيجة الكرار فابكوه بالدمع الغزير الجاري أوحن قمري على الأشجار

وفي رواية عنهم (ع): أن الباقر (ع) دخل على بعض بني أمية فأراد قتله حيث أمر بذلك من طاغية زمانه ، فقال له (ع): يا عبد الله لا تقتلني فأكون مع الله عليك ، يريد بذلك أنه ممن يشفع له عند الله تعالى فيشفعه فلم يقبل ذلك منه ، فقال له الأموي: لست افعل هناك فسقاه سماً فقتله.

وفي رواية أخرى أن هشام بن عبد الملك ما زال يكاتب ابي جعفـر (ع) محمد الباقر (ع) ويحتال في قتله إلى أن سقاه السم .

وفي روايــة ابن أبي يعفـور قــال : سمعت أبي عبـــد الله (ع) يقــول إن أبي (ع) قال ذات يوم : ما بقي من أجلي إلا خمس سنين ، فحسبت فما زاد ولا ، نقص .

ولله در بعض القائلين في رثاه:
هلم بنا نبكي على باقر العلم
على لذة العيش العفا بعد ما قضى
له طول حزني ما حييت وحرقتي
إماماً قضى ظلماً غريباً مبعداً
لئن هجرت عيني له لذة الكرى
سقاه على رغم الوفى السم خفية
عليه من الرحمن لعن مؤبد

سليل النبي المصطفى الصادق الأمي شهيداً بلا ذنب أتاه ولا جرم ونوحي ولو أن البكا قد برى عظمي عن الأهل والأوطان والولد بالسم فلا عجباً مني ولو همت في همي همامام ردي الأب والسجد والأم بما سر من بغي وما سن من ظلم

وفي الروايات المشهورة بين علمائنا أن الذي سمه إبراهيم بن ينيد وهي في رواية ابنه (ع): أنه لما حان حينه ، وتيقن وفاته ، وعزم إلى أن يصير إلى روح الله وريحانه ، ويعرج إلى معارج فوزه وجنانه ، واشتاق إلى اللقاء في دار البقاء وعزم على مفارقة دار الفناء والشقاء ، ودعاه داعي الحق من الأبوة والأجداد إلى ما هو خير وأبقى ، وأوصى إلى ابنه أبي عبد الله جعفر الصادق (ع) بجميع ما يحتاج إليه الناس ، وسلم إليه ما كان عنده من مواريث الأنبياء وسلاح رسول الله (ص) قال الصادق (ع) : كنت عند أبي (ع)

في اليوم الذي قبض فيه ، فأوصاني بأشياء في غسله وكفنه وفي إدخاله قبره ، قلت جعلت فداك والله يا أبتاه ما رأيتك منذ اشتكيت أحسن هيئة من اليوم ، وما رأيت عليك من أثر الموت شيئاً فقال (ع) : يا بني أما سمعت أبي علي بن الحسين (ع) ينادي من وراء الجداريا محمد تعال عجل .

وفي روايـة الحلي كما في الكـافي عن أبي عبـد الله (ع) قــال؛ كتب أبي (ع) في وصيته أن أكفنه في ثلاثة أثـواب أحداهـا حبرة كـان يصلي فيها يـوم الجمعـة وثـوب آخـر وقميص ، فقلت : يـا أبي لم تكتب هــذا في وصيتـك؟ فقال : أخاف أن يغلبك الناس فـإن قالـوا كفنه في أربعـة أو خمسة فـلا تفعل ، وعممني بعمامة وليس تعد من الكفن إنما بعد ما يلف من الجسد .

وفي رواية أخرى عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله (ع) قال: إن أبي (ع) قال لي ذات يوم في مرضه: يا بني ادخل أناساً من قريش من أهل المدينة حتى أشهدهم، قال: فأدخلت عليه أناساً منهم فقال: إذا أنا مت فغسلني وكفني وارفع قبري أربع أصابع ورشه بماء، فلما خرجوا قلت: يا أبتاه لو أمرتني بهذا صنعته من غير أن أدخل عليك قوماً تشهدهم فقال: يا بني أردت أن لا تنازع في الأمامة، بمعنى لا تختلف فيك الشيعة ولا تنازع لأن من أوصي إليه السابق في أموره الظاهرة فهو خليفته في الإمامة، ثم قضى نحبه ولقي ربه وكانت وفاته يوم الاثنين فقامت الواعية في داره، وعلا البكاء والنحيب من بيوت الهاشميين ومن الهاشميات والعلويين والعلويات وهن مشققات الجيوب ناشرات الشعور خامشات الوجوه، وماجت الدنيا بأهلها وصار كاليوم الذي مات فيه رسول الله (ص)، وأقبل أبو عبد الله الصادق (ع) وخرج لابساً ثياب الحداد شاقاً جيبه مقدماً ومؤخراً، وعلى مثله تشق الجيوب وتقطع القلوب، ثم قام (ع) في تهيئته فغسله كما أمره وحنطه بحنوطه. وأدرجه في أكفانه وصلى عليه مع في تهيئته فعسله كما أمره وحنطه بحنوطه. وأدرجه في أكفانه وصلى عليه مع شعبه عد أن صلى عليه الله تعالى ورسوله وأمير المؤمنين (ع) في أوصيائه شيعته بعد أن صلى عليه الله تعالى ورسوله وأمير المؤمنين (ع) في أوصيائه شيعته بعد أن صلى عليه الله تعالى ورسوله وأمير المؤمنين (ع) في أوصيائه شيعته بعد أن صلى عليه الله تعالى ورسوله وأمير المؤمنين (ع) في أوصيائه شيعته بعد أن صلى عليه الله تعالى ورسوله وأمير المؤمنين (ع) في أوصيائه الأنبياء ، وكان يوماً هائلًا على آل الرسول لانطماس المعقول واصياء الأنبياء ، وكان يوماً هائلًا على آل الرسول لانطماس المعقول

والمنقول . فما أحراه بإنشاده بما قالـه القائم في المقيـد (ره) حيث وجد على قبره مكتوباً وإن كان مقامه أجل من ذلك مما يناسب هذه المسالك :

لا صوت الناعي بفقدك إنه يوم عملي آل النبي مسموم إن كنت قىد غيبت فى جىدث الشرى

فالعدل والتوحيد فيك مقيم

وقد أحببت أن أزيد عليه فقلت:

فمقامك العالى هناك عظيم لكنما أمر القضا محتوم

إن كسان قىد واراك تسرب بسيطهسا قىد كنت مدفوناً بعالم قىدسها ليثقل الأرض البسيط بمضجع قد صرت فيه ومثل ذي معلوم لولا ضرائحكم لشاخت أرضنا وتزلزلت آصالها وتخوم

وفي كتاب الكافي عن أبي بضير (رض) قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: إن رجلا كان على ميل من المدينة فرأى في منامه قائلًا يقول لـ ه: انطلق فصل على أبي جعفر (ع) فقد توفي .

وفي رواية عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال : رأيت كأني على رأس جبل والناس يصعدون إلى من كمل جانب حتى إذا كثروا على تطاولت بهم إلى السماء ، وجعل الناس يتساقطون عني من كل جانب حتى لم يبق منهم أحد إلا عصابة يسيرة ، ففعلت ذلك خمس مرات في كل مرة تتساقط عني الناس من كل جانب ومكان وتبقى تلك العصابة ، فما مكث بعد ذلك إلا خمس ليال حتى مضى (ع) إلى رضوان الله تعالى .

واختلفت الأخبـار في يوم وفـاته (ع) وكـذلك المؤرخـون فـالمشهـور بين علمائنا أنه في السابع من ذي الحجة سنة ستة عشر ومائة من الهجرة ،

وفي رواية أنها في سابع ربيع الأول .

وفى رواية أنها في سابع ربيع الثاني .

ففي البصائر والخرائج والجرائح عن أبي عقبة عن جده عن هشام بن

سالم عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: أتيت أبي (ع) في الليلة التي قبض فيها وهو يناجي ربه ، فأومى إلي بيده أن تأخر حتى فرغ من المناجاة ثم أتيته فقال؛ يا بني إن هذه الليلة التي وعدت أن أقبض فيها ، فمات فيها صلوات الله عليه .

وفي رواية هشام بن سالم قال: لما كانت الليلة التي قبض فيها أبو جعفر (ع) قال: يا بني هذه الليلة التي وعدتها وقد كان وضوءه (ع) قريباً، فقال: أريقوه، فظننا أنه يقول ذلك من الحمى فأرقناه، فإذا فيه فأرة ميتة وقال (ع) لإبنه (ع) كما جاء عن الرضا (ع): إذا أنا مت فاحفروا لي وشقوا إلي شقاً، فإن قيل لكم إن رسول الله (ص) لحد له فقد صدقوا فإنما فعل ذلك لأنه كان بادناً.

وهذا آخر ما وجدناه مسطوراً من وفاة سيدنا وإمامنا العلم الزاهر والبحر الزاخر محمد بن علي الباقر عليه وعلى آبائه الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم مدة الدهور والأعصار على التمام والكمال ، ونستغفر الله العظيم المنان عن الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان إنه غفور منان والحمد لله حق حمده آمين .

وما من كاتب إلا سيلقى فلا تكتب بكفك غير شيء الخط يبقى ويبقى الحبر والقلم

غداة الحشر ما كتبت يداه يسسرك في القيامة أن تراه وكاتب الخط تحت الترب منعدم

وَفَاةُ الإِمَامِ جَعُفُوالصِّادِق "عَلَيْطُلْسَكُمْ"

تأليف العلامة الثيخ مسين بن الثيخ محدث الشيخ أحدث عصفور الدارزي البجراني

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي ابتلى الصادق من أوليائه حيث أمر بالكون معهم إذ هم خيرة أصفيائه فكرههم دار الغرور وحببهم دار لقائه فاشتاقوا إلى لقائه وقرعوا أبواب رجائه وكرعوا مرارة أعدائه والصلاة والسلام على أفضل رسله وأنبيائه المبتلى في نفسه .

وبعد: فيقول أفقر خلق الله الراجي لطف ربه المجازي حسين بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم البحراني الدارزي (ره): إني لما رأيت تقاعد الناس عن إقامة أعمدة التعزية ونشر مصائب الآل ، وما أصيبوا به من خلفاء بني أمية وبني العباس لعدم تأليف وفياتهم في هذه الأعصار ، وعدم معلومية تلك الأوقات لخفائها وبعدها عن الإشتهار ، وأحببت أن أؤلف لكل إمام وفاة على حسبما أتي في الأخبار ، وقد ألفنا بحمد الله بعضاً منها في سالف الأعصار ، وكان مما هو خفي منها وفاة الإمام بحر الحقائق ولسان الله الناطق في الخلائق جعفر بن محمد الصادق (ع) لنحظى بجزيل الثواب من الملك الخالق ، ونتوصل بها إلى مجاورتهم في تلك القصور والحدائق وسميته (مفيض الدمع الرافق في وفاة جعفر بن محمد الصادق (ع)) لنحظى بجزيل العطاء من المطعم الرازق ، وبه أستعين إنه خير موفق ومعين ولنشرع في المقصود الأول وبيان نسبه الشريف فنقول:

أما نسبه أباً وأماً : فإن أباه محمد الباقر (ع) ، وأمه فروة بنت القاسم (ع) ابن محمد بن أبي بكر (رض) ، وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وثمانين ، وقد نص عليه من أبيه كما جاء في الأخبار على فنون شتى .

فروى أبو خالد أنه قال : قلت لعلي بن الحسين (ع) : من الإمام بعدك ؟ قال محمد : ابني يبقر العلم بقراً ومن بعده ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق (ع) ، قلت : وكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون ؟ فقال : حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن على بن الحسين (ع) فسموه الصادق ، فإن الخامس الذي من ولده اسمه جعفر يدعى الإمامة اجتراء على الله وكذباً عليه ، فهو عند الله جعفر الكذاب المفترى على الله ، ثم بكي على بن الحسين (ع) وقال : كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمـر ولي الله والمغيب في حفظ الله فكان كمـا ذكره (ع) وما أحراه بما قال الحميري رحمه الله تعالى:

ياحجة الله الجليل وعينه وزعيم آله فيك الخلاص من الردي أثسنسى ولسست بسبالغ تبسأ لقوم عبانبدوا ويحبأ لهم ما عيظموك سحقاً لآل أمية ولآل عباس الأولى صلى الآلبه عبليك ميا

وابن الوصى المجتبى وشبيه أحمد في كماله أنت بن بنت محمد حذواً خلقت على مثاله فنضيباء نورك نوره وظلال روحك في ظلاله وبك الهداية من ظلاله عشر الفريدة من خصاله وصلوا بنسار مين ويسالمه وأنت مدجك في مقالم وسقوا حميماً من نكال سفكوا دم الهادي وآله بنزغت شموس من جلاك

وفي الإكمال عن حيان السراج قال: قال السيد اسماعيل بن محمد

الحميري (ره) : كنت أقول بالغلو وأعتقد غيبة محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، وقد ضللت في ذلك زماناً ، فمنَّ الله عليَّ بالصادق (ع) جعفر بن محمد (ع) وأنقذني به من النار ، وهداني به إلى سواء الصراط ، فسألت بعدما صح عندي بالدلائل التي شاهدتها منه أنه حجة الله على خلقه وجميع أهل زمائه ، وأنه الإمام الذي فرض الله طاعته وأوجب الإقتداء به ، فقلت لـ ، يابن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك في الغيبـة وصحة كـونها ، فـأخبرني بمن تقع ؟ قال (ع) : ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأثمة الهداة بعد رســول الله (ص) ، أولهم أميـر المؤمنين علي بن أبي طــالب (ع) ، وآخـرهم محمد بن الحسن المهدي القائم عجل الله فرجه بالحق ، وهو بقية الله في أرضه وصاحب الزمان ، والله ليبقى غيبته مـا بقي نوح (ع) في قـومه ، ولم يخـرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً قال السيد : فلما سمعت ذلك من مولاي الصادق (ع) ثبت إلى الله تعالى على يده :

فلما رأيت الناس في الدين قد غووا تجعفرت باسم الله والله اكبر تجعفرت بساسم الله والله اكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر بمه ونهاني سيد الناس جعفر وإلا فديني دين من يتنصر وإنسى قد أسلمت والله أكسسر إلى مــا عليــه كنت أخفى وأظـهــر وإن عباب جهال مقسامي فأكشروا

عــذا فرة يـطوي بها كـل سبسب فقل لولى الله وابن المهذب أتسوب إلى السرحمين ثم تسأوبي معاندة منى لنسل المطيب ودنت بـــدين غـيــر مــا كنـت دينــأ فقلت فهبني قسد تنهسودت بسرهسة وإنى إلى السرحمن من ذاك تسائب فلست بغمال ماحييت وراجع ولا قبائل حي برضوي محملة

وساق أبياتاً كثيرة إلى أن قال: أيا راكبأ نحو المدينة حسرة إذا ما هداك الله شاهدت جعفراً ألا يسا أمسين الله وابسن أمسيسة إليك من الذنب الذي كنت مبطناً ولكن روينا عن وصي محمد بأن ولي الله يفقد لا يسرى له غيبة لا بدأن سيغيبها فيمكث حيناً ثم ينظهر أمسره بذاك أدين الله سراً وجسهرة

ولم يك فيما قاله بالمكذب سنيناً كفعل الخائف المترقب فصلى عليه الله من متغيب فيملأ عدلاً كل شرق ومغرب ولست وإن عوتبت فيه بمعتب

وفي الخرائج أن الباقر (ع) دعا الكميت (رض) لما أراد أعداء الله أخذه وهلاكه ، وكان الكميت متوارياً فخرج في ظلمة الليل هارباً وقد قعد له على كل طريق جماعة ليأخذوه إذا ما خرج خفية ، فلما خرج الكميت إلى الفضاء وأراد أن يسلك طريقاً جاء له أسد فمنعه أن يسلك منها فسلك جانباً آخر فمنعه منه أيضاً وكان أشار إلى الكميت أن يسلك خلفه ومضى الأسد في جانب الكميت إلى أن آمن وتخلص من الأعداء ، وكذلك كان حال السيد إسماعيل الحميري (ره) دعا له الصادق (ع) لما هرب من أبويه وقد حرشا السلطان عليه لنصبهما فدله سبع على طريق فنجا منهما .

وفي المناقب عن داوود الرقي قال: لما بلغ السيد إسماعيل الحميري أنه ذكر عند الصادق (ع) فقال الصادق (ع) إنه كافر فأتاه السيد اسماعيل فقال: يا سيدي أنا كافر مع شدة حبي لكم ومعاداتي الناس فيكم ؟ قال: وما ينفعك ذلك وأنت كافر بحجة الدهر والزمان، ثم أخذ بيده وادخله بيتاً فإذا في البيت قبر، فصلى ركعتين وضرب بيده القبر فصار القبر قطعاً فخرج شخص من القبر ينفض التراب عن رأسه ولحيته، فقال له الصادق (ع): من أنت ؟ فقال أنا محمد بن علي المسمى بابن الحنفية فقال له: ومن أنا ؟ فقال: أنت جعفر بن محمد علي المسمى بابن الحنفية فقال له: ومن أنا ؟ فقال: أنت جعفر بن محمد حجة الدهر والزمان فخرج السيد يقول:

تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا

وروي عن معتب مولى للصادق (ع) كما في المناقب قال: كنت عند

مولاي أبي عبد الله (ع) إذ قرع الباب رجل ، فإذا هو زيد بن علي (ع) بن الحسين (ع) فقال الصادق (ع) لجلسائه : ادخلوا هذا الرجل وردوا الباب ، ولا تكلم أحد فلما دخل قام إليه (ع) واعتنقه طويلًا يتساران ثم علا الكلام بينهما ، فقال زيد (رض) : دع عنك هذا يا جعفر ، فوالله لئن لم تمد يدك أبايعك هذه يدي لتبايعني لأتعبنك أو لأكلفنك ما لا تطيق ، فقد تركت الجهاد وأخلدت إلى الخفض ، وأرخيت الستر واحتويت على مال المشرق والمغرب ، فقال الصادق : يرحمك الله يا عم ويغفر الله لك يا عم ، وزيد يسمعه وهو يقول : إن الصادق : يرحمك الله يا عم ويغفر الله لك يا عم ، وزيد يسمعه وهو يقول : إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ، ومضى وتكلم الناس في ذلك فقال الصادق (ع) : لا تقولوا في عمي زيد إلا خيراً ، رحم الله عمي زيداً فوالله لو ظفر لعفا ووفا .

قال: فلما كان السحر قرع زيد الباب ففتح له الباب فدخل رضي الله عنه يشهق ويبكي ويقول: إرحمني يا جعفر يرحمك الله ، وارض عني يا جعفر يرضى الله عنك ، اغفر لي يا جعفر الله يغفر لك فقال الصادق (ع): غفر الله لك ورحمك ورضي عنك ، فما الخبر يا عم ؟ فقال: إني لما نمت رأيت رسول الله (ص) قد دخل علي وعن يمينه الحسن (ع) ، وعن شماله الحسين (ع) ، وفاطمة (ع) خلفه ، وعلي (ع) امامه ، وبيده حربة تلتهب كأنها نار مضرمة ، وهو يقول: يا زيد آذيت رسول الله في جعفر والله لئن لم يترحم ويستغفر الله لك ويرضى عنك لأرمينك بهذه الحربة ولأضعنها بين كتفيك ثم لأخرجنها من صدرك ، فانتبهت فزعاً مرعوباً فصرت إليك فارحمني يرحمك الله ، فقال: رضي الله عنك وغفر لك ، أوصيني فإنك مقتول مصلوب محرق بالنار ، فوصى زيد بعياله وأولاده وقضاء الدين عنه .

وفي الكافي عن جابر عن الباقر (ع) قال : سئل عن القائم بالأمر بعده فضرب بيده على أبي عبد الله (ع) فقال : هذا والله قائم آل محمد (ص) بعدي قال عنبسة فلما قبض أبو جعفر (ع) دخلت على أبي عبد الله (ع) فأخبرته بذلك

فقال صدق جابر ثم قال : لعلكم ترون أن ليس كل إمام هو القائم بعد الإمام الذي كان من قبله .

وفي خبر عبد الأعلى عن أبي عبد الله (ع) قال: إن أبي استودعني ما هناك فلما حضرته الوفاة قال: ادع لي شهوداً فدعوت له أربعة من قريش فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر، فقال: أكتب هذا ما أوصى به يعقوب بنيه: يا بني في الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٠) وأوصى محمد ابن علي (ع) إلى جعفر بن محمد (ع) وأمره أن يكفنه في بردته التي كان يصلي فيها الجمعة، وأن يعممه بعمامة، وأن يربع قبره ويرفعه أربع أصابع، وأن يحل عنه أطماره عند دفنه ثم قال للشهود: انصرفوا يرحمكم الله، فقلت له: يا أبتاه ما كان في هذا بأن تشهد عليه فقال: يا بني كرهت أن تغلب وأن يقال أنه لم يوص إليه فأردت أن تكون لك الحجة.

وفي رواية الكافي قال: نظر أبو جعفر إلى أبي عبد الله (ع) يمشي فقال: ترى هذا من اللذين قال الله فيهم ﴿ ونسريد أن نمن على اللذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ (٢):

يا صادق الوعد الذي صدق الآله بما قضا فلك المقام العافي السر المقدر والقضا قابلت مقدور الآله على المضاضة والقضا مما دهتك به أمية والعبابسة القضا بل أنت باب للعلوم وسيف ربي المنتضا وحجة الباري ومع تكف التصبر والرضا ليت النفوس فدتك من سوء المكاره إذ قضا

⁽١) سورة البقرة ، الآية : ١٣٢ .

⁽٢) سورة القصص ، الآية : ٥ .

وعليك صلى خالقي ما لاح نجم أو اضا

ولما قبض الله أباه إلى روح الجنان ، وظهر وصيه بين الخاص والعام وبين الإنس والجان ، أظهرت عداوته بنو أمية والعدوان ، وقابلوه بالتكذيب وضيقوا عليه الواسع الرحيب حيث كانت إمامته (ع) أربع وثلاثين سنة ، وكان في أيام إمامته بقية خلافة هشام وملك الوليد ويزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص ، وملك ابراهيم بن الوليد ، وملك مروان بن محمد الحمار ثم صارت المسودة من أهل خراسان مع أبي مسلم سنة اثنين وثلاثين ومات فملك أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي عبد الله بن العباس الملقب بالسفاح أربع سنين وثمانية أشهر ، ثم ملك أخوه عدو الله أبو جعفر المنصور إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ، وتوفي الصادق (ع) بعد عشر سنين من ملكه وهو ابن خمسة وسبعين سنة ، فلا زالت هذه الأمور من الأمراء من بني العمومة والأخوة ممن نازع أباه أمره حتى أنه لما احتضر أبو جعفر الباقر (ع) عند الوفاة دعا ابنه الصادق (ع) ليعهد إليه عهداً فقال أخوه زيد بن علي : لو أمتثلت في بمثالة الحسن والحسين (ع) لرجوت أن لا تكون أتيت منكراً فقال : يا أبا الحسن إن الأيات ليست بالمثال ولا العهود بالرسوم ، وإنما هي أمور سابقة من حجة الله الأيات ليست بالمثال ولا العهود بالرسوم ، وإنما هي أمور سابقة من حجة الله عز وجل .

وفي كتاب النصوص عن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبي جعفر (ع) محمد بن علي الباقر (ع) إذ دخل ابنه جعفر وعلى رأسه ذؤابة وفي يده عصا يلعب بها ، فأخذه الباقر (ع) وضمه إليه ضماً شديداً ثم قال: بأبي وأمي لا تلهو ولا تلعب ، ثم قال لي : يا محمد هذا إمامك بعدي فاقتد به واقتبس من عمله ، والله إنه لهو الصادق الذي وصفه لنا رسول الله (ص) ، وإن شيعته منصورون في الدنيا والأخرة ، وأعداءه ملعونون على لسان كل نبي ، فضحك واحمر وجهه والتفت إلي وقال : سله ، قلت : يابن رسول الله من أين الضحك ؟ فقال : يا أبا محمد العقل من القلب ، والحزن من الكبد ، والنفس

من الريّة ، والضحك من الطحال ، فقمت وقبلت رأسه .

وفي كتاب النصوص والمعجزات عن داوود بن كثير الرقي رضي الله عنه قال : كنا في منزل أبي عبد الله الصادق (ع) ونحن نتذاكر فضائل الأنبياء (ع) ، فقال مجيباً لنا : والله ما خلق الله نبياً إلا وعلى (ع) أفضل منه ، ثم خلع خاتمه ووضعه في الأرض وتكلم بشيء فانصدعت الأرض وانفرجت بقدرة الله تعالى ، فإذا نحن ببحر عجاج في وسط سفينة خضراء من زبرجدة خضراء مكتوب عليها لا إله إلا الله محمداً رسول الله علياً أمير المؤمنين (ع) ولي الله عليه سلام الله ، بشر القائم فإنه القاتل لأعداء الله ، يغيث المؤمنين وينصره الله عز وجل بالملائكة في عدد نجوم السماء ، ثم تكلم بكلام فصار ماء البحر وارتفع من السفينة فقال (ع) ادخلوها ، فدخلنا القبة التي في السفينة فإذا فيها أربعة كراسي من الجواهر ، فجلس (ع) على واحد ، وأجلسني على واحد ، وأجلس ابنيه موسى (ع) وإسماعيل (رض) كل واحد منهما على كرسي ، ثم قال للسفينة : سيري بقدرة الله تعالى ، فسارت في بحر عجاج بين جبل الدر واليـواقيت ثم ادخل يده في البحر وأخرج دراً وياقوتاً وقال : يا داوود إن كنت تريد الدنيا فخذ حاجتك فقلت : يا مولاي لا حاجة لي في اللدنيا ، فرمي بـ في البحـر ، وأخرج (ع) مسكاً وعنبراً فشمه وأشمني وأشم موسى (ع) واسماعيـل (رض) ، ثم رمى به في البحر ، وسارت السفينة حتى انتهينا إلى جزيرة عظيمة فيما بين ذلك البحر فإذا فيها قباب من الدر الأبيض مفروشة بالسندس والإستبرق عليها ستور الأرجوان محفوفة بالملائكة ، فلما نظر إلينا مذعنين له بالطاعة مقرين لـ ه بالولاية فقلت: يا مولاي لمن هذه القباب؟ فقال (ع): للأثمة من ذرية محمد (ص) ، كلما قبض ، إمام صار إلى هذا الموضع إلى الوقت المعلوم الذي ذكره الله تعالى .

ثم قال (ع): قوموا بنا حتى نسلم على أمير المؤمنين (ع)، فقام وقمنا، فوقفنا بباب إحدى القباب المزينة وهي أجلها وأعلظمها وسلمنا على أمير

المؤمنين (ع) وهو قاعد فيها ، ثم عدل إلى قبة أخرى وعدلنا معه فسلّم وسلمنا على الحسين على الحسن بن علي (ع) ، وعدلنا إلى قبة أخرى بأزائها فسلمنا على الحسين ابن علي (ع) ، ثم على محمد بن علي (ع) ، ابن علي (ع) ، ثم على محمد بن علي (ع) ، وكل واحد في قبة مزينة مرفرفة ، ثم عدل بنا إلى بيت في الجزيرة وعدلنا معه ، وإذا فيه قبة عظيمة من درة بيضاء مزينة بفنون الفرش والستور ، وإذا فيها سرير من ذهب مرصّع بأنواع الجواهر فقلت : يا مولاي لمن هذه القبة ؟ فقال : للقائم منا أهل البيت (ع) صاحب الزمان ، ثم أومى بيده وتكلم بشيء وإذا نحن فوق الأرض بالمدينة في منزل الصادق (ع) ، وأخرج خاتمه وختم الأرض بيده فلم أرى فيها صدعاً ولا فرجة ، وحيث جرت على يده هذه العجائب ، وأناخت دون بابه الركائب ، وسدد إليه أبو جعفر المنصور سهام بلائه وبالغ في قتله وإخماد نور علائه ورصد اليه المراصد والعيون من أعدائه وأوليائه .

فمنها ما روي في العيون عن الرضا (ع) عن أبيه قال أرسل الدوانيقي إلى جعفر الصادق (ع) فلما دخل جعفر بن محمد (ع) ونظر إليه من بعيد تحرك أبو جعفر من فراشه وقال : مرحباً بك يا أبا عبد الله ما أرسلنا إليك إلا رجاء أن نقضي دينك وننفي ذمامك ، ثم سأله مسألة لطيفة عن بيته وقال : قد قضى الله حاجتك ودينك وأجزل لك عطيتك يا ربيع لا تمضين ثلاثة حتى يرجع جعفر إلى أهله ، فلما خرج (ع) قال له الربيع : يا أبا عبد الله أرأيت السيف والنطع ، إنما وضع ذلك إليك، فأي شيء رأيتك تحرك به شفتيك قال جعفر بن محمد (ع) : نعم يا ربيع لما رأيت الشر في وجهه قرأت حسبي الله الرب من المربوبين ، حسبي الخالق من المخلوقين ، حسبي الرازق من المرزوقين ، حسبي الله رب العالمين ، حسبي من هو حسبي ، حسبي الله الذي العالمين ، حسبي من هو حسبي ، حسبي من لم يزل حسبي ، حسبي الله الذي القالمين ، حسبي من هو رب العرش العظيم .

وفي رواية الأمالي قام أبو جعفر المنصور إلى أبي عبد الله (ع) وأمر بفرش ، فطرحت له إلى جانبه فأجلسه عليها ثم قال : علي بمحمد ، علي بالمهدي ، يقول ذلك مراراً قيل له : الساعة الساعة يأتي يا أمير المؤمنين ما يجسه إلا أنه يتبخر ، فما لبث أن وافاه وقد سبقت رائحته فاقبل المنصور على جعفر (ع) وقال يا أبا عبد الله (ع) حديث حدثنيه في صلة الرحم اذكره لنا حتى يسمعه المهدي قال : نعم ، حدثني أبي (ع) عن أبيه (ع) عن جده (ع) عن علي (ع) قال : قال رسول الله (ص) إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاث سنين ثم تلا قوله : ﴿ يمحو الله ما يشاء عمره ثلاثين سنة فيصيرها الله ثلاث سنين ثم تلا قوله : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ (١) فقال : هذا حسن يا أبا عبد الله وليس أياه أردت .

قال أبو عبد الله : نعم حدثني أبي عن أبيه (ع) عن جده عن علي (ع) قال : قال رسول الله (ص) : صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار وإن كان أهلها كفار غير أخيار قال : هذا حسن يا أبا عبد الله ولست إياه أردت .

قال أبو عبد الله (ع): نعم حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص): صلة الرحم تهون الحساب وتنفي ميتة السوء، قال المنصور: نعم هذا أردت.

وفي رواية أخرى في الأمالي عن الحسن بن المفضل بن الربيع صاحب المنصور قال: لقيته بمكة قال: حدثني أبي عن جدي الربيع قال: دعاني المنصور يوماً فقال: يا ربيع أحضر جعفر بن محمد (ع) والله لأقتلنه، فوجّهت إليه (ع)، فلما وافي قلت له: يابن رسول الله إن كان لك وصية أو عهد تعهده فافعل، فقال: استأذن لي عليه، فدخلت إلى المنصور فاعلمته موضعه فقال: أدخله فلما وقعت عين جعفر (ع) على المنصور رأيته يحرك شفتيه بشيء لم أفهمه، ومضى فلما سلم على المنصور نهض إليه فاعتنقه وأجلسه إلى جانبه وقال له: ارفع حوائجك إلى نفسك، فأخرج له جعفر (ع) رقاعاً لأقوام وسأله

⁽١) سورة الرعد ، الآية : ٣٩ .

في آخرين فقضيت حوائجه ، فقال المنصور : ارفع حوائجك لنفسك خاصة فقال له جعفر (ع) : أن لا تدعني حتى أجيئك فقال المنصور : مالي إلى ذلك من سبيل وأنت تزعم للناس أنك تعلم الغيب فقال جعفر (ع) : من أنبأك بهذا ؟ فأومى المنصور إلى شيخ جالس بين يديه فقال جعفر (ع) للشيخ أنت سمعتني أقول هذا، قال: نعم فقال جعفر (ع) للمنصور : أيحلف هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال المنصور : احلف فلما بدأ الشيخ يحلف في اليمين قال جعفر (ع) للمنصور :

حدثني أبي (ع) عن أبيه (ع) عن جده عن علي بن أبي طالب (ع): أن العبد إذا حلف باليمين التي ينزه الله تعالى فيها وهو كاذب امتنع الله من عقوبته عليها في عاجلته لما نزه الله عز وجل ، ولكني أنا أستحلفه فقال المنصور: ذلك لك فقال جعفر (ع) للشيخ: قل أبرأ إلى الله من حوله وقوته ، وألجأ إلى حولي وقوتي إن لم يكن سمعتك تقول هذا فتلكأ الشيخ ، فرفع المنصور عموداً في يده وقال: والله لئن لم تحلف لأعلونك بهذا العمود فحلف الشيخ فما أتم اليمين حتى دلع لسانه كما يدلع الكلب لسانه ومات لوقته لا رحمه الله ، ونهض جعفر (ع) قال الربيع فقال لي المنصور: ويلك أكتمه عن الناس لا يفتنون به قال الربيع فأتيت جعفر (ع) فقلت له: يابن رسول الله إن المنصور كان هم بك بأمر عظيم ، فلما وقعت عينك عليه زال ذلك عنه .

قال (ع): يا ربيع إني رأيت البارحة رسول الله (ص) في المنام فقال لي: يا جعفر خفته ؟ قلت: نعم يا رسول الله ، فقال لي: إذا وقعت عينك عليه فقل: بسم الله أستفتح، وبسم الله أستنجح وبمحمد (ص) أتوجه، اللهم ذلل لي صعوبته، وافلل لي عزمه، وسهل لي حزونته، واكفني كل خزي، واكفني أمره بلا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير.

وفي الأمالي أيضاً عن عبد الله بن سليمان التميمي قـال : لما قتـل محمد وإبـراهيم إبنا عبـد الله بن الحسن (ع) سار إلى المـدينة رجـل يقال لــه شيبــة بن

غفال وقد ولاه المنصور على أهلها ، فلما قدمها وحضرت الجمعة صار إلى مسجد رسول الله (ص) فرقى المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد: فإن على بن أبي طالب (ع) شق عصا المسلمين وحارب المؤمنين وأراد الأمر لنفسه ومنعه من أهله ، فحرمه الله عليه وأماته بغصته ، وهؤلاء ولده يتبعون أثره في الفساد وطلب الأمر من غير استحقاق منهم له ، فهم في نواحي الأرض مقتولون وبالدماء مضرجون ، قال : فعظم هذا الكلام على الناس ولم يجسر منهم أحد أن ينطق بحرف ، فقام إليه رجل عليه ازار قومسي ثخين ، فقال : ونحن نحمد الله ونصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى رسل الله وأنبيائه أجمعين ، أما ما قلت من خير فنحن أهله ، وما قلت من سوء فأنت وصاحبك أولى به ، فاخساً يابن من ركب غير راحلته وأكل غير زاده فارجع مأزوراً مذموماً مدحوراً .

ثم أنه (ع) أقبل على الناس وقال: ألا أنبتكم بأخف الناس يـوم القيامة ميزاناً وأبينهم خسراناً: هو من باع آخرته بدنيا غيره وهو هذا الفاسق، فأسكت الناس وخرج الوالي من المسجد لم ينطق بحرف كأنما ألقم حجراً، فسألت عن الرجل المتكلم فقيل لي: هذا جعفر بن محمد الصادق (ع).

وفي الخرائج عن الرضا (ع) قال: جاء رجل إلى جعفر بن محمد (ع): فقال انج بنفسك فهذا فلان بن فلان قد وشا عليك عند المنصور وذكر أنك تأخذ البيعة لنفسك على الناس لتخرج عليه ، فتبسم (ع) وقال: يا عبد الله لا ترع فإن الله تعالى إذا أراد إظهار فضيلة كتمت أو حجة جحدت أثار عليها حاسدا باغياً حتى تشاهد فيحركها حتى يبينها ، اقعد معي حتى يأتيني الطلب فتمضي معي الى هناك حتى تشاهد ما يمضي من قدرة الله تعالى التي لا معزل عنها لمؤمن ، فجاؤوا وقالوا: أجب أمير المؤمنين ، فخرج الصادق ودخل على المنصور وقد امتلأ المنصور عليه غيظاً وحنقاً ، فقال له: أنت الذي تأخذ البيعة لنفسك على المسلمين تريد أن تفرق بين جماعتهم وتسعى في هلاكهم وتفسد

ذات بينهم ؟ فقال الصادق (ع): ما فعلت شيئاً من هذا فقال المنصور: فهذا فلان يزعم أنك فعلت فقال (ع): إنه كاذب قال المنصور: إني أحلفه فإن حلف كفيت بنفسي مؤنتك فقال الصادق (ع): إنه إذا حلف كاذباً باء بإثمي وإثمه ، فقال المنصور: حلّف هذا الرجل على ما حكاه فقال الحاجب للرجل: قل والله الذي لا إله إلا هو وجعل يغلظ عليه اليمين.

فقال الصادق (ع): لا تحلفه هكذا فإني سمعت أبي (ع) يذكر عن آبائه (ع) عن جدي رسول الله (ص) أنه قال: إن من الناس من يحلف كاذباً فيعظم الله تعالى في يمينه ويصفه بصفاته الحسنى فيأتي تعظيمه لله تعالى على إثم كذبه ويمينه فيتأخر عنه البلاء، ولكن دعني أحلفه باليمين الذي حدثني أبي (ع) عن آبائي (ع) عن رسول الله (ص): أنه لا يحلف بها حالف إلا باء بإثمه في ساعته فقال المنصور: حلّفه يا أبا عبد الله فقال الصادق للرجل: قل إن كنت كاذباً عليك فقد برئت من حول الله وقوته ولجأت إلى حولي وقوتي فقالها الرجل فقال الصادق (ع): أللهم إن كان كاذباً فأمته الساعة، فما استتم كلامه حتى سقط الرجل ميتاً واحتمل ومضى إلى النار، وأقبل المنصور على كلامه حتى سقطة الرجل ميتاً واحتمل ومضى إلى النار، وأقبل المنصور على الصادق وسأله عن حوائجه فقال (ع): ما لي إلا حاجة وهي أن أسرع إلى أهلي مكرماً قد تحير منه المنصور.

فقال بعض منهم: هذا رجل فاجأه الموت وجعل الناس يخوضون أمر ذلك الميت وينظرون إليه ، وإذا هو قد استوى جالساً على السرير والناس يخوضون في أمره فمن ذام له وحامد إذ قعد على سريره وكشف الغطاء عن وجهه وقال: أيها الناس إني لقيت ربي فتلقاني بالسخط واللعنة وأشد غضب زبانيته على على الذي كان مني إلى جعفر بن محمد الصادق (ع) ، فاتقوا الله ولا تهلكوا فيه كما هلكت أنا ، ثم أعاد كفنه على وجهه وعاد في موته فرأوه لا حراك به وهو ميت فدفنوه .

فيالك يا منصور لا فزت بالولا تسربلت سربالاً من النار ضافياً وعما قليل تلق ما أنت قادم أتقتل من قد عظم الله قدره من النص والقرآن نصاً منولاً فوالهف نفسى إذ تغيب شخصه

لجعفر قد آبت عليك الفوادح فويلك قد طاحت عليك الطوائح عليه وقد قامت عليك النوائح وجلله إذ يممته المدائح من الله هاد للبرايا وواضح وقد مات مسموماً فدته الجوانح

وفي كتاب طب الأثمة عن الرضا (ع) عن موسى بن جعفر (ع) قال : لما طلب أبو الدوانيق أبي عبد الله (ع) وهم بقتله فأخذه صاحب المدينة ووجه به إليه ، وكان أبو الدوانيق استعجله واستبطأ قدومه حرصاً منه على قتله ، فلما مثل بين يديه ضحك في وجهه ثم رحب به وأجلسه عنده ، وقال : يابن رسول الله والله قد وجهت إليك وأنا عازم على قتلك ، ولقد نظرت إليك فالقي إلي محبة عليك ، فوالله ما أجد أحداً من أهل بيتي أعز منك ولا آثر عندي ، ولكن يا أبا عبد الله كلام بلغنا تهجنا فيه وتذكرنا بسوء فقال : يا أمير المؤمنين ما ذكرتك بسوء قط ، فتبسم أيضاً فقال : والله أنت عندي أصدق من جميع من سعى بك بسوء قط ، فتبسم أيضاً فقال : والله أنت عندي أصدق من جميع من سعى بك وصغيره فلست أردك عن شيء ، ثم أمره بالانصراف وحباه وأعطاه ، فأبي أن يقبل شيئاً وقال : يا أمير المؤمنين أنا في عناية وخير وغناء كثير ، فإذا هممت بسري فعليك بالمتخلفين من أهل بيتي فارفع عنهم القتل قال : قبلت يا أبا بسري فعليك بالمتخلفين من أهل بيتي فارفع عنهم القتل قال : قبلت يا أبا أمير المؤمنين .

فلما خرج من عنده مشى بين يديه مشائخ من قريش وشبابهم من كل قبيلة وهو يمشي بينهم كسريان القمر ليلة تمامه وكماله ، فقال عين أبو الدوانيق : يابن رسول الله لقد نظرت نظراً شافياً حين دخلت على أمير المؤمنين فما أنكرت منك شيئاً غير أني نظرتك وقد حركت شفتيك بشيء فما كان ذلك ؟ قال : إنى

لما نظرت إليه قلت: يا من لا يضام ولا يرام وبه تواصل الأرحام صلَّ على محمد وآله واكفني أمره بحولك وقوتك ، والله ما زدت على ما سمعت مني قال: فرجع ذلك اللعين إلى أبي الدوانيق فأخبره بقوله فقال: والله ما استتم ما قاله حتى ذهب ما بصدري.

وفي كتاب المهج عن علي بن يقطين عن محمد بن الربيع الحاجب قال: قعد المنصور يوماً في قصره في القبة الخضراء وكانت قبل قتل محمد وإبراهيم تسمى الحمراء ، وكان له يوماً يقعد فيه ويسمى ذلك اليوم يوم الذبح ، وكان قد أشخص جعفر (ع) بن محمد من المدينة ، فلم يزل في الحمراء نهاره كله حتى جاء الليل ومضى أكثره قال: ثم دعا أبي ، فقال: يا ربيع أنت تعرف موضعك مني وإني يكون لي الخبر ولا تظهر عليه أمهات الأولاد وتكون أنت المعالج له ، فقال: قلت: يا أمير المؤمنين ذلك من فضل الله علي وفضل أمير المؤمنين وما فوقي في النصح غاية ، قال: كذلك أنت سر الساعة إلى جعفر بن محمد الصادق (ع) وائتني به على الحالة التي تجده عليها لا يغير شيئاً منها ، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، إن هذا والله هو العطب إن أتيت به على ما أراد من غضبه قتله وذهبت مني الآخرة ، وإن لم آت به وداهنت في قتله قتلني وقتل نسلي وأخذ أموالي ، فأنا أخير نفسي بين الدنيا والآخرة فمالت نفسي إلى الدنيا .

قال محمد بن الربيع: فدعاني أبي وكنت أفظ ولده وأغلظهم قلباً فقال لي: امض إلى جعفر بن محمد الصادق بن علي (ع) ، فتسلل عليه حائطه ولا تفتح له باباً فيغير ما هو عليه ، ولكن انزل عليه نزولاً وائت به على الحال التي هو فيها فأتيته وقد ذهب الليل إلا أقله ، فأمرت بنصب السلاليم وتسللت عليه الحائط فنزلت عليه في داره فوجدته قائماً يصلي وعليه قميص ومنديل قد اتزر به ، فلما سلم من الصلاة قلت له : أجب الأمير فقال : دعني أدعو وألبس ثيابي قلت : ما لي إلى ذلك من سبيل قال : دعني أدخل المغتسل فأتطهر قلت :

وليس إلى ذلك من سبيل فلا تشغل نفسك ، فإني لا أدعمك تغير شيئاً فأخرجته حافياً في قميص ومنديل وكان قد تجاوز الستين .

فلما مضى بعض الطريق ضعف عن المشي فرحمته فقلت له: اركب فركب (ع) بغلاً شاكرياً كان معنا ثم سرنا إلى الربيع فسمعته وهو يقول: ويلك يا ربيع قد ابطأ الرجل، وجعل يحثه استحثاثاً شديداً، فلما وقعت عين الربيع على جعفر (ع) وهو على تلك الحالة بكى وكان الربيع يتشيع فقال له جعفر بن محمد (ع): يا ربيع أنا أعلم بميلك إلينا فدعني أصلي ركعتين وأدعو قال: شأنك وما تريد، فصلى ركعتين خففهما ثم دعا بدعاء لم أفهمه لأنه دعاء طويل والمنصور في ذلك كله يستحث الربيع.

فلما فرغ من دعائه بطوله أخذ الربيع بذراعيه فأدخله على المنصور ، فلما سار في صحن الإيوان وقف ثم حرك شفتيه بشيء لم أدرِ ما هو ، ثم أدخلته بين يديه فلما نظر إليه قال : وأنت يا جعفر ما تدع حسدك وبغيك وإفسادك على أهل هذا البيت من بني العباس وما يزيدك الله تعالى بدلك إلا شدة حسد ونكد ما تبلغ ما تقدره فقال له والله يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئاً من هذا ، ولقد كنت في ولاية بني أمية وأنت تعلم أنهم أعداؤنا وأعدى الخلق علينا وعليكم ، وأنهم لا حق لهم في هذا الأمر فوالله ما بغيت عليهم ولا بلغهم عني سوء مع جفائهم الذي كان بي ، وكيف يا أمير المؤمنين أصنع الآن هذا وأنت ابن عمي وأمس الخلق رحماً بي وأكثرهم عطاء وبراً فكيف أفعل هذا ؟

فأطرق المنصور رأسه ساعة وكان على يساره رقعة جرمقانية ، وتحت لبدته سيف ذو فقار ، وكان لا يفارقه إذا قعد في القبة قال أبطلت واثمت ، ثم رفع الوسادة فأخرج صرة كتب فرمى بها إليه وقال : هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي وأن يبايعوك دوني فقال (ع) : يا أمير المؤمنين ما فعلت ولا استحل ذلك ولا هو من مذهبي ، وإني لمن يعتقد طاعتك على كل حال ، وقد بلغت من السن ما قد أضعفني عن ذلك ، ولو أردته فصيرني في بعض

سجونك حتى تأتيني منيتي وهي مني قريب. فقال: لا ولا كرامة ، ثم أطرق وضرب يده على السيف ، فسل منه مقدار شبر وأخذ بمقبضه فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب والله الرجل ثم رد السيف ثم قال: يا جعفر أما تستحي مع هذه الشيبة ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل ، وتشق عصى المسلمين ، وتريد أن تريق الدماء ، وتطرح الفتنة بين الأمة والأولياء.

فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما فعلت ولا هذه كتبي ولا خطي ولا خاتمي فانتضى من السيف ذراعاً ، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مضى الرجل ، وقلت في نفسي: إن أمرني فيه بأمر لأعصينه وما ظننت أنه يأمرني أن آخذ السيف فأضرب به جعفراً فقلت: إن أمرني ضربت عنق المنصور وإن أتى ذلك علي وعلى ولدي وتبت إلى الله عز وجل مما كنت نويت أولاً ، فأقبل يعاتبه وهو يعتذر ثم انتضى السيف وأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وقال: أظنك صادقاً يا ربيع هات العيبة من موضع كذا ، فأتيته بها فقال: ادخل يدك فيها وأخرجها مملوءة غالية ووضعها في لحيته ، ففعلت ذلك وكانت لحيت (ع) بيضاء فاسودت ، وقال لي : أركبه دابتي التي كنت أركبها ، وأعطه عشرة آلاف درهم وشيعه إلى منزله مكرماً ، وخيره إذا أتيت به المنزل بين المقام عندنا فنكرمه أو الإنصراف إلى مدينة جده رسول الله (ص) .

فخرجنا من عنده وأنا مسرور فرح بسلامة جعفر (ع) وهو متعجب مما أراد المنصور وما صار إليه من أمره ، فلما صرنا في الصحن قلت له : يا بن رسول الله إني لأعجب مما عهد إلي هذا اللعين من شأنك وما جعلك الله إليه من كفايته ودفاعه ، ولا عجب من أمر الله عز وجل وقد سمعتك تدعو عقيب الركعتين بدعاء لم أدر ما هو، فقال لي : أما الأول فدعاء الكرب والشدائد، لم أدع به على أحد قبل ، يومئذ جعلته عوضاً عن دعاء كثير أدعو به إذا قضيت ملاتي ، وهذه الليلة لم أترك أن أدعو بما كنت أدعو به ، وأما الذي حركت به شفتاي هو دعاء رسول الله (ص) يوم الأحزاب ثم ذكر الدعاء ثم قال : ولو لا

الخوف من أمير المؤمنين لدفعت هذا المال ، ولكنك طلبت مني أرضاً بالمدينة وأعطيتني بها عشرة آلاف درهم أو دينار فلم أبعك إياها وقد وهبتها لك .

قلت: يا بن رسول الله إنما رغبتي في الدعاء الأول والثاني فإذا فعلت هذا فهو البر، ولا حاجة الآن في الأرض فقال (ع): إنا أهل البيت لا نرجع في معروفنا، نحن ننسخك الدعاء ونسلم إليك الأرض فقال: سر معي إلى المنسزل، فسرت معه، وكتب لي بعهدة الأرض وأملى علي دعاء رسول الله (ص) والدعاء الذي هو بعد الركعتين، فقلت: يابن رسول الله لقد أكثر المنصور استحثاته واستعجاله إياي، وأنت تدعو بهذا الدعاء الطويل متمهلاً كأن لم تخشه قال: فقال لي: نعم، قد كنت أدعو به بعد الفجر ولا بد منه، وأما الركعتان فهما صلاة الغداة خففتهما ودعوت بذلك الدعاء بعدهما، فقلت له: أما خفت المنصور وقد أعد لك ما أعد؟ قال: خيفة الله أعظم من خيفته، وكان الله في صدري أعظم.

قال الربيع: كان فيما قد رأيت من المنصور ومن غضبه وحنقه على جعفر (ع) ومن الجلالة له في ساعة ما لم أظنه يكون في بشر، فلما وجدت منه خلوة وطابت نفسه قلت: يا أمير المؤمنين رأيت منك عجباً قال: ما هو؟ قلت: يا أمير المؤمنين رأيت غضبك على جعفر (ع) غضباً شديداً لم أرك غضبته على أحد قط، ولا على عبد الله بن الحسن (رض) ولا غيره من كل الناس، حتى بلغ منك الأمر أن تقتله بالسيف وحتى أنك أخرجت من سيفك شبراً ثم أغمدته ثم عاتبته، ثم أخرجت منه ذراعاً ثم أغمدته ثم عاتبته، ثم أخرجته كله إلا شيئاً يسيراً فلم أشك في قتلك إياه، ثم انجلى ذلك كله حتى أمرتني فسودت لحيت بالغالية التي لا يتغلف منها ولدك لك أمرتني فسودت لحيت بالغالية التي لا يتغلف منها ولدك لك المهدي، ولا من وليته عهدك ولا عمومتك، وأجزته وحملته وأمرتني بتشييعه مكرماً.

فقال : ويحك يا ربيع ليس هو مما ينبغي أن تحدث به وستـره أولى ، ولا

أحب أن يبلغ أولاد فاطمة فيفتخرون ويتباهون بذلك علينا ، لكن لا أكتمك شيئاً انظر من في الدار ، ثم قال لي : انظر من في الدار ، ثم قال لي : ارجع ولا تبق أحداً ثم قال : ليس إلا أنت وأنا ، والله لئن سمعت ما ألقيته عليك من أحد لأقتلنك وولدك وأهلهم أجمعين ولأخذن مالك قال : قلت : يا أمير المؤمنين أعيذك بالله .

قال: يا ربيع قد كنت مصراً على قتل جعفر (ع) ولا اسمع له قولاً ولا أقبل له عذراً ، وكان أمره ممن لا يخرج علي بسيف أغلظ عندي وأهم علي من أمر عبد الله بن الحسن (رض) ، وقد كنت أعلم هذا منه ومن آبائه (ع) على عهد بني أمية ، فلما هممت به في المرة الأولى تمثل لي رسول الله (ص) حائل بيني وبينه باسط، كفيه حاسر عن ذراعيه، قد عبس وقطب في وجهي فأمسكت ، ثم هممت به في المرة الثانية وانتضيت من السيف أكثر من المرة الأولى وإذا برسول الله (ص) قد قرب مني ودنا دنواً شديداً وهم لي أن فعلت لفعل (ص) فأمسكت ، ثم تجاسرت وقلت هذا بعض أفعال الرؤيا ثم انتضيت السيف ثالثة فمثل لي رسول الله (ص) باسط ذراعيه مشمر عنهما واحمر وجهه وعبس وقطب حتى كاد أن يضع يده علي ، فخفت والله لو فعلت لفعل (ص) ، وكان من أمري ما رأيت وهؤلاء من بني فاطمة (ع) لا يجهل حقهم إلا جاهل لا حظ له في الشريعة فإياك أن يسمع منك أحد .

قال محمد بن الربيع فما حدثني به أبي حتى مات المنصور ، وما حـدثت به أنا حتى مات المهدى وموسى وهارون .

ولله در الشاعر حيث يقول :

فلله خطب قبل وقع حلوله وزلزلت الأرض حزناً وأعولت وكيف لا تبكي العيون لوقعه وعطلت الأحكام بعد عميدها

بكت السماء دماً وغارب البحر ملائكة التسبيح وامتنع القطر وقد هدم الدين الحنيفي والأمر ولم يك للإسلام من بعده نصر

ألا لعن الله السرجيسم ومن سعى فنفسي تفديسه وأهلي وجيسرتي رزيستسه أحسست رزيسة كسربسلا ألا لعن الله السهيسمن عصبسة

لمنصور عباس ومن دأب الغدر وما أستطيع الآن والمال والذخر وقد شابه اليوم المشوم له العشر لقد جن في أرواحها الغدر والكفر

وفي كتاب الدلائل للحميري (ره) عن زرارة بن مسلم (ره) مولى خالد بن عبد الله القسري ، قال : إن المنصور قال لحاجبه : إذا دخل علي جعفر بن محمد (ع) فاقتله قبل أن يصل إلي ، فدخل أبو عبد الله (ع) وجلس ، فأرسل إلى الحاجب فنظر إليه فوجده قاعداً . قال : ثم قال : عد مكانك . قال : فأقبل يضرب يداً على يد فلما قام أبو عبد الله (ع) وخرج دعا حاجبه وقال : بأي شيء أمرتك ؟ فقال : والله ما رأيته حين دخل ولا حين خرج إلا عندك وهو قاعد .

وعن عبد الله بن أبي ليلى قال: كنت بالربذة مع المنصور وقد كان وجه إلى أبي عبد الله (ع) فأتي به وبعث إلي المنصور فدعاني ، فلما انتهيت إلى الباب قال: عجّلوا به إلي قتلني الله إن لم أقتله ، سقا الله الأرض من دمه ، فسألت الحاجب من يعني قال: يعني جعفر بن لم أسقي الأرض من دمه ، فسألت الحاجب من يعني قال: يعني جعفر بن محمد الصادق (ع) ، فإذا قد أتي به ومعه عدة جلاوزة ، فلما انتهى إلى الباب قبل أن يرفع الستر رأيته (ع) قد حرك شفتيه عند رفع الستر ، فلما بصر به المنصور قال: مرحباً يابن رسول الله ، مرحباً بك يابن العم ، فما زال يرفعه حتى أجلسه على وسادته ودعا بالطعام فرفعت رأسي وأقبلت أنظر إليه فقال: يا داوود اقض وائجه وأمره بالإنصراف ، فلما خرج قال: قد عرفت موالاتي لك داوود اقض حوائجه وأمره بالإنصراف ، فلما خرج قال: قد عرفت موالاتي لك صرت إلى الباب رأيتك قد تململت شفتاك وما أشك إلا أنه شيء قلته فعلمنيه أقوله إذا أنا دخلت عليه قال: نعم قال: ما شاء الله لا يأتي الخير إلا من عند الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي كتاب مشارق الأنوار روي أن المنصور لما أراد قتل الصادق (ع) دعا قوماً من الأعاجم لا يعرفون الإسلام ولا يفهمون ولا يعقلون ، فخلع عليهم الديباج والوشى وحمل إليهم الأموال ثم استدعاهم وكانوا مائة رجل ، فقال للترجمان : قل لهم : إن للملك عدواً يدخل عليه الليلة فاقتلوه إذا دخل عليه ، للترجمان : قل لهم ممتثلين لأمره فاستدعى جعفراً (ع) وأمره أن يدخل عليه وحده ، ثم قال للترجمان : قل لهم هذا عدوي فقطعوه ، فلما دخل (ع) ونظروا إليه تعاووا كعوي الكلاب ورموا أسلحتهم وكتفوا أيديهم إلى ظهورهم وخروا له سجداً ومرغوا وجوههم على التراب ، فلما رأى المنصور ذلك خاف على نفسه وقال : ما جاء بك ؟ قال (ع) أرسلت إلي فأجبتك وما جئتك إلا مغتسلاً متحنطاً والقوم على وجوههم سجداً فقال المنصور : معاذ الله أن يكون ما تزعم ارجع راشداً ، فرجع جعفر (ع) والقوم على وجوههم سجداً فقال المنصور للترجمان : قل لهم لم لا قتلتم عدو والقوم على وجوههم سجداً فقال المنصور من قولهم وسرّحهم تحت الليل ثم قتله ولا نعرف لنا ولياً سواه ، فخاف المنصور من قولهم وسرّحهم تحت الليل ثم قتله بعد ذلك بالسم .

وفي رواية عن عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال؛ حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال للربيع: ابعث إلى جعفر بن محمد (ع) واتنا به متعباً قتلني الله إن لم أقتله ، فتغافل الربيع عنه لينساه فأعاد ذكره الربيع وقال: ابعث من يأتيني به قتلني الله إن لم أقتله ، فتغافل الربيع عنه فأرسل إلى الربيع رسالة قبيحة أغلظ فيها عليه بما لا دافع له إلا الله تعالى من القتل ، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله ثم أن الربيع أحضر جعفراً (ع) فلما دخل جعفر (ع) أوعده وتهدده بالقتل وقال: أي عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يبعثون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبتغي لي الغوائل ، فوالله لأقتلنك ولا مانع لي من ذلك ، فقال (ع): يا أمير المؤمنين إن سليمان (ع) أعطي فشكر ، وإن أيوب (ع) ابتلى فصبر ، وإن يوسف (ع) ظلم فغفر ، وأنت من

ذلك السنخ ، فلما سمع المنصور ذلك قال : وأنت يا أبا عبد الله عندي أبر للسماحة وأسلم للنجاحة القابل للغاية ، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم ، ثم تناوله بيده فأجلسه على فراشه ثم أمر بطيب فطيّب به لحية جعفر (ع) وقال له : قم في حفظ الله تعالى وكفايته ، فخرج (ع) فقال المنصور للربيع : الحق جعفر (ع) بالكسوة والجائزة ، فلحقه بهما وقال له : يا جعفر ما قلت حين دخلت وما قلت حين خرجت .

قال (ع) قلت : أللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بركنك الذي لا يرام ، ففعل الله تعالى بي ما رأيت وهكذا دأبه صلوات الله عليه مع المنصور في جميع الأوقات والشهور لا زال يغتنم فيه الفرص ويسوقعه في المحذور والغصص ، وقد طلبه مراراً وعزم على قتله سراً وجهاراً ، وحيث لم يحتم المقدور صرف الله تعالى عنه ذلك البلاء والشرور فلما أحب الله تعالى شهادته وحضر وقته وأحب لقائه أغار عليه المنصور ، فدس إليه سماً نقيعاً في عنب ورمان فأكله سلام الله عليه فجعل يجود بنفسه وقد اخضر لونه وصار يتقيأ كبده قطعاً قطعاً حتى قضى نحبه ولقي ربه شهيداً مظلوماً ، فلما مات (ع) تزعزعت المدينة بسكانها ، وخرجت المخدرات من خدورها وأوطانها ناشرات للشعور هاتكات للستور شاقات للجيوب خامشات للوجوه لاطمات للخدود خادشات للنواصي والعيون ، كل تنادي : وا إماماه ، وا جعفراه ، وا سيداه ، وخرج المساكين والأيتام ينادون : وا ضيعتاه وا محنتاه وا قلة ناصراه .

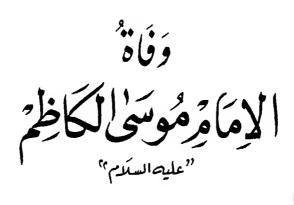
وبكاه ابنه موسى الكاظم (ع) قائلاً يا أبتاه من [لنا] بعدك واطول حزناه واحسرتاه من بعدك يا أبتاه وا انقطاع ظهراه ، وقد نص على ابنه موسى بن جعفر وأسر إليه تلك الوصاية وأظهرها وأشهد عليها جملة من الأوصياء والأعداء ، وقد مر ذكرها سابقاً فقام موسى (ع) في جهاز أبيه (ع) فغسّله وحنّطه كما أمره وكفنه وعيناه تهملان دموعاً وحمل جنازته (ع) إلى البقيع ودفنه جوار أبيه وعمه (ع) .

وقد روي أنه لما حملت جنازته ورفع سريره رثاه ابن هريرة الشاعر في تلك الحال فانشأ بقول :

أقسول وقمد راحسوا بمه يحملونمه أتــدرون من ذا تحملون على الثـري غداة حثا الحاثون فوق ظريحه فيا صادق بن الصادقين ألية فحق بكم ذو العرش أقسم في الورى نجوم هي اثنا عشر قـد كن سُبَّقــاً ولا عجباً لو أنزلوك إلى الثرى وساخت بأهليها ولم تك ساعة سأبكيك ما دامت عيوني في الشرى ألا لحسن الله المذيسن تسبوأوا أتقتمل يما شر البريمة جعفراً وتتسرك هذا الدين من غير والياً سألبس أثواب الضنا مدة البقا وكيف تلذ العين غمضاً وقد جرى فيا نكبة ما مثلها قط نكبة صلة إله العرش مثل سلامه

على كاهل من حامليه وعاتق ثبيسر ثوى من رأس علياء شماهق ترابأ وأولى كان فوق المرافق بآبائك الأطهار حلفة صادق فقال تعالى الله رب المشارق إلى الناس في علم من الناس سابق فلولاك فيها لم تكن في الحقائق بسالمة من حل تلك البوائق إلى يوم حشري عند ربي وخالقي مقاماً منكم لا سيما ابن الدوانق ومن قال فيه خالقي خير صادق وصامته أضحى به غير ناطق وأهجر صفو العيش غير مرافق على خير خلق الله شمس المشارق لقد عطلت تلك السما بعد طارق وتسليمه ماذر نور المشارق

وهذا آخر ما أردنا رسمه من الأخبار في وفاته ، وإلا فما ورد فيه من المعاجز والفضائل والبراهين والدلائل ما لا يأتي عليها أقلام الأنام ، ولو كانت الأنام كلها كتاباً والبحار مداداً والأشجار كلها أقلاماً وساعدتها العوالم إسعاداً لما بلغوا مقدار قطرة من تلك السجال ، ونسأل الله المتعال أن يجعله في محل القبول فندرك به المقصود والمأمول والمجاورة معهم في تلك المحال والشرب من كأس أميرهم في وقت ذلك الزلزال ، وصلى الله على محمد وآله خير نبي وأكرم آل وسلم تسليماً كثيراً مباركاً .



تأليفت العلامة الثيخ حسين بن الشيخ المحدب عصغمر الدارزي البحراني

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي ابتلى أوليائه بأرجاس الناس من حيث أذهب عنهم البرجس وطهّرهم من إلباس فحسدوهم على مراتبهم التي رتبهم الله فيها حتى أخمدوا منهم تلك الأنفاس ، والصلاة والسلام من الله ومن ملائكته المطهرين وأنبيائه المرسلين إلى يوم حشر الناس من الأرماس وبعد: فيقول فقير الله الكريم المجازي حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرازي (ره) إني لما رأيت إعراض الناس عن إقامة المآتم والمراثي على من سوى الحسين (ع) من الأئمة ، مع مشاركتهم له في المصائب الجمة ونيل مراتب الشهادة والانتقال إلى منازل [الآخرة]، سيما مولانا مجمع المكارم وحجة العالم على جميع المعالم موسى بن جعفر الكاظم (ع) ، فإنه ممن ابتلى بأهل زمانه وقد أوقدوا نار الحروب وأداروا رحى المصائب والكروب على أهل البيت (ع) ، فدارت عليه أقداح سمومها وألجموه في سجون همومها وغمومها ، حيث قد ابتلي بطواغيت بني العباس فصادفت أيامه من ملوكهم أربعة قد أذهبوا بدين الله وجعلوا أعـــلامه في غاية الانتكاس ، فلا زال مسجوناً كأثقال الأغلال وقابلوه بالتكذيب ونسبوه إلى الكفر والضلال فاشتدت البلية وتراكمت سحب الثقة فانتزعت الأرواح وأثخنوهم بالقتل والجراح ، فأحببت أن اؤلف كتاباً صغيراً اجمع فيه ما وصل إلى من أخباره المتضمنة ما جرى عليه من أعدائه الطغاة من الولادة إلى حين الوفاة ، وأقدم في ذلك بعض أحواله والنص عليه من آبائه (ع) وبعض من

فضائله الدالة على كرمه وإجلاله فاصلاً لبعض الروايات ببعض المراثي من الأبيات ، راجياً من الله الاستعانة على هذه الخدمة مدة الحياة لينفعني الله بذلك يوم الجزاء بعد الممات وسميته : لهيب الأحزان الضارم في وفاة موسى بن جعفر الكاظم ، وهذا أوان الشروع في المقصود ونسأل الكريم أن ينفعنا به إنه أهل الكرم والجود .

روي في العيون بإسناده عن زيد بن سليط الزيدي قال: لقينا أبا عبد الله جعفر الصادق (ع) في الطريق قاصداً إلى مكة ونحن جماعة ، فقلت له: بأبي أنت وأمي أنتم الأئمة المطهرون والموت لا يتعرى منه أحد فأحدث إلى شيئاً القيه إلى ما يخلفني فقال لي: نعم هؤلاء ولدي وهذا سيدهم - وأشار إلى ابنه موسى الكاظم - ففيه العلم والحكمة والفهم والسخاء والمعرفة فيما يحتاج إليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ، وفيه حسن الخلق وحسن الجوار وهو باب من أبواب الله عز وجل ، وفيه أخرى وهي خير من هذا كله فقلت له: ما هي بأبي أنت وأمي ؟ فقال: يخرج الله تعالى منه غوث هذه الأمة وغياثها وعلمها ونورها وفهمها وحكمها وخير مولود وخير ناشيء ، يحقن الله تعالى به اللماء ، ويصلح به ذات البين ، ويلم به الشعث ، ويشعب به الصدع ، ويكسو به العاري ، ويشبع به الجائع ، ويؤمن به الخائف ، وينزل به القطر ، ويأتم به العباد ، خير كهل وخير ناشيء ، يبشر به عشيرته قبل أوان حلمه ، قوله حكم وصمته علم يبين للناس ما يختلفون فيه ، قال : فقال : بأبي أنت أيكون له ولد بعده ؟ قال : نعم ثم قطع الكلام .

قال زيد: ثم لقيت أبا الحسن موسى بن جعفر (ع) بعد فقلت له: بأبي أنت وأمي إني أريد أن تخبرني بمثلما أخبرني به أبوك قال؛ فقال: كان أبي في زمان ليس هذا مثله، قال زيد: فقلت: من لا يرضى منك بهذا فعليه لعنة الله فضحك (ع) ثم قال: يا أبا عمارة إني خرجت من منزلي إلى أولادي، ثم أشركتهم مع على الرضا ابني وأفردته بوصيتى في الباطن، ولقد رأيت رسول الله

في المنام وأمير المؤمنين (ع) ومعمه خاتم وسيف وعصا وكتاب وعمامة فقلت له : ما هذا ؟ فقال : أما العمامة فسلطان الله ، وأما السيف فعزة الله تعالى ، وأما الكتاب فنـور الله عز وجـل ، وأما العصـا فقوة الله عـز وجل ، وأمـا الخاتم فجامع هذه الأمور. ثم قال رسول الله (ص): والأمر يخرج إلى علي (ع) قال : ثم قال : يــا زيد إنهــا وديعة الله عنــدك ، فلا تخبـر بها إلا عــاقلًا أوعبــداً امتحن الله قلبه للإيمان ، أو صادقاً فلا تكفر نعم الله تعالى ، وإن سئلت عن الشهادة فأدها ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنْ الله يأمركم أَنْ تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾(١) وقال عز وجل ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله كه (٢) فقلت : والله لا أفعل هذا أبدأ ، قال؛ ثم قال (ع) : ثم وضعه لي رسول الله (ص) فقال : على ابنك الذي ينظر بنور الله ويسمع ويفهم وينطق بحكمته ويصيب فلا يخطىء ويعلم ولا يجهل ملىء حكماً وعلماً ، وما أقل مقامك معه إنما هـو شيء كان ولم تكن ، فإذا رجعت من سفرك فاصلح أمرك جميعاً وكفي بالله شهيداً ، ثم قال يا زيد : إني أوخذ في هذه السنة ، وعلي ابني سمي علي بن أبي طالب (ع) ، وسمي علي بن الحسين (ع) ، أعطى فهم الأول وعلمه ونصره وورده ، وليس لمه أن يتكلم إلا بعد همارون بأربع سنين ، فإذا مضت أربع سنين فاسأله عما شئت يجبك إن شاء الله .

وروى الصدوق (ره) في الإكمال بإسناده إلى إبراهيم الكرخي قال : دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) وجلست عنده إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم (ع) وهو غلام ، فقمت إليه فقبلته وجلست فقال لي أبو عبد الله : يا إبراهيم أما أنه صاحبك من بعدي ، أما ليهلكن فيه قوم ويسعد آخرون ، فلعن الله قاتله وضاعف اللعن على روحه والعذاب ، أما

⁽١) سورة النساء ، الآية : ٥٨ .

⁽٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٠ .

ليخرجن من صلبه خير أهل الأرض في زمانه ، سمي جده ووارث علمه وأحكامه وفضائله ، معدن الامامة ورأس الحكمة ، يقتله جبار بني العباس بعده بعد عجائب طريفة حسداً له ، ولكن الله بالغ أمره ولو كره المشركون ، يخرج الله تعالى من صلبه تمام اثني عشر مهدياً اختصهم الله تعالى بكراماته وأحلهم دار قدسه ، المقر بالثاني عشر منهم كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله ينب عنه ، فدخل رجل من موالي بني أمية فانقطع الكلام فعدت إلى أبي عبد الله (ع) أحد عشر مرة أريد أن يستتم الكلام فلم أقدر على ذلك فلما كان قابل السنة الثانية دخلت عليه وهو جالس فقال : يا إبراهيم المفرج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد وبلاء طويل وجزع وخوف فطوبي لمن أدرك ذلك الزمان حسبك يا إبراهيم فما رجعت بشيء أسر من هذا لقلبي ولا أقر لعيني .

وفي رواية زرارة بن أعين قال : دخلت على أبي عبد الله (ع) وقدامه مرقد مغطى فقال لي : يا زرارة آتني بداود الرقي وحمران وأبي بصير ، ودخل عليه المفضل بن عمر فخرجت فأحضرت ما أمرني بإحضاره ، ولم يزل الناس يدخلون واحداً أثر واحد حتى حضرنا في البيت ثلاثون نفراً فلما حشد المجلس قال : يا داود اكشف لي عن وجه إسماعيل (رض) فكشف عن وجهه فقال أبو عبد الله (ع) : حي هو أم ميت ؟ فقال : يا مولاي هو ميت ، فجعل يعرض ذلك على رجل رجل حتى أتى على آخر من بالمجلس وكل يقول : هو ميت يا مولاي فقال (ع) : اللهم اشهد ، ثم أمر (ع) بغسله وحنوطه وأدرجه في أثوابه فلما فرغ قال للمفضل : احسر عن وجهه فحسر عن وجهه وقال للجماعة أحي هو أم ميت ؟ فقالوا له : ميت فقال : اللهم اشهد فإنه سيرتاب المبطلون يريدون اطفاء نور الله بأفواههم ، ثم أومي لى موسى (ع) والله متم نوره ولو كره المشركون ثم حثوا عليه التراب ، ثم أعاد علينا القول وقال : الميت المكفن المحنط المدفون في هذا اللحد من هو ؟ فقلنا : ابنك اسماعيل فقال (ع) : اللهم اشهد ، ثم أخذ بيد موسى (ع) وقال : هذا هو الحق والحق معه ومنه إلى أن يرث الله أخذ بيد موسى (ع) وقال : هذا هو الحق والحق معه ومنه إلى أن يرث الله أخذ بيد موسى (ع) وقال : هذا هو الحق والحق معه ومنه إلى أن يرث الله أخذ بيد موسى (ع) وقال : هذا هو الحق والحق معه ومنه إلى أن يرث الله أخذ بيد موسى (ع) وقال : هذا هو الحق والحق معه ومنه إلى أن يرث الله أخذ بيد موسى (ع) وقال : هذا هو الحق والحق معه ومنه إلى أن يرث الله أخذ بيد موسى (ع) وقال : هذا هو الحق والحق معه ومنه إلى أن يرث الله أنه ورث عليها الحديث

ولله در من قال :

فلله خطب هائل ما أجله مصاب دهى الإسلام إذا وقع البلا لقد هدموا دين الآله بما جرى لقد غاب عن ذا الخلق أشم غيبة وظل الهدى والرشد في الخلق منكرا فيا قائل الله الرشيد ومن مضى لقد أزهقوا روح النبي وعطلوا يومهم لعن من الله دائم

على الدين من بعد النبي محمد بموسى حليف المجد خير موسد عليه فيا لله من شر معتدي عقيب أبيه الصادق المتهجد وأصبح دين الله في بطن ملحد إلى جعفر المنصور أخبث ملحد لقلب على مع بتولة أحمد وأوقعهم في حر نار موقد

ولما استتم النص عليه من أبيه (ع) وأكده غاية التأكيد سعت به الوشاة إلى ذلك الرجيم العنيد أبي جعفر المنصور ، وأضمر له العداوة والشرور ، وبالغ في إطفاء ذلك النور ، ثم من بعده ولده المهدي إلى أن مضت عشر سنين وعشرة أشهر وأيام ، ثم من بعده ولده الهادي سنة وخمسة عشر يوماً ، ثم هارون الرشيد ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوماً ، لكنه (ع) لم يكن في أيام خلافة الرشيد إلا خمسة عشر سنة ، ولقد حبسه الرشيد مراراً وأغرى بقتله سراً وجهاراً ، فلم يزل يلقيه في سجونه مرة بعد أخرى ويغري به من لا دين له لقتله سراً .

وفي كتاب الإختصاص مسنداً إلى محمد بن الزبرقان الدامغاني قال أبو الحسن موسى بن جعفر (ع): لما أمر هارون الرشيد بحملي ، دخلت فسلمت عليه فلم يرد علي السلام ، فرأيته مغضباً فرمى إليَّ بطومار وقال لي : اقرأه فإذا فيه كلام قد علم الله عز وجل براءتي منه ، وفيه أن موسى بن جعفر (ع) يجيء إليه الخراج من الأفاق من غلاة الشيعة ممن يقول بإمامته يدينون الله تعالى بذلك ، ويزعمون أنه فرض عليهم أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ويزعمون أنه من لم يذهب إليه بالعشر ، ولم يصلً بإمامتهم ويحج بإذنهم ويجاهد بأمرهم

ويحمل الغنيمة إليهم ويفضلهم على جميع الخلق ويفرض طاعتهم مثل طاعة الله تعالى ورسوله (ص) فهو كـافر ، حلل الله مـاله ودمـه وفيه كــلام شناعـة مثل استحلال الفروج بأمره (ع) ولـو بـدرهم ، والبـراءة من السلف ويلعنـونهم في صلاتهم ويزعمون أنه من لم يتبرأ منهم فقد بانت منه امرأته ، ومن أخَّـر الوقت للوقت فيلا صلاة ليه لقول الله عنز وجل فقيد ﴿ أَضَاعِوا الصَّلَاةِ ﴾ (١) الآية ، ويزعمون أن غياً واد في جهنم والكتاب طويل وأنا قائم بين يديه اقرأه وهو ساكت فرفع رأسه وقال: إنك اكتفيت بما قرأت فتكلم بحجتك فقلت: يا أمير المؤمنين والذي بعث محمداً (ص) بالنبوة ما حمل إلى أحد درهماً ولا ديناراً من طريق الخراج ، لكنا معاشر آل أبي طالب نقبل الهدية التي أحلها الله تعالى لنبيه (ص) لقوله : لو أهدي إلى كراع لقبلت ، ولو دعيت على ذراع لأجبت ، وقد علم أمير المؤمنين ضيق ما نحن فيه وكثرة عدونا وما منعنا السلف من الخمس الذي نطق لنا به الكتاب فضاق بنا الأمر ، وقد حرمت علينا الصدقة وعوضنا الله تعالى عنها الخمس ، فاضطررنا إلى قبول الهدية وكل ذلك مما علمته يا أمير ، فلما تم كلامي سكت ثم قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لابن عمه في حديث عن آبائه (ع) عن رسول الله (ص) فكأنه اغتنمها فقال: مأذون لك هاته فقلت:

حدثني أبي (ع) عن آبائي (ع) يرفعونه إلى رسول الله أن يد الرحيم إذا مست رحماً تحركت واضطربت ، فإن تناولني يدك فأشار بيده إلى ثم قال؛ ادن مني ، فدنوت منه فصافحني وجذبني إلى نفسه ملياً ثم فارقني ، فدمعت عيناه وقال : اجلس يا موسى فليس عليك بأس ، صدقت وصدق آبائك وصدق جدك النبي (ص) ، لقد تحرك دمي واضطربت عروقي واعلم أنك لحمي ودمي ، وأن الذي حدثتني به صحيح ، وإني أريد أن أسألك عن مسألة فإن أجبتني علمت

⁽١) سورة مريم ، الآية : ٥٩ .

أنك صدقتني وخليت عنك ووصلتك ولم أصدق ما قيل فيك ؟ فقلت : ما كان علمه عندي أجبتك فيه ، فقال : لم لا تنهون شيعتكم عن قولهم لكم : يا ابن رسول الله وأنتم ولد علي وفاطمة إنما هي وعاء والولد ينسب إلى الأب لا إلى الأم ؟ فقلت : إن رأي أمير المؤمنين أن يعفيني من هذه المسألة ، فقال : لست أفعل أو تجيب فقلت : أنا في أمانك أن لا يصيبني من آفة السلطان شيء فقال : لك الأمان فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى ﴾ (١) (ع) فمن أبو عيسى ؟ فقال : ليس له أب ، إنما خلق من كلام الله وروح القدس ، فقلت : إنما ألحق عيسى بذراري الأنبياء بمريم (ع) ، ونحن ألحقنا بذراري الأنبياء بفاطمة (ع) لا من قبل علي (ع) فقال : أحسنت يا موسى زدنى من مثله فقلت :

اجتمعت الأمة برها وفاجرها أن حديث النجراني حين دعاه النبي للمباهلة لم يكن في الكساء إلا هو وعلى وفاطمة والحسن والحسين (ع) ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل ﴾ (٢) فكان تأويل ابنائنا الحسن والحسين ونسائنا فاطمة ، وأنفسنا على بن أبي طالب ، ثم قال : أحسنت ثم قال : أخبرني عن قولك ليس لابن العم مع ولد الصلب ميراث ، فقلت : اسألك بحق الله وحق رسوله يا امير المؤمنين أن تعفيني من هذه المسألة وكشفها وهي عند العلماء مستورة ، فقال : إنك ضمنت لي أن تجيب فيما اسألك ولست أعفيك فقلت له : جدد لي الأمان ثانية ، فقال : قد آمنتك .

⁽١) سورة الأنعام ، الآيتين : ٨٤ ، ٨٥ .

⁽٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

فقلت: ان النبي (ص) لم يورث من قدر على الهجرة ولم يهاجر ، وأن عمي العباس قد قدر على الهجرة ولم يهاجر ، وإنما كان في الأسارى مع النبي (ص) وجحد أن يكون له الفداء فأنزل الله على النبي (ص) يخبره بدفين له من ذهب ، فبعث علياً (ع) فأخرجه من عند أم الفضل وأخبر العباس بما أخبر به جبرائيل عن الله تعالى ، فأذن لعلي فأعطاه علامة الذي دفن فيه ، فقال العباس عند ذلك : يا ابن أخي ما فاتني منك أكثر فأشهد أنك رسول رب العالمين ، فلما أحضر علي الذهب ، قال العباس : أفقرتني يا ابن اخي ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم نجيراً مما أخد منكم ويغفر لكم ﴾(١) ، وقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾(٢) ثم قال تعالى : ﴿ وإن استنصر وكم في الدين فعليكم النصر ﴾(٣) ، فرأيته قد اغتم .

ثم قال: أخبرني من أين قلتم أن الإنسان يدخله الفساد من قبل الإماء حال الخمس الذي لا يدفع إلى أهله ، فقلت: أخبرك يا أمير المؤمنين بشرط أن لا تكشف هذا الباب لأحد ما دمت حياً ، وعن قريب يفرق الله بيننا وبين من ظلمنا وهذه مسألة لم يسأل بها أحد من السلاطين غير أمير المؤمنين ، قال: ولا تيم ولا عدي ولا احد من بني أمية ولا أحد من آبائنا ؟ قلت: ما سئلت ولا سئل جدي أبو جعفر (ع) عنها قال؛ فإن بلغني منك أو من أحد أهل بيتك كشف ما أخبرتني به رجعت عما آمنتك منه ، فقلت: لك علي ذلك ، فقال: أحببت أن تكتب لي كلاماً موجزاً له أصول وفروع يفهم تفسيره ، ويكون عن سماعك من أبي عبد الله (ع) ، فقلت: نعم وعلى عيني يا أمير المؤمنين قبال: فإذ غرغت فأرفع حوائجك ، فقام ووكل بي من يحفظني وبعث إليًّ في كل يـوم مائلة فكتت:

⁽١) سورة الأنفال ، الآية : ٧٠ .

⁽۲ ، ۳) سورة الأنفال ، الآية : ۷۲ .

بسم الله الرحمٰن الرحيم: أمور الدنيا أمران أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها والأخبار المجتمع عليها المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حاجة وحادثة ، وأمر يحمل الشك فيه والإنكار وسبيل استيضاح أهل الحجة عليه ، فما ثبت لمنتحليه من كتاب مجمع على تأويله أو سنة عن النبي (ص) لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ضاق على من استوضح تلك الحجة ردها ووجب عليه قبولها والإقرار والديانة بها ، وما لم يثبت لمنتحليه به حجة من كتاب مجمع على تأويله وسنة عن النبي لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله وسع الأمة خاصها وعامها الشك فيه والإنكار له في ذلك فهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه إلى ارش الخدش فما دونه ، فهذا الذي يعرض عليه أمر الدين فما ثبت لك برهانه الحدش فما دونه ، فهذا الذي يعرض عليه أمر الدين فما ثبت لك برهانه الحكيل .

وأخبرت الموكل بي أني قد فرغت من حاجته ، فأخبره فخرج وعرضت عليه الكتاب ، فقال : أحسنت يا موسى هو كلام جامع موجز ، فارفع حوائجك يا موسى فقلت : يا أمير المؤمنين أول حاجتي أن تأذن لي بالانصراف إلى أهلي فإني تركتهم باكين آيسين مني ومن أن يروني ابداً فقال : مأذون لك اردد ، فقلت : عليّ عيال كثيرة وأعيننا بعد الله ممدودة إلى فضل أمير المؤمنين ودعائه ، فأمر لي بمائة ألف درهم وكسوة وحملني وردني إلى أهلي مكرماً .

ولله در من قال :

تباً لدنيا غدرت ساداتها ووفت لأبناء المئام بما رأوا حجبوا جهاراً عن تراثهم وقد صبراً على مضض الزمان وما بدا أيقاد موسى خاضعاً متذللاً

ورمتهم لبلائها وشتاتها من حادثات بلائها بهداتها نالوا العناء بها وخلف عداتها من جوره إذ حل في ساحاتها لرشيدها ويكف عن نحلاتها

ويسرى بأنواع القيود مكبلاً فكأنه من كابسل أهدي إلى ويصد عن حكم الإله ولم يكن والهف نفسي والتلهف لم ينزد فلا ألبسن عليهم ثوب الضنا

ولا يحتظي بصلاتها وصلاتها شر الطغاة وشر نسل بغاتها من ناصر يحميه بين عداتها نفسي شفاء غليلها وهنائها ولأخلعن لباس طيب حياتها

وفي العيون بإسناده إلى موسى بن جعفر (ع) قال : لما دخلت على الرشيد سلمت عليه فرد علي السلام ثم قال : يا موسى بن جعفر خليفتين يجبى اليهما الخراج ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن تبوأ بأثمي واثمك وتقبل الباطل من أعدائنا . فقد علمت أنه كذب علينا منذ قبض رسول الله (ص) ، وإني أسألك بقرابتك من رسول الله (ص) أن تأذن إلي أحدثك بحديث أخبرني به عن آبائه (ع) عن جدي رسول الله (ص) . قال : هات فقلت : إن رسول الله قال : إن يد الرحيم إذا مست رحماً تحرك دمه واضطربت عروقه ، فناولني يدك فقال : ادن مني فدنوت منه فأخذ بيدي ثم جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ثم تركني وقال : اجلس فليس عليك بأس ، فنظرت إليه وإذا هو قد دمعت عيناه فرجعت إلى نفسي فقال : صدقت يا موسى فنظرت إليه وإذا هو قد دمعت عيناه فرجعت إلى نفسي فقال : صدقت يا موسى علي الرقة وفاضت عيناي ، وأنا اسألك عن مسألة تختلج في صدري منذ حين علم أسأل عنها أحداً ، فإن أنت أجبتني عنها خليت عنك ، ثم ذكر مثل الحديث السابق مع اختلاف يسير .

وفي العيون أيضاً بإسناده عن سفيان بن بزال قال : كنت يوماً على رأس المامون فقال : أتدرون من علمني التشيع ؟ فقال القوم جميعاً : لا والله ما نعلم ، فقال : علمني الرشيد ، فقيل له : وكيف ذلك وان الرشيد كان يقتل أهل هذا البيت (ع) ؟ فقال : كان يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم ، ولقد حججت معه سنة فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجابه وقال : لا يدخل على

أحد من أهل المدينة ومكة وسائر المهاجرين والأنصار وبني هاشم وسائر بطون قريش إلا نسب نفسه ، فكان الرجل إذا دخل عليه قال : أنا فلان ابن فلان حتى ينتهى إلى جده من هاشم قريش أو مهاجري أو أنصاري ، فيصله من المال بخمسة آلاف درهم وما فوقها وما دونها إلى ما فوق مقامه على قدر شرف وهجرة آبائه فبينما أنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيـع فقال : يــا أمير المؤمنين إن بالباب رجل يزعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبي طالب ، فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه والأمين والمؤتمن ، وسائر القواد فقال : احفظوا على أنفسكم ثم قال لصاحب الإذن ائذن لـه ولا ينزل إلا على بساطى ، فبينما أنا كذلك إذ دخل علينا شيخ قد أنهكته العبادة كأنه شن بال ٍ وقد أكل السجود وجهه وأنفه ، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه فصاح الرشيد: لا تنزل إلا على بساطى ، فمنعه الحجاب عن الترجل فنظرنا إليه بأجمعنا بالإجلال والإعظام فما زال يسير على حماره حتى صار على البساط والحجاب محدقون به ، فلما نزل قام الرشيد فاستقبله إلى آخر البساط فقبّل وجهه وعينيه وأخذ بيده وصيّره إلى صدر المجلس وجلس معه وجعل يقبل بوجهه عليه ويسأله عن أحواله ، ثم قال : يا أبا الحسن كم عليك من العيال ؟ قال (ع) : يزيدون على الخمسمائة قال : أولاد كلهم ؟ فقال : لا أكثرهم موالي وحشم ، وأما الولد فلي نيف وثلاثون الذكران كذا والنسوان كذا ، قال : فلم لا تزوج النسوان من بني عمومتهم وأكفائهم ؟ فقال اليد تقصر عن ذلك قــال : فما حال الضيعة ؟ قال : تعطي في وقت وتمنع في آخر ، قال : فهل عليك دين ؟ قال : نعم قال : نحو كم ؟ قال (ع) : نحو من عشرة آلاف دينار فقال الرشيد : يا ابن العم أنا أعطيك من المال ما تـزوج به الـذكران والإنـاث وتقضى الدين وتعمر الضياع ، فقال (ع) : وصلت يا ابن العم وشكر الله لك هذه النية الجميلة والرحم ماسّة والقرابة راسخة والنسب واحد ، والعباس عم النبي وصنو أبيه وعم على بن أبي طالب وصنو أبيه ، وما أبعدك الله من أن تفعل ذلك وقد بسط يمدك وأكرم عنصرك وأعلا مجدك ، فقال : أفعل ذلك إن شاء الله تعالى يا أبا الحسن

كرامة لك فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد فرض على ولاة أمره أن يفتشوا عن فقراء الأمة ، فيقضون عن الغارمين ، ويؤدون عن المعيل ، ويكسون العاري ويحسنون إلى العاني ، وأنت أولى من يفعل ذلك قال : أفعل يا أبا الحسن ، ثم قام فقام الرشيد لقيامه وقبّل عينيه ووجهه ثم أقبل علي وعلى الأمين فقال : يا عبد الله ويا محمد ويا إبراهيم امشوا بين يدي ابن عمكم موسى وسيدكم خذوا بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله . فأقبل علي أبو الحسن (ع) سراً بيني وبينه وبشرني بالخلافة فقال لي : إذا ملكت فأحسن إلي في ابني ، ثم انصرف وكنت أجرأ ولد أبي عليه فلما خلا المجلس قلت : يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي عظمته وأكرمته وأجللته وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له ؟ فقال هذا إمام الناس وحجة الله على جميع خلقه وخليفته في عباده ، فقلت : يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات لك وفيك كلها ؟ فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر وفي الغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حق ، والله إنه لأحق بمقام رسول الله (ص) مني ومن جميع الخلق ، والله لو نازعتني أنت في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك فإن الملك عقيم .

فلما أراد الرحيل من المدينة أمر بصرة فيها امائتا دينار ثم أقبل على الفضل ابن الربيع وقال له: إذهب بهذه الصرة إلى موسى بن جعفر وقبل له: يقبول لك أمير المؤمنين: نحن في ضيقة وسيأتيك الغنى بعد هذا الوقت، فقمت في صدره وقلت: يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار وما دونها، وتعطي موسى بن جعفر وقد عظمته وجللته مائتي دينار أخس عطية أعطيتها أحداً من الناس ؟ فقال لي: اسكت لا أم لك، فإني لو أعطيته الذي ظمنه له ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، الفقر لهذا ولأهل بيته أحسن لي ولكم من أبسط أيديهم وأعينهم لنا، فلما نظر ذلك مخارق المغني دخله من ذلك غيظ فقال للرشيد: يا أمير المؤمنين قد دخلت المدينة وأكثر أهلها يطلبون مني وإن خرجت ولم أقسم فيهم شيئاً لم يتبين لهم فضل

أمير المؤمنين علي ومنزلتي عنده فأمير له بعشيرة آلاف دينار فقال: يا أمير المؤمنين إن لأهل المدينة علي دين وأحتاج أن أقضيه ، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى فقال: يا أميسر المؤمنين بناتي أريد أن أزوجهم وأنا محتاج لزواجهم ، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى فقال: لا بد من غلة تعطينها ترد علي وعلى عيالي وأزواجهم ، فأمر له بأقطاع ما تبلغ غلته في السنة عشرة آلاف دينار وأن يعجل له ذلك كله ، ثم قام مخارق من فوره وقصد موسى بن جعفر (ع) وقال له: إني وقفت على ما عاملك به هذا الملعون وما أمر لك به فاحتلت عليه وأخذت منه صلة ثلاثون ألف دينار واقطاع وهبها إلي ، وما أخذتها إلا لك وأشهد لك بهذه الأقطاع وقد حملت المال إليك يا سيدي . فقال (ع) : بارك الله لك في مالك وأحسن جزاك ، وما كنت لأخذ منها درهماً واحداً ولا من بارك الله لك في مالك وأحسن جزاك ، وما كنت لأخذ منها درهماً واحداً ولا من وانصرف .

ولله در من قال:

فيا عجباً من دهر سوء أباد من وطالت بها أعناق كل مرنم وأبعد عن مالهم وتراثهم فوالهف نفسي مثل موسى يقوده فيا قاتل الله الرشيد ونسله

له الأمر في العليا فأخمد نارها وشب عليهم نارها وشنارها ومكن منها بعد ذاك شرارها دعي بغي قد تسنم عارها وأسكنه في ذي الجحيم قرارها

وفي العيون عن إبراهيم بن هاشم قال: سمعت رجلاً من أصحابنا يقول: لما حبس الرشيد موسى بن جعفر (ع) أجن عليه الليل فخاف ناحية هارون أن يقتله فجدد موسى (ع) ظهوره واستقبل القبلة وصلى لله عز وجل أربع ركعات، ثم دعا بهذه الدعوات قائلاً: يا سيدي نجني من حبس هارون وخلصني من يده يا مخلص الشجر من بين رمل وطين وماء، ومخلص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلص النار من

بين الحديد والحجر ، ويا مخلص الروح من بين الأحشاء والأمعاء خلصني من هذا الرجل . قال : فلما دعا موسى بهذا الدعاء أتى هارون رجل أسود وبيده سيف مسلول وهـ و نائم فـ وقف عليه وهـ و يقـ ول : يـا عـ دو الله أطلق مـ وسى بن جعفر (ع) من الحبس والحديد وإلا ضربت عاليك بهذا السيف ، فخاف هارون من هيبته ثم دعا الحاجب وقال لـه : إذهب إلى السجن واطلق موسى ، فخرج الحاجب وطرق باب دار السجان فأجاب السجان وقال: من ؟ فقال: رسول الخليفة يقول لك اطلق موسى بن جعفر (ع) ، فصاح السجان : يا موسى إن الخليفة يدعوك ، فقام موسى فزعاً وهو يقول : ما يـدعوني في هـذا الليل إلا لشر في نفسه ، فقام حزيناً مغموماً آيساً من الحياة فجاء إلى هـارون وهو (ع) ترتعد فرائصه ، فسلم على هارون فرد عليه السلام ثم قال له هارون : يا مـوسى هل دعوت الله تعالى في هذه الليلة ؟ فقـال : نعم قال : ومـا هو ؟ فقـال (ع) : جددت طهوري وصليت لله أربع ركعات ورفعت طرفي إلى السماء وقلت: يا سيدي خلصني من يد هارون وشره ، وذكر له ما كان من دعائه ، فقـال هارون : قد استجاب الله تعالى دعاءك ، يا حاجب اطلق عنه ، ثم دعا بخلعة وخلع عليه ثياباً وحمله على فرس وأكرمه وصيره نديماً لنفسه ، ثم قال هارون : هات الكلمات فعلمه وأطلق عنه وسلمه إلى الحاجب ليسلمه (ع) ويكون معه إلى الدار ، وصار موسى بن جعفر كريماً شريفاً عند هارون الرشيد وكان يدخــل عليه في كل خميس إلى أن حبسه الثالثة فلم يطلقه حتى سلمه إلى السندي لعنه الله فقتله بالسم .

ولله در الشاعر حيث يقول :

لحى الله هارون السرشيد وزاده يسرى المعجزات السواضحات فلم وما زال يستقيم مسرارة كيده فسراح إلى دار الجنان منعماً أمن بعد موسى يستلذ ذووا الحجا

نكالاً وأصلاه شواظ جهنم يدع مكائده يوماً لموسى المعظم إلى أن سقاه كأس سم بمطعم فوا لهف نفسي للإمام المكرم ويلهو بطيب العيش من كل منعم وفي العيون عن ابن عياش قال: حدثنا الثوباني قال: كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر (ع) بضع عشر سنة في كل يوم منها سجدة بعد بياض الشمس إلى وقت الزوال، وكان هارون يصعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي فيه موسى بن جعفر، وكان يرى موسى بن جعفر ساجداً فقال للربيع: مالك يا ربيع أما ترى الثوب الذي أراه في ذلك الموضع ؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما هو ثوب بل هو موسى بن جعفر له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال، فقال هارون: هذا من رهبان بني هاشم فقلت: فما لك ضيقت عليه في الحبس فقال: هيهات لا بد من ذلك.

وفي الكتباب المذكبور أيضاً عن عبيد الله القيزويني قبال : دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على السطح ، فقال لي : ادن مني فدنـوت منه حتى حاذيته فقال لي: أشرف الى البيت في الدار فأشرفت من على السطح فقال لي : ما ترى في البيت؟ فقلت : أرى ثوباً مطروحاً فقال لي : انــظر حسناً فتأملت فقلت رجلًا ساجداً فقال لي : تعرفه ؟ قلت : لا فقال لي : هـذا مولاك فقلت : ومن هـو مولاي ؟ فقـال : تتجهل على ؟ فقلت : لا اتجهـل عليـك ، ولكن لا اعرف لي مولى إلا أبا الحسن موسى بن جعفر واني افتقدته الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات ، فقال : ها هو في الحبس عندي ولا أراه إلا على الحال الذي تراه فيه يصلى الفجر فيعقب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس ، ثم يسجد سجدة فلم يزل ساجداً حتى تـزول الشمس ، وقد جعل من يترصد له الزوال فلا يدري متى يقول له الغلام قد زالت الشمس فيبتدىء في الصلاة من قبل أن يحدث ، فاعلم أنه لم ينم في سجوده فلم يزل ساجداً إلى أن تغيب الشمس ، فإذا غابت الشمس صلى المغرب من غير أن يحدث حدثاً فلم يزل في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلي العتمة ، فيفطر على شوي يؤتى به إليه ثم يجدد الوضوء ويقوم فلم يزل يصلي في جوف الليل إلى أن يطلع الفجر ، فلست أدري متى يقول الغلام أن الفجر قد طلع إذ وثب (ع)

لصلاة الفجر فهذا دأبه مذ حوّل إلي ، فقلت : اتق الله لا تحدث في أمره حديثاً يكون فيه زوال النعم وقد تعلم أنه لم يفعل أحد بهم سوءاً إلا تكون نعمته زائلة ، فقال : قد أرسلوا إلي غير مرة يأمروني بقتله فلم أجبهم إلى ما سألوني . فلما كان بعد ذلك حوّل إلى الفضل بن يحيى البرمكي فحبس عنده أياماً ، فكان الفضل بن الربيع يبعث إليه في كل يوم مائدة حتى مضى ثلاثة أيام بلياليها ، فلما كانت الليلة الرابعة قدمت إليه مائدة الفضل بن يحيى فرفع يده إلى السماء وقال : يا رب إنك تعلم لو أكلت قبل هذا اليوم كنت قد أعنت على نفسي ، فأكل فمرض (ع) ، فلما كان من الغد جاءه الطبيب فعرض عليه فرأى خضرة في بطنه وفي راحتيه ، وكان السم الذي سم به قد اجتمع في ذلك الموضع فانصرف الطبيب إليهم وقال : والله هو أعلم بما فعلتم به ، فلما كان بعد يـوم قبض (ع) .

هكذا جاء في هذه الرواية والمشهور أنه قد سم في حبس السندي بن شاهك ، وأن هارون الرشيد قد عرض قبل ذلك قتله على جميع أرباب دولته وسعى به إلى من جاحد للصانع فلم يتمكن من ذلك ، فاغتم لذلك غماً شديداً إلى أن دنا منه أجله وانقضت أيامه وأحكم الرشيد تدبيره وحيله وقد بلغ به العناد إلى أن يخجله في المجلس كما روي عن علي بن يقطين (رض) قال: إن الرشيد استدعى رجلاً ليبطل به ما أمر ابي الحسن موسى بن جعفر ، فلما حضرت المائدة وجعلوا يأكلون تناول موسى (ع) رغيفاً من الخبز فطيره ذلك اللعاب من بين يديه واستفز هارون الفرح والضحك لذلك ، فغضب أبو الحسن موسى ورفع رأسه إلى صورة أسد موضوعة على بعض الستور فقال : يا أسد الله كل عدو الله ، قال : فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترست ذلك المغرم اللعاب ، فخر هارون مع ندمائه على وجوههم مغشياً عليهم وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوا ، فلما أفاقوا من غشوتهم قال هارون لأبي الحسن (ع) : سألتك بحقي عليك إلا ما سألت الصورة أن تسرد الرجل فقال (ع) : إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعت من حبال القوم وعصيهم فإن

هذه الصورة ترد ما ابتلعته من هذا الرجل ، فكان ذلك أعمـل الأشياء في إفـادته نفسه (ع) .

وفي خبر عن عمر بن واقد ، قال : إن هـارون لما ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر (ع) ، وما كان يبلغه من قول الشيعة بإمامته واختلافهم بالليل والنهار خشية منه على نفسه وملكه ، ففكـر في نفسه أن يقتله بالسم ، ثم دعا برطب فأكل منه ثم أحضر صينية فوضع فيها عشرين رطبة وأخذ سلكاً ففركه بالسم وأدخله في سم الخياط وأخذ رطبة من ذلك الرطب وأقبل يردد ذلك السم فيها واستكثر منه ثم ردها في ذلك الرطب ، وقال للخادم : احمل هذه الصينية إلى موسى بن جعفر وقل له إن أمير المؤمنين قد أكل من هذا الرطب وتنغص لك وهو يقسم عليك إلا ما أكلتها عن آخرها لأني اخترتها بيدي ، فلا تتركه يبقى منه شيئاً ولا تطعم منه أحداً ، فأتاه به الخادم وأبلغه الرسالة وقال : آتني بخلال ، فناوله خلالاً وقام بازائه وهو يأكل (ع) من ذلك الرطب وكان للرشيد كلبة تعز عليه فجذبت نفسها وخرجت وكان فيها سلاسل من ذهب وجوهر ، فجاءت عند موسى بن جعفر (ع) فبادر بالخلال إلى الرطبة المسمومة فرمى بها إلى الكلبة فأكلتها فلم تلبث أن ضربت برجلها الأرض وتقطعت قطعة ، واستوفى (ع) باقى الرطب وحمل الغلام الصينية وأتى بها الرشيد فقال الرشيد : قد أكل الرطب عن آخره ؟ قال : نعم فقال : كيف رأيته حين أكله ؟ قال : ما أنكرت منه شيئاً يا أمير المؤمنين ، ثم أورد عليه خبر الكلبة وأنها قد تهرَّأت وماتت ، فقلق الرشيد قلقاً شديداً ثم وقف على الكلبة فـوجدهـا متهرتة بالسم ، فأحضر الخادم ودعا له بسيف ونطع وقال لـ تصدقني عن خبر الرطب والكلبة وإلا قتلتك فقال : يا أمير المؤمنين إنى حملت الرطب إليه وبلغته رسالتك وقمت بازائه فطلب مني خلالًا فدفعته إليه فأقبل يغرز رطبة بعد رطبة ويأكلها حتى جماءت الكلبة فغرز الخلال في رطبية من ذلك السرطب ورمى بها للكلبة فأكلتها فما لبثت أن تهرَّأت وأكل هو باقى الرطب فكان الأمر كما كان ، فما ترى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ما ربحنا من موسى إلا أنه أطعمناه جيد

الرطب وضيعنا سمنا وقتلنا كلبتنا فما في موسى حيلة .

قال: ثم ان سيدنا موسى بن جعفر (ع) دعا بالمسيب وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلاً به فقال: يا مسيب فقال: لبيك يا سيدي ، قال: إني ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة مدينة جدي رسول الله لأعهد إلى ابني على بن موسى الرضا بما عهد إلى أبي جعفر واجعله وصيى وخليفتي وأمره بأمري ، فقال المسيب: كيف تأمرني يا مولاي أن افتح لك الأبواب وأقف الها مغلقة والحرس على الأبواب؟ فقال (ع): يا مسيب أضعف يقينك في الله تعالى وفينا؟ قلت: لا يا سيدي قال: قم ، قلت يا سيدي ادع الله أن يثبتني فقال (ع): اللهم ثبته ، ثم قال: أعوذ بالله عز وجل وباسمه العظيم الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا (ع) حتى جاء بسرير بلقيس فوضعه بين يدي سليمان قبل ارتداد طرفه إليه اجمع بيني وبين ابني في المدينة. قال المسيب (ره): سمعته يدعو ففقدته من مصلاه فلم أزل قائماً على قدمي حتى المسيب (ره): سمعته يدعو ففقدته من مصلاه فلم أزل قائماً على قدمي حتى أنعم الله به علي من معرفته ، فقال لي: ارفع رأسك يا مسيب واعلم أني راحل أبى الله تعالى في ثالث هذا اليوم قال: فبكيت فقال (ع) تبكي فإن علياً ابني إلى الله تعالى في ثالث هذا اليوم قال: فبكيت فقال (ع) تبكي فإن علياً ابني إلى الله تعالى في ثالث هذا اليوم قال ن فبكيت فقال (ع) تبكي فإن علياً ابني إلى الله تعالى في ثالث هذا اليوم قال ن فبكيت فقال (ع) تبكي فإن علياً ابني

ثم ان سيدي دعاني ليلة اليوم الثالث فقال لي : إني على ما عرّفتك من الرحيل إلى الله تعالى فإذا دعوت بشربة من الماء ، فشربتها ورأيتني قد انتفخت وارتفع بطني واخضر لوني واحمر وتلون ألوانا فخبر الطاغية بوفاتي ، وإذا رأيت هذا الحدث فإياك أن تظهر عليه أحداً إلا بعد وفاتي ، قال المسيب بن زهير : فلم أزل أرقب وعده (ع) حتى دعا بالشربة فشربها ثم دعاني فقال : يا مسيب إن هذا الرجل اللعين السندي بن شاهك لعنه الله سيزعم أنه تولى غسلي ودفني ، هيهات لا يكون ذلك أبداً ، فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر هيهات لا يكون ذلك أبداً ، فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فالحدني فيها ولا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع مفرجات ، ولا تأخذوا من

تربتي شيئاً فتتبركوا به ، فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين (ع) فإن الله عز وجل جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا ، ثم رأيت شخصاً أشبه الخلق به جالساً إلى جانبه وكان عهدي بسيدي الرضا (ع) وهو قائم ، فأردت سؤاله فصاح بي سيدي موسى (ع) ، أليس نهيتك يا مسيب ؟ فلم أزل صابراً حتى مضى وغابت الشمس ثم إني أتيت بالخبر إلى الرشيد فوافاني السندي بن شاهك ، فوالله لقد رأيتهم وهم يظنون بأنهم يغسلونه ولا تصل أيديهم إليه ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً ، ورأيت ذلك الشخص يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يظهر المعاونة لهم وهم لا يعرفونه ، فلما فرغ من تجهيزه قال ذلك الشخص : يا مسيب مهما شككت فيه فلا تشك في فإني أمامك ومولاك وحجة الله تعالى عليك بعد أبي ، يا مسيب مثلي نمثل يوسف الصديق (ع) ، ومثلهم مثل اخوته حين دخلوا فعرفهم وهم له منكرون ، ثم الصديق (ع) ، ومثلهم مثل اخوته حين دخلوا فعرفهم وهم له منكرون ، ثم حمل حتى دفن في مقابر قريش وأمر برفع قبره أكثر مما أمر به (ع) ثم رفعوا بعد ذلك قبره وبنوا عليه .

ولله در من قال :

فيا ضيعة الإسلام بعد وليه أيقتل مسموماً بحبس بن شاهك ويحجب عن تنفيذ أحكمام جده فيا قلب ذب وجداً لعظم مصابه فما رزؤه إلا كسرزء ابن فاطم مضا فمن لعلوم الله من بعد فقده ومن للدعا والورد في سحر الدجا ومن لكتاب الله تال وموضح علوج بني العباس إن قر طرفكم عمدتم إلى بندر لكم متألق

وقيم دين الله موسى بن جعفر.
ويسرمى به سجن رجس ومفتسري
ويعزل عن أعلى مكسان ومنبسر
وطلق لذيذ النوم يا طرف محجري
حسين سليل المرتضى الطرحيدر
يثبت بهسا في العالمين بمصدر
ومن لمحاريب الصلاة بمحضر
لتفسيسره آه له من مفسسر
بهدنيساكم من أن تقر بمحشر

وفي رواية كما في العيون عمن يقبل قوله من الثقاة قال: قال لي رأيت بعض من يقرون بفضل موسى بن جعفر (ع) من أهل هذا البيت: فما رأيت مثله قط في نسكه وفضله قال: قلت: ومن هو وكيف رأيته ؟ قال: تجمعنا أيام السندي بن شاهك ونحن ثمانون رجلاً فأدخلنا على موسى بن جعفر (ع) فقال لنا السندي: يا هؤلاء انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث ؟ فإن الناس يزعمون أنه فعل به مكروه ويكثرون في ذلك وهذا منزله وفراشه موسع عليه غير مضيق ، ولم يرد به أمير المؤمنين سوءاً وإنما ينتظره فيناظره وها هو ذا صحيح فاسألوه ؟ فسألناه فقال (ع): أما ما ذكر من التوسعة فهو على ما ذكر ، غير أني اخبركم أيها النفر أني سممت في تسع تمرات وألقيت دماً من كبدي ، واني أخضر غذاً وبعد غذ أموت ، فنظرنا فإذا السندي ترتعد فرائصه ويضطرب مثل السعفة .

وفي خبر عمر بن واقد قال: أرسل إلي السندي بن شاهك بعض الليالي وأنا في بغداد ليستحضرني ، فخشيت أن يكون ذلك لشر يريده فأوصيت عبالي بما احتجت إليه وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، فلما ركبت إليه ورآني مقبلاً قال: يا أبا جعفر لعلنا أزعجناك وأفزعناك؟ قلت: نعم ، فقال: ما هنا إلا خيراً ، قلت: ابعث رسولاً إلى أهلي ليخبرهم بخبري فقال: نعم ثم قال: يا أبا جعفر أتدري لم أرسلت إليك؟ فقال: لا أدري قال: أتعرف موسى بن جعفر؟ فقلت: أعرفه وبيني وبينه صداقة منذ كان ببغداد ويعرفه من يقبل قوله ، ثم سميت له أقواماً ووقع بقلبي أنه قد مات (ع) ، فبعث إليهم فجاء بهم كما جاء بي وقال؛ هل تعرفون قوماً يعرفون موسى بن جعفر؟ فسموا له أقواماً فاحن في الدار نيفاً وخمسون رجلاً ممن يعرف موسى بن جعفر (ع) وقد صاحبه قال ثم قال: ودخل وصلينا وخرج كاتبه بطومار فكتب جعفر (ع) وقد صاحبه قال ثم قال: ودخل وصلينا وخرج كاتبه بطومار فكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وخلانا ثم دخل إلى السندي وخرج السندي فضرب

بيده إلي وقال لي: قم يا أبا جعفر اكشف الثوب عن موسى بن جعفر ، فكشفت عنه فرأيته ميتاً فبكيت واسترجعت ثم قال للقوم : انظروا إليه فدنوا واحداً بعد واحد فنظروا إليه ثم قال : تشهدون كلكم أن هذا موسى بن جعفر ؟ قالوا : نعم فقال : يا غلام اطرح على عورته منديلاً واكشف عن جسده قال : ففعل فقال : أترون به أثراً تنكرونه ؟ فقلنا : ما نرى به شيئاً وما نراه إلا هو ميتاً فقال : لا تبرحوا حتى تغسلوه وتكفنوه قالوا : فلم نبرح حتى غسل وكفن (ع) وحمل إلى المصلى فصلى عليه السندي بن شاهك ثم دفناه ورجعنا .

ولله در الشاعر حيث يقول :

فوالهف نفسي والتلهف لا يجدي سقاه سموم الموت من بعد حبسه فواطول حوزني بعده وصبابتي وكيف الكرى يأوي جفوني وإنني سأبكي عليه ما بقيت تأسفا مضى فمضى الإسلام والدين والتقى فيا قاتل الله الرشيد وما جنى عجبت لأفلاك السماوات لم تخر وصلى إله العرش ما هبت الصبا

على من مضى بالسم من كافر وغد سنيناً بلا جرم فروحي له تفدي في وقد فسلا مدمعي يسرقى وقلبي في وقد حرمت له طيب المضاجع والسهد وأندبه حتى أوسد في لحد وعطل أحكام المكارم والمجد وأبعده الله المهيمن من سندي وللنيرات الشهب لم تمس في الوهد تعاضد في إطفاء نور سما الرشد على روحه ذاك المخلد في الخلد

وفي العيون: بإسناده عن عتاب بن أمثل عن جماعة من مشايخ أهل الكوفة قالوا: توفي موسى بن جعفر (ع) على يد السندي بن شاهك لعنه الله، فحمله على نعش ونادى عليه هذا إمام (الرافضة) فاعرفوه، فلما أوتي به إلى مجلس الشط قام أربعة نفر ونادوا: ألا من أراد أن ينظر إلى الخبيث بن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج، فخرج المنافقين من كل جانب ومكان، وصارت الضوضاء عليه وهو ملقى على جسر بغداد في وسط الطريق والداخل والخارج

يرفسه برجله ، فخرج سليمان بن جعفر الجعفري من قصره إلى الشط فسمع الصياح والضوضاء فقال لولده وغلمانه : ما هذا ؟ فقالوا : إن السندي بن شاهك أمر أن ينادى على موسى (ع) بهذا النداء وهو على نعشه ، فقال لولده وغلمانه : يوشك أن يفعل هذا به من الجانب الغربي ، فإذا عبروا به فانزلوا مع غلمانكم وخذوه من أيديهم ، فإن مانعوكم فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من السواد ، فلما عبروا به نزلوا إليهم وأخذوه من أيديهم وخرقوا سوادهم فوضعوه في مفرق طرق وقام المنادي ينادي : ألا من أراد أن ينظر إلى الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر فليخرج ، فحضر الخلق فغسل وكفن في حبرة له استعملت بألفي دينار قد كتب القرآن كله عليها ، واحتفى سليمان ومشى وراء جنازته مشقوق الجيب متسلباً حتى انتهوا به إلى مقابر قريش فدفنه هناك ، وكتب بأمره إلى الرشيد فكتب إليه الرشيد : وصلت رحمك يا عم فأحسن الله لك الجزاء والله ما فعل السندي هذا عن أمرنا .

وفي خبر رواه في العيون عن محمد بن سليمان النوفلي قال: سمعت أبي يقول: لما قبض الرشيد على موسى بن جعفر (ع) قبض عليه وهو عند رأس رسول الله (ص) قائماً يصلي فقطع عليه صلاته ، وحمل (ع) وهو يبكي ويقول: إليك أشكويا رسول الله ما ألقى ، وأقبل الناس من كل جانب وهم يبكون ويضجون ، فلما أوتي به الرشيد شتمه وجفاه ، فلما جن عليه الليل أمر بقبتين فهيئتا له فحمل موسى بن جعفر (ع) في إحداهما في خفاء ودفعه إلى حسان السروري وأمره أن يسير به في قبة إلى البصرة فيسلمه إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر وهو أميرها ، ووجه قبة أخرى إلى الكوفة علانية ومعها جماعة ليعمّي على الناس أمر موسى بن جعفر (ع) ، فقدم حسان البصرة قبل التروية بيوم واحد ودفعه إلى عيسى بن جعفر نهاراً علانية حتى عرف ذلك وشاع خبره ، فحبسه عيسى في بيت من بيوت المجلس الذي كان يجلس فيه وأقفل غليه وشغله العيد عنه ، فكان لا يفتح عنه الباب إلا في حالتين حالة يخرج فيها للطهور وحالة يدخل فيها إليه بالطعام ، قال أبى : فقلت للفيض بن صالح وكان

نصرانياً فأظهر الإسلام ، وكان زنديقاً وكان يكتب لعيسي بن جعفر وكان لي خاصا فقال: يا أبا عبد الله لقد سمعت هذا الرجل الصالح في أيامه هذه في هذه الدار التي هو فيها من ضروب الفواحش والمناكر ما أعلم ولا أشك أنه يخطر بباله ، قال أبي : وسعى بي في تلك الأيام إلى عيسى بن جعفر بن علي ابن يعقوب بن عون بن العباس من مشائخ بني هاشم وكان أكبرهم سناً ، وكان مع سنه يشرب الشراب ويدعو أحمد بن أسيد إلى منزله فيختفل معه ، ويأتى بالمغنين والمغنيات يطمع أن يذكره لعيسى وكان في رقعته التي دفعها إليه تقدم علينا سليمان ابنك في إكرامك وتخصُّه بالمسك وفينا من هو أسن منه وهو يـدين بطاعة موسى بن جعفر المحبوس عندك ، قال أبي : واني لقائل في يوم قيـظ إذ حركت حلقة الباب على فقلت: ما هذا ؟ فقال لى الغلام: قعنب بن يحيى يقول: يريد لقاءك الساعة ، فقلت: ما جاء إلا لأمر ائذنوا له ، فدخل وأخبرني عن الفيض بن أبى صالح بهذه القصة والرقعة . قال وقد كان قال لي الفيض بعدما أخبرني لا تخبر أبا عبد الله فيحزنه فإن الرافع عند الأمير لم يجد فيه مساغاً ، وقد قلت للأمير : في نفسي من هذا شيء حتى أخبر أبا عبد الله فيأتيك فيحلف على الكذب فقال : لا تخبره فتغمه ، فإن ابن عمه إنما حمله على هذا الحسد له فقلت له : أيها الأمير أنت أعلم أنك لا تخلو بأحد كخلوتك به ، فهل تحمل على احد؟ فقال: معاذ الله فلو كان له مذهب يخالف فيه الناس لأحب أن يحملك عليه ، قال : أجل ومعرفتي له أكثر قال أبي : فدعوت بدابتي فركبت إلى الفيض من ساعتى فصرت إليه ومعى قعنب ، فأرسل إلى جعلت فداك إنك جلست مجلساً أرفع قدرك فإذا هو جالس على شراب فأرسلت إليه لا بد من لقائك فخرج إلى في قميص رقيق وأزار مورد فأخبرته بما يغلني فقال:

لاجزيت خيراً لم أتقدّم إليك أن لا تخبر أبا عبد الله فتغمه ، ثم قال: لا بأس فليس في قلب الأمير من ذلك شيء قال: فما مضت بعد ذلك إلا أياماً يسيرة حتى حمل موسى بن جعفر (ع) إلى بغداد سراً وحبس ثم أطلق ثم حبس ثم سلم إلى السندي بن شاهك فضيق عليه ، ثم بعث إليه الرشيد بسم في

رطب ، وأمره أن يقدمه إليه ويحتّم عليه في تناوله منه ففعل فمات وقد أحضر جماعة وأشهدهم على وصيته كما رواه الصدوق (ره) في العيون وهذه صورتها:

(أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الموت حق والبعث بعد الموت حق ، وأن الحساب والقصاص حق ، وأن الوقوف بين يـدي الله عز وجل حق ، وكل ما جاء به محمد بن عبد الله فهو حق ، وأن الذي نزل به الروح الأمين حق على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شباء الله تعالى ، أشهدهم أن هذه وصيتي بخطي وقد نسخت وصية جدي رسول الله ، وأمير المؤمنين ، ووصية الحسن والحسين عليهما السلام ، ووصية علي بن الحسين ، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (ع) قبل ذلك حرفاً بحرف ، ووصيت بها إلى على ابني وبني بعده فإن شاء وآنس منهم رشداً وأحب إقرارهم فذلك له ، وإن كرههم وأحب أن يخرجهم ، فذلك له ولا أمر لهم معه ، ووصيت لـه بصـدقـاتي وأمـوالي وعيـالي الـذين خلفت وولــدي وإلى ابـراهيم والعباس ، وإسماعيل وأحمد ، وإلى على (ع) أمر نسائي دونهم وثلث صدقة أبي وأهـل بيتي يضعه حيث يـري ويجعل منـه ما يجعـل ذو المال في مـاله ، إن احب أن يجيز ما ذكرت في عيالي فذلك له وإن كره فذلك له ، وإن احب أن يبيع أو يوهب أو ينحل أو يتصدق على غير ما وصيته فذاك إليه وهو انا في وصيتي في مالي وفي أهلي وولدي ، وإن أقر إخوته الذين سميتهم في صدر كتابي هـذا أقرهم وإن كره فله أن يخرجهم غير مردود عليه ، وإن اراد رجـلًا منهم أن يزوج أخته فليس له أن يزوجها إلا باذنه وأمره وسلطانه فمن رده من شيء أو حـال بينه وبين شيء فيما ذكرت من كتابي فقد بـرىء من الله ومن رسولـ والله ورسـولـ بريئان منه وعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين أجمعين وجماعة المؤمنين ، وليس لأحد من السلاطين أن يكشف عن شيء لي عنده من بضاعة ولا لأحد من ولدي ولى عنده مال وهو مصدق فيما ذكر من مبلغه إن أقلُّ أو أكثر فهو صادق ، وإنما أردت بادخال الذين أدخلت معه من ولدي التنويه بأسمائهم وأولادهم أولادي الصغار وأمهات أولادي ، ومن أقام منهن في منزلي أو في حجابها فلها ما كان يجري عليها في حياتي إن أراد ذلك ومن خرج منهن إلى زوج ، فليس لها أن ترجع إلى حزانتي إلا أن يرى علي ذلك وبناتي مثل ذلك ، ولا يزوج بناتي أحد من إخوانهن ولا من أمهاتهن ولا من سلطان ولا عمل لهن إلا برأيه ومشورته ، فإن فعلوا ذلك فقد خالفوا الله تعالى ورسوله وحاربوه في ملكه وهو عارف بمناكح قومه إن أراد أن يزوج زوّج وإن أراد أن يترك ترك ، وقد أوصيتهن بمثلما ذكرت في كتابي وأشهدت الله عليهن وليس لأحد أن يكشف وصيتي ولا ينشرها وهي على ما ذكرت وسميت ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ، وليس لأحد من سلطان ولا غيره أن يفض كتابي الذي ختمت عليه في أسفله فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه والملائكة بعد ذلك وجماعة المسلمين والمؤمنين) .

وفي العيون عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن صالح بن عطية قال: كان السبب في رفع موسى بن جعفر (ع) إلى بغداد أن هارون الرشيد أراد أن يعقد الأمر لابنه محمد بن زبيدة ، وكان له من البنين أربعة عشر ابناً ، فاختار منهم ثلاثة محمد بن زبيدة وجعله ولي عهده ، وعبد الله فجعل له الأمر بعد محمد بن زبيدة ، والقاسم المؤتمن وجعل له الأمر من بعد المؤمون ، فأراد أن يحكم الأمر في ذلك ويشهر شهرة يقف عليها الخاص والعام ، فحج في سنة تسع وسبعين ومائة وكتب إلى جميع الآفاق يأمر الفقهاء والعلماء والقراء والأمراء أن يحضروا مكة يوم الموسم وأخذ هو طريق المدينة .

قال علي بن محمد النوفلي: حدثني أبي أنه كان سبب سعاية يحيى بن خالد أن الرشيد وضع ابنه ابن زبيدة في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث فساء ذلك يحيى وقال: إذا مات الرشيد وكان الأمر لمحمد انقضت دولتي ودولة ولدي وتحول الأمر إلى جعفر وولده ، وكان عرف مذهب جعفر في التشيع فأظهر له أنه على مذهبه فسر به جعفر وأفضى إليه جميع أموره ، وذكر له ما هو عليه في

موسى بن جعفر (ع) ، فلما وقف على مذهبه سعى به إلى الرشيد وكان الرشيد يرعى له موضعه وموضع أبيه من نصرة الخلافة ، وكان يقدم ويؤخر وكان يحيى لا يألوا أن يخطب عليه إلى أن دخل يوماً إلى الرشيد فأظهر له إكراماً وجرى بينهما كلام متّ به جعفر بحرمته وحرمة أبيه ، فأمر له الرشيد في ذلك اليوم بعشرين ألف دينار فأمسك يحيى أن يقول فيه شيئاً حتى أمسى ، ثم قال للرشيد: يا أمير المؤمنين قد كنت أخبرتك عن جعفر وعن مذهب فتكذب عنه وهاهنا أمر فيه الفيصل قال: وما هو؟ قال: إنه لا يصل إليه مال من جهة من الجهات إلا أخرجه خمسه فوجّه بـ إلى موسى بن جعفر ، ولست أشك إلا أنّـه قد فعل ذلك بالعشرين ألف دينار التي أمرت بها لـه فقال هـارون: إن في هذا لفيصلًا ، فأرسل إلى جعفر ليلًا وكان قد عرف سعاية يحيى به فتباينا وأظهر كـل واحد لصاحبه العداوة ، فلما طرق رسول الرشيد على جعفر بالليل خشى أن يكون قد سمع فيه قول يحيى وانه إنما دعاه ليقتله ، فأفاض عليه ماءً ودعا بمسك وكافور فتحنط بهما ولبس بردة فوق ثيابه فأقبل إلى الرشيد ، فلما وقعت عينه عليه وشم رائحة الكافور ورأى البردة قال: يا جعفر ما هـذا ؟ فقال: يــا أمير علمت أنه قد سعى به عندك ، فلما جاءني رسولك في هذه الساعة لم آمن أن يكون قد قدح في قلبك ما يقال على ، فأرسلت إلى لتقتلني ، فقال: كـلا ولكن قد خبرت أنك تبعث إلى موسى بن جعفر في كل ما يصير إليه بخمسه وأنك قد فعلت ذلك في العشرين الف دينار فأحببت أن أعلم ذلك فقال جعفر: الله اكبريا أمير المؤمنين تأمر بعض خدمك يذهب ليأتيك بها بخواتمها فقال الرشيد لخادمه: خذ خاتم جعفر وانطلق به إلى منزله حتى تأتيني بالمال ، وسمى له جعفر الجارية التي عندها المال فأقبل الخادم للجارية فدفعت إليه البدرة بخواتمها ، فأتى بها الرشيد فقال جعفر: هذا أول ما تعرف كيد من سعى بي إليك فقال: صدقت يا جعفر انصرف آمناً فإني لا أقبل فيك قبول أحد قبال: وجعل يحيى يحتال في إسقاط جعفر .

قال النوفلي: حدِّثني علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي عن

بعض مشائخه وذلك في حجة الرشيد قبل هذه الحجة قال: لقيني علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال لي : مالك حملت نفسك ولم تدبر أمر الوزير ؟ وقد أرسل إلي فعادلته وطلبت الحوائج منه وكان سبب ذلك ان يحيى ابن خالد قال ليحيى بن ابي مريم ألا تدلني على رجل من آل أبي طالب له رغبة في الدنيا فأوسع عليه فيها ؟ فقال: بلى أدلك على رجل بهذه الصفة وهو علي ابن اسماعيل بن جعفر ، فأرسل إليه يحيى فقال: أخبرني عن عمك موسى وشيعته وعن المال الـذي يحمل إليه قال لـه: عندي الخبر وسعى بعمه (ع) ، وكان من سعايته أن قال: من كثرة المال الـذي عنده أنه اشترى ضيعة تسمى البشرية بثلاثين ألف دينار فلما أحضر المال قال البائع: لا أريد هذا النقد أريد نقداً كذا وكذا ، فأمر (ع) بها فقبضت من بيت ماله وأخرج منه ثـ لاثين ألف دينار غير ذلك النقد فوزنه في ثمن الضيعة ، قال: وكان موسى بن جعفر (ع) يأمر لعلى بن إسماعيل بالمال ويثق به حتى ربما يخرج الكتاب منه إلى بعض شيعته بخط علي بن اسماعيل ثم استوحش منه ، فلما أراد الرشيد الرحلة إلى العراق بلغ موسى أن ابن أخيه على بن إسماعيل يريد الخروج إلى السلطان للعراق فأرسل إليه مالك والسلطان للخروج معه ، فقال: إن على ديناً فقال (ع): دينـك علي ، قال: فتدبر عيالي ؟ قال: أنا أكفيهم ، فأبى الخروج فأرسل إليه مع أخيه محمد بن اسماعيل بن جعفر (ع) ثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم ، فقال: اجعل هذا في جهادك ولا تيتم ولدي .

وفي رواية إبراهيم بن البلادي قال: كان يعقوب بن داوود يخبرني أنه كان قال بالإمامة فدخلت عليه بالمدينة في الليلة التي أخذ فيها موسى بن جعفر (ع) في صبيحتها فقال لي: كنت عند الوزير الساعة يعني يحيى بن خالد فحدثني أنه سمع الرشيد يقول عند قبر رسول الله كالمخاطب له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إني أعتذر إليك من أمر قد عزمت عليه ، فإني أريد أن آخذ موسى ابن جعفر (ع) فأحبسه لأني خشيت أن يلقي بين أمتك حرباً يسفك فيه دماثها ، وإني أحببت أن آخذه غداً . فلما كان غداً أرسل إليه الفضل بن الربيع وكان

يصلي في مقام رسول الله (ص) ، فأمر بالقبض عليه فحبسه ، والأخبار الواردة فيما جرى عليه قبل الوفاة من هذا الرشيد العنيد من الحبس والوعد والوعيد والجفاء والتهديد ما تضيق به الكتب والأقلام ، فلنقتصر على ما أوردناه حذراً من الإطالة والإكثار .

وكان مولده (ع) بالأبواء موضع بين مكة والمدينة يوم الأحد لسبع من شهر صفر سنة ثمان وعشرين ومائة ، وكانت سنين إمامته (ع) بقية ملك المنصور عشر سنين ثم ملك المهدي خمسة عشر سنة ، واستشهد مسموماً بحبس الرشيد على يد السندي بن شاهك يـوم الجمعة الخامس والعشرين من شهـر رجب ، وأمه حميدة المصفاة وكانت مدة إمامته (ع) خمسة وثلاثون سنة ، وكان يكنى أبا إبراهيم وأبا الحسن وأبا علي ، ويعرف بالعبد الصالح والعالم وبالكاظم والنفس الزكية وزين المجتهدين والوفي والصابر والـزاهد والممتلي والمبتلي وما أحسن ما قال المصنف رحمه الله حيث يقول:

جلت مصيبة أحمد في آله تباً لها من أمة قد جردت كم جرعتهم من قداح سمومها ما مات منهم سيد بفراشه أما بسيف أو بسهم ناقع لا زال من بعد النبي عدوهم فلقد أصيبوا من بني العباس ما سفها أمية سيما ما قد جرى من عجلها ذاك العنيد رشيدها خرت لمصدرها سماوات العلا والعرش منحرف كذا كرسيها لا غرو إن كسفت له شمس الضحى

فرمتهم الأعدا بسهم نكال سيف البغات بهم وقوس نبال حتى غدوا صرعي بكل مجال بلل مات مقتولاً بشر قتال والهفتاه لهم وعظم وبال يسعى لهم بالقهر والإذلال زادوا على سفهاء كل ضلال بالطهر موسى مجمع الأفضال قد زاد فعل يزيدها بفعال والأرض في رجف وفي زلزال والنجم خر وكل ما هو عالى

وهـذا آخر مـا وجدناه من الأخبار في ذكر وفاته وسببهـا وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وَفَاقَ الإمام على السف "عَلَيْهِ السَلام"

مَّا لَدِف العَلَّامِة الثِيْحُ أَحمَّرِنِ الثِّيْحُ صَلَحُ بِسَ لِمُعَانَ لِقَدِمِي الْقَطِيغِي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختص محمداً (صلّى الله عليه وآله) في القدم ، وهدم بوجودهم سور العدم ، وفضلهم على جميع الأمم ، وكل مرسل ونبي وخصهم بعد أن جعلهم أولياء النعم ، بالابتلاء تقدم بفضائع المصاب وفجائع الأزم ، التي لم يصبر عليها من لدن آدم ، والصلاة والسلام عليهم ما أضاء النهار وما الليل ادلهم .

أما بعد: فيقول المفتقر لعفو ربه المنان ، أحمد بن صالح بن طعان ، لما جرت عادة أهل الإيمان ، بإظهار شعائر الأحزان ، في أيام وفاة الأثمة والأعيان ، واتفق وقت وفاة الإمام الهمام ، والأسد الضرغام ، المظلوم المسموم ، الحاوي لجميع العلوم ، علي بن موسى الرضا (ع) غريب خراسان في مكان كنت غريباً فيه عن الأوطان ، بعد انقضاء حج الإسلام ، وزيارة جده (ص) سيد ولد عدنان ، وكنت صفر الكف من الكتب المؤلفة في هذا العنوان ، انتهزت فرصة من الزمان ، واختلست برهة قليلة من أوقات الدهر الخوان المعاند لأهل الإيمان ، جمعت فيها ما يتعلق بنبذ من فضائله ، ومناقبه ، ورزاياه ومصائبه ، وسميتها (قبسة العجلان ، في وفاة غريب خراسان) .

فأقول وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، قبد دل صحيح البرهان ، وصريح السنة والقرآن ، على أن محمداً وآله الأعيان ، علَّة الامكان والأكوان ،

وأنهم أول بارز من حمى خزانة الرحمن ، وأن الوجود بهم فتح بابه ، وبهم يختم كتابه ، فكانوا صلوات الله عليهم في هذه الدار الفانية في علو الشان ، بعد بروزهم من عالم الغيب إلى عالم العيان ، نجوماً زاهرة ، وأنـواراً ظاهـرة ، كلما خفي نجم بدا نجم ، وكلما انطمس علم بـدا علم ، وأعدائهم الـذين هم قائمون على سوق الجد والاجتهاد في إطفاء تلك الأشعة الظاهرة كالنار على العلم ﴿ يريدون أن يطفؤا نور الله بـأفواههم ويـأبى الله إلا أن يتم نوره ولـو كره الكافرون ﴾(١) فكم كابدت تلك الفرقة المحمدية ، والسلالة العلوية ، والسترة الفاطمية ، من أجلاف التيمية والعدوية وأسلاف الأموية الغوية ، والعجب كل العجب مما ارتكبته فيهم العباسية الغبية ، حيث لم يألوا فيهم آلاً ولا ذمة ولا قرابة نسبية ، ولا حمية إسلامية ولا جاهلية ، ولم يكفهم غصبهم حق الإمامة التي هي الرئاسة الكلية ، بل تركوهم في هذه الدنيا الدنية ، بين مسموم ومذبوح ومفقود بين البرية ومسجون ومطرود في البرية ، حتى انتهت النوبة إلى الإمام الثامن ، الذي هو لمن زاره على بعد مداه بالجنان ضامن ، فإنه لما قام بأعباء الخلافة الحقية ، وعمر أقطار الأرض بولايته العدلية ، وسيرته المعصومية ، وشريعته المحمدية ، وشجاعته العلوية ، وسخاوته الحسنية ، وصلابته الحسينية ، وعبادته السجادية ، وعلومه الباقرية ، وسياسته الصادقية ، وحلومه الكاظمية ، وأخلاقه الرضوية ، همّ به طاغية زمانه الهموم وعزم على تقطيع كبده الشريفة بذعاف السموم ، حتى قضى بالسم نحبه ولقى بالكرب ربه الحي القيُّوم .

> شعر للمؤلف رحمه الله تعالى: يا حبذا عترة بدأ الوجود بهم من مثلهم ورسول الله فاتحهم فمن تولى سواهم إنهم ندموا

وهكذا بهم ينها ويختسم وسبطه العقد والمهدي ختمهم إذ في الممات على ما قدموا قدموا

⁽١) سورة التوبة ، الآية: ٣٢ .

أهل لها قدم في المجد أو قدموا تعدمن خلفاء الله ويحكم يدعى خليف أبيها بئسما حكموا ولا نحت سوحها من رحمة ديم من الإله لها الأملاك تحترم ماليس تبلغها حقاً سهامهم فأصبح الحق فيهم وهو مهتضم وشب حرباً له شابت به اللمم يزد بها منه غير النقص بل عدم لم يقض من حقه ذي العالم الجمم أريق للمصطفى فى كربلاء دم قصيرة الحزن لم تقصر لها نهم والشمس لاخدم عنها ولاخيم تبلى الجبال ولا تبلى لـ الحم من الموليد عليم اللعن يسرتكم ذكى بكاه الذي تحيا به الأمم أغراض جوربها أعراضهم هدموا بهم سجون بها الإسلام ينرغم إلا ولا ذمة بل رحمهم جذموا رعوا ولا من رسول الله قربهم به ثقات لهم عن جورهم كرموا على طنابيرهم زادت لهم نغم سم الرضا غيلة مأمونه الأثم

فما لتيمهم تمت شقاوتها وهمل عمدي عمدتها كمل منجيمة أمسقط البضعة الزهرا وغاصبها وهل أميسة لا امت بمغفرة تنوش هذب ذيول للهدى سدلت فيا لها إمرة رام الطغاة بها حتى امتطا واسع الاعفاج كاهلها وسن سب إمام الحق معتدياً ونصها وهمولص في يسزيد فلم فجلل الكون من قتل الحسين بما فكم بطيبة فض المحصنات وكم وكم قصيمرة خمدر للرسمول غمدت أزفها ترقب الانضاء خدمتها وألبس السيد السجاد ثوب أسى إلى أن اغتصبت بالسم مهجته وباقر العلم من سم ابنه كسفت وهكذا لم ترل آل النبي لهم كم أوحشوا مسجداً منهم وكم أنست ولا كمثل بني العباس لا رقبوا ولا حمية إسلام ولا عرب لم يكفهم غصبهم حقاً به شهدت جنوا بمثل الذي تجنى أمية بل سم الرشيد لموسى في السجون كما

قـال: لما انتقـل الإمام مـوسى بن جعفر الكـاظم (ع) إلى دار السـلام ،

وجوار الملك العلام ، بعد أن قاسى مرارات السموم مرة بعد مرة ، وتجرع كاسات الهموم مرة بعد مرة ، ومض حرارات السجون كرة بعد كرة ، جاءت إليه حبابة الوالبية (رض) تطلب منه دلالة الإمامة ، كما طلبت من آبائه أهل العصمة عليهم السلام والكرامة ، فأشار إليها بأن تأتيه بتلك الحصاة التي طبع فيها أمير المؤمنين (ع) ، وأمرها بأن تأتي بها أولاده المعصومين لتميز لها الفرق ممن يدعي الإمامة بين المحقين والمبطلين ، فطبع لها فيها بخاتمه الشريف حيث كانت تحت يده كالعجين ، وعاشت بعد ذلك تسعة أشهر ثم انتقلت إلى رحمة رب العالمين .

وفي خبر آخر: أنها لما صارت إلى الرضا (ع) ورأت شخصه الكريم ضحكت فقالوا: قد خرفت يا حبابة ونقص عقلك ، فقال (ع): ما خرفت حبابة ولا نقص عقلها ، ولكن جدي أمير المؤمنين (ع) أخبرها بأنها عند لقائي تكون منيتها وأنها تكون من المكرورات مع المهدي (ع) عجل الله فرجمه من ولدي ، فضحكت شوقاً لذلك وسروراً به وفرحاً بقربها منه ، فقالوا: نستغفر الله يا سيدنــا ما علمنا هذا فقال: يا حبابة ما قال لك جدى أمير المؤمنين (ع) إنك ترين؟ قالت: قال لى إنك ترين برهاناً عظيماً فقال لها: يا حبابة أما ترين بياض شعرك ؟ قالت: بلى يما مولاي قال: فتحبين أن تريه أسوداً حالكاً في عنفوان شبابك ؟ قالت: نعم، قال (ع) يجزيك ذلك أو أزيدك ؟ قالت: زدني من فضل الله عليك قال: أفتحبين أن تكوني مع سواد الشعر شبابة ؟ قبالت: نعم ، فدعما بدعوات خفية حرك بها شفتيه فعادت شابة غضة سوداء الشعر ، ثم قامت فتشت نفسها فرأتها بكراً ثم قالت: النقلة إلى الله تعالى فـلا حاجـة لى في الـدنيـا ، فقال (ع): ادخلي إلى امهات الأولاد فجهازك هناك مفرد ، فلم تلبث إلا مقدار ما عاينت جهازها حتى تشهدت وتوفيت رحمها الله تعالى . فقال (ع) رحمك الله يا حبابة ، ثم أمر (ع) بتجهيزها فجهزت وصلى عليها مع شيعته وحملت إلى حفرتها وأمر (ع) بزيارتها وتلاوة القرآن والتبرك بالدعاء عندها . وفي غيبة الشيخ الطوسي: والتصريح بأن الرضا (ع) كفنها في قميصه والترجيح لما دل على بقاءها بعد ذلك تسعة أشهر لقوته بالاشتهار في المعتمد عليه من كتب الأخبار، هذا ولم يزل الرشيد أيام حياته يتربص به الدوائر العظام ويقصده بالسجن ويجرعه الآلام حتى ألقاه في بركة السباع كما فعل بأبيه الكاظم (ع) إلا أن الرضا لعلمه بأن الذي يجسر بإهلاكه إنما هو المأمون بما يكيده به هارون.

وفي مهج الدعوات: قال الفضل بن الربيع اصطبح الرشيد يوماً ثم استدعى حاجبه فقال له: امض إلى على بن موسى العلوي وأخرجه من الحبس والقه في بركة السباع ، قال الربيع: فما زلت ألطف به وأرفق وهـ و لا يزداد إلا غضباً وقال: والله لئن لم تلقه إلى السباع لألقينك عوضه ، قال: فمضيت إلى على بن موسى الرضا فدخلت عليه وقلت: إن أمير المؤمنين أمرني بكذا وكذا فقال (ع): إفعل ما أمرت بـ فإني مستعين بـ الله عليه ، وهـ و يمشي معي إلى أن انتهيت إلى البركة ، ففتحت أبوابها وأدخلته فيها وفيها أربعون سبعاً ، وعندي من الغم والقلق أن يكون قتـل مثله على يـدي ثم عـدت إلى مـوضعي ، فلمـا انتصف الليل أتاني خادمه وقال: إن أمير المؤمنين يـدعوك فصـرت إليه فقـال: لعلى أخطأت البارحة بخطيئة وأتيت منكراً ، فإني رأيت البارحة مناماً هالني ، وذلك أني رأيت جماعة من الرجال دخلوا عليّ وبأيديهم سائر السلاح وفي وسطهم رجل كأنه القمر فدخل إلى قلبي منه هيبة فقال لي منهم قائل: هـذا أميرالمؤمنين على بن أبي طالب (ع) فتقدمت إليه لأقبل يديه فصرفني عنه وقال: ﴿أَفْهِلَ عَسِيتُم إِنْ تُولِيتُم أَنْ تَفْسَدُوا فِي الأَرْضُ وتَقَطَّعُوا أَرْحَامِكُم ﴾ (١) ثم حول وجهه عنى ودخل باباً ، فانتبهت فزعا مذعورا لذلك . فقلت: يا أمير المؤمنين أمرتني أن ألقي على بن موسى الرضا للسباع فقال لي: يا ويلك ألقيته ؟ فقلت:

⁽١) سورة محمد ، الآية: ٢٢ .

إي والله فقال: امض وانظر ما حاله، فأخذت الشمع بين يدي وطالعته فإذا هو قائم يصلي والسباع حوله، فعدت إليه فأخبرته فلم يصدقني، فنهض واطّلع عليه فشاهده في تلك الحال فقال: السلام عليك يابن عم، فلم يجبه حتى فرغ ثم قال وعليك السلام يابن عم قد كنت أرجو أن لا تسلم علي في مشل هذا الموضع فقال: أقلني فإني معتذر إليك فقال له: قد نجانا الله تعالى بلطفه فله الحمد، ثم أمر بإخراجه فأخرج فلا والله ما تبعه سبع أبداً فلما حضر بين يدي الرشيد عانقه ثم حمله إلى مجلسه ورفعه إلى سريره فقال يا بن عم إن أردت المقام عندنا ففي الرحب والسعة وقد أمرنا لك ولأهلك بمال وثياب فقال له: لا حاجة لي في المال ولا في الثياب، ولكن في قريش نفر يفرق ذلك عليهم، وذكر له قوماً فأمر له بصلة وكسوة ثم أمره أن يركب على بغال البريد إلى الموضع الذي يحب، فأجابه إلى ذلك، وقال لي شيّعه، فشيّعته إلى بعض الطريق.

وهكذا كان حاله (ع) في ولاية الرشيد المهيمن حتى تولى بعده ابنه محمد الأمين فأخرج الرضا وأنعم عليه ، قيل إنه قال بإمامته وأمر باتباعه أهل مملكته فقتله أخوه المأمون واستقل بالإمارة ، وانقادت له أهل الإشارة ، فعامل الإمام الرضا (ع) بخشوع الملاق وخضوع النفاق حتى أنه أظهر التشيع وأفشى بين حاشيته وجنده علامات حبه ووده ، وأبطن ضغائن حقده حتى أنه أظهر التشيع وأكثر لما جرى على أهل البيت (ع) التوجع والتفجع ، وأفشى ذلك بين جميع جنده وأمر الناس باتباعه في حله وعقده بعد مراسلات كثيرة ومعاهدات ومعاقدات شهيرة أعرضنا عن ذكرها وطويناها على غيرها حتى أنه زوجه بأم حبيب وهي ابنته وقيل أخته رغبة في محبته له وطمعاً في إذاعة فضله ، إلا أن خبيب وهي ابنته وقيل أخته رغبة في محبته له وطمعاً في إذاعة فضله ، إلا أن ذلك لم يكن عن إيمان حقيقي ولا إذعان تحقيقي واقرار تصديقي ، بل عن نفاق كامن في الفؤاد وناشىء من احتشاء أسلاف الاسلاف الأجلاف أولي العناد ، وليظهر للناس أنه غير زاهد في الدنيا وإنما هو عاجز عن طلب العلياء كما اعترف به غير مقام عند أوليائه الطغام .

فإنه لما أراد أن يجعله ولي عهده قال له الرضا (ع): والله لقد حدثني أبي عن آبائه (ع) عن أمير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص) قال: إني أخرج من الدنيا مقتولاً بالسم مظلوماً تبكي علي ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد، فبكى المأمون وقال: من ذا الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأناحي ؟ فقال الرضا (ع): أما أني لو أشاء أقول لقلت من ذا الذي يقتلني، فقال المأمون: يابن رسول الله (ص) إنما تريد لهذا التخفيف عن نفسك ورفع هذا الأمر عنك ليقول الناس أنك زاهد في الدنيا فقال الرضا (ع): والله ما كذبت منذ خلقني ربي عز وجل وما زهدت في الدنيا للدنيا وإني لأعلم ما تريد، فقال المأمون: وما أريد ؟ فقال عليه السلام: أعطني الأمان على الصدق فقال: لك الأمان قال: تريد بذلك أن يقول الناس أنك ترعد بن موسى لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة ؟ فغضب المأمون وقال له: إنك تلقاني أبداً بما أكرهه وقد آمنت سطوتي، فبالله اقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك فإن فعلت وإلا ضربت عنقك، فقال الرضا (ع): قد نهاني الله أن ألقي نفسي إلى التهلكة فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك.

وفي خبر السحائب: أنه إنما جعله ولي عهده ليكون دعاءه إليه وليعترف بالملك والخلافة له وانه ليس له فيه قليل ولا كثير ﴿ ولا ينبئك مشل خبير ﴾ (١) فلم يزل الرضا (ع) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر ولا يؤمر وفي كل يوم يظهر له من المعاجز والكرامات ما لا يحصى ولا يحصر فمنها: أن المأمون لما جعله ولي عهده وخليفته من بعده ، كان من حاشية المأمون أناس كرهوا خروج الخلافة من بني العباس وخافوا عودها إلى بني فاطمة (ع) المعصومين ، فنفروا من الرضا نفوراً وكرهوه بغياً منهم ، فقد جاؤوا ظلماً وزوراً ، لقد استكبروا في

⁽١) سورة فاطر ، الآية: ١٤ .

أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ، وكانت عادة الرضا إذا أراد الدخول على المأمون [أن] يبادر من بالدهليز من الحاشية والحجاب بالسلام عليه ورفع الستربين يديه ، فلما نفروا منه تواصوا بينهم وقالوا : إذا جاء الرضا ليدخل على الخليفة أعرضوا عنه ولا ترفعوا الستر له ، فلما جاء الرضا على عادته لم يملكوا أنفسهم إلا أن سلموا عليه ورفعوا له الستر على عادتهم ، فلما دخل (ع) أقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقالوا : النوبة الآتية إذا جاء لا نرفع له الستر ، فلما جاء في ذلك اليوم قاموا وسلموا عليه ووقفوا ولم يبتدروا إلى رفع الستر ، فأرسل الله ريحاً شديداً ودخلت في الستر فرفعته أكثر مما كانوا يرفعونه فدخل ، فسكنت الريح فعاد [الستر] إلى ما كان عليه ، فلما خرج (ع) عادت الريح ودخلت في الستر فرفعته حتى خرج (ع) ثم سكنت فعاد الستر ، فلما ذهب (ع) أقبل الستر فرفعته حتى نعرج (ع) ثم سكنت فعاد الستر ، فلما ذهب (ع) أقبل بعضهم على بعض وقالوا : هل رأيتم ؟ قالوا : نعم فقالوا : يا قوم هذا رجل له عند الله منزلة عظيمة ولله به عناية ، ألم تروا أنكم لما لم ترفعوا الستر أرسل الله له الريح وسخرها له كما سخرها لسليمان بن داوود (ع) فارجعوا إلى خدمته فهو غير لكم . فعادوا على ما كانوا عليه وزادت عقيدتهم فيه .

شعر للمؤلف رحمه الله تعالى:

للإمام (الرضا) مناقب شتى يعجز الحاسبون عن نشر بعض كم أتاح العدى له مهلكات سل بها بسركة السباع ففيها رام منها الرشيد فيها افتراسا فأتته لعزه خاضعات وانثنى الرجس خائباً ذاك فضل وبطبع الحصاة أجلى دليل مظهر إنه خليفة من في

قد روتها الأصحاب والأعداء ومحال لكلها الإحصاء فيجيء السرضا منها السرخاء معجز للولي فيه الشفاء للرضا روحنا إليه الفداء إذ بدا من بهائه الكبرياء الله يؤتيه من عباده من يشاء إنه للهدى إمام سواء كفه سبح الآله الحصاء وبسرفع الستور رفع ستور عن منزايا لهن منه اعتناء كـشفـت أن في ابـن داوود سـر فعليه السلام باق متى ما

منه إذ سخرت إليه الرخاء أضحك الأرض من سماء بكاء

فما عذر الفئة العباسية عند رب البرية ، إذ لم يعتبروا بالعنايات الإلهية ، ولم يرعوا الرحم النسبية ، ولا الحمية الجاهلية ولا الغيرة الإسلامية .

وعن الإمام العسكري (ع) : أن المأمون لما جعل الرضا ولى عهده احتبس المطر، فجعل بعض حاشية المأمون والمبغضون للرضا (ع) يقولون: انظروا لما جاء على بن موسى الرضا وصار ولى عهدنا احتبس المطرعنا ، واتصل ذلك بالمأمون فاشتد عليه فقال المأمون للرضا: قد احتبس المطر فلو دعوت الله أن ينزل المطر على الناس فقال الرضا (ع): نعم، قال: فمتى تفعل ذلك ؟ قال يوم الإثنين ، وكان ذلك اليوم يـوم الجمعة ، فلمـا كان يـوم الإثنين خرج إلى الصحراء وخرج الناس ينظرون ، فصعد المنبـر وحمد الله وأثنى عليـه ثم قال :

اللهم يا رب قد عظمت حقنا أهل البيت ، فتوسلوا بنا كما أمرت ، وأمّلوا فضلك ورحمتك ، وتوقعوا إحسانك ونعمتك ، فاسقهم سقياً نافعاً غير رائث ولا ضائر ، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ، فوالله الذي بعث محمداً بالحق نبياً لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم وأرعدت وأبرقت ، وتحرك النـاس كأنهم يـريدون التنحي عن المـطر فقال الـرضا (ع) : على رسلكم أيها الناس إنما هي لأهل بلد كذا وكذا ، ثم جاءت سحابة أخرى فتحركوا فقال (ع) : على رسلكم إنما هي لأهل بلد كذا وكذا حتى جاءت عشــر سحائب وعبرت وهو يقول: إنما هي لأهل بلد كذا وكذا، فأقبلت سحابة حادية عشر فقال (ع) : أيها الناس هذه بعثها الله لكم فاشكروه على ما تفضل بـ عليكم وقـ وموا إلى منازلكم ومقاركم ، ثم يأتيكم من الخيـر مـا يليق بكـرم الله تعالى .

ونزل عن المنبر وخرج الناس فما زالت السحابة ممسكة إلى أن قربوا من منازلهم ثم جاءت بوابل المطر فملأت الأودية والحياض والغدران والفلوات فجعل الناس يقولون : هنيئاً لابن رسول الله (ص) بكرامات الله تعالى فقال بعض الحساد ارضاءً للمأمون: يا أمير المؤمنين أعيذك أن يكون تاريخ الخلفاء في إخراجك هذا الشرف العميم والفضل العظيم من ولمد العباس إلى بيت ولمد على (ع) ، ولقد أعنت على نفسك جئت بهذا الساحر ولد السحرة وقد كان خــاملًا فــأظهرتــه ، ومستخفياً فـأظهرتــه ورفعته ، ومنسيــاً فذكــرت به ، ومخفيــاً فنوهت به بل ما أخوفني إلى أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك والتوثب على مملكتك ، هل جني أحد على نفسه وملكه مثل جنايتك أنت ؟ فقال المأمون : وقد كان هذا الرجل مستترأ عنا يدعو إلى نفسه ، فأردنا إن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا وليعترف بالملكة والخلافة لنا ، وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما ادعى في قليل ولا كثير وأن هذا الأمر لنا من دونه وقد خشينا أن تركناه على تلك الحال أن يفتق علينا ما لا نسده ويأتي علينا منه ما لا نطيقه ، والآن إذ قد فعلنا به ما فعلنا وأخطأنا في أمره ما أخطأنا وأشرفنا على الهلاك منه ما أشرفنا فليس يجوز التهاون في أمره ، ولكن نحتاج إلى أن نضع منه قليـلاً قليلاً حتى نصيره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الأمر ثم ندبر فيه ما يحسم عنا مواد بلائه ، فقال الرجل: ولَّني مجادلته فإني أفحمه وأصحابه وأضع من قـدره ، ولولا هيبتك في صدري لأريتك قصوره وأنزلته منزلته ، فقال المأمون: لك ذلك . ثم أمر المأمون باجتماع الناس فاجتمعوا فقال ذلك الحاسد للإمام (ع): إن الناس قد أكثروا عنك الحكايات للدعوتك في المطر المعتاد ، لقد عدوت طـورك وتجاوزت محلك أن بعث الله تعـالي بمطر مقـدر لوقتـه يتقدم ولا يتـأخر فجعلته آية تستطيل بها وصولة تصول بها كأنـك جئت بآيـة الخليل إبـراهيم (ع) لما أخذ برؤوس الطيور ودعا بأعضائها التي فرقها على رؤوس الجبال فأتينه سعياً وركبن على الرؤوس، وكلَّمته بأذن الله تعالى ، فإن كنت صادقًا فاحيى هـاتين الصورتين اللتين على مسند المأمون وسلطهما على فإن ذلك يكون لك آية ومعجزة فغضب عليه (ع) وصاح بالصورتين : دونكما الفاجر الكافر فافترساه ولا تبقيا له عيناً ولا أثراً ، فوثبت الصورتان وقد صارتا أسدين فتناولا الحاجب ورضضاه وهشماه وأكلا لحمه ولحسا دمه والقوم ينظرون متحيرين ، فلما فرغا منه أقبلا على الرضا (ع) وقالا : يا ولي الله مرنا نفعل بالمأمون كما فعلنا بهذا الفاجر فقال (ع) : عودا إلى مقركما كما كنتما فإن لله تعالى فيه تدبير ، فلما سمع المأمون ذلك وقع مغشياً عليه فقال الرضا (ع) : صبوا عليه ماء الورد وطيّبوه ، ففعلوا فأفاق من غشوته وعاد الأسدان إلى مكانهما فقال المأمون : الحمد لله الذي كفانا شر حميد بن مهران ثم قال للرضا : يابن رسول الله (ص) هذا الأمر لجدكم رسول الله ثم لكم .

ولم يزل المأمون ضئيلاً إلى أن قضى في علي بن موسى الرضا ما قضى فيا ويل أولئك الأرجاس من بني العباس كيف حملهم حب الدنيا الدنية على قطع رحمهم مع اعترافهم بأنهم سادات الناس وكيف لا يستخفون من الله ويستخفون من الناس .

شعر للمؤلف رحمه الله:

أولى فأولى لهم ما ذنب حيدرة أليس لم يأل في العباس جدهم فدونكم سبة شنت اغارتهم

فيهم ليغشاه في أولاده الألم جداً ايجلب الذي فيه له الغم افعالكم إنها أفعالكم تصم

وعن سليمان الجعفري قال: كنت مع الرضا في حائط له وأنا أحدثه إذ جاء عصفور فوقع بين يديه وهو يكثر الصياح ويضطرب ، فقال (ع): أتدري ما يقول ؟ فقلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم فقال (ع): يقول لي: إن حية تريد أن تأكل أفراخي في البيت فقم وخذ تلك النسعة واقتلها ، قال: فأخذت النسعة ودخلت البيت وإذا أنا بحية تجول في البيت فقتلتها .

وعن عمار بن زيد قال: خرجت مع سيدي علي بن موسى الرضا (ع) إلى

بيت الله الحرام ، وكان معي مولى لي فاعتلّ بعلة في الطريق واشتهى عنباً فقلت له: ويحك ليس في هذا المكان عنب ، فبينما أنا معه في الكلام وكنت بعيداً من الإمام إذ جاءني خادمه وقال لي : يقول لك سيدي علي بن موسى الرضا ان مولاك اشتهى عنباً فانظر قدامك ترى العجب العجاب ، قال : فنظرت فإذا أنا بحديقة عظيمة وفيها عنب ورمان فدخلت وأخذت من ذلك العنب والرمان وأتيت به إلى غلامي وأكلنا معه ، فلما رجعنا إلى بغداد دخلت على الليث بن سعيد وإبراهيم بن سعيد الجوهري ، وقصصت عليهما القصة فتعجبا من ذلك وقاما ودخلا على علي بن موسى الرضا وأخبراه بما أخبرهما به عمار بن زيد عنه فقال (ع) : وليس ذلك عليكما ببعيد انظرا هاهنا ، فنظرا وإذا بحديقة فيها من الفواكه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين فسرًا بذلك سروراً عظيماً وقالا : نشهد أنك ابن رسول الله (ص) ووصيه حقاً وحجة في أرضه وسمائه ، وأنت باب الدين وعماده ، وحجة الله على عباده بعد آبائك الطاهرين .

وعن على بن محمد القاشاني قال: أخبرني بعض أصحابنا أنه قال حملت إلى علي بن موسى الرضا (ع) مالاً خطيراً فلم أره سر به فاغتممت لذلك وقلت في نفسي: قد حملت هذا المال وما سر به فقال: يا غلام على بالطشت والماء، ثم قعد (ع) على كرسي وقال للغلام: صب علي الماء، فصبه فجعل يسيل من بين أصابعه في الطشت ذهباً أحمراً ثم التفت إلى وقال: من كان يفعل هكذا لا يبالي بما حمل إليه فهذا قليل من كثير ونقطة من غدير.

فبالله عليكم يا أولي الألباب الصافية والأفكار الصاحية أمن العدل والإنصاف أن يستحق هذا الإمام الذي هو من سادات الأشراف وأهل الأعراف أن تقطع أمعائه بالسموم القاتلة ويقصد بالهموم الهائلة والغموم الغائلة ، ويجرع بالآلام الشديدة والمضار المبيدة بعد ظهور فضائله الساطعة وأنوار مناقبه اللامعة ؟ وهل يجوز أن يسم في الرمان والعنب من كان يظهرهما ويطعمهما الناس في غير أوانهما المرتقب ؟ فلما تمت للإمام (ع) ولاية العهد التي كانت

له أهلاً ومحلاً إذ كانت الإمامة له حقاً وأصلاً قد ارتضع أخلاقها طفلاً وتربية وناشئاً وكهلاً ، فقصدته الشعراء وأذعنت لطاعته القواد والحجاب والامراء والعلماء والوزراء ، وكانت الشعراء تقصد المأمون أيضاً وتصوب رأيه في جعله الإمام الرضا للشيعة آية ورواية إلا أبو نؤاس فإنه لم يفعل كما فعل غيره من الناس فقال له المأمون : قد علمت مكان علي بن موسى مني وما أكرمته به فلماذا ادخرت مدحه ورأيتك شاعر زمانك وقريع دهرك ؟ فأنشد يقول:

قيل لي أنت أعرف النياس طراً بالمعاني وبالكلام البدية لك من جوهر الكلام بديع يثمر الدر في يدي مجتنية فلماذا تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه قلت لا استطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

ولعمري لقد أصاب وأجاد بإقراره بالعجز عن الجري في شأوى هذا الجواد ، فإن شأن هذا الإمام وآبائه الكرام لا يعرفه إلا الملك العلام فقصارى البلغاء الإقرار بالقصور عن الخوض في لج ذلك البحر الطمطام ، وغاية الشجعان الاحترام لحرم ذلك الأسد الضرغام .

وفي العيون وغيره أنه لما كان في مرو دخل عليه دعبل الخزاعي رحمه الله تعالى وأنشد هذه القصيدة:

مدارس آیات خیلت من تیلاوة لأل رسول الله بالخیف من منی دیار علی والحسین وجعفر منازل وحی الله ینزل بینها منازل قوم یهتدی بهداهم منازل کانت للصلاة وللتقی دیار عفاها جور کل معاند قفا نسأل الدار التی خف أهلها

ومنزل وحي مقفر العرصات وسالركن والتعريف والجمرات وحمزة والسجاد ذي الثفنات على أحمد المذكور في الشورات فتؤمن منهم زلة العشرات وللصوم والتطهير والحسنات ولم تعف بالأيام والسنوات متى عهدها بالصوم والصلوات

وأين الأولى شطت بهم غربة النوى أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً إذاً للطمت الخد فاطم عنده أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي قبور بكوفان وأخرى بطَيبة وقبر بأرض الجوزجان محلها وقبر ببغداد لنفس زكية

أفانين في الأطراف مفترقات وقد مات عطشاناً بشط فرات وأجريت دمع العين على الوجنات نجوم سماوات بأرض فلاة وأخرى بفخ نالها صلوات وقبر بباخمرا لدى الغربات تضمنها الرحمن في الغرفات

وفي بعض تأليفات أصحابنا قال دعبل (ره): فعلت زفرات الرضا (ع) وتأججت حسراته وتحدرت، وقال: وا قتيلاه وا غريباه وا حسيناه وا عظم مصيبتاه، ليت الموت أعدمني الحياة بنفسي أفدي جدي أسير الكربات وساكب العبرات وقتيل الطغاة، يا لها من مصيبة ما أعظمها ورزية ما أكبرها، يا دعبل هيجت على أحزاناً ساكنة وقد كانت في فؤادي كامنة لقد حل بهم الرزء العظيم والخطب الجسيم والمصيبة العظمى التي تزلزلت لها الجبال الرواسي وبكت لها السماء دماً.

أقول إن أرض (الجوزجان) في خراسان والمقتول فيها يحيى بن زيد بن على بن الحسين (ع) قتل في أيام الوليد بن عبد الملك ، قتله عامله سالم بن أحور المازني (لع) واحتز رأسه وأنفذه إلى الوليد وصلب جسده ومثل به ، وقيل : إنهم لما كتبوا إلى الوليد بخبره كتب إليهم : أحرقوا عجل العراق وانسفوه في اليم نسفا ، فأنزلوا جسده (ع) وأحرقوه ثم ذروه في الريح والهواء ، و(باخمرا) موضع على ستة عشر فرسخ من الكوفة والمقتول فيها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن (ع) في أيام الدوانيقي وما يوجد في النسخ المتداولة في هذه الأزمان من تبديلها ب (سامراء) فهو غلط واضح وخلط فاضح ، وأما (فخ) فهو بثر على فرسخ من مكة المقتول فيها أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن ابن عم الكاظم (ع) ، وإنما خرجنا عن نمط هذا العنوان للاشتباه في (باخمر) أو أرض

(الجوزجان) فمست الحاجة للبيان .

وفي رواية الصدوق (ره) أنه لما وصل دعبل الخزاعي (ره) إلى قوله (وقبر ببغداد لنفس زكية) قال له الرضا (ع): أفلا ألحق لك ببيتين يكون بهما تمام قصيدتك ؟ فقال: بلى يا ابن رسول الله فقال (ع):

وقبسر بطوس يسالها من مصيبة الحت على الأحشاء بالحرقات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرّج عنا الغم والكربات

فقال دعبل: يا بن رسول الله هذا القبر الذي تذكره بطوس قبر من ؟ فقال الـرضا: هـو قبري ولا تنقضي الأيـام والليالي حتى تصيـر طوس مختلف شيعتي وزواري ، ألا فمن زارني في غـربتي بطوس كـان معي في درجتي يــوم القيــامــة ــ مغفوراً ذنبه ثم أنشأ دعبل:

> فأما الممضات التي لست بالغسأ نفوس لدى النهرين من أرض كربلا توفوا عطاشأ بالفرات فليتني إلى الله اشكو لوعة عند ذكرهم لهم كل حين نومة بمضاجع بنفسي أنتم من كهول وفتية ألم تر إنى مذ ثلاثين حجة أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وكيف أداوى من جوي لى والجوي وبنات زياد في القصور مصونة ديار رسول الله أصبحن بلقعاً وآل رسيول الله تهدمي نحبورهم وآل رسول الله تسبى حسريمهم وآل رسول الله نحف جسومهم

مبالغها منى بكنه صفات معرسهم فيها بشط فرات تموفيت فيهم قبل حين وفعاتي سقتنى بكأس الثكل والفطعات ثوت في نواحي الأرض مختلفات لفك عناء أو لحمل ديات أروح وأغدو دائم المحسرات وأيديهم من فيئهم صفرات أمية أهل الفسق والتبعات وآل رسول الله في المسلوات وآل زياد تسكئ الحجرات وآل زياد آمنوا السربات وآل زياد ربّعة المحمجلات وآل زياد غلظوا المقصرات رزايسا أرتنسا خضرة الأفق حمرة سسابكيهم ما ذر في الأرض شسارق ومسا طلعت شمس وحمان غسروبهما

وردت أجاجاً طعم كل فسرات ونادى منادي الخيسر للصلوات وبالليل أبكيهم وبالغدوات(١)

وفي رواية الصدوق (ره) أنه لما وصل دعبل (رض) إلى قوله:

يقوم على اسم الله والسركات ويجزى على النعماء والنقمات

خروج إمام لا محالة خارج يميز فينا كل حق وباطل

بكى الرضا بكاء شديداً ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم ؟ فقال: لا يا مولاي إلا أني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت من قبل مخرجه ظلماً وجوراً، فقال (ع): يا دعبل الإمام بعدي ابني محمد (ع)، وبعد محمد ابنه فقال (ع)، وبعد على ابنه الحسن (ع)، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأما متى فاخبار عن الوقت ولقد حدثني أبي (ع) عن آبائه (ع) عن علي (ع) عن النبي (ص) قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك ؟ فقال (ص): مئله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم مئله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم

فلما فرغ دعبل من إنشاد القصيدة أنفذ إليه الرضا (ع) بمائة دينار رضوية وقال اجعلها في نفقتك فقال دعبل (رض): والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شيء ، فرد الصرة وسأله ثوباً من ثيابه ليتبرك به فأنفذ إليه جبة خر مع الصرة وقال للخادم: قل له خذ هذه الصرة فإنك ستحتاج إليها ولا

⁽١) القصيدة مؤلفة من ١١٥ بيت موجودة في ديوان دعبل بن على الخزاعي ص١٢٤ .

تراجعني فيها ، فحصل له ببركة هذه الدنانير والجبة السنية كرامات كثيرة ومنافع غير يسيرة ترد عنها عيون الأعداء وهي حسيرة .

ولما جاء يوم العيد بعد قبول الإمام ولاية العهد بالعيد الأكيد بعث المأمون للرضا يسأله أن يركب ويحضر العيد ويخطب فقال (ع) : قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الأمر فقال المأمون: إنما أريد بهـذا الأمر أن يرسخ في قلوب العامة ، فلما ألح عليه قال: إن اعفيتني من ذلك فهو أحب إلي وإن لم تعفني خرجت كما يخسرج رسول الله (ص) وأمبسر المؤمنين (ع) فقال: اخرج كما تحب، وأمر المامون القواد أن يبكروا إلى باب أبي الحسن (ع) فقعد الناس في السطوح والطرقات من الرجال والنساء والصبيان ، واجتمع القواد على باب الرضا (ع) فلما طلعت الشمس اغتسل وتعمم بعمامة ت بيضاء من قطن وألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثلما فعلت ثم أخذ بيده عكازاً وخرج وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة ، ثم رفع رأسه إلى السماء وكبّر أربع تكبيرات فخيّل للناس أن الهواء والحيطان تجاوبه ، ثم وقف على الباب وقفة وقال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا ، الله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والحمد لله على ما بلانا ورفع بذلك صوته وكذا أصحابه فتزعزعت مرو من البكاء والصياح فقالها ثلاث مرات فتساقط القواد ورموا بخفافهم ، فلما نظروه بكوا وصارت مرو في ضجة واحدة ولم يتمالك الناس من البكاء والصيحة وكان (ع) يمشي ويقف في كل عشر خطوات وقفة ويكبر الله تعالى أربع تكبيرات ، فتخيل للناس أن السماء والارض والحيطان تجاوب فبلغ المأسون ذلك فقال للفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلى وهـ و على هذا السبيـ ل افتتن به الناس ، فالرأي أن تسأله يرجع فبعث المأمون إليه يسأله الرجوع فدعا أبو الحسن (ع) بخفه فلبسه ورجع فلم ينتظم أمر الناس فويل للمأمون الحسود ، في اليوم الموعود ، من مخالفة العهود ، وما ارتكبه من إمام زمانه المفضال ، ومن نصب حبائل الاغتيال ، وجد الحد في الاحتيال في خفض شأنه العال ، ولم يرقب وصية الرسول في الآل التي لا ين الني النياس ويحوطها بالبحدال ، فيا لله من تلك الأفعال ، التي تنهد منها الجبال ، فتبت يداه كما تبت يبدا أبي لهب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، إذ ارتكب من إمامه ما ارتكب .

شعر للمؤلف (ره):

لله ما ناله المختار من كرب وصية زيد عن حق وبضعته وسبطه حسن قد سم في لبن أما الحسين فقد قاسى بمقتله فسم سجادهم والحبر باقرهم ولم تزل آله رهن النوائب في وإن نسيت فلا أنس الرضا فلقد حتى تقيا بسم ناقع كبداً فلا استلفوا برمان ولا عنب فيا بني المجد جودوا بالبكاء على ولا تهنوا بعيد إذا به خرجت يصده عن صلاة العيد فيه على يضجله بين الأنام ويأبي الله

عظيمة لم تنل في جملة الحقب من بعد غضب قضت بالضغط والنصب ولم ينل في بيان الحق من أرب ما لم ينله نبي أو وصي نبي والبحر صادقهم مع كاظم الكرب سم وسجن وفي صلب ومغترب قاسى من الحزن ما يقضي إلى العطب عزت على المصطفى مع آله النجب لأنه سم في الرمان والعنب سما ابن موسى بدمع يخجل السحب نفس الرضا من أذى المؤمون ذي الكذب ما سنه الله بعد الحث والطلب إلا ما ارتقاه عالى البرتب

وكلما شاعت فضائل الإمام (ع) وذاعت فضائله بين الأنام حسده المأمون الخؤون ، وأضمر له الحقد والضغون حتى ضاق صدره بما لا تحمله البطون إلى أن بلغ به الحال إلى طرد الناس عن مجلسه والاستخفاف بشأنه العال ، فلما صدر ذلك الاستخفاف في مجلسه من ذلك المنافق الجاف بالإمام (ع) قدوة الأشراف خرج أبو الحسن (ع) من مجلسه مغضباً وهو يدمدم ويحرك شفتيه ويقول : بحق المصطفى وعلى المرتضى وسيدة النساء (ع) لاستنزلن من حول

الله تعالى وقوته بدعائي عليه ما يكون سبباً لطرد كلاب هذه الكورة إياه واستخفافهم به وبخاصته وعامته .

ثم انه (ع) انصرف إلى مركزه واستحضر الميضأة وصلى ركعتين ودعا في قنوته الثانية بدعاء طويل قال في آخره: يا قوي يا منيع يا على يا رفيع صل على من شرفت الصلاة بالصلاة عليه ، وانتقم لي ممن ظلمني واستخف بي وطرد الشيعة عن بابي ، وأذقه مرارة الذل والهوان كما أذاقنيها واجعله طريد الأرجاس وشريد الأنجاس . فما استتم دعاءه حتى وقعت الرجفة في البلدة وارتفعت الزعقة والصيحة والضجة وثارت الغبرة فقال (ع): يا أبا الصلت اصعد السطح فإنك سترى امرأة غبية رثة الأطمار مهيجة الأشرار ويسميها أهل هذه الكورة سمّانة لعبادتها وتنسكها ، وفي نسخة لغباوتها وتهتكها قد شدت مكان الرمح إلى نحرها قصباً ، وقد شدت لها وقاية حمراء إلى طرفه مكان اللوي وهي تقود الجيش وتسوق عساكر الطغام إلى قصر المأمون ومنازل القواد ، قال أبو الصلت: فلم أر إلا رؤوساً تقرع بالعصا وهامات ترضخ بالأحجار ، ولقد رأيت المامون متدرعاً قد برز من قصر شاهجان متوجهاً للهرب ، فما شعرت إلا بشاجره الحجام قد رمى من أعالي السطوح لبنة ثقيلة فضرب بهـا رأس المأمـون فأسقطت بيضت بعد أن شقت جلدة هامته ، فقال بعضهم: ويلك هذا أمير المؤمنين فقالت سمّانة: لا أم لك أسكت فليس هذا يوم التمييز والمحاباة ، ولا يوم إنزال الناس على طبقاتهم ، فلوكان هذا أمير المؤمنين لما سلط ذكور الفجار على فروج الأبكار ، وطرد المأسون وجنوده أسوأ طرد وإذلال واستخفاف شديمد ولم يرجع إلى مكة واستقراره إلا بعد محنة شديمدة وتعب وتنكيد ، ولا يحيق المكر السبيء إلا بأهله وخاب كل جبار عنيد .

ومن مكره السيىء الذي أحاط به ثم تمزق غيظاً بسببه حيث لم يتمكن من الفتك به ما رواه صبيح الديلمي قال: إن المأمون دعاني أنا وثالاثين غلاماً من ثقاته على سره وعلانيته في الثلث الأول من الليل ، فدخلت عليه وقد صار ليله

نهاراً من كثرة الشموع ، وبين يديه سيوف مسلولة مشحوذة مسمومة فدعا بنا غلاماً غلاماً وأخذ علينا العهد والميثاق بلسانه وليس بحضرتنا أحد من خلق الله غيرنا فقال: هذا العهد لازم لكم إنكم تفعلون ما آمركم به ولا تخالفوا منه شيئاً ، قال: فحلفنا له كلنا فقال: ليأخذ كل واحد منكم سيفاً بيده وامضوا حتى تدخلوا على علي بن موسى الرضا في حجرته ، فإن وجدتموه قائماً أو قاعداً أو منائماً فلا تكلموه وضعوا أسيافكم عليه وأخلطوا لحمه ودمه وشعره وعظمه ومخه ، ثم اقلبوا عليه بساطه وامسحوا أسيافكم به وصيروا إلي ، وقد جعلت لكل واحد منكم على هذا الفعل وكتمانه عشر بدر دراهم وعشر ضياع منتخبة والحظوظ عندي ما حييت وبقيت قال: فأخذنا الأسياف بأيدينا ودخلنا عليه في حجرته فوجدناه مضطجعاً يقلب طرفه ويديه ويتكلم بكلام لا نعرفه ، فبادر إليه الغلمان بالسيوف ووضعت سيفي وأنا قائم أنظر إليه فليس على بدنه ما لا تعمل فيه السيوف فطووا بساطه وخرجوا حتى دخلوا على المأمون فقال: ما صنعتم ؟ قالوا فعلنا ما أمرتنا به فقال: لا تبدو منه شيئاً مما كان .

فلما تبلج الفجر خرج المأمون فجلس في مجلسه مكشوف الرأس محلل الأزرار ، وأظهر وفاته وقعد للتعزية ، ثم قام حاسراً حافياً فمشى لينظر إليه وأنا بين يديه ، فلما دخل حجرته سمع همهمة فارتعد ثم قال: من عنده ؟ قلت: لا علم لنا . فقال: اسرعوا وانظروا قال صبيح : فأسرعنا إلى البيت فإذا بسيدي (ع) جالس في محرابه يصلي ويسبح ، فانتفض المأمون وارتعد ثم قال: غررتموني لعنكم الله ، ثم التفت إلي من بين الجماعة فقال: يا صبيح أنت تعرفه فانظر من بالمصلى عنده قال: فدخلت عليه وتولى المأمون راجعاً وصرت عند عتبته فقال لي : يا صبيح قلت لبيك يا مولاي وقد سقطت لوجهي فقال لي : قم يرحمك الله ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾(١) قال : فرجعت الى المأمون فوجدت وجهه كقطع الليل

⁽١) سورة التوبة ، الآية: ٣٢ .

المظلم فقال: يا صبيح ما وراءك؟ قلت له: هو والله جالس في حجرته وقد ناداني وقال لي كيت وكيت ، قال: فشد أزاره وأمر برد أثوابه وقال: قولوا انه كان قد غشى عليه وأنه قد أفاق.

فيا ويل المأمون الخؤون الملعون الغدور من العقاب الوبيل الجزيل يوم النشور ، حيث لم تعمل بما لم يعلم من فضائل إمامه (ع) النبيل الجليل التي هي كالشمس في الظهور ، ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

شعر للمؤلف (ره):

قل في ابن موسى الرضاماشئت من مدح فكلما ستر الأعدا مناقب كم حاول الغادر المأمون غائلة قد ذاد شيعت عنه وأحصره فجد في زبره ثم استخف به فضاجاته من الله العقوبة إذ فنال ما نال من ذل ومسخرة فنال ما نال من ذل ومسخرة فدس قوماً له في الليل يقدمهم أن قطعوه ولا تبقوا له رمقاً فقطعوه ولفوا بالبساط كما يعريد إطفاء نور الله جل ويأبي فجرحي يا دما اعضا الجلال فذي

فمنتهى المسلح في علياه تقصره فساجاهم من نكال الله تخسيسر فسآب وهيو قيرييح القلب مبيور بمجلس هيو مشهود ومشهور فقيام وهيو سخين السلمع مقهور وصوته فيه للجلمود تفجيس دعيا عليه السرضا والحق منصور وميا نعياه من الجبار تحذيس صبيح الديلمي والكل مأمور واطووا البساط به والأمر مستور شاء اللعين فأخيطته المقاديس الله أن يستوارى ذلك البنور أعضا الرضا جرحتهن المباتير

قال: وكان المأمون الخؤون الملعون يتقرب لـ الإمام الـرضا (ع) الأمين بجميع المخالفين ومجادلتهم في إثبات إمامة أمير المؤمنين علي (ع) وتفضيله على الصحابة أجمعين ، وكان الإمام الرضا (ع) يقول الأصحابه: لا تغتروا منه

بهذا الكلام فما يقتلني والله غيره من الأنام ، ولكن لا بد لي من الصبر حتى يبلغ الكتاب أجله وأصل إلى دار السلام .

وقال للحسن بن الجهم: يا بن الجهم لا يغرنك ما لقيته من إكرامي والاستماع مني ، فإنه سيقتلني بالسم وهو ظالم لي إني أعرف ذلك بعهـ د معهود من آبائي (ع) عن رسول الله (ص) . قال: والله ما منا إلا مقتول شهيـد ، فقيل: ومن يقتلك يا بن رسول الله ؟ فقـال (ع): أشر خلق الله في زمـاني يقتلني بالسم ثم يدفنني في دار مضيعة وبلاد غربة ، ولما لم يتم للمأمون ذي الأشــر والبطر ، ما تخيله ودبر ، من انتقاص الإمام الأطهـر ، بولايـة العهد التي جعلهـا سلمـاً لارتقاء هذا الكيد بل لم يظهر منه في ذلك للناس إلا ما لم يزدد به فضالًا عندهم ومحلًا في نفوسهم لما رأوه عليه من الإنغماس في بحار العبادة والانزواء في زوايا الزهادة ، ولم تغره زخارف مطمورة الرياسة الدنيوية عن عمارة الدار الأخروية ، جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه أحد منهم فيسقط محله عند الفقهاء وأهل الأديان ، ويشتهر نقصه في كل مقام فكان (ع) لا يكلمه خصم من اليهود والنصاري والمجوس والصابئين والدهرية والبراهمة والملحدين ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلا قطع حجته وأبطل كلمته وألزمه بواضح البيان والبراهين ، وكان الناس كلهم يقولون: والله إنه أولى الناس بالخلافة من المأمون ، وكانت أصحاب الأخبار يىرفعون ذلك إليه فيغتاظ من ذلك ويشتد حسده وحقده عليه ، وكان الرضا (ع) لا يحـابي المأمـون بل يقتفي أثر جده النبي (ص) المفضال ، في كـل وقت وحـال ، وكـان يجيبـه في أكثـر الأحوال ، بما يكره فيغيظه ذلك ويحقد عليه ولا يظهره لديه في المقال ، ولم يزل المأمون مستصحباً لهذا الحال ناسجاً على هـذا المنوال ، حتى دنى الأجـل المحتوم ، فاظهر له ذلك الغل المكتوم ، واجتهد في إزهاق روحه الشريفة وتبضيع كبده المنيفة بذعاف السموم.

شعر نصفه الاخير للمؤلف (ره):

غداً عند الإله من النظلوم وعند الله تجتمع الخصوم جناه على السرضا ويل عنظيم سرت منه على الدين السموم

ستعلم في الحساب إذا التقينا إلى ديان يوم الدين تمضي فويل الغادر المأمون مما أيقطع كبيد مولاه بسم

قال هرثمة: لما مضى من الليل نصفه قرع الباب على قارع فأجابه بعض غلماني فقال له: قل لهرثمة أجب سيدك ، قال: فقمت مسرعاً وأخذت على أثوابي وأسرعت إلى سيدي الرضا (ع) ، فدخل الغلام بين يـدي ودخلت وراءه فإذا أنا بسيدى جالس في صحن داره ، فقال لي: يا هرثمة فقلت: لبيك يا سيدي ومولاي فقال لي: اجلس ، فجلست فقال لي: اسمع وعي يا هرثمة ، هذا أوان أجلي ولحوقي بجدي (ص) وآبائي (ع) ، وقد بلغ الكتاب أجله وقد عزم هذا الطاغي على سمي في عنب ورمان مفروك ، فأما العنب فإنه يغمس السلك في السم ويجذبه بالخيط في العنب ، وأما الرمان فإنه يطرح السم في كف بعض غلمانه ويفرك الرمان بيده ليلطخ حبه بذلك السم ، وإنه سيدعوني اليوم المقبل ويقرب إلى الرمان والعنب ويسألني أكله فآكله ثم ينفذ الحكم ويحضر القضاء ، فإذا أنا مت فسيقول: أنا أغسله بيدي فإذا قال ذلك فقـل له عني بينك وبينه أنه قال لي : لا تعرض لغسلي ولا لكفني ولا لدفني ، فإنك إن فعلت ذلك عاجلك من العـذاب ما أخر عنك وحـل بك اليـوم ما تحـذر فـإنـه سينتهي ، قال: فقلت: نعم يا سيدي قال (ع): فإذا خلا بينك وبين غسلي فيجلس في علو من أبنيته مشرفاً على موضع غسلي لينظر ، فلا تعرض يا هرثمة لشيء من غسلي حتى ترى فسطاطاً أبيض قد ضرب في جانب الدار، فإذا رأيت ذلك فاحملني في أثوابي التي أنا فيها فضعني من وراء الفسطاط وقف من ورائه ويكون من معك دونك ، ولا تكشف عن الفسطاط لئلا ترانى فتهلك فإنــه سيشرف عليك ويقول لك: يا هرثمة أليس زعمتم أن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله فمن يغسل أبا الحسن وابنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن بطوس ؟ فإذا قال ذلك فأجبه وقل له: إنا نقول أن الإمام لا يغسله إلا إمام فإن تعمدي متعد

فغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدي الغاسل ، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلب على غسل أبيه ، ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى (ع) لغسله ابنه ظاهراً مكشوفاً ولا يغسله الآن أيضاً إلا هـو من حيث يخفي ، فـإذا ارتفـع الفسطاط فسوف ترانى مدرجاً في أكفاني فضعني على نعشي واحملني ، فإذا أراد أن يحفر قبري فإنه سيجعل قبر أبيـه هارون قبلة قبـري ولن يكن ذلك فـإذا ضربت المعاول تثبت عن الأرض ولم ينحفر لهم ولا مثل قالامة ظفر ، فإذا اجتهدوا في ذلك صعب عليهم فقـل لهم عنى: إنى أمرتـك أن تضـرب معـولًا واحداً في قبلة قبر أبيه هارون فإذا ضربت به في الأرض فينفذ إلى قبر محفور وضريح قائم ، فإذا انفرج القبر فلا تنزل إليه حتى يفور من الضريح ماء أبيض فيملأ القبر حتى يصير ذلك الماء مع وجه الأرض ثم يضطرب فيه حوت بطوله ، فإذا اضطرب فلا تنزل حتى إذا غاب الحوت وغار الماء فأنزلني في ذلك القبر وألحدني في ذلك الضريح ولا تتركهم يأتون بتراب يلقونه على فإن القبر ينطبق من نفسه ويمتلي ، قال: فقلت: نعم يا سيدي ثم قال لي: احفظ ما عهدت إليك واعمل به ولا تخالف قلت: أعوذ بالله أن أخالف لك أمراً يا سيدي ثم خرجت باكياً حزيناً فلم أزل كالحبة على المقلاة لا يعلم ما في نفسى إلا الله تعالى .

أقول وحق لهرثمة وجميع من سواه ممن يتوالى الإمام (ع) ويهواه أن تسيل بالدموع عيناه ، وأن تتقطع بجراحات الحزن أمعاه ، وتحرق بنيران الوجد أحشاه ، تأسياً بإمامه (ع) ومولاه ، فإن من شروط الموالاة المواساة وفقنا الله لما يحبه ويرضاه .

فلمّا كان ذلك اليوم المشؤوم على الإسلام ، والوقت الذي شب في قلوب المؤمنين الضرم ، استدعى المأمون الإمام عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلاة والسلام كما هي العادة بينه وبين ذلك الإمام في أكثر الأيام .

وفي خبر أبي الصلت الهروي استدعاه فقال (ع) : إني ماض إلى هذا

الفاجر فإن خرجت وأنا مكشوف الرأس فكلمني ، وإن خرجت وأنا مغطى الرأس فلا تكلمني ، فلما دخل على المأمون عانقه وحياه بخشوع النفاق وخضوع الملاق تلقاه ، وفي مجلسه المختص به قربه وأدناه ، فلما قضى من محادثة المطلب واستكمل من الكلام معه المأرب قدم إليه ما سمه فيه من ذلك الرمان والعنب وأمره بالأكل بالحتم الموجب .

وفي خبر هرثمة لما سمعت الأمر بالعنب والرمان لم أستطع الصبر ، ورأيت النفضة قد عرضت في بدني فكرهت أن يتبين ذلك في وجهي فتراجعت القهقرى حتى خرجت فرميت نفسي في موضع من الدار ، فلما قرب زوال الشمس أحسست بسيدي (ع) قد خرج من عنده ورجع إلى داره ، ثم رأيت الأمر قد خرج من عند المأمون فأمر بإحضار الأطباء فقلت: ما هذا ؟ فقيل لي: علمة عرضت لأبي الحسن على بن موسى ، وكان الناس في شك وكنت على يقين .

وفي خبر أبي الصلت أنه استعفاه فقال (لع): لا بد من ذلك وما يمنعك أو لعلك تتهمنا بشيء فتناول العنقود فأكل منه ثلاث حبات ورمى به ، فقام (ع) فقال المأمون: إلي أين يا أبا الحسن ؟ فقال: إلى حيث وجهتني ، فقام وخرج (ع) وهو مغطى الرأس ، فيا ليتني كنت الفداء له من جميع الناس مما يكابده من ذلك الباس والسم الذي أخمد منه الأنفاس ، وأوجب لقضايا الشريعة المحمدية الانتكاس ، ولأعلام الهداية الانطماس وللدروس العلية الاندراس فلما وصل إلى منزله ألقى بنفسه على فراش السقام ولم يزل يكابد مضاضة الآلام والشدائد العظام حتى تقياً كبده الشريفة قطعة بعد قطعة ، وألقى بمهجته اللطيفة بضعة بعد بضعة ، فيا لها من مصيبة أرغمت معاطس أهل الايمان ورزية أذكت ضرام الأحزان في قلوب السادات من مضر وعدنان ، وأصبحت لها رؤوس أهل الحق خاضعة إلى الأذقان ، وأبكت الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين بالدمع الهتان .

وقال: ثم أن الإمام (ع) جعلني الله وقاه من الآلام لما تحقق من وقت أجله ، وانقطع من الحياة سبب أمله ، أشار إلى خليفته الإمام الجواد (ع) المنصوص عليه من رب العباد الذي لم يقض لعمره الشريف بالامتداد أن يأتي إليه من المدينة لأنه لا يلي أمر المعصوم إلا مثله ، ولا يجهـز الإمام إلا شكله ، وقـد كان (ع) عنـد خروجـه من المدينـة بإشخـاص المأمـون إياه دفـع إليه كتبـه وسلاحه ومواريث الأنبياء وآثار الأوصياء ووصيت (ع) ووصية آبائه الطاهرين (ع) ، ودل على إمامته . وشيعته الميامين لعلمه (ع) أنه لا يرجع لجوار جده الأمين (ص): فلما قضى معه مأربه واستوفى من وصاياه مطلبه توجمه إلى مولاه بعد أن أطبق فاه ، وغمض عينيه ومد يديه ، فلما خرجت نفسه الشريفة تلقتها الحور والولدان ، وزخرفت الجنان ، وفتحت أبـواب السماء ، وأعلنت هي ومن فيها بفنون البكاء ، وارتجت أرجاء الأرض وضاقت رحباً بأهلها في الطول والعرض ، وفشت فيها الظلمة ولا غرو فقد طفيء عنها سراج الأمة وسدت عنها بفقده أبواب الرحمة ، فلم ير في ذلك اليوم إلا باك وباكية وناع وناعية ونائح ونائحة وصارخ وصارخة ، وصار على المؤمنين كاليوم الـذي مات فيه رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) ، فسرت قلوب الحاسدين وأرغمت أنوف الموحدين ، واشتد الكرب بالكروبيين وعلا الصراخ من الفقراء والأرامل والمساكين ، فواضيعة الإيمان والمؤمنين والإسلام والمسلمين ، ولقد أصبح كتاب الله بفقده مهجوراً ورسول الله (ص) فيه موتوراً .

ولله در من قال:

الله أكبر ما أدهاك قارعة أعالم أي دهيا معظل طرقت وأصبحت زاحرات العلم ناضبة والحق أصبح مدكوس اللوى وغدا قضى الرضا وبرغم الدين يوم قضى ثوى الثرى يشتكي كبداً مضرمة

أضحى لها معطس الإسلام مرغوما فعاد منها ثبير المجد مهدوما وآب آمل سقياهن محروما كف المكارم المعروف مجذوما كما أراد الغوك والكفر مسموما وضامراً بحسام الوجد محسوما

يعزز على عين خير الرسل تلحظه وليت مولى الورى موسى تلاحظه فأين عيناه تسرنوه غداة قضا بعداً وسحقاً لقلب لا يسروح له فهاك يا عين سحي ما حييت دماً وكيف لم يألف الشجو المتبر من لأجعلن البكاء والنوح ما طرفت أمهجة المصطفى تمسي مضرمة وطرف فاطمة الزهراء يكلمه ال

وقد قضى بنقيع السم مكظوما حلف البلايا بعيد الدار مهضوما مجرعاً لذعاف السم مظلوما ويغتدي أبد الأيام مغموما لما أصاب الرضا كالغيث مسجوما غدا بحب الرضا في الناس موسوما عيني لما نال مولى الخلق محتوما وضامري لا يراه الله مضروما بكاء وطرفي لا ألفاه مكلوما

فيا لها قارعة نازلة ، ورزية هائلة ، تركت مدارس علوم الدين عاطلة ، ومجالس عز الموحدين خاملة ، فخددوا خدودكم بأخاديد الدموع الهاطلة ، وفجروا من عيونكم عيون العبرات الهاملة ، وأسيلوا في أودية ابدانكم شؤون الأشجان السائلة ، وشاركوا الإمام الجواد في تجرعه كؤوس هذه المعضلة القاتلة ، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد في مساعدة النبي والأئمة الأمجاد لتعرجوا في معارج السعادة الكاملة .

وفي خبر ياسر الخادم قال: فلما كان في آخر يوم الذي قبض فيه كان ضعيفاً في ذلك اليوم ، فقال لي بعدما صلى الظهر: يا ياسر (أكل الناس) فقلت يا سيدي ومن يأكل هاهنا مع ما أنت فيه ؟ فانتصب (ع) ثم قال: هاتوا المائدة فلم يدع من حشمه أحداً إلا أقعده معه على المائدة يتفقدهم واحداً بعد واحد ، فلما أكلوا قال: ابعثوا إلى النساء بالطعام فحمل الطعام إلى النساء فلما فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف ، فوقعت الصيحة فجاءت جواري المأمون ونساءه حافيات حاسرات فوقعت الوجبة بطوس ، فجاء المأمون حافياً يضرب على رأسه ويقبض على لحيته ويتأسف ويبكي وتسيل الدموع على حديه ، فوقف على الرضا وقد أفاق فقال: يا سيدي والله ما أدري أي المصيبتين علي

أعظم فقدي لك أو فراقي إياك أو تهمة الناس لي أني اغتلتك وقتلتك ، قال: فرفع (ع) طرفه ثم قال: أحسن معاشرة أبي جعفر فإن عمرك وعمره هكذا وجمع بين سبابتيه .

قال: فلما كان في تلك الليلة قضى نحبه (ع) بعدما قضى من الليل بعضه ، فلما أصبح الصباح اجتمع الخلق وقالوا: هذا قتله واغتاله _ يعني المأمون _ وقالوا: قتل ابن رسول الله (ص) فأكثروا القول والتهمة .

وفي أعلام الورى: أنه لما توفي الرضا (ع) أنفذ المامون إلى محمد بن جعفر الصادق (ع) وجماعة آل أبي طالب الذين كانوا عنده ، فلما حضروه نعاه إليهم وأظهر حزناً شديداً وتوجعاً ، وأراهم إياه صحيح الجسد وقال: يعز علي أن أراك بهذا الحال وقد كنت آمل أن أقدم قبلك ولكن أبى الله إلا ما أراد . فيا له من مريد مرد على النفاق من تجرع الغسلين والغساق إذ زاد بقتل إمامه على جميع الفساق ، وعلى فرق الكفار فاق فأي حجة يحتج بها عند مولاه ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه .

وفي خبر هرثمة قال: فلما كان الثلث الثاني من الليل علا الصياح وسمعت الوجبة من الدار ، فأسرعت فيمن أسرع فإذا بالمأمون مكشوف الرأس محلل الأزرار قائماً على قدميه ينتحب ويبكي قال: فوقفت فيمن وقف وأنا أتنفس الصعداء ، ثم أصبحنا وجلس المأمون للتعزية ثم قام فمشي إلى الموضع الذي فيه سيدنا فقال: اصلحوا لنا موضعاً فانا نريد أن نغسله ، فدنوت منه وقلت له ما قاله سيدي في سبب الغسل والتكفين والدفن ، فقال لي: لست أعرض لذلك ثم قال: شأنك يا هرثمة ، قال: فلم أزل قائماً حتى رأيت الفسطاط قد ضرب ، فوقفت من ظاهره وكل من في الدار دوني وأنا أسمع التكبير والتهليل والتسبيح وتردد الأواني وصب الماء وتضوع الطيب الذي لم أشم أطيب منه ، فإذا أنا بالمامون قد أشرف علي من بعض علالي داره فصاح بي: يا هرثمة أليس زعمت أن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله فاين محمد ابنه وهو

بمدينة الرسول وهذا بطوس بأرض خراسان ؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنا نقول إن الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله فإن تعدى متعد فغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدي غاسله ، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلب على غسل أبيه ، ولو ترك أبو الحسن (ع) على بن موسى لغسله ابنه محمد ظاهراً مكشوفاً ولا يغسله الآن أيضاً إلا هو من حيث يخفى ، فسكت عنى .

ثم ارتفع الفسطاط فإذا أنا بسيدي مدرجاً بأكفانه ، فوضعته على نعشمه ثم حملناه فصلى عليه المأمون وجميع من حضر ، ثم جئنا إلى موضع القبر فوجدتهم يضربون بالمعاول دون قبر هارون الرشيد ليجعلوه قبلة لقبره (ع) ، والمعاول تنبو عنه حتى ما تحفر ذرة من تراب الأرض ولا مثل قلامة ظفر ، فقـال لي: ويحك يا هرثمة أما ترى الأرض كيف تمتنع من حفر قبر له ، فقلت له: إنه قـد أمرني أن أضرب معولاً واحـداً في قبلة قبر أبيـك لا أضرب غيره قـال فـإذا ضربت يا هرثمة ماذا يكون ؟ قلت: إنه (ع) أخبرني أنه لا يجوز أن يكون قبر أبيك قبلة لقبره (ع) فإن أنا ضربت هذا المعول الواحد نفذ إلى قبر محفور من غير يد تحفره وبان ضريح في وسطه ، قال المأمون: سبحان الله ما أعجب هـذا الكلام ولا عجب من أمر أبي الحسن (ع) فاضرب يا هرثمة حتى نرى ، قال: فأخذت المعول بيدي فضربت به في قبلة هـارون قال: فنفـذ المعول إلى قبـر محفور وبان في وسطه ضريح مشقوق والناس ينظرون إليه فقال: انـزل إليه يـا هرثمة فقلت: إن سيدي أمرني أن لا انزل اليه حتى ينفجر من أرض هذا القبر ماء أبيض فيمتلي منه القبر حتى يكون الماء على وجه الأرض ، ثم يضطرب فيه حوت بطول القبر فإذا غباب الحوت وغبار الماء أنزلني فظهر المياء والحوت يضطرب فيه والناس ينظرون إليه ، ثم جعلت النعش إلى جانب قبره وغطى قبره بثوب أبيض لم أبسطه أنا ولا غيري ، ثم انزل (ع) إلى قبره بغير يدي ولا يد أحد ممن حضر ، فأشار المأمون إلى الناس أن أهيلوا التراب بأيديكم فاطرحوه فيه ، فقلت: لا تفعل يا أمير المؤمنين فقال لي: ويحك فمن يملأه فقلت: إنه قد أمرني أن لا أطرح عليه التراب ، وأخبرني أن قبره يمتليء من ذات نفسه ثم ينطبق ويتربع على وجه الأرض ، فأشار المأمون إلى الناس أن كفوا قال: فرسوا ما في أيديهم من التراب ثم امتلأ القبر وانطبق وتربع على وجه الأرض ، فانصرف المأمون وانصرفنا .

وفي خبر أبي الصلت الهروي: فلما رأى ما ظهر من النداوة والحيتان وغير ذلك قال المأمون: لم يزل الرضا (ع) يرينا عجائبه في حياته حتى أراناه بعد وفاته أيضاً ، فقال له وزير كان معه: أتدري بما أراك إياه الرضا (ع) ؟ قال: لا قال: إنه أخبرك أن ملككم يا بني العباس مع كثرتكم وطول مدتكم مثل هذه الحيتان حتى إذا فنيت آجالكم وانقطعت آثاركم وذهبت دولتكم سلط الله تبارك وتعالى عليكم رجلاً منا فأفناكم عن آخركم ، قال: صدقت ثم قال: يا أبا الصلت علمني الكلام الذي تكلمت به ، فقلت: والله لقد نسيت الكلام من ساعتي ، وقد كنت صدقت فحبست سنة كاملة ، فضاق علي الحبس فسهرت ليلة ودعوت الله تعالى بدعاء ذكرت فيه محمداً وآل محمد (ص) ، وسألت الله عز وجل بحقهم أن يفرج عني ، فما استتم الدعاء حتى دخل علي محمد بن علي (ع) فقال لي: يا أبا الصلت ضاق صدرك فقلت: أي والله قال: قم عاضرج ، ثم ضرب بيده إلى القيود التي كانت علي ففكها وأخذ بيدي وأخرجني من الدار والحرسة والغلمة يروني فلم يستطيعوا أن يكلموني ، فخرجت من باب الدار ثم قال: امض في ودائع الله تعالى فإنك لن تصل إليه ولن يصل إليك أبداً فما التقيت بالمأمون .

وفي خبر هرثمة: بعد الانصراف من دفن الإمام (ع) قال: فدعاني المأمون وخلاني ثم قال: أسألك بالله يا هرثمة لما صدقتني عن أبي الحسن (ع) بما سمعته منه ، قال: فقلت: قد أخبرت أمير المؤمنين بما قال لي فقال: بالله إلا ما صدقتني عما أخبرك به غير الذي قلت لي قال: نعم تسألني فقال لي: يا هرثمة هل أسر إليك شيء غير هذا ؟ قلت: نعم قال: ما هو ؟ قلت: خبر الحرمان والعنب فأقبل المأمون يتلون ألواناً يصفر مرة ويحمر أحرى ويسود

أخرى ، ثم تمدد مغشى عليه فسمعته في غشوته يهجر ويقول: ويل للمأمون من رسول الله (ص) ، ويل للمأمون من على (ع) ، ويل للمأمون من فاطمة (ع) ، ويـل للمأمـون من الحسن (ع) والحسين (ع) ، ويـل للمـأمـون من علي بن الحسين (ع) ، ويل للمأمون من محمد بن على (ع) ، ويل للمأمون من جعفر بن محمد (ع) ، ويل للمأمون من موسى بن جعفر (ع) ، ويل للمأمون من علي بن موسى الرضا هذا والله هـ و الخسـ ران المبين ، يقـ ول هـ ذا القـ ول ويكرره فلما رأيته قد أطال ذلك وليّت عنه وجلست في بعض نواحي الدار فجلس ودعاني فدخلت إليه وهو جالس كالسكران ، وقال: والله ما أنت أعز على منه ولا جميع من في الأرض والسماء ، وقال والله لئن بلغني أنك أعدت مما سمعت مني ورأيت شيئاً ليكونن فيه هلاكك ، فقلت : إن ظهرت على شيء من ذلك مني فأنت في حل من دمي قال: لا والله أو تعطيني عهداً وميشاقاً على كتمان هذا الأمر وترك إعادته ، فأخذ على العهد والميثاق وأكده على فلما وليت عنه صفق بيده وقال : ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً (١) ، فأحيطوا رحمكم الله أيها المؤمنون الأعاظم بأطراف المنائح والمغانم بإدامة أعمال المنائح وإقامة أعلام المآتم ، واطفئوا نيران المآتم بتفجير أنهار الدموع السواجم ، واشحذوا عزار العزائم بجواهر الأخبار المضامنة على ذلك بالثواب الدائم ، وتقربوا لله تعالى باللعن لهذا الـظالم ومن أسس قبله أساس المـظالم ، لأهل البيت (ع) سراج العوالم وما حل بهم بعد جدهم من الخطب المتفاقم ، والرزء المتعاظم الذي أبكي كل مؤمن من حادث وقادم ، خصوصاً ما جرى على غريب كربلا من الكرب والبلاء والمصائب والخطوب الصيالم ، وسحاب الرزايا المتراكم ، الـذي ينسى مـا جـرى على غـريب خـراسـان وغيـره من الأرزاء العظائم ، وفقني الله وإياكم لارتقاء سلم هذه المكارم ، ثم أقيمت على الإمام

⁽١) سورة النساء ، الآية : ١٠٨ .

الرضا (ع) المنائح والمنادب العالية ، ورثته الشعراء من كل جانب وناحية .

فلما وصل نعيه إلى قم رثاه دعبل الخزاعي (ره) بقصيدته الراثية التي منها هذه الأبيات العلية يقول:

لولا تشاغل عيني بالأولى سلفوا كم أذرع لهم بالسطف بائنة أنسى الحسين ومسراهم لمقتله يا أمة السوء ما جازيت أحمد عن خلفتموه عن الأبناء حين مضى لم يبق حي من الأحياء نعلمه إلا وهم شركاء في دمائهم أرى أمية معذورين إن قتلوا قبوم قتلتم على الإسلام أولهم أبناء حرب ومروان وأسرتهم أربع بطوس على قبر الوصي بها قبران في طوس خير الخلق كلهم ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا هيهات كل امرء رهن بما كسبت

من أهل بيت رسول الله لم أقر وعارض بصعيد الترب منعفر وهم يقولون هذا سيد البشر حسن البلاء عن التنزيل والسور خلافة الذئب في أبقار ذي بقر من ذي يمان ولا بكر ولا مضر كما تشارك ايسار على جُزُر فعل الغزاة بأهل الروم والخزر فعل الغزاة بأهل الروم والخزر حتى إذا استمكنوا جاؤوا على الأثر بني معيط ولاة الحقد والوغر إن كنت تربع من دين على قطر وقبر شرهم هذا من العبر على خر على الزكي بقرب الرجس من ضرر على الزكي بقرب الرجس من ضرر على الذي بقرب الرجس من ضرر

قال: فسمع المأمون بذلك فأرسل إليه فأتاه وآمنه على نفسه ، فلما مشل بين يدي المأمون قال له: أنشدني قصيدتك فجحدها وأنكر معرفتها ، فقال له: لك الأمان عليها كما آمنتك على نفسك ، فأنشده إياها فلما وصل إلى قوله (هيهات كل امرء رهن بما كسبت له يداه) البيت ، ضرب المأمون بعمامته إلى الأرض وقال : صدقت والله يا دعبل ، ثم بكى ولم يزل ينوح حتى غشي عليه ، وصار الناس في اضطراب عظيم وهو يقول : صدقت والله يا دعبل ﴿ كل امرء

بما كسب رهين ﴾ (١) هذا قبول الله تعالى في كتابه المبين ثم أجاز دعبل (٥) وصرفه فباصرفوا يا اخواني عنان جواد البال ، نحو ميدان الإقبال ، وأعمال عوامل الأفكار أحسن الأعمال ، فيما اجترى به أولئك الأنذال ، على أولئك الأثمة الأبدال ، وشيعتهم التابعين لهم في الأقوال والأفعال من تجريع غصص النكال ، وحبسهم في طوامير الوبال والاستيصال بالسموم وضروب الاغتيال ، مع علمهم بما خصهم به ذو الجلال ، والنبي المفضال ، من الفضائل الظاهرة لهم بالعشي والأصال ، وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال .

(١) سورة الطور ، الآية: ٢١ .

ولادته (ع)

وكان مولده (ع) يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة الحرام سنة (١٤٨) ثمان وأربعين بعد المائة من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة والسلام ، وقبض (ع) من دار البوار إلى دار القرار والدوام وهو ابن تسع وأربعين سنة وأشهر كما في الكافي لثقة الإسلام وهو الذي عليه عمل الشيعة الأبرار في شهر صفر سنة ثلاثة وماثنين في اليوم السابع عشر كما اعتمده ثقة الإسلام ، وهو الذي تعمل به الشيعة الأخيار في هذه الأعصار في يوم الاثنين وقيل يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان من تلك السنة ، وقيل يوم السابع والعشرين من شهر صفر والله العالم بالصواب، فينبغي لأهل الإيمان المواظبين على الطاعات لبس شعائر الأحزان في هذه الأوقات وعلى هذا يكون مدة إقامته (ع) مع أبيه تسم وعشرين سنة وشهرين ، والعقب من بعده في ولده الإمام محمد الجواد (ع) وقيل لم يخلف سواه من الأولاد وأمَّه أمَّ ولد وكنيتها أمَّ البنين واسمها تكتم كما اعتمده الصدوق (ره) في عيون الأخبار ، وقيل سكن ، وقيل أروى وقيل نجمة وعليه يدل غير واحد من الآثار وهو وأخوه القاسم (ع) وأخته فاطمـة المعصومة في قم من أم واحدة وألقابه: الرضا ، والصادق والضامن ، والصابر ، والفاضل ، وقرة أعين المؤمنين ، وغيظ الملحدين ، وأشهرها: الضامن والرضا وإنما لقب به لأنه كان رضا الله في سمائه ورضا الرسول في أرضه ورضا الأئمة من بعده ورضي به المخالفون من أعدائه وضده ، كما رضي به الموافقون من أوليائه وجنده ولم يكن ذلك لأحد من آبائه (ع) بالنسبة إلى غير أوليائه لأنه (ع) رضيه المأمون لولاية عهده .

زهده (ع)

ومن زهده (ع) أن جلوسه في الصيف على حصير ، وفي الشتاء على مسح ولبسه الغليظ من الثياب ، فإذا برز للناس تزين لهم بأزين اللباس وكان كل كلامه (ع) وجوابه وتمثاله انتزاعات من القرآن واقتباس من آياته ، وكان (ع) يختمه في كل ثلاثة أيام مرة ويقول: لو أردت أن أختمه في أقل من ثلاثة أيام لختمته لكنني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفي أي شيء أنزلت وفي أي وقت ، فلذلك صرت أختمه في كل ثلاثة أيام مرة .

عبادته (ع)

ومن عبادته (ع) ما رواه عبد السلام بن صالح الهروي قال: جئت إلى باب الدار التي حبس فيها أبو الحسن الرضا (ع) بسرخس فاستأذنت عليه السجان فقال: لا سبيل لك عليه فقلت: ولم ؟ فقال: لأنه ربما صلى يومه وليلته ألف ركعة وإنما ينفتل من صلاته ساعة في صدر النهار وقبل الزوال وعند اصفرار الشمس ، فهو في هذه الأوقات يناجي ربه .

کرم اذلاقه (ع)

ومن كرم أخلاقه (ع) ما حكاه عمه إسراهيم بن العباس قبال: ما رأيت أبا الحسن الرضا (ع) جفا أحداً بكلامه قط ، ولا رأيته قطع على أحد كلامه قط حتى يفرغ منه ، ولا رد أحداً عن حاجة قط ، ولا مد رجليه بين يدى جليس لـه قط ، ولا رأيته يشتم أحداً من مواليه ومماليكه قط ، ولا رأيت يقهقه في ضحك قط بل كان ضحكه (ع) التبسم ، وكان إذا نصب مائدته أجلس معه عليها مماليكه ومواليه حتى البواب والسايس ، وكان قليل النوم بالليل كثير السهر يحيى لياليه بالعبادة من أولها إلى الصبح ، وكان (ع) كثير الصيام ولا يفوته صيام ثلاثة في الشهر ، ويقول (ع): ذلك صوم الدهر ، وكان (ع) كثير المعروف والصدقة في السر وأكثر ذلك في الليالي المظلمة فمن رأى مثله فلا تصدقوه وناهيك بها من خصال شريفة ، وخلال طريفة ، وصفات منيفة ، فيه (ع) وآباؤه الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام لا بدأن يكونوا أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وأظهرهم فرعاً وعرقاً . ولا ينافيه ما ورد فيه (ع) أنه أسمر اللون مع أن الأسمر هو الذي بياضه مشوب بالحمرة فيسمى عند العرب أسمر، وأن الإمام (ع) لا يظهر للناس من كل شيء إلا ما تحتمله عقولهم ولا تنحسر عنه أبصارهم ولا تنفر منه بصائرهم ، فلهذا قالت أم الفضل ابنة المأمون زوجة ابنه محمد الجواد (ع) لأمها حين دخل (ع) عليها فغشى عليها إن هذا الرجل يريني كل يوم صورة من جماله أتحير عند رؤيتها ، والأن لما دخل رأيت في وجهه نوراً أخذ بمجامع قلبي وبصري .

وروي أيضاً: أن النبي (ص) كان يسمع أصحابه من صوته في قراءته القرآن ما تحتمله عقولهم ولو أسمعهم صوته لماتوا عند سماعه .

ولا شك أن نورهم واحد وطينتهم واحدة من ذلك النور العظيم ، ﴿ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ﴾(١) ، ولهذا كان الأثمة عليهم الصلاة والسلام يظهرون لخواص شيعتهم الكرام على حسب الحالات التي تحتملها عقولهم في كل مقام ، فهم مظاهر الحقيقة الأحدية والحجة على جميع البرية ، فلا بد من ظهورهم لكل واحد بما يناسب القابلية ، وليس هذا بغريب ولا منهم بعجيب .

⁽١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٤ .

في فضل زيارته (ع)

وأما فضل زيارته (ع) فمن زاره عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجب له على الله الجنة وكان كمن زار الله في عرشه وزار رسول الله (ص) ، وبني له منبراً حذاء منبر رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) حتى يفرغ الخلائق من الحساب ، وأعطاه الله أجر من أنفق قبل الفتح وقاتل ، ويخلصه الرضا (ع) من أهوال ثلاثة: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً وعند الصراط وعند الحساب ويشفع فيه يوم القيامة ، وزيارته (ع) تبلغ عند الله ألف حجة .

وكان (ع) يقول: إني سأقتل بالسم مظلوماً وأقبر إلى جنب هارون وجعل الله عز وجل تربتي مختلف شيعتي ، فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة ، والذي أكرم محمداً (ص) بالنبوة واصطفاه بالرسالة على جميع الخليقة لا يصلي أحد منكم عند قبري ركعتين إلا استحق المغفرة من الله تعالى يوم يلقاه ، والذي أكرمنا بعد محمد (ص) بالإمامة وخصنا بالوصية أن زوّار قبري لأكرم الوفود على الله تعالى يوم القيامة ، وما من مؤمن يزورني إلا حرم الله تعالى جسده على النار ، فقال رجل من خراسان: يا بن رسول الله رأيت رسول الله (ص) في المنام وهو يقول كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي واستحفظتم وديعتي وغيب في ثراكم نجمي ؟ فقال له الرضا (ع): أنا المدفون في أرضكم وأنا البضعة من نبيكم (ص) وأنا الوديعة والنجم ، فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقى وطاعتى فأنا وآبائي شفعاؤه يوم يعبرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقى وطاعتى فأنا وآبائي شفعاؤه يوم

القيامة ، ومن كنا شفعاؤه نجا ولوكان عليه مثل وزر الثقلين الجن والإنس .

وقال أبوه الكاظم (ع) إذا كان يـوم القيامة كان على يمين عـرش الرحمٰن أربعة من الأولين وأربعة من الأولين فهم أربعة من الأولين وأربعة من الأحرين ، فأما الأربعة الـذين هم من نـوح وإبراهيم (ع) ومـوسى (ع) وعيسى (ع) ، وأما الأربعـة الـذين هم من الآخرين فمحمد (ص) وعلي والحسن والحسين (ع) ، ثم يمد الطعام فيقعد منا زوار قبر ولدي علي (ع) .

وسئل ابنه الجواد (ع): زيارة أبيك أفضل أم زيارة جدك أبي عبد الله الحسين (ع) ؟ فقال (ع) زيارة أبي أفضل وذلك لأن أبا عبد الله (ع) يـزوره كل الناس وأبي لا يزوره إلا الخواص من الشيعة .

ولا إشكال في هذه الرواية من حيث أنه قد يزوره عوام الشيعة ويحرم منها خواص العلماء ، لأن المراد بخصوص الشيعة من اعتقد إمامة الاثني عشر ، فمن أقر بإمامته (ع) أقر بإمامة غيره من الأئمة (ع) دون سائر فرق الشيعة كالواقفية والزيدية والفحطية والناووسية وغيرهم من الفرق المتسميين بالشيعة المخالفين للإمامية ، فهؤلاء كلهم ينزورون الحسين (ع) ولا ينزورون الرضا (ع) ، ويحمل ذلك على حال الابتداء وحال الخطاب والله العالم بالصواب .

والأخبار في زيارته (ع) بالغة حد الاشتهار اقتصرنا منها على هذا المقدار وناهيك بهذا العنوان اشتهاره بضامن الجنان ، واختلاف الأخبار في الثواب محمول على اختلاف الزائرين في المعرفة ومراتب الإيمان ، جعلني الله وإياكم من العارفين بحقه على التحقيق ، والسالكين إلى الإيمان والتصديق ، ولنختم هذه النبذة القليلة بزيارة له (ع) جليلة منقولة من الأخبار المؤلفة المشتملة على ما في زيارته من الفضيلة يحسن زيارته بها بعد الفراغ من قراءتها تفألاً بأن الله لا يختم كتاب الأجل إلا بختام بلوغ الأمل من التشرف بزيارته (ع) التي هي من خير العمل .

زیارته (ع)

وهذه الزيارة الشريفة:

السلام عليك يا ولي الله . السلام عليك يا حجة الله السلام عليك يا وارث الأنبياء والمرسلين . السلام عليك يا وارث الأئمة المعصومين ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا مولاي : يا أبا الحسن الرضا والإمام المرتضى والحسام المنتضى ورحمة الله وبركاته . السلام عليك أيها الإمام الغصيب . والبعيد القريب . والمسموم الغريب ورحمة الله وبركاته . السلام عليك أيها النازح عن تربة جده الحامل لكتاب الله والعامل بما فيه . السلام عليك أيها النازح عن تربة جده وأبيه ورحمة الله وبركاته . السلام عليك وأبيه ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا غوث اللهفان وغريب الأوطان وضامن الجنان من شرفت به أرض خراسان ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا قليل الزائرين وقرة أعين الأئمة المعصومين وفاطمة سيدة نساء العالمين ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا من كسر قلوب شيعته بغربته إلى يوم الدين ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك أيها الإمام الرؤوف الرحيم الذي هيج أحزان يوم الطفوف ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك با غرة إقبال الدنيا وسعودها ومن سئل عن كلمة التوحيد فقال: وأنا من شرطها ومقصودها ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا من قال في حقه رسول الله سيد الأكوان وسند الأعيان: سيدفن بضعة مني بأرض خراسان ما زاره مكروب إلا ونفس الله كربه ، ولا مذنب إلا وغفر الله ذنبه ، ولا يزوره مؤمن إلا أوجب الله له الجنة يا من قال في

زيارته باقر علوم الأولين والآخرين: يخرج رجل من ولدي يقتل بالسم اسمه اسم أبيه أمير المؤمنين فيدفن بأرض خراسان ، من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا من قال فيه جده البحر الدافق جعفر بن محمد الصادق: يقتل ولدي بأرض خراسان في مدينة يقال لها (طوس) من زاره عارفاً بحقه أخذته بيدي وأدخلته الجنة وإن كان من أهل الكبائر، قيل له وما عرفان حقه، قال: يعلم بأنه مفترض الطاعة غريب شهيد من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله أجر سبعين شهيد ممن استشهد مع رسول الله (ص)، وقال فيه أيضاً: يقتل لهذا ولدي وأشار بيده إلى ابنه موسى ولد بطوس لا يزوره إلا الأندر فالأندر ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا من قال فيه أمير المؤمنين وسيد الوصيين: سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسم اسمه إسمي وإسم أبيه اسم موسى بن عمران، ألا فمن زاره غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الاشجار ورحمة الله وبركاته.

السلام عليك يا من في حقه قال أبوه العالم موسى بن جعفر الكاظم: من زار قبر ولدي كان له عند الله سبعون حجة مبرورة ، قيل له : سبعون حجة مبرورة ؟ فقال: نعم وسبعون ألف حجة ، ومن زاره أو بات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه ، وقال أيضاً فيه: إن ابني علياً مقتول بالسم ومدفون إلى جنب هارون الرشيد بطوس من زاره كان كمن زار رسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا من قال : إن لكل منا عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإن من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤه يوم القيامة ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا من قال: إني مقتول ومسموم ومدفون بـأرض غربـة أعلم ذلك بعهد عهده إلي أبي عن آبائه (ع) ألا فمن زارني في غربتي كنت أنا وآبائه شفعاؤه يوم القيامة ، ومن كنا شفعاؤه نجا ولو كـان عليه مثـل وزر الثقلين ورحمة

الله وبركاته السلام عليك يا من قال: إني مقتول بالسم مظلوماً فمن زارني عارفاً بحقي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا من قال: إني مقتول بالسم ومدفون بأرض غربة فمن شد رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر ذنبه ومن زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواضع حتى أخلصه من أهوالها ، إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً ، وعند الصراط ، وعند الميزان ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا من قال: ما منا إلا مقتول شهيد فقيل له: يابن رسول الله ومن يقتلكم ؟ فقال: شر خلق الله في زماني يقتلني بالسم ثم يدفنني في دار مضيعة وبلاد غربة ألا فمن زارني في غربتي كتب الله له أجر مائة ألف شهيد ، ومائة ألف صديق ، ومائة ألف حاج ومعتمر ، ومائة ألف مجاهد وحشر في زمرتنا وجعل في الدرجات العلا وفي الجنة رفيقاً ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا من قال : من زارني وهو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه ورحمة الله وبركاته .

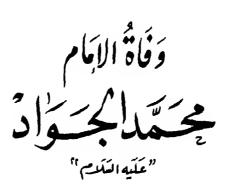
السلام عليك يا من قال في زيارته ابنه الجواد: ضمنت لمن زار أبي في طوس عارفاً بحقه بالجنة على الله وإنها تعدل عند الله ألف ألف حجة لمن زاره عارفاً بحقه ، ومن زار أبي بطوس غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فإذا كان يوم القيامة نصب له منبر حذاء منبر رسول الله حتى يفرغ الله عز وجل من حساب عباده ، وإن بين جبلي طوس قبضة من الجنة من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار وما زار أبي أحد فأصابه أذى من مطر أو برد إلا حرم الله جنده على النار ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا من قال فيه ابنه علي بن محمد الهادي: من زاره فأصابه في طريقه قطرة من السماء إلا حرم الله جسده على النار ، ومن كانت له إلى الله حاجة فليزر قبر جدي الرضا بطوس وهو مغتسل وليصلي عنده ركعتين وليسأل الله حاجته في قنوته ، وإن موضع قبره لبقعة من بقاع الجنة لا يزورها مؤمن إلا أعتق الله وقبته من النار وأحله دار القرار ورحمة الله وبركاته .

يا مولاي يا أبا الحسن الرضا: قصدتك بقلبي زائراً إذا عجزت عن حضور مشهدك والمشاهدة لقبتك ، ووجهت إليك سلامي لعلمي أنه يبلغك فأسأل الله بشفاعتك المقبولة ودرجتك الرفيعة أن ينفس بك كـربى ، ويغفر بـك ذنبي ، ويسمعك كلامي ، ويبلغك سلامي ، وأن يوفقني لزيارتك في البقعة التي قلت فيها: هي والله روضة من رياض الجنة ، من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله ، وكتب له ثبواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة ، وكنت أنا وآبائي عليهم السلام شفعاؤه يوم القيامة ، فكن شفيعي بآبائك الطاهرين وأولادك المنتجبين فبالله أقسم وبآبائك الأطهار وأبنائك الأبرار لولا بعد الشقة حيث شطت بكم الدار لقضيت بعض واجبكم بتكرار المرار ، فيأ ليتني كنت من الطائفين بحضرتك مستبشراً ببهجة مؤانستك ، يا مولاي يابن رسول الله زرتك طالباً بزيارتك من الله تعالى غفران الذنوب وكشف الكروب وستر العيوب والأمان الذي وعدت به في المواطن الثلاثة : عند تـطاير الكتب وعنـد الصراط وعند الميزان ، صلى الله على روحك الطيبة وجسدك الطاهر وبـدنك الـزكى ، صبـرت واحتسبت وعبدت الله مخلصـاً حتى أتاك اليقين ورحمــة الله وبركــاته ، السلام عليك وعلى آبائك الطاهرين وابنائك المعصومين سادات المتقين وكبراء الصديقين وأعلام المهتدين وأنوار العارفين والصابرين الممتحنين ورحمة الله و بركاته .

وليكن هذا آخر ما نمليه في هذا المقام ، سائلين منه سبحانه وتعالى حسن الختام ، وبلوغ المرام ، من زيارته (ع) وزيارة آبائه الكرام ، التي هي الذخيرة يوم القيام ، والمأمول من الحاضرين أن لا ينسوا مؤلفها ووالديه في جميع الأوقات ، من صالح الدعوات ، بأن يجعلها في صحيفة الحسنات ، وأن يتفضل عليه بمحو السيئات ، وأن يعامله بعفوه العميم .

وكان الفراغ من تسويد جلها بقلم مؤلفها في بندر الحرمين جدة سنة ١٠٣١ هجرية على مهاجرها وآله آلاف الصلاة والسلام .



تأليف العلامة الثيخ عسين بن الشيخ المحدبن عصف*ى -*الدارزي البجراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كره هذه الدار لأجواد عباده وجعلهم فيها ممتحنين ، وأخرجهم منها على الشهادة بسيوفها القاطعة من أهل فساده ، فصبروا على مكارهها وما قد فيها من بلائه ونكاده ، والصلاة والسلام على محمد المبتلى في نفسه وأطائب أولاده .

وبعد فيقول فقير الله الكريم الراجي لعفو ربّه وإنقاذه من ذنوبه وعظائم إجرامه ، الجاني حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عصفور الدرازي البحراني رحمه الله تعالى قد عزمت على تأليف كتاب مختصر في وفاة جواد الأجواد ، ومحل الرشاد ومفتاح السداد ، باب المراد الإمام الهمام محمد بن علي الجواد ، لتجتمع عليه الشيعة الأمجاد ، ونقوم بالعزاء ونشر أخبار مصائبهم وما جرى عليهم من أهل الإلحاد فقد لقوا شدائداً تندك لها الجبال الأطواد ، وتفطر لها السبع الشداد ، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك لنسلم به من أهوال يوم التناد ، ونصل به إلى جوارهم في مستقر رحمته التي وسعت العباد ، وسميته بضرام الحزن الوقاد وفي وفاة سيدنا ومولانا محمد بن علي الجواد ولنذكر أمام المقصود بعض ما وقع له من المعاجز في حال الميلاد إلى يوم وفاته (ع) وانتقاله إلى جوار الآباء والأجداد ، وكان مولده (ع) في شهر رمضان سنة خمس وتسعون ومائة من الهجرة ، وأمه أم ولد وربما يقال لها سبيكة النوبية ، والأصح أن اسمها

خيرزان ، وروي أنها كانت من أهل بيت مارية أمّ إبراهيم ابن رسول الله (ص) ، وقد نص عليه أبوه بالإمامة (ع) وله من العمر ثلاث سنين ، ولقد وقعت عليه الشيعة في أمر عظيم عند وفاة والده لأن أباه كان بخراسان وهو طفل صغير في المدينة المنورة على مشرفها السلام .

وفي خبر أبي يحيى الصنعاني كما في الكافي قال: كنت عند أبي الحسن الرضا (ع) ، فجيء بابنه أبي جعفر (ع) وهو صغير ، فقال: هذا هو المولود الذي لم يولد مثله ، ولا أعظم بركة على شيعتنا منه .

وفي رواية الحسن بن الجهم قال: كنت عند أبي الحسن الرضا (ع) وهو جالس ، فدعا بابنه وهو صغير فأقعده في حجره وقال لي: جرده وانزع قميصه ، فنزعته ، وقال لي : أنظر بين كتفيه ، قال : فنظرت فإذا في إحدى كتفيه شبه الخاتم داخل في اللحم .

وفي رواية صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا (ع): قد كنا نريد أن نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر ، فكنت تقول : يهب الله لي غلاماً وقد وهبه الله لك ، فأقر الله عيوننا ، فلا أرانا الله عز وجل يومك فإن كان كونٌ فإلى من ؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر (ع) وهو قائم بين يديه ، فقلت : جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين ، فقال (ع): ما يضره من ذلك وقد قام عيسى ابن مريم (ع) بالحجة وهو ابن ثلاث سنين .

وفي رواية زكريا بن يحيى الصيرفي قال: سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين ، فقال في حديثه لقد نصر الله أبا الحسن الرضا (ع) لما بغى إليه إخوته وعمومته فقال له الحسن: أي والله جعلت فداك لقد بغى عليه اخوته ، فقال علي بن جعفر: اي والله ونحن بغينا عليه ، فقال له الحسن (رض) : كيف صنعتم فإني لم أحضركم قال: فقال له إخوته: ونحن أيضاً ما كان فينا إماماً حائل اللون ، فقال لهم الرضا (ع) : هو ابني ، قالوا فإن قد قضى بالقافة فبيننا وبينك القافة ، قال : ابعثوا إليهم أنتم وأما أنا فلا

ولا تعلموهم لما دعوتموهم وليكونوا في بيوتكم ، فلما جاؤوا اقعدونا في البستان ، واصطفت عمومته وإخوته ، وأخذوا الرضا (ع) وألبسوه جبة صوف وقلنسوة منها ووضعوا على كتفه مسحات ، وقالوا: ادخل البستان كأنك تعمل فيه ، ثم جاؤوا بأبي جعفر (ع) وقالوا لهم: ألحقوا لنا هذا بأبيه ، فقالوا: ليس هاهنا أب له ولكن هذا عم أبيه ، وهذا عمه ، وهذه عمته ، وإن كان له أب هاهنا فهو صاحب البستان فإن قدميه واحدة ، فلما رجع أبو الحسن (ع) قالوا: هذا أبوه .

قال علي بن جعفر: فمصصت ربق أبي جعفر (ع) ثم قلت: أشهد أنك إمامي عند الله عز وجل ، فبكى الرضا (ع) ثم قال: يا عم ألم تسمع أبي (ع) وهو يقول: قال رسول الله (ص): يأتي ابن خيرة الإماء ابن النوبية الطاهرة الطيبة الفم المنتجبة الرحم، ويلهم لعن الله الأعبس وذريته صاحب الفتنة يقتلهم سنيناً وشهوراً وأياماً، يسومهم خسفاً ويسقيهم كأساً مصبرة، وهو الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة، فيقال: مات أو هلك أو أي واد سلك أيكون هذا يا عم إلا مني قال صدقت جعلت فداك.

وروى الحسن بن عمسارة قبال: كنت عند علي بن الإمام جعفر (ع) بالمدينة ، وكنت أقمت عنده سنين أكتم عنده ما أسمع من أخيه أبي الحسن (ع) إذا دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا (ع) مسجد رسول الله (ص) فوثب علي (ع) بلا حذاء ولا رداء فقبل يديه وعظمه فقال له أبو جعفر (ع) اجلس يا عم رحمك الله فقال يا سيدي كيف أجلس أنا وأنت قائم ، فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون له: أنت عم أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل ، فقال: لسكتوا إذا كان الله عزّ وجلّ ـ وقبض على لحيته لم يؤهل هذه الشيبة وأهل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه ، أأنكر فضله ؟ نعوذ بالله مما تقولون ، بل أنا له عبد ، وناهيك بها من نصوص قد أسفرت عن إمامته (ع) وهو مولود وجواد الأجواد ، جعله الله لبحار علمه مداد ، وأتاه الله الحكمة وفصل

الخطاب وهو صبي في المهاد ، الله أعلم حيث يجعل رسالته على رؤوس الأشهاد ، ولقد تطاولت عليهم أهل الزيغ والعناد وحملهم عليهم الغل والحسد الكامن في الفؤاد ، فأنكروا مأمنهم ولم يقروا بإمامة الجواد وأقروا بإمامة الرضا (ع) ، ووقفوا عليه وكذا على أبيه (ع) من قبله ، وولغوا في دماثهم وقيدوهم بالقيود والأصفاد

ولله در من قال حيث أجاد:

لله درك من جواد في من نجل القضا نجل الرضا من عنده فصل القضا حسدوه إذ ولاه مولاه الذي في المهد ينطق من سعادة جده جبريل يخدمه جهاراً في الورى يا ويلهم كيف الجحود لشأنه مهلاً بني العباس قبح فعلكم ونصرتم أرحامكم ونصرتم فعليكم لعن المهيمن دائماً

قد حل مرتبه المسهي والفرقد باب الرضاكهف الحجا والسؤدد قد ناله عيسى زمان المولد أثر النجابة فيه خير مسدد وله الملائك والملاطوع اليد والنص فيه قائم في المشهد لبني الرسالة معتد من معتد أعدائكم من كل رجس أوغد لا ينقضي أبداً ليوم الموعد

وفي عيون المعجزات لعلم الهدى قال: لما قبض الرضا (ع) كان سن أبي جعفر (ع) سبع سنين ، فاختلف الناس ببغداد وفي الأمصار واجتمع الريان بن الصلت ، وصفوان بن يحيى ، ومحمد بن حكيم ، وعبد الرحمٰن بن الحجاج ، ويونس بن عبد الرحمٰن ، وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبد الرحمٰن بن الحجاج في بركة زلول يبكون ويتوجعون من هذه المصيبة ، عبد الرحمٰن بن الحجاج في بركة زلول يبكون ويتوجعون من هذه المصيبة ، فقال لهم يونس بن عبد الرحمٰن: دعوا البكاء: من لهذا الأمر وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا يعني أبا جعفر (ع) ، فقام إليه الريان بن الصلت ووضع يده في حلقه ولم يزل يلطمه ويقول: أنت تظهر الإيمان لنا وتبطن الشك الشرك ، إن كان أمره من الله ومن رسوله (ص) فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان

بمنزلة الشيخ العالم وفوقه وإن لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة فهو واحد من الناس هذا مما لا ينبغي أن يفكّر فيه ، فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه ، وكان وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلًا فخرجوا إلى الحج وقصدوا المدينة ، ليشاهدوا أبا جعفر (ع) فلما وافوه أتـوا دار جعفر الصادق (ع) لأنها كانت فارغة ودخلوها وجلسوا على بساط كبير ، وخرج إليهم عبد الله بن موسى (ع) فجلس في صدر المجلس ، وقام مناد وقال: هذا ابن رسول الله (ص) فمن أراد السؤال فليسأل ، فسئل عن أشياء أجاب فيها بغير الجواب ، فرد على الشيعة ما أحزنهم وغمهم واضطربت الفقهاء فقاموا وهموا بالانصراف وقالوا في أنفسهم: لو كان أبو جعفر (ع) يكمل لجواب المسائل لما كان عند عبدالله ما كان ومن الجواب بغير الواجب، ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق وقال : هذا أبوجعفر (ع) فقاموا إليه واستقبلوه وسلموا عليه فرد عليهم السلام فدخل (ع) وعليه قمصان وعمامة بذؤابتين ، وفي رجليه نعلان ، وجلس وأمسك الناس كلهم فقام صاحب المسألة فسأله عن مسألة أجاب عنها بالحق ، ففرحوا ودعوا لـه وأثنوا عليـه وقالـوا له: إن عمـك عبد الله أفتى بكيت وكيت ، فقال (ع) : لا إله إلا الله يا عمِّ إنه عظيم عند الله أن تقف بين يديه _ فيقول لك لِمَ تفتى عبادي بما لا تعلم وفي الأمَّة من هـ وأعلم منك ، ولم يزل صلوات الله عليه في كل يوم تظهر لـه (ع) معاجز وبراهين لا تحصى ، وكرامات لا تستقصى حتى تحدث الناس بفضله في جميع الأمصار ، واعتقدوا فضله على من سواه الاجتماع .

فمن معجزاته (ع) البارعة ما وقع له عند وفاة أبيه (ع) وقد ذكرناها مفصلة هناك ، وما رواه محمد بن ميمون قال : كنت مع الرضا (ع) بمكة قبل خروجه إلى خراسان فقلت له: إني أريد أن أتقدم إلى المدينة ، فاكتب معي كتاباً إلى أبي جعفر (ع) ، فتبسم وكتب كتاباً وسرت إلى المدينة وكان قد ذهب بصري ، فأخرج الخادم أبا جعفر يحمله من المهد فناولته الكتاب فقال موفق: فضه

وانشره بين يديه ففضضته ونشرته بين يديه فنظر فيه ثم قال لي: يا محمد ما حال بصرك ؟ فقلت: يا ابن رسول الله اعتليت فذهب بصري كما ترى ، فمد يده ومسح على عيني فعاد إلى بصري كأصح مما كان ، ثم قبلت يديه ورجليه وانصرفت من عنده وأنا بصيراً .

وروي عن حكيمة بنت الرضا (ع) قالت : لما توفي أخي الجواد (ع) صرت يوماً إلى امرأته أم الفضل بسبب احتجت إليها فيه ، قالت: فبينما نحن نتذاكر فضائل الجواد وكرمه وما أعطاه الله تعالى إذ قالت امرأته أم الفضل: ألا اخبرك عن أبي جعفر بعجيبة لم يسمع بمثلها قط ؟ قلت : فما ذلك ؟ فقالت : انه أغارني مرة بجارية ومرة بتزويج ، فكنت أشكوه إلى المأمون فيقول لي : يا بنية احتمليه فإنه ابن رسول الله (ص) ، فبينما أنا ذات ليلة جالسة إذ أتت إلى امرأة كأنها غصن بان أو قضيب خيزران فقلت لها: من أنت ؟ فقالت: أنا زوجة أبي جعفر ، وأنا امرأة من ولد عمار بن ياسر (رض) قالت: فدخل على من الغيرة مالا أملك على نفسى ، فنهضت من وقتى وساعتى إلى المأمون وكان ثملًا من الشراب وقد مضى من الليل أربع ساعات ، فأخبرته بحالي فقلت: إنه يشتمني ويشتمك ويشتم العباس وولده ، وقلت فيه ما لم يكن أبداً فغاظه ذلك وأخذ سيفه وتبعته ومعه خيزران الخادم ، فجاء إلى أبي جعفر (ع) وهو نائم فضربه بالسيف حتى قطعه إرباً إرباً وعاد ، فلما أصبح عرفنا ما كان منه فأنفذ الخادم فوجد أبا جعفر (ع) قائماً يصلي ، فرجع له وأخبره أنه سالم ، ففرح وأعطى الخادم ألف دينار وحمل إلى محمد الجواد (ع) عشرة آلاف دينار ، واجتمع معه واعتذر إليه بالسكر ، فأشار بترك الشراب فقبل منه الحديث .

ولله در من قال:

فوا لهفتي لابن الرضا وما جرى لقد أضمر الغل الكمين بقلبه أيسعى إلى قتل الجواد ولم يكن

علیه من المأمون شر جزاء ولم یکفه ما قد جری باباء له نحوه ذحل وشر قضاء لقد سم مولانا الرضا بعدما جرى وثني بمولانا الجواد وقد غدى فيهلك من قام الوجود بجوده فمهلك بني العباس إن إمامكم تجرت على ظلم النبي محمد فلا زال لعن الله يهمى عليهم

له بسين خلق الله عسهد ولاء يسهد به ركن السهدى وعلاء ويخسمد دين الله بعد سناء لمن يأخذ الشارات من خلفاء وعاثت فساداً مع عنى وشقاء دواماً ليوم الحشر يوم جزاء

ومعاجزه التي تبهـر العقـول مـا ثبت في المنقـول عن مؤدب كـــان لأبي جعفر (ع) قال: إنه كان يوماً يقرأ في اللوح كما جرت به العادة مع الصبيان إذ رمى اللوح من يده وقام فزعاً مرعوباً وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون مضى والله أبي (ع) ، فقلت: من أين علمت هذا ؟ فقال: دخلني من جلال الله وعظمته شيء لم أعهده وقد مضى ، فقلت: دع عنك هذا ، فقال: ائذن لي أن أدخل البيت وأخرج إليك ، واستعرضني القرآن أفسره لـك لتحفيظه عني ، فقام (ع) ودخل البيت ، فقمت ودخلت البيت في طلبه اشفاقاً عليه فسألت عنه فقيل لي: دخل هـذا البيت ورد الباب دونه وقال: لا تـاذنوا لأحـد حتى أخرج إليكم ، فخرج (ع) مغبر اللون وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون قضى والله أبي فقلت: جعلت فداك قد مضى (ع) فقال: نعم ، وقد وليت غسله وتكفينه فما كان يلي ذلك منه غيري ، ثم قال لي: دع عنك هذا واستعرضني القرآن فأفسره لك وتحفظه ، فقلت : لا أعرف فقال (ع) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذْ نَتَقَنَا الْجِبْلِ فُـوقَهُمْ كأنه ظلة وظنسوا انه واقسع بهم ﴾(١) فقلت: المص فقال (ع) هــذا أم أولُ السورة ، وهذا ناسخ وهذا منسوخ ، وهـذا محكم وهذا متشـابه ، وهـذا خاص وهذا عام ، وهذا ما شبه على الناس .

⁽١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧١ .

ثم انه (ع) قام بما تحتاج إليه الناس بعد أبيه (ع) لأنه الحجة ولا يحجزه عن ذلك صغر سنه لأنه (ع) مستكمل الشرائط ، وهم أنوار الله في عالم المكنون والملكوت وإنما هم صموت ما داموا لم يؤذن لهم ، ثم انه (ع) تقصدته الظلمة والحسدة فأشخص من المدينة إلى بغداد في زمن المعتصم مراراً .

ونقل عن إسماعيل بن مهران قال: لما خرج أبو جعفر (ع) من المدينة إلى بغداد في المرة الأولى جئته فقلت له: جعلت فداك إني أخاف عليك من هذا الوجه ، فإلى من الأمر بعدك ؟ فكر بوجهه إلى ضاحكاً وقال: ليس الغيبة كما ظننت في هذه السنة ، فلما وصل بغداد أقام هناك ورجع ، ولما أخرج (ع) في الثانية إلى المعتصم صرت إليه فقلت: جعلت فداك أنت خارج فإلى من الأمر من بعدك ؟ فبكى (ع) حتى اخضلت لحيته بالدموع ، ثم اشار إلى فقال: في مثل هذه السنة يخاف على فالأمر من بعدي إلى ابني على (ع) .

وفي رواية على بن خالد كما رواه محمد بن الحسان قال: كان علي بن خالد زيدياً فحكى إلي قال: كنت في العسكر فبلغني أن هناك رجلاً محبوساً أي به من ناحية الشام مكبولاً ، وقالوا: إنه تنباً ، فقال علي بن خالد: فأتيت وداريت البوابين والحجبة حتى وصلت إليه ، فإذا هو رجل ذو عقل وفهم ، فقلت له: يا هذا ما قصتك وما أمرك ؟ فقال: إني رجل كنت في الشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي فيه رأس الحسين (ع) ، فبينما أنا في عبادتي إذ أتاني شخص وقال لي: قم بنا ، فقمت معه إذ أتى بي مسجد الكوفة ، فقال لي: تعرف هذا المسجد ؟ فقلت: نعم هذا مسجد الكوفة ، قال: فصلى وصليت تعرف هذا المسجد ؟ فقلت: نعم هذا مسجد الكوفة ، قال: فصلى وصليت معه ، فبينما أنا معه وإذا أنا في الموضع الذي أعبد الله فيه بالشام ومضى الرجل ، فلما كان العام القابل أتاني وفعل بي مثل ما فعل في المرة ومضى الرجل ، فلما كان العام القابل أتاني وفعل بي مثل ما فعل في المرة الأولى ، فلما فرغنا من مناسكنا وردنا الشام وهم بمفارقتي ، قلت له : سألتك بالذي قدرك على هذا الذي رأيت إلا ما أخبرتني من أنت . قال : أنا محمد بن

علي بن موسى بن جعفر (ع) .

فترقى الخبر إلى محمد بن عبد الملك فبعث إلي وأخذني وكبلني في الحديد وحملني إلى العراق فقلت له: ارفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك ففعل وذكر ما كان وقع في قصته ، فقال له: قبل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ، ومن الكوفة إلى المدينة ، ومن المدينة إلى مكة وردك من مكة إلى الشام أن يخرجك من حبسك هذا ، قال علي بن خالد: فغمني ذلك من أمره ورققت له ، وأمرته بالقرار والصبر ، قال: ثم بكرت عليه من الغد ، فإذا الجند وصاحب الحرس وصاحب السجن وخلق الله خلقاً وهم في كلام ، فقلت ماذا ؟ فقالوا إن المحمول فقد الذي تنبأ البارجة فما ندري أخسفت به الأرض أم اختطفته الطير ، فيا لها من مناقب لا يجحدها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته ، وحملته العداوة وقبح سريرته ، فما أعماهم عن الحق المبين وما أشد نفاقهم في إطفاء نور الله الظاهر المستبين ، وكم له من معاجز أوجب له هذا الداء الدفين ، واضيعة الإسلام والمؤمنين فقد أصبح كتاب الله مهجوراً ، ورسول الله محروباً فواضيعة الإسلام والمؤمنين فقد أصبح كتاب الله مهجوراً ، ورسول الله محروباً

ولله در من قال :

سأنعي التقي والجود إذ فقدا بما على الدار من بعد الجواد عفاتها محمد جواد الأولياء ومن له ستبكيه عين المجد والشرف الذي فواعجباً للخلق بعد افتقاده سأبكيه ما دامت حياتي وبعدما

جرى من ولاة الجور في خيرة الرضا فواضيعة الإسلام من بعدما قضى فضائل لا تحصى يضيق بها الفضا تساوى وعين العلم والحق والرضا يقربهم وجه الشرى بعدما مضى أكون رميماً لست عن ذاك معرضا

حكى عن شيخ من أصحابنا عن محمد بن الرضا قال : احتال المأمون على أبي جعفر (ع) بكل حيلة فلم يمكنه فيه شيء ، فلما اعتل وأراد أن يبني عليه أبنية دفع مائتي وصيفة من أجمل ما يكون ، وأعطى كل واحدة جاماً فيه

جـوهـرة يستقبلن أبـا جعفـر (ع) إذا قعـد في موضع الأجناد ففعلن ، فلم يلتفت (ع) إليهن ، وكان هناك رجـل يقـال لـه مخـارق صاحب صـوت وعـود وطرب ، طويل اللحية ، فدعاه المأمون فقال : يا أمير المؤمنين إن كان فيه شيء من أمر الدنيا فأنـا أكفيك أمـره ، فقعد بين يـدي أبي جعفر (ع) فشهق مخـارق شهقة أجمع عليه أهل الدار ، وجعل يضـرب بعوده ويغني فلما فعل ساعة وإذا أبو جعفر (ع) لا يلتفت إليه يميناً ولا شمالاً ، ثم رفع (ع) رأسـه وقال اتق الله يـا ذي العتنون ، فسقط المضراب من يده والعود ، فلم ينتفع بيده إلى أن مـات ، قال فسأله المأمون عن حاله قال : لمـا صاح بي أبـو جعفر فـزعت فزعـة لا أفيق منها أبداً .

وروى محمد بن علي الهاشمي قال: دخلت على أبي جعفر صبيحة عرسه بحبيبة بنت المأمون ، وكنت تناولت من الليل دواء ، فأول من دخل عليه في صبيحته أنا وقد أصابني العطش ، فكرهت أن أدعو بالماء ، فنظر أبو جعفر (ع) في وجهي وقال : أظنك عطشاناً ؟ فقلت : أجل فقال : يا غلام اسقنا ماء ، فقلت : الساعة يأتونه بماء يسمونه فيه فاغتممت لذلك ، فأقبل الغلام ومعه الماء فتبسم في وجهي ثم قال : ناولني الماء فناوله الماء فشرب ثم ناولني فشربت ، ثم عطشت أيضاً ففعل مثلما فعل في الأول ، فلما جاء الغلام ومعه القدح قلت في نفسي مثلما قلت في الأول ، فتناول القدح (ع) فشرب فناولني فشربت . قال محمد بن حمزة : فقال لي هذا الهاشمي أظنه كما تقولون فناولني فشربت . قال محمد بن حمزة : فقال لي هذا الهاشمي أظنه كما تقولون فكم له مثل هذه المناقب التي تملأ الكتب والطوامير ، وتزعزع في قلوب أعدائه فكم له مثل هذه المناقب التي تملأ الكتب والطوامير ، وتزعزع في قلوب أعدائه منهم إلا مسجون مظلوم وذبيح مسموم سيما من الرجيم المأمون الملعون ، بعما فعل بأبيه من القتل وسقي السموم فحسده بعد أن بوأه مقامات الغدر بعقيه المنون ، وأبي الله أن يكون ذلك على يديه فحال بينه وبين مراده لأن المقتده المؤدن ، وأبى الله أن يكون ذلك على يديه فحال بينه وبين مراده لأن الأقدار قد أجرت قتله (ع) على يد غيره من الفجار .

وقد روي أنه بعدما تزوج بأم الفضل في بغداد أقام وقتاً ، ثم أنه صلوات الله عليه عزم على الرجوع إلى المدينة ، فلما توجه (ع) من بغداد منصرفاً من عند المأمون ومعه أم الفضل قاصداً إلى المدينة ، صار إلى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه ، فانتهى إلى دار المسيب عند مغيب الشمس ، فنزل ودخل المسجد وكان في صحن المسجد نبقة صغيرة لم تحمل قبل ، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل النبقة وقام (ع) بالناس صلاة المغرب ، فقرأ في الأولى الفاتحة وإذا جاء نصر الله والفتح ، وقرأ في الثانية الحمـد وقل هـو الله أحد ، وقنت قبل ركوعه منها وتشهد ، وقام للثالثة وتشهد وسلم ، ثم جلس هنيئة وذكـر الله عمز وجل وقام من غير تعقيب ، وصلى النوافل أربع ركعات وعقب بعدها وسجد سجدتي الشكر ثم خرج (ع) ، فلما وصل النبقة هزها فرآها الناس قـد حملت حملًا حسناً فتعجبوا من ذلك فأكلوا فوجدوه نبقاً حلواً لا عجم له وودعوه ومضى (ع) من ساعته إلى المدينة ، فلم يـزل بها حتى أشخصـه المعتصم في سنة خمسة وعشرين ومائتين إلى بغداد ، وهي المرة الثانية لأنه خرج قبلها وقد ذكرناها في المقدمة بروايـة إسماعيـل بن مهران وهي التي بكى لــه عند خــروجه وسؤاله عنها من الذي يلي الأمور بعده ، فهناك ودعه ورفاقه وسار الإمام (ع) إلى أن وصل إلى بغداد ومعه أم الفضل ، فأقام هناك والمعتصم يبتغي له الغوائل وينصب له الحبائل ، وهو (ع) عالم يؤول الأمر إليه وما يجري من سمه وشهادته على يديه ، ولله دره من شهيد قد شهد الله له بالمرتبة العليا ، حيث تبوأ مقام آبائه (ع) ، وقدم على ما قدموا عليه ولم يتولد له من الـذكور سـوى أبى الحسن على الهادي (ع) .

وكان السبب في شهادته (ع) ما روي عن ابن أرومة قال : إن المعتصم جمع جماعة من خواصه ووزرائه فقال : اشهدوا على محمد الجواد شهادة واكتبوا كتاباً أنه يريد أن يخرج علي ، ففعلوا ذلك ثم دعاه فقال له : إنك أردت أن تخرج علي فقال (ع) : والله ما فعلت شيئاً من ذلك ، فقال : إن فلاناً وفلاناً

يشهدون بذلك عليك ثم أحضرهم فقالوا: هذه الكتب أخذناها من يد بعض غلمانك، قال: وكان في بهو، فرفع أبو جعفر (ع) يده وقال: أللهم إن كانوا كذبوا علي فخذهم قال: فنظرنا إلى ذلك البهوكيف يرجف وكيف يذهب وكيف يجيىء وكلما قام واحد وقع لوجهه، فقال المعتصم: يا بن رسول الله أنا تائب مما قلت فادع ربك أن يسكنه فقال (ع) أللهم سكنه فإنك تعلم أنهم أعداؤك وأعدائى، فسكن البهو من وقته.

ولله در من قال :

أمعتصم لا زلت مشوى عدابه عمدت إلى ركن الهداية والندى فسأي ذحول أورثت لكم على لقد زدتم في الجور آل يريدها فما ظلم فرعون لموسى وآلمه

أتعمد في قتل الوصي جوادها وباب علوم الله أصل رشادها بني عمكم ركن العلا وعمادها وجاوزتم في الظلم آل زيادها يزيد على ظلم لكم بل وعادها

وفي تفسير العياشي بإسناده عن زرقان صاحب ابن أبي داوود قال: رجع ابن أبي داوود يوماً من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في ذلك فقال: وددت أبي اليوم فقدت منذ عشرين سنة فقلت له: ولم ذلك؟ قال: لما كان من هذا الأسود ـ يعني محمد بن علي الجواد (ع) ـ بين يدي أمير المؤمنين، فقلت له: كيف كان ذلك؟ فقال: إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة أن يطهره بإقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد حضر محمد بن علي الجواد (ع) وسأله عن القطع من أي موضع يجب أن يقطع فقال (ع) من أصول الأصابع فقلت أنا من الكرسوع لأن اليد هي الكف إلى الكرسوع لقوله تعالى في التيمم ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ (١) واتفق على ذلك قوم وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، وسار الحديث والقصة إلى أن قال: فاستصوب بل يجب القطع من المرفق، وسار الحديث والقصة إلى أن قال: فاستصوب رأيه المعتصم وأمر بقطع يد السارق من أصول الأصابع دون الكف.

⁽١) سورة النساء ، الآية : ٤٣ ، وسورة المائدة ، الآية : ٦ .

قال ابن أبي داوود: قامت قيامتي وتمنيت أن لم أكن شيئاً مذكوراً: قال زرقان: فصرت إلى المعتصم بعد ثلاثة أيام فقلت له: إن نصيحة الأمير علي واجبة، وأنا اكلمه مما أعلم أني أدخل به النار فقال؛ وما هو؟ فقلت: إذا جمع لأمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه نوابه وقواده ووزراؤه وكتابه، وقد استمع الناس بذلك من أربابه ثم يترك أقاويلهم كلهم إلى رجل يقول: شطر هذه الأمة بإمامته ويزعمون أنهم مقتدون به وبأمته ثم يحكم بحكم دون حكم الفقهاء، قال: فتغير لونه وانتبه لما نبهته وقال: جزاك الله بنصيحتك خيراً، قال: فأمر في اليوم الرابع وقال: إني لا أحضر مجالسكم فقال المعتصم: إنما أدعوك إلى الطعام وأحب أن تطل ببابي وتدخل منزلي فأتبرك بذلك، قال: فصار (ع) إليه فلما طعم منها أحس بالسم فدعى بدابته (ع)، فسأله أرباب المنزل أن يقيم فقال (ع): خروجي من دارك خير لك، فلم يزل (ع) يومه ذلك يتلوى حتى قبض صلوات خروجي من دارك خير لك، فلم يزل (ع) يومه ذلك يتلوى حتى قبض صلوات الله عليه.

وفي رواية عن الرضا (ع) أنه قال يقتل ابني محمد (ع) غصباً ، فتبكي عليه أهل السماء والأرض ، ويغضب الله عز وجل على عدوه وظالميه ، ولم يلبث إلا سنة حتى يحل الله به عذابه الأليم وعقابه الشديد الجسيم .

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ره) قال: كان سبب وفاته (ع) أن زوجته أم الفضل بنت المامون لما رزق الله محمد الجواد ابنه علي الهادي (ع) من غيرها انحسرت عنه وسمته في تسعة عشر حبة عنب ، وكان (ع) يحب العنب فلما أكلها بكت فقال لها: مم بكاؤك ، والله لا ليضربنك الله بفقر لا ينجبر وبلاء لا يستقر ، فبليت بعده بعلة في أغمض المواضع من بدنها وأنفقت عليها ملكها حتى احتاجت إلى رفد الناس ، وروي أنها سمته في قرص فلما أحس بذلك قال لها: بلاك الله ببلاء لا دواء له ، فوقعت أكلة في فرجها

فكانت تنكشف إلى الطبيب ينظر إليها ويستردن عليها بـالدواء فلم ينفعهـا شيء حتى ماتت من علتها .

يا قاتل الله من أحيت بفعلتها بشراك فيما فعلت بالجواد لظلى والهفتاه لمسموم بسمته وأصبح الجود ملحود بحفرته فللا الوجود وجود بعده أبدأ ولا السرور سرور بعده ولقد وددت أن جميع الخلق قد فقدت صلى عليه إله العرش ما طلعت

شعار من قد سمت أفضل الرسل أبكيت فاطمة والمصطفى وعلي تهدم الدين والكرسي في ميل حيث الجواد قضا بالحادث الجلل فعلة الكون أضحت ثم في عطل جفّت بحار علوم الله في كمل فداً له من صروف الدهر والنكل شمس النهار على الأكام والطلل

وفي عيون المعجزات لعلم الهدى قال: روي أن المعتصم جعل يعمل الحيل في قتل أبي جعفر (ع) ، فأشار على ابنه المأمون زوجته بأن تسمه لأنها منحرفة ، فاطّلع على انحرافها عن أبي جعفر (ع) وشدة غيرتها عليه لتفضيله أم أبي الحسن الهادي (ع) ولأنه لم يرزق منها بولد، فأجابته إلى ذلك وتعمدت عليه وجعلت له سماً في عنب ووضعته بين يديه (ع) ، فلما أكل ندمت وجعلت تبكي فقال لها: مما بكائك ؟ فدعا عليها بما تقدم ذكره .

قال الراوي فلما سقته السم بأمر المعتصم اللعين خافت على نفسها ، فدخلت في قصر المعتصم مع حرمه وأقامت معهن لما صدر منها ، فضاعف الله عذابها وشدد عليها عقابها ، ثم أن الإمام بقي والسم يجري في مفاصله وكان العام الذي أشخص (ع) فيه أبو جعفر محمد بن علي الجواد (ع) من المدينة المنورة إلى بغداد لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين ، وكان ذلك بعد المأمون بثلاثين شهراً .

قال الراوي على ما في الكتاب: فلما حان حينه وقرب وقته ، وعلم

أنه (ع) سائر إلى روح الله ورضوانه ، دعا بابنه أبي الحسن علي الهادي (ع) ونص عليه بمحضر جماعة من خواص شيعته ومواليه وثقاته ، وسلم إليه ما كان عنده من مواريث الأنبياء ثم قال: إن الإمام بعدي علي (ع) ، أمره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي وطاعة الله ، ثم سكت . فقلت: يابن رسول الله فمن الإمام بعده ؟ قال: الحسن ابنه قلت: فمن الإمام بعد الحسن (ع) ؟ فبكي (ع) بكاء شديداً ثم قال: بعد الحسن ابنه المهدي (ع) القائم بالحق المنتظر ، فقلت له: يا بن رسول الله ولم سمي القائم ؟ فقال: ألا إنه يقوم بالأمر بعد فوت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته ، قلت: ولم سمي المنتظر ؛ فقال : (ع) لأنه (ع) له غيبة تكثر أيامها وتطول مدتها ، وينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ، ويستهزىء بذكره الجاحدون ، ويكذب به المنافقون ، ويهلك المستعجلون وتهلك فيه المسلمون .

وروى الخيزراني عن أبيه أنه كان يلزم باب أبي جعفر للخدمة التي كان وكل بها ، وكان أحمد بن محمد بن عيسى يحيى في سحر كل ليلة ليعرف خبر علة أبي جعفر (ع) ، وكان الرسول اللذي يختلف بين أبي جعفر (ع) وبين أبيه (ع) إذا حضر قام أحمد وخلا به ، فخرجت ذات ليلة وقام أحمد عن المجلس وخلا أبي بالرسول ، واستدار أحمد فوقف يسمع الكلام ، فقال الرسول لأبي: إن مولاك يقرؤك السلام ويقول لك: إني ماض والأمر سائر إلى ابني علي (ع) ، وله عليكم ما كان لي عليكم بعد أبي ، ثم مضى الرسول ورجع أحمد إلى موضعه وقال لأبي: ما الذي قال لك ؟ قال: خيراً قد سمعت ما قال فلا تكتمه ، وأعاد ما سمع فقال له أبي: قد حرم الله عليك ما فعلت لأن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ ولا تجسسوا ﴾(۱) فاحفظ الشهادة لعلنا نحتاج إليها يوماً وإياك أن تظهرها إلى وقتها ، فلما أصبح أبي كتب نسخة الشهادة والرسالة في

⁽١) سورة الحجرات ، الآية: ١٢ .

عشر رقاع وختمها ودفعها إلى عشرة من وجوه الصحابة وقال: إن حدث بي حدث الموت قبل أن أطالبكم بها فاقتحوها واعملوا بما فيها ، فلما مضى أبو جعفر (ع) ذكر أبي أنه لم يخرج من منزله حتى قطع على يده نحو من أربعمائة إنسان ، واجتمع رؤساء الصحابة عند محمد بن الفرج يتفاوضون في هذا الأمر ، فكتب محمد بن الفرج إلى أبي يعلمه باجتماعهم عنده وأنه لولا مخافة الشهرة لصار معهم إليه ويساعدهم عليه ، فركب أبي وصار إليه فوجد القوم مجتمعين عنده فقالوا لأبي: ما تقول في هذا الأمر ؟ فقال أبي لمن عنده الرقع : احضروا الرقع ، فحضورها ، قال بعضهم: قد كنا نحب أن يكون معك في هذا الأمر شاهداً آخر فقال لهم: قد أتيكم به ، هذا أبو جعفر الأشتري يشهد بسماع الأمر شاهداً أبي إلى المباهلة فقال لما حقق عليه قد سمعت ذلك وهذه مكرمة شيء ، فدعاه أبي إلى المباهلة فقال لما حقق عليه قد سمعت ذلك وهذه مكرمة أحب أن تكون لرجل من العرب لا لرجل من العجم فلم يبرح القوم حتى قالوا بالحق جميعاً .

قال الراوي لي في قضية وفاته (ع): وكان السم يجري في بدنه فلم تطل لذلك مدة له حتى قضى به شهيداً وعرج به إلى ساحة الرضوان ، وصار إلى عالم البقاء وجوار آبائه (ع) في رياض الجنان ، وقامت الواعية في داره (ع) وعلا الضجيج والبكاء والعويل من الهاشميين والعلويين من آل عدنان ، فهم بين نادب ونادبة وباك وباكية بأصوات عالية ونوح وعويل ، وصارت الشيعة في حزن شديد وهم مبيد ، وكل منهم ينادي وا إماماه وا سيداه وا محمداه وا كفيل اليتامى والمساكين وثمال المنقطعين ومأوى الضائعات والضائعين ، ثم أن ابنه أبو الحسن علي الهادي (ع) قام في جهازه وغسله وتحنيطه وتكفينه كما أمره وأوصاه ، فغسله وحنطه وأدرجه في أكفانه وصلى عليه في جماعة من شيعته ومواليه ، وكان هارون بن اسحاق حاضراً هناك فلما علم بالحال ركب ومضى ولها وصلى عليه عند منزله في رحبة سوار بن ميمون من ناحية قنطارة البردان ، فلما فرغوا من الصلاة عليه حملوه على سريره وساروا به وهم يبكون ويلطمون

عليه الخدود ويندبونه في حزن وطيش إلى مقابر قريش متنغصاً عليهم النعيم والعيش ، ثم أنهم وضعوه وألحدوه في مقابر قريش بجنب جده موسى بن جعفر (ع) الكاظم ، فوقف ابنه على الهادي (ع) على قبره قائلًا: وا أبتاه وا محمداه آه وا وحدتاه وا قلة ناصراه وا نقطاع ظهراه ، ليتني كنت لك الفـدا يا أبتاه من بعدك وا وحشتاه فراقك قد أعمى عيني وهيج حزني وقطع نياط قلبي ، يا أبتاه اقرأ آباءك عني السلام وأخبرهم بما نحن فيه من الهوان ، يا أبتاه مضيت عنا ولم يطل لك العمر وتبلغ الكهولة في الحياة يا أبتاه ، ثم انكفأ عنه سخين العين باكى الناظر ، وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون.

وكان عمر محمد الجواد (ع) حينئذ على ما جاءت به الروايات خمسة وعشرين سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً أقام منها مع أبيه الرضا خمسة سنين وشهراً ، وأقام بعده عشرين سنة وشهرين وقيل عشرين سنة إلا شهراً ، وكانت إمامته (ع) في بقية أيام المأمون ثم هلك المأمون ، وكان أيام المعتصم أخ المأمون ثمان سنين وشهراً وقد استشهد مولانا الإمام محمد الجواد في أيامه بسم له في أشهر الروايات .

وإنما اختلفت الروايات في يوم وفاته ففي خبر محمد بن سنان قال: قبض محمد بن على الجواد (ع) في يوم الثلاثاء لست خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين وهو ابن خمس وعشرين سنة وثلاثة اشهر واثنى عشـر يومـاً وبه أخذ . وفي رواية المفيد كما في مسار الشيعة أنه توفي يـوم الثلاثـاء وهو يـوم الحادي عشر من ذي القعدة وينبغى لبس شعائر الأحزان في هذه الأيام كلها ، وفي كل آن ليحصل الجزاء من الرب المنيل:

فضجت الرسل والأملاك تندبه وجررت لمم التقوى على الطين

مضى الجواد فوا لهفي على الدين خمذوا حمدادكم يا آل ياسين فإن مولى الورى قد قام نادبه يقول من ليتيم أو لمسكين

والجود أصبح منبوذاً بحفرته يا عين سحي عليه أدمعاً ودماً قومي على جدث قد حل فيه تقى وكيف يبخل من جلت مصيبته أحيت مصيبته في الناس كلهم أبكت عيون رسول الله من تليت

والشرع أصبح فيه فاقد العين بكل لؤلؤ أمسى فيك مكنون واهرقي كل دمع فيك مخزون لديه بالدمع أو يهني بتزيين مصيبة الطف في ابن الميامين عليه من عالم الايجاد والكون

قال الراوي كما في عيون المعجزات: أنه لما قبض أبو جعفر دخلت حكيمة بنت الحسن الورشي وكانت من النساء الصالحات على امرأته أمّ الفضل قالت: لما دخلت عليه عزيتها فرأيتها شديدة الحزن والجزع والبكاء والحنين ، حتى كادت أن تقتل نفسها بالبكاء والعويل ، فخفت عليها أن تنصدع مرارتها فجريت معها في الحديث في كرمه وفضله وما أعطاه الله عز وجل من الفضل ، فأخبرتني عنه بشيء لا يلبسه الله إلا من تردا برداء العصمة وأنزله المقام الكريم وجعل له الشأن العظيم ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾(١) .

للمؤلف:

لله درك من ضريح قد حوى قبر سنا أنواره تجلو العمى قبر تمثل للعيون محمد قبر إذا حل الوجود بربعه وتزودوا أمن العقاب وآمنوا الله عن ذنب لهم متصفحاً أن يغن عن سقى الغمام فإنه

جسد النبي من السلام سلام وقبر به دفعت به الأسقام ووصيه والمؤمنون قيام رحلوا وحطت منهم الأثام من أن يحل عليهم الإعدام وبذاك عنهم جفت الأقلام لولاه ما يسقى البلاد غمام

⁽١) سورة المائدة ، الآية: ٤٥ .

ثملا ويرهو الحل والإحرام من دونه حمقاً له الإعظام فالمس منه على الجحيم حرام ولسه بسجنسات السخسلود مسقسام قسماً إليه تنتهي الأقسام وعلى على رحمة وسلام رب بواجب حقها علام السبط الشهيد ومن له الإكسرام وعلى والحسن النزكسي سلام ثم النيظام فكان فيه خسام وعلى يديه تعذب الأصنام بين الأنام ولا علا الإسلام علما الهدى فهم له أعلام لله فيهم حسرمة وذمام والجاحدون بفضلكم أنعام ما دامت الأوقسات والأعسوام كيما يكون لنا بكم اعظام منكسم وزلت منهم الأقدام وإمامهم تيم كذاك دلام بغيا وتاهدوا في الضلال وهاموا قبربه نجل الرضاويه البرضا فرضوا إليه السعى كالبيت الذي من زاره في الله عنارف حنف ومقامه لاشك يحمد في غد ولمه بلذاك الله أوفسي ضامين صلى الإله على النبي محمد وكذا على الزهراء صلى سرمداً وعلى ابنها الحسن الزكي ونجلها وعلى على ذو التقى ومحمد وعلى خليفته اللذي لكم به فهو المؤمل أن يعود به الهدى لولاكم ما قام دين محمد أنتم إلى الله الوسيلة والاولى أنتم ولاة المدين والمدنيما ومن ما الناس إلا من أقر بفضلكم انسي لأرثيمكم وأبكي رزؤكم وأعده ذخراً وحصناً في غد ولقد بسرئت من السذين تبسرؤا وهم عدى وحبتر شر الورى ومن العبابسة اللذين تمردوا

وَفَاهُ الاِمَامِ عَلِي الْمُعَادِي عَلِي الْمُعَادِي "عَلَيه إِسْمَدِم"

تأليف العلامة الثيخ حسين بن الشيخ محدب الثيخ الحمدبن عصف *مر* الدارزي البحراني

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الهادي عباده إلى ولاية أهل البيت (ع) ، المحبب لهم القيام بوظائف الولاية التي بها كمال العناية والاعتصام النادب لهم الاشتمال بتلك الخصال ، التي توجب لهم الفرح لفرحهم ، والجزع لجزعهم ، في كل حالة ومقام ، والصلاة والسلام على محمد وآله الذين ابتلاهم بالمصائب العظام ، وامتحنهم بفظائع أوجبت لهم القتل والأسر وعدم الإحتزام ، صلاة دائمة بدوام الليالي والأيام .

وبعد فيقول المذنب المنغمس في بحار الذنوب كالأثام حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني: إن هذه نبذة جمعت فيها ما وصل إليه نظري من أخبارهم الواردة في وفاة الإمام علي الهادي (ع) ، ذي المكارم والأيادي ، وما جرى له في عمره الشريف من المصائب من الاوغاد والأعادي ، مضيقاً لها طرفاً من المعجزات الشاهدة لفضائلة وكراماته بين الخاص والعام ، والحاضر والبادي ، لتجتمع أخبار الشيعة في تلك المجالس والنوادي ، فيثابون على ذلك الاجتماع ونشر تلك الفضائل والمراثي ، كما هي السيرة الجارية في الأواخر والمبادي ، وأذكر خلاف تلك الأخبار ما يناسبها من الأشعار كما هي طريق السيرة المتقدمة في مواليدهم ومراثيهم ، وأجعل ذلك كمال زادي ، وذخيرة ليوم معادي ، وسميتها: (ضياء النادي ورواء الصادي ،

في وفاة على بن محمد النقي الهادي) ، جعلته مشتملًا على مجالس ثلاثة:

المجلس الأول: منها في النص عليه من آبائه الطاهرين ، مع ذكر نسبه الشريف أمّاً وأباً ، وتاريخ ولادته (ع) وبروزه من أولئك النجباء ، وما خصه الله تعالى به اسماً وكنية ولقباً .

المجلس الثاني: في معاجزه التي طبقت الآفاق شرقاً وغرباً .

المجلس الثالث: فيما وقع عليه من خلفاء زمانه البذين اجترؤا عليه وسقوه كاسات المنون قلاء ونصباً ، وبالله أستعين إنه خير موفق ومعين .

المجاس الول في النص عليه من أباته

روى في المناقب أن اسمه الشريف الذي سماه الله به كما في حديث اللوح المنزل بأسمائهم وألقابهم وآبائهم وأمهائهم فهو علي بن محمد التقي ، العالم ، الفقيه ، الأمين ، المؤتمن ، الطيب ، المتوكل ونسبه (العسكري) نسبة إلى المحل الذي سكنه بسر من رأى حتى قبضه الله إليه وكذلك ابنه (ع) ، وكان أطيب الناس بهجة ، وأصدقهم لهجة ، وأمنحهم من قريب ، وأكملهم من بعيد ، إذا صمت كان له هيبة الوقار ، وإذا تكلم بزغ منه سيماء البهاء والفخار ، وأمه يقال لها سمانة والمربية .

وكان مولده الشريف يوم الجمعة ثاني رجب الأصب أو خامسه أو منتصف شهر ذي الحجة الحرام .

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناده عن محمد بن الفرج بن عبد الله قال: دعاني أبو جعفر محمد بن علي الجواد وأعلمني أن قافلة قدمت وفيها نخاس معهم جوار، ودفع لي سبعين ديناراً وأمرني بابتياع جارية وصفها لي، فمضيت فعملت بما أمرني وكانت الجارية أم أبي الحسن الهادي.

وفي روايــة أخرى عن محمـد بن الفرج وعلي بن مهـزيــار عن السيــد أنــه قال: أمة عارفة بحقي ، لا يقربها شيطان مارد ، ولا ينالها كيد جبار عنيد ، وهي

كانت بعين الله تعالى التي لا تنام ، ولا تخلف عن أمهات الصديقين والصالحين ؟

وأما النص عليه من أبيه فقد بلغت أخباره التواتر ، وعن إسماعيل بن مهزيار أنه قال : لما خرج أبو جعفر (ع) من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خروجه ، قلت له : جعلت فداك إني خائف عليك من هذا الوجه فإلى من الأمر من بعدك ؟ فكر بوجهه (ع) إلي ضاحكاً وقال: ليس الأمر حيث ظننت في هذه السنة فلما استدعى به المعتصم صرت إليه فقلت له : جعلت فداك ها أنت خارج فإلى من الأمر من بعدك ، فبكى (ع) حتى اخضلت لحيته بالدموع ، ثم التفت إلى فقال : عند هذه يخاف على ، فالأمر من بعدي إلى ابني على ، فإن أمره أمري ، وقوله قولى ، وطاعته طاعتى ، والإمامة بعده في ابنه الحسن .

وفي الكافي عن أحمد بن أبي خالد مولى أبي محمد بن علي بن موسى بن جعفر أشهده أنه أوصى إلى ابنه علي لنفسه وإخوانه ، وجعل أمر موسى إذا بلغ إليه ، وجعل عبد الله بن المساور قائماً على تركته من الضياع والأموال والنفقات والدقيق وغير ذلك ، إلى أن يبلغ علي بن محمد صير عبد الله بن المساور ذلك اليوم إليه يقوم بأمر نفسه وإخوانه ، ويصير أمر موسى إليه يقوم به على شرط أبيهما في صدقاته التي تصدق بها ، وذلك يوم الأحد لثلاث خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين ، وكتب أحمد بن أبي خالد شهادته بخطه ، وشهد الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين (ع) وهو الجواني على مثل شهادة أحمد بن أبي خالد قي صدر هذا الكتاب ، وكتب شهادته بيده وشهد نصر الخادم وكتب شهادته بيده .

وفي كتاب العيون للسيد المرتضى عن محمد بن عيسى الأشعري أن أبا جعفر لما أراد الخروج من المدينة إلى العراق ومعاودتها ، أجلس أبا الحسن في حجره بعد النص عليه ، وقال له: ما الذي تحب أن أهدي إليك من طرائف فقال (ع): سيفاً كأنه شعلة نار ، ثم التفت إلى موسى ابنه وقال له: ما الذي

تحب أنت ؟ فقال: فرساً ، فقال (ع): أشبهني أبو الحسن وأشبه هذا أمّه .

ولله در من قال:

فلله مولود علا في سمائه ولا غرو منه فهو نور مؤلق ولا غرو منه فهو نور مؤلق وصيره في عالم القدس حجة لقد حسدته ولد أعمامه الأولى وقد أقفرت تلك الربوع عقيهم ومن عجب كيف الورى يحسدونهم

فأظهر سيما السن من صغر السن من العالم العلوي أولاه ذو المن لأملاكه منع عالم الانس والجن أبادوهم بالقتل والأسر والسجن من العلم والمعروف والجود والمن وهم حجج الباري على الحر والقن

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ره) عن هارون ابن الفضل ، عن رجل كان رضيع أبي جعفر الثاني (ع) قال: بينما أبو الحسن (ع) مع مؤدبه إذ بكى بكاءً شديداً ، فقال له المؤدب: مما بكاؤك؟ فلم يجبه ، ثم قال له: إثذن لي بالدخول في هذه الدار فأذن له ، فارتفع الصياح من داره بالبكاء فخرج (ع) إلينا فسألناه عن السبب في بكائه فقال (ع): إن أبا جعفر توفي الساعة ، فقلت له: من أعلمك ؟ فقال (ع): دخلني من جلال الله شيء لم أكن أعرفه فعلمت أن أبي قد مضى ، قال: فكتبنا ذلك اليوم والشهر إلى أن ورد خبره فإذا هو في ذلك الوقت بعينه قال: وكان سيدنا أبو الحسن (ع) يومئذ ابن ثمان سنين .

وفي رواية اخرى عن هارون بن الفضل قال: رأيت أبا الحسن ـ يعني صاحب العسكر ـ في اليوم الذي توفي فيه أبوه يقول: إنا الله وإنا إليه راجعون مضى أبو جعفر ، فقلت له: كيف تعلم وهو ببغداد وأنت بالمدينة ° فقال (ع): لأنه لحقني من ذلك ذلة واستكانة الله عز وجل ولم أكن أعرفها ، فعلمت أنه مضى ، وليس ذلك ببعيد منهم فإنهم مفطرون على العلم بالمغيبات الذي لا يدركها سائر النبيين والمرسلين ، ولذا تحمل الخلافة وهو ابن ثمان سنين كما تحملها عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ، وكانت لوالده يوم مات جده ،

وكانت مدة إمامة الهادي (ع) بعد أبيه (ع) ثلاثة وثلاثون سنة ، وكانت إمامته في بقية ملك المعتصم ، وملك الواثق خمس سنين وتسعة أشهر ثم هلك ، وملك المتوكل أربعة عشر سنة ، ثم بقي (ع) بقية تلك المدة في خلافة المنتصر والمستعين والمعتز ، وفي ملك المعتمد استشهد (ع) كما سيجيء ، وكان المتوكل أشدهم عداوة إليه فلا زال يضمر له الغوائل ، وينصب لبغضه الحبائل ، وكان دار ملكه لعنه الله سر من رأى ، ومولانا الهادي (ع) مقيم بها بعد إشخاصه من المدينة بأمر المتوكل ، وإنما فعل ذلك به ليصرف وجه الناس عنه لما رأى من زهده (ع) ومجده وفضله ، وما أعطاه الله من المهابة والجلالة والكرامة والنبالة والإحاطة بجميع احكام المدين ، وبما في الكتاب المستبين المكنون وما كان وما يكون ، فخرج هذا الأمر عنه إلى بني العباس .

وروي عن يحيى بن زكريا كما في كشف الغمة وغيره قال: دعاني المتوكل وقال: اختار ثلاثمائة رجل ممن تريد واخرجوا إلى الكوفة وخلفوا أثقالكم فيها ، واخرجوا على طريق البادية إلى المدينة واحضروا علي بن محمد الهادى إلى عندي مكرماً معظماً .

قال الراوي: وسبب ذلك الإشخاص من المدينة إلى سر من رأى ما روي في كتاب (الفصول المهمة) أن عبد الله بن محمد كان مستنيب الخليفة المتوكل عليه لعائن الله في الحرب والصلاة بالمدينة المنورة على مشرفها وآله الصلاة والسلام ، فسعى ذلك النائب في أبي الحسن (ع) إلى المتوكل بغضاً وحسداً ، وكان يقصده بالأذى غيظاً وكمداً ، فبلغ أبا الحسن (ع) سعايته به فكتب إلى المتوكل بتحامل عبد الله بن محمد عليه ، وقصده الأذى منه له ، فتقدم المتوكل بالكتاب إليه على جهل من القول والفعل ، وكانت صورة الكتاب الذي كتبه له (ع):

بسم الله الرحمن الرحيم:

أما بعد: فإن أمير المؤمنين عارف لقدرك ، مراع لقرابتك موجب لحقك ، مؤثر من الأمر فيك وفي أهل بيتك ، لما فيه صلاح حالك وحالهم ، وتثبيت عـزك وعزهم ، وإدخـال الأمر عليـك وعليهم ، يبتغي بذلـك رضـاء الله وأداء ما افترضه فيك وفيهم ، وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبدالله بن محمد عما كان يتولاه بمدينة الرسول من الحرب والصلاة إذا كان الأمر على ما ذكرته لى من جهالته بحقك ، واستخفافه بأمرك وما رماك به وأغراك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه ، ولما تبين له من صدق نيتك ، وحسن طويتك وسلامة صدرك ، وأنك لم تؤهل نفسك لشيء مما ذكر عنـك ، وقد ولى أمير المؤمنين ما كان يليه عبد الله بن محمد من الحرب والصلاة بمدينة الرسول لمحمد بن الفضل ، وأمر بإكرامك وخدمتك وتوقيرك وتبجيلك والانتهاء إلى أمرك ورأيك وعدم مخالفتك ، والتقرب إلى الله تعالى ورسول وأمير المؤمنين بذلك ، وأمير المؤمنين مشتاق إليك ، يحب احداثك العهد بقربك ، والتميز بالنظر إلى ميمون طلعتك المباركة ، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله وأحببت ذلك حضرت أنت ومن اخترته من أهل بيتك ومواليك وحشمك وخدمك على مهل وطمأنينة ، ترحل وتنزل إذا شئت وتسيىر كيف شئت ، وإن احببت أن يكون يحيى بن هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين في خدمتك هو ومن معه من الجنـد ، يرحلون بـرحيلك ، وينزلـون بنزولـك ، والأمر إليـك في ذلك ، وقـد كتبت إليه في طاعتك بجميع ما تحب ، فاستخر الله تعالى فما عند أمير المؤمنين من أهل بيته وولده وخاصته ألطف منزلة ، ولا أثر ولا انظر اليهم وأبر بهم وأشفق عليهم وأسكن إليهم منك إليه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب إبراهيم بن العباس في سنة ثلاث وأربعين ومائتين من الهجرة ، فلما وصل الكتـاب إلى أبي الحسن (ع) تجهز للرحيـل ، وأزمع على الانتقـال والتحويل ، وخرج معه يحيى بن هرثمة مولى المتوكل ومن معه من الجند حافين به .

لقد خذعسوه بالمكاتيب إذراوا وليس ببدع منهم لو تبواوا يسودون أن يفنوهم عن جديدها فقبحاً لهم ، ما جنى سيد الورى أتسجن أبناء الكرام عداوة كان لم يكونوا للنبي قرابة فيا ضيعة الإسلام من بعد فقدهم فيا عبرتي صبي ويا فرحتي اذهبي

مناقبه تستبوجب الشرف العبالي مقيامات نصب من عدولهم قالي وقد ببذلوا فيه خرائن أموال ببآل بني العباس من سوء أفعال وتشهر هاتيك النساء فوق اجمال ولم يعرفوا بين الخلائق بالآل ويا ذلة الإيمان إذ فقد الوالي ويا قلب فالبث في عناء وأهوال

قال الراوي: وكنان أبو العباس في الوفيد البذين أرسلهم المتوكل في إشخاص أبي الحسن (ع) ، وكان يعيب على من يقول بإمامة الهادي (ع) قبل ذلك ، ولم يكن في شيء من أمره (ع)وصار معه وقت خروجه من المبدينة راداً من ولايته وما زال عنه الشك وأقر بإمامته ودان بطاعته وزادت عقيدته .

وقد روي عن أبي البصري عن ابن العباس قال: كنا قد تذاكرنا أبا الحسن فقال: يا أبا محمد اني كنت ليس في شيء من هذا الأمر ، وكنت أعيب على أخي وعلى أهل هذا القول عيباً شديداً بالذم والشتم ، إلى أن كنت في الوفد الذين بعثهم المتوكل إلى المدينة في إحضار أبي الحسن (ع) ، فخرجنا من المدينة وصرنا في بعض الطريق فطوينا المنزل وكان يوماً صائفاً شديد الحر ، فسألناه أن ينزل بنا فقال: لا ، فخرجنا ولم نطعم شيئاً ولم نشرب ، فلما اشتد الحر والجوع والعطش بنا ونحن في تلك الحال في أرض ملساء لا نرى فيها شيئاً من الظل والماء ، فجعلنا نشخص إليه بابصارنا فقال (ع) : ما لكم أظنكم جياعاً وقد عطشتم ؟ قلنا له : أي والله يا سيدنا قد جعنا وعطشنا ، فقال (ع) : عرسوا ، فابتدرت إلى الفضاء لأنيخ ناقتي ، ثم التفت وإذا أنا فقال (ع) : عرسوا ، فابتدرت إلى الفضاء لأنيخ ناقتي ، ثم التفت وإذا أنا

بشجرتين يستظل تحتهما عالم كثير من الناس ، وكنت أعرف موضعهما وهي أرض قراح قفراء ، وإذا أنا بعين تسيح على وجه الأرض أعذب ماء وأبرد ذوق ، فنزلنا وأكلنا وشربنا واسترحنا ، وإن فينا من سلك تلك الطريق مراراً فما رأى فيه شيئاً فوقع في قلبي ذلك الوقت أعاجيب وجعلت أحدّ النظر فيه وأتامله (ع) شيئاً فوقع في قلبي ذلك الوقت أعاجيب وجعلت أحدّ النظر فيه وأتامله (ع) فتبسم وطرى وجهه عني فقلت في نفسي والله لأعرفن هذا كيف هـو ؟ فأتيت من وراء شجرة ودفنت سيفي وجعلت عليه حجرين وتغوطت عليها في ذلك الموضع وتهيأت للصلاة ، فقال أبو الحسن (ع) : استرحتم ؟ قلنا: نعم ، قال: فارتحلوا على اسم الله تعالى ، فارتحلنا فلما سرنا ساعة رجعت على الأثر ، فأتيت الموضع ووجدت الأثر والسيف كما وضعته والعلامة وكأن الله لم يخلق فأتيت الموضع ووجدت الأثر والسيف كما وضعته والعلامة وكأن الله لم يخلق مناك شجرة ولا ماء ولا ظلاً ، فتعجبت ورفعت يدي إلى السماء ، وسألت الله تعالى الثبات على المحبة والايمان ، وأخذت الأثر فلحقت القوم فالتفت إلي أبو الحسن (ع) وقال: يا أبا العباس فعلتها ؟ قلت: نعم يا سيدي لقد كنت شاكاً فأصبحت وأنا عند نفسي من أغنى الناس بك في الدنيا والآخرة ، فقال (ع) : فأصبحت وأنا عند نفسي من أغنى الناس بك في الدنيا والآخرة ، فقال (ع) : فأصبحت وأنا عند نفسي من أغنى الناس بك في الدنيا والآخرة ، فقال (ع) :

قال الراوي: فلما وصل (ع) سر من رأى ، أنفذ المتوكل أن يحجب عنه ، فعزلوه بخان يعرف بخان الصعاليك ، فأقام فيه يوماً فلما نزل فيه دخل عليه صالح بن سعيد كما في الكافي والبصائر ، فقال له: جعلت فداك في كل الأمور ، أرادوا إطفاء نورك والنقص بك حتى أنزلوك في هذا الخان الأشنع خان الصعاليك ، فقال (ع) أهاهنا أنت يا بن سعيد ثم أومى (ع) بيده وقال: أنظر ، فنظرت فإذا أنا بروضات أنيقات وروضات باسقات فيهن حوريات خيرات عطرات وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون ، وأطيار وظباء وأنهار تفور وتموج ، فحار بصري وحسرت عيني فقال (ع) حيث كنا فهذا لنا يابن سعيد ، لسنا في خان الصعاليك .

ولله در من قال من الرجال:

وأبهر خلق الله طهراً وأظهرا من العالم العلوي فيا لك مفخرا بها أظلمت كل المدائن والقرى وكم قتلوا منهم إماماً غضنفرا لعمهم العباس نسلاً بلا مترا أتم بلاء قاصم منهم العرى أبادوه مدفوناً ومن بين مؤسرا أقام ثلاثاً في التراب معفرا فيالك نور قد تبلج بالعلا فضائل لا تحصى وإن قام عدها لحا الله أقواماً غدوا في عقائد فشنوا لغارات على آل أحمد ولا سيما تلك الطغاة التي عدوا لقد بالغوا في أن يبيدوهم على فمن بين مقتول بسم وبين من ومن بين مـذبوح بسيف من القفا

المجلس الثاني

فيما خصه الله به من المعجزات الروحانية والجسمانية ، وما آثره الله به من مكارم الأخلاق الربانية ، وهي التي أوجبت المحاولة لإطفاء نوره (ع) ، وإخماد أثر حياته ، وكشف بدوره والأشخاص في منازله ودوره ، وما لقي بها من مصائب لا تحصى ونوائب لا تستقصى . ففي الخرائج والجرائح عن يحيى بن هرثمة قال: دعاني المتوكل وقال لي: اختر ثلاثمائة رجل ممن تريد واخرجوا إلى الكوفة ، ثم ذكر مثلما تقدم إلى أن قال: فاحضروا علي بن محمل الهادي (ع) إلى عندي مكرماً مبجلاً ففعلت وخرجنا ، وكان في أصحابي قائد من الشراة ، وكان لي كاتب يتشيع وإنا على مذهب الحشوية ، وكان ذلك من الشاري يناظر ذلك الكاتب وكنت أستريح إلى مناظرتهما لقطع الطريق ، فلما وصلنا إلى وسط الطريق قال الشاري للكاتب: أليس من قول صاحبك علي بن أبي طالب (ع) أنه ما في الأرض بقعة إلا وهي قبراً وستكون قبراً فانظر إلى هذه البرية أين من يموت فيها حتى يملأها قبوراً كما تزعمون ؟ قال: فقلت للكاتب هذا من قولكم ؟ قال: نعم ، قال قلت: أين من يموت في هذه البرية العظيمة حتى تملأ قبوراً ؟ وتضاحكنا عليه ساعة حتى انخذل الكاتب في أيدينا .

قال: فسرنا حتى دخلنا المدينة ، فقصدت باب الهادي (ع) فدخلت عليه ، فقرأ كتاب المتوكل فقال: انزلوا وليس في وجهتي خلاف ، قال: فلما

سرت إليه من غد وكنا في تموز أشد ما يكون من الحر ، فإذا بين يديه خياط وهو يقطع ثياباً غلاظاً خفاتين له ولغلمانه ، ثم قال للخياط: إجمع عليها جماعة من الخياطين واسرع من فراغها يـومك ، وبكـر بها إلى في هـذا الوقت ثم نـظر إلى وقال يا يحيى إقضوا وطركم من المدينة في هذا اليوم ، واعمدوا إلى الرحيل غداً في هذا الموقت ، فخرجت من عنده وأنا متعجب من الخفاتين وأقول في نفسي: نحن في تموز وحر الحجاز وإنما بيننا وبين العراق عشرة أيام ، فما يصنع بهذه الثياب؟ والعجب من الرافضة حيث يقولون بإمامته مع فهمه هـذا ، فعدت إليه في الغد في ذلك الوقت فإذا الثيباب قد أحضرت ، فقال لغلمانه: ادخلوا السوق وخذوا لنا معكم لبابيـد وبرانس ، فقلت في نفسي: هـذا أعجب من الأول أن يلحقنا الشتاء في الطريق حتى يأخذ معه اللبابيد والبرانس، فخرجت معه وأنا أستضعف فهمه فسافرنا حتى وتصلنا ذلك الموضع الذي وقعت فيه المناظرة في القبور ، فارتفعت سحابة سوداء واسودت وأرعدت وأبرقت حتى إذا صارت على رؤوسنا أرسلت علينا برداً مثل الصخور ، وقد شد (ع) على نفسه وغلمانه الخفاتين ولبسوا اللبابيد والبرانس وقال لغلمانه: ادفعوا إلى يحيى لبادة وإلى الكاتب لبادة وبرنساً ، وتجمعنا والبرد يأخـذنا حتى قتـل من أصحابي ثمانون رجلًا ، وزالت ورجع الحركماكان ، فقال لي : يـا يحيـي أنزل من بقي من أصحابك ليدفنوا من مات منهم ، ثم قال (ع): هكذا يملي الله البرية قبوراً ، قال: فرميت نفسي من على دابتي وعدوت إليه ، فقبلت ركاب ورجليه وقلت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسولـه وأنكم خلفاء الله في أرضه ، وقد كنت كافراً ، والآن قد أسلمت على يديك يا مولاى ، قال يحيى : فلزمت خدمته حتى مضى صلوات الله عليه .

وفيه عن زرافة صاحب المتوكل أنه قال: وقع مشعبث ناحية الهند إلى المتوكل يلعب بالحق ولم ير مثله ، وكان المتوكل لعاباً فأراد أن يخجل علي بن محمد (ع) فقال لذلك الرجل إن أنت اخجلته أعطيتك ألف دينار زاكية ، قال:

تقدم وائت لنا بخبز رقاق خفاف واجعلها على المائدة وأقعدني إلى جانبه، ففعل وحضر عليّ بن محمد (ع) وكان له مسورة عن يساره وكان عليها صورتا أسد وجلس اللاعب إلى جنب المسورة ، فمد علي بن محمد (ع) يده إلى قرص فطيَّره ذلك المشعبث في الهواء ، فمد يده إلى آخر فطيره وتضاحك الجميع ، فضرب علي بن محمد (ع) على تلك الصورة التي في المسورة وقال: خذي عدو الله ، فوثبت تلك الصورة فابتلعت الرجل اللعباب وعادت إلى مكانها كما كانت ، فتحير الجميع ونهض على بن محمد (ع) ليمضي ، فقال له المتوكل: سألتك بالله إلا جلست ورددته فقال: والله لا ترى بعدها ، أتسلط أعداء الله على أولياء الله ؟ وخرج من عنده .

فلما غلب الشيطان تلك القلوب ولم يراقبوا علام الغيوب حملهم ذلك الغل الكامن في الفؤاد ، وأوجب لهم الجحود والإلحاد ، ولم يبالوا بإظهار هـذه المعاجز التي طبقت الأفاق والسبع الشداد ، فما ازدادوا إلا عداوة وانكاراً وقسوةً وأحقاداً ، فما أحراه بهذا الإنشاد حيث يقول: ـ

كلما أظهروا لماقيد تعلوا ويلك من قرابة حسدتهم بلغت فيهم بقتل وأسر قطعت زحمها وولت عداها فمصابى لما أصيبوا عظيم كيف أنساهم وما قد أصيبوا قد حرمت الهنا ما دمت حياً ويك يا عين اسكبي الدمع حزنا

حسدوهم مع علمهم أنهم خير البيرايا سيدأ ومسود لم يسراعموا قسرب النبى فسزادوا في شقساهم على فعال ثمود من مقام تعنتوا بالجحود ورمتهم بالحرب كالمطرود وعناء فيالها من حسود فلها الويل قائد ومقود وفوادي قد صار حر وقيود من رزايا مفطرات الكبود ولبست الضنا زمان وجودي ويك لا تبخلي عليهم وجمودي

ومن المعاجز الخارقة للعادة المنسوبة إليه ما روي في الجرائح

والمناقب ، عن علي بن مهزيار قال: ظهرت امرأة في زمان المتوكل تدعي أنها زينب بنت علي وبنت فاطمة بنت رسول الله (ص) ، فقال لها المتوكل أنت امرأة شابة وقد مضى من وقت رسول الله (ص) ما مضى من السنين ، فقالت إن رسول الله مسح على رأسي وسأل الله عز وجل أن يرد علي شبابي في كل أربعين سنة مرة ، ولم أظهر إلى الناس لهذه الغاية فلحقتني الحاجة فصرت إليكم .

فدعا المتوكل المشائخ آل أبي طالب (ع) وولد العباس فعرفهم حالها فروى منهم جماعة وفاة زينب (ع) بنت فاطمة (ع) في سنة كذا ، فقال لها: ما تقولين في هذه الرواية ؟ فقالت هي كذب وزور ، فإن أمري مستور عن الناس فلا لى موتّ ولا حياةً ، فقال لهم المتوكل : هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية ؟ فقالوا: لا فقال: هو برىء من العباس إن تركها عما ادعت إلا بحجة ، فقالوا احضر على بن محمد الهادي (ع) فلعل عنده شيء من الحجة غير ما عندنا ، فبعث إليه فحضر (ع) فأخبره بخبر المرأة فقال (ع): كذبت فإن زينب (ع): توفيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا ، فقال المتوكل: فإن هؤلاء قد رووا مثل ذلك ، وقد حلفت أن لا أتركها عما ادعت إلا بحجة تلزمها ، فقال (ع): ها هنا حجة تلزمها وتلزم غيرها ، قال: وما هي ؟ قال: (ع) إن لحوم بني فاطمة (ع) محرمة على السباع ، فأنزلها إلى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرها فقال لها: ما تقولين ؟ قالت: إنما يريد هذا قتلي ، فقال (ع): ها هنا جماعة من ولد الحسن (ع) والحسين (ع) ، فأنزل من شئت منهم قال: فوالله لقد تغيرت وجوه الجميع ، فقال بعض المبغضين له: هو يحيل أن يكون له في أمره صنع فقال: يا أبا الحسن لِمَ لا تكون أنت ؟ فقال (ع): ذلك إليك ، فقال له: إفعل ، فقال (ع): أفعل إن شاء الله تعالى .

فأوتي بسلم وفتح عن باب السباع وكانت ستة من الأسود ، فنزل الإمام (ع) إليها ، فلما وصل (ع) وجلس صارت إليه ورمت بنفسها بين يديه ،

فجعل يمسح بيده على كل واحد منهم ثم يشير له بالاعتزال فيعتزل ناحية حتى اعتزلت كلها ووقفت بأزائه فقال له الوزير ما هذا صواباً ، فبادر بإخراجه من هناك قبل أن ينتشر خبره فقال له يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً ، وإنما أردنا أن نكون على يقين مما قلت ، فأحب أن تصعد فقام (ع) وصار إلى السلم وهم حوله يتمسحون بثيابه ، فلما وضع رجله على أول مرقاة انتقل إليها بوجهه وأشار لها بيده أن ترجع فرجعت ، وصعد (ع) ثم قال كل من يزعم أنه من ولد فاطمة (ع) فليجلس في ذلك المجلس فقال المتوكل للمرأة : انزلي فقالت الله في ، فقد ادعيت الباطل ، وأنا بنت فلان حملني الضر على ما قلت فقال المتوكل: ألقوها إلى السباع فاستوهبتها منه أمّه .

وزاد في كتاب المناقب فيها قال علي بن الجهم: لو جربت قوله على نفسه يا أمير المؤمنين فصرفت حقيقة قوله ، فقال: افعل فتقدم إلى قوام السباع فأمرهم أن يجوعوهم ثلاثة أيام ويحضروهم القصر ، فترسل في صحنه ، وقعد في المنظر وأغلق أبواب الدرجة ، وبعث إلى أبي الحسن (ع) وأمره أن يدخل من باب القصر ، فدخل (ع) فلما صار في الصحن أمر أن يغلق الباب ، وخلا بينه وبين السباع في الصحن .

قال علي بن يحيى: وأنا كنت في الجماعة وابن حمدون ، فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشت إليه السباع ، وقد سكنت من زئيرها ولم يسمع لها حس ، حتى تمسحت به ودارت حوله ، وهو (ع) يمسح رؤوسها بكمه ثم ضربت بصدرها الأرض فما مشت ولا دارت حتى صعد الدرجة ، وقام المتوكل ودخل فارتفع أبو الحسن (ع) وقعد طويلاً ، ثم قام (ع) فانحدر ففعلت السباع كفعلها به الأول ، وفعل (ع) بها كفعله الأول فلم تزل رابضة حتى خرج من الباب الذي دخل منه ، وركب فانصرف واتبعه المتوكل بمال جزيل وصله به .

قال إبراهيم بن الجهم ، فقلت يا أمير المؤمنين: أنت إمام فافعل كما فعل ابن عمك ، فقال والله لئن بلغني عنك احد من الناس بذلك لأضربن عنقك

وعنق هذه العصابة كلهم ، فوالله ما تحدثنا بذلك حتى مات لا رحمه الله تعالى وبلغ إلى ما يستحق من العذاب ، فانظروا إلى هذا البغض الكامن في الجوانح والأفئدة ، وإلى هذه المكيدة حيث أطلعوهم على ما خصهم به الملك الديان من الأنعام العديدة ، فسعوا في إطفاء نورهم وناثرتهم القديمة والجديدة ، وقد يأبى أن يطفىء تلك الأنوار ، وأن يطمس تلك الآثار الشديدة ولله در من قال :

وكيف ينال العبد إطفاء نوره من الحجة القصوى ومن هدهم سور من العلم العلوي حال ظهوره وما بسلغوا إلا ضلالة زوره عليه انطووا من سره وستوره بغت وطغت في غيها في نشوره عليهم وما زالوا إذاً في شروره وهدوا من الأطواد رافع طهوره وفارق قلبي مستقر سروره عليهم وحل الخف وسط بدوره

سعوا ويلهم جهراً لإطفاء نورهم تعالى قديماً أن ينالوا مرادهم فإنهم نور الإله الذي بدا فما زادهم تلك العداوة مطلباً وكيف ينالوا ما أهموا به وما ألا لعن الله العبابسة التي ستصلى جحيماً لا يرال مخلداً لقد هدموا بيت الرسالة عنوة فلا غرو ان ناحت عليهم محاجري وأصبح أمواه البسيطة ناضباً

ثم لم يزل المتوكل يضمر في نفسه الشر والعداوة لما في قلبه من الجفوة والقسوة ، فروي أنه اتفق له مرض من جراح خرج له في جسده وطال به واهتم من أجله ، فما زال يصف حاله للأطباء وعلموا أنه ليس له علاج إلا بالنار ، فلم يجسر أحد أن يمسه بالنار خوفاً من بأسه وفرقاً من سطوته إذا أحس بحرارة النار فيعاقب من أشار عليه بالعلاج بها ، وكانت أمه في وجل وخوف عليه من ذلك ، حتى أنها لما آيست من برئه ورأت ما نزل به من تلك الجراح لم تجد شيئاً ترجوا به معافاته مما نزل به ، إلا أنها نذرت لأبي الحسن على الهادي (ع) بمال إن عوفي من مرضه على ما رواه الكليني عن إبراهيم الظاهري قال: مرض المتوكل من جراح وأشرف منه على الهلاك ، ولم يجسر أحد أن يمسه بحديدة ، فنذرت

أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن (ع) مالاً جزيلاً من مالها ، فقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل فإنه لا يخلوا أن يكون عنده صفة يفرج بها عنك ، فبعث إليه ووصف إليه علته . فرد إليه الرسول بأن يؤخذ له كسب الشاة فيداف بماء ورد فيوضع عليه ، فلما رجع الرسول وأخبرهم أقبلوا إليه يهرعون فقال له الفتح بن خاقان: هو والله أعلم بما كان قال : فأحضروا الكسب وعمل كما قال (ع) ووضع على علته يوماً فسكن وخرج منه ما كان فيه ، وبشرت أمه بعافيته فحملت إليه عشرة آلاف درهم أو دينار تحت خاتمها ، ثم برىء من علته فسعى عليه البطحاوي العلوي أن أموالاً تحمل إليه وسلاحاً فقال لسعيد الحاجب سرا واهجم عليه بالليل وخذ ما تجده عنده من الأموال والسلاح واحمله إلى .

قال إبراهيم بن محمد: قال لي سعيد الحاجب: فصرت إليه بالليل ومعي سلم ، فصعدت السطح ، فلما نزلت على بعض الدرج في الظلمة لم أدر كيف أصنع في الدار ، فناداني : يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة ، فلم ألبث أن أتوني بشمعة ، فنزلت فوجدته وعليه جبة صوف وقلنسوة منها وسجادة على حصير بين يديمه ، فلم أشك أنه يصلي (ع) ، فقال لي : دونك البيوت فادخلها ، فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً ، ووجدت بدرة في بيته مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً ، فقال (ع) لي : دونك المصلى فرفعته فوجدت تحته سيفاً في جفن غير ملبس ، فأخذت ذلك كله وصرت إلى فوجدت تحته سيفاً في جفن غير ملبس ، فأخذت ذلك كله وصرت إلى فأخبرني بعض الخدم الخاصة أنها قالت له : إني قد نذرت في علتك لما آيست منك إن عوفيت حملت إليه من مالي عشرة آلاف دينار ، فعوفيت وحملتها إليه ، وهذا خاتمي على الكيس ، وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار فضمه إلى البدرة وبدرة أخرى من عنده وأمرني بحمل ذلك له ، فحملته إليه ورددت البدرتين والكيس وقلت له : سيدي عز ذلك علي فقال لي : ﴿سيعلم المذين البدرتين والكيس وقلت له : سيدي عز ذلك علي فقال لي : ﴿سيعلم المذين

ظلموا أي منقلب ينقلبون (١) وفي ذلك قال بعض الشعراء هذه الأبيات :

وساعدتها بنو العباس في الأثر أمية فأبادوا صفوة البشر آل النبي جزاهم في لظى سقر وأوردوهم حياض الموت في الضرر قد وسدوهم وهم أحياء في الحفر وقل ذي بدلاً في وقع ذي الضرر ولم يجيء مدحهم في محكم السور وكيف أنسى وهم لي علة القدر ولا نعيم ولا كون إلى الزمر في قتل سبط رسول الله من أثر ويا عيوني صبي صب منهمر إلا دموعاً غزاراً ولظى السهر

صالت أمية في السادات من مضر لكنهم فعلوا أضعاف ما فعلت جاروا وما عدلوا واستأصلوا حسداً فكم بنوا فوقهم عالي البناء وكم نفسي الفداء لهم في كل فادحة نفسي الفداء لهم في كل فادحة كأنهم لم يكونوا نسل فاطمة والله لانسيت نفسي مصابهم ليكن خلق ولا بشر لكنهم ندموا إن لم يكن لهم فيا فؤادي لا تنسى لمصرعهم فيسا فؤادي لا تنسى لمصرعهم فليس حظك من بعد المصاب بهم

ومن كراماته (ع) ما في كتاب الخرائج: أن أبا هاشم الجعفري كان منقطعاً إلى أبي الحسن الهادي (ع) بعد أبيه محمد الجواد (ع) وبعد جده الرضا (ع) ، فشكى إلى أبي الحسن (ع) ما يلقاه من السوق إليه إذا انحدر من عنده إلى بغداد ، ثم قال: يا سيدي ادع الله تعالى فربما لا أستطيع ركوب الماء فأسير إليك في الفلا وما لي مركوب سوى برذوني على ضعفه ، فاسأل الله تعالى أن يقويني على زيارتك ، فقال (ع): قواك الله يا أبا هاشم وقوى الله برذونك ، فكان أبو هاشم (رض) يصلي الفجر ببغداد ، ويسير على البرذون فيدرك الزوال من يومه ذلك بعسكر من سر من رأى ، ويعود من يومه إلى بغداد إذا شاء على ذلك البرذون .

⁽١) سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٧ .

وعن أبي هاشم أيضاً قال: خرجت مع أبي الحسن (ع) إلى ظاهر سر من رأى لنلتقي بعض القادمين ، فابطؤا فطرح لأبي الحسن (ع) غابة السرج فجلس عليها ، فنزلت عن دابتي وجلست بين يديه وهو (ع) يحدثني ، فشكوت إليه قصر يدي وضيق حالي ، فأهوى بيده إلى رمل كان جالساً عليه فناولني منه كفاً وقال: اتسع بهذا يا أبا هاشم واكتم ما رأيت ، فخبئته عندي ورجعنا ، فأبصرته فإذا هو يتقد كالنيران ذهباً أحمر ، فدعوت صائعاً إلى منزلي وقلت لي : اسبك لي هذه السبيكة فسبكها وقال لي : ما رأيت ذهباً أجود من هذا ، وهو كهيئة الرمل من أين لك هذا فما رأيت أعجب منه ؟ قلت : كان عندي قديماً .

وعن محمد بن الفرج أنه قال: إن أبا الحسن (ع) كتب إليّ: اجمع أمرك وخذ حذرك، فإني في جمع أمري ولست أدري ما الذي أراد (ع) فيما كتبه إلي وحتى ورد علي رسول حملني من مصر مقيداً مصفداً بالحديد وضرب على كسل ما أملك فمكثت في السجن ثمان سنين ثم ورد عليّ كتاب من أبي الحسن (ع): لا تنزل في ناحية الجانب الغربي من السجن، فقرأت الكتاب فقلت في نفسي: يكتب إلي أبو الحسن (ع) بهذا وأنا في الحبس إن هذا لعجيب، فما مكثت إلّا أياماً يسيرة حتى فرج الله عني وحلت قيودي وخلي سبيلي، ولما رجع إلى العراق لم يقف ببغداد لما أمره أبو الحسن (ع) وخرج إلى سر من رأى، قال فكتب إليه بعد خروجي أن يسأل الله تعالى أن يرد علي ضياعي فكتب إلى: سوف ترد عليك وما يضرك أن لا يرد عليك

قال محمد بن علي النوفلي : شخص محمد بن الفرج إلى العسكر وكتب إليه برد ضياعه ، فلم يصل الكتاب حتى مات .

ولله در من قال :

هم الغوث إن لمت ملمات دهرنا وذلك من علم الإله مفوض وذلك بسرهان من الله ثابت

وقد علموا حقاً بما كان في الغيب عليهم بلا شك لدي ولا ريب إمامتهم في مبتدا السن والشيب

فهم عصم قد أثبتت عصمة لهم فسوا عجباً كيف استطالت عليهم وقد أركبوا تلك الفواطم جهوة فقلبي لهم لا يالف البشر والهنا فعيشي من بعد المصاب منغص ولم يألف القلب المعذب بعدهم فناك داء لا يوزال مخلل

مسددة قد طهرتهم من الغيب طغاة بني حرب بقتل وتسليب بسبيهم ظهر العجاف من النيب ودمع عيوني مستديم بتصويب علي ولو وليت ملك مآريب سروراً وقد أمسوا بكرب وتعذيب بجسمي ولم يجدي لذلك تطبيبي

ومن المعجزات الخارقة ما رواه علي بن محمد النوفلي قال: كتب علي بن الخصيب إلى محمد بن الفرج بالخروج إلى العسكر، فكتب إلى أبي الحسن (ع) يشاوره، فكتب إليه أبو الحسن (ع): أخرج فإن فيه فرج، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى مات.

وروي في كتاب المعتمد عن علي بن مهزيار قال: وردت العسكر وأنا شاك في الإمامة ، فرأيت السلطان قد خرج إلى الصعيد في يوم من الربيع إلا أنه يوم صائف والناس عليهم ثياب الصيف ، وعلى أبي الحسن (ع) لباد وعلى فرسه تجفاف لبود وقد عقد ذنب الفرسة والناس يتعجبون ويقولون: ألا ترون أب الحسن (ع) وما فعل بنفسه ؟ فقلت في نفسي : لو كان هذا إماماً ما فعل هذا ، فلما خرج الناس إلى الصحراء لم يلبشوا أن ارتفعت سحابة عظيمة وهطلت ، فلم يبق أحد إلا غرق وابتل بالمطر ، وعاد (ع) وهو سالم من جميعه ، فقلت في نفسي : يوشك أن يكون هذا إماماً ثم قلت : أريد أن أسأله عن الجنب إذا عرق في الثوب وقلت في نفسي : إن كان عرق الجنب في الثوب وجنابته من حرام فلا تجوز الصلاة فيه ، وإن كانت جنابته من حلال فلا بأس ، فلم يبق في نفسي بعد ذلك شبهة .

وكم له من معجزات تبهر العقول قد بلغت حد التواتر واستقر عليها

المنقول والمنقول ، فمن هنا حسدتهم أهل البغي والذحول ولم ترع فيهم حرمة الرسول (ص) ، وعلى على فحل الفحول ، ولابنته فاطمة البتول .

وفي كتاب الدلائل قال : قال الفتح بن يزيد الجرجاني قـال : ضمني أنا وأبا الحسن الطريق عند منصرفي من مكة إلى خراسان وهو صائر إلى العراق ، فسمعته (ع) وهو يقول : من اتقى الله يتقى ومن أطاع الله يطاع ، قال : فتلطفت في الوصول إليه وسلمت عليه ، فرد على السلام وأمرني بالجلوس ، فأول ما ابتدأني به أن قال : يا فتح من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق ، ومن أسخط الخالق فأيقن أن يحل به الخالق سخط المخلوق ، وإن الخالق لا يوصف إلا ما وصف به نفسه ، وأنّى يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه ، والأوهام أن تناله ، والخطرات أن تحده ، والأبصار عن الإحاطة به جل عما يصفه به الواصفون ، وتعالى عما ينعته بـ الناعتـون علواً كبيراً ، تأنى في قربه وقرب في نأيه فهو في نأيه قريب وفي قربه بعيد ، كيف الكيف فلا يقال فيــه كيف ، وأيّن الأين فلا يقال فيه أين ، إذ هو منقطع الكيفية والأينية ، هو الـواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فجل جلاله بلا كيف يوصف بكنهه ، ورسوله محمد (ص) وقد قرنه الجليل باسمه ، وشركه في إعطائه ، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته ، إذ يقول تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ (١) وقال تعالى يحكى عمن ترك طاعته وهو يعذبه بين أطباق نيرانها وسرابيل قطرانها يا ليتنا أطعنا الرسول ، أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله (ص) حيث قال تعالى : ﴿وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿انَ الله يأمركم انْ تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا

⁽١) سورة التوبة ، الآية : ٧٤ .

⁽٢) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

⁽٣) سورة النساء ، الآية : ٥٨ .

تعلمون (٢) يا فتح كما لا يوصف الجليل جل جلاله ، والرسول (ص) ، والخليل (ع) يعني علي (ع) ، وولد البتول ، فكذلك لا يوصف المؤمن المسلم لأمرنا ، فنبينا أفضل الأنبياء ، وخليلنا أفضل الأخلاء ، وأكرم الأوصياء ، وأسمهما أفضل الأسماء ، وكنيتهما أفضل الكنى ، لو لم يجالسنا إلا كفو لم يجالسنا أحد ، ولو لم يزوجنا الا كفو أحد ، أشد الناس تواضعاً أعظمهم حلما وأنداهم كفاً وأمنعهم كنفاً ، ورث عنهما أوصيائهما علمهما فاردد إليهما الأمر وسلم إليهم ، أماتك الله مماتهم وأحياك حياتهم إذا شئت رحمك الله .

قال الفتح: فخرجت فلما كان من الغد تلطفت في الوصول إليه وسلمت عليه السلام فقلت: يا بن رسول الله أتأذن لي في مسألة اختلجت في صدري ليلتي هذه ؟ قال: اسأل وإن شرحتها فلي ، وإن أمسكتها فلي فصحح نظرك ، واثبت في مسألتك ، واصغ في جوابها سمعك ، ولا تسأل مسألة تعنت واعتن بما تعتني به ، فإن العالم والمتعلم شريكان في الرشد مأموران بالنصيحة منهيان عن الغش ، فالذي اختلج في صدرك إن شاء العالم أنبأك به ، إن الله لم يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، فكل ما كان عند الرسول كان عند العالم ، وكل ما اطلع عليه الرسول أطلع عليه العالم ، كي لا تخلو أرضه من حجة يكون له علم على صدق مقالته وجواز عدالته ، يا فتح عسى الشيطان أراد إزالتك عن طريق الله المذي فرضه الله والصراط المستقيم ، فقلت : متى أراد إزالتك عن طريق الله الذي فرضه الله والصراط المستقيم ، فقلت : متى اختون راغبون ، فإذا جاءك الشيطان من قبل ما جاءك ، فاقمعه بما أنبأتك به ، داخرون راغبون ، فإذا جاءك الشيطان من قبل ما جاءك ، فاقمعه بما أنبأتك به ، فقلت له : جعلت فداك فرجت عني وكشفت ما لبس الملعون علي بشرحك ، فقلت له : جعلت فداك فرجت عني وكشفت ما لبس الملعون علي بشرحك ، فقلت ناكم أرباب ، قال : فسجد أبو الحسن (ع) وهو يقول فقد كان أوقع في خلدي أنكم أرباب ، قال : فسجد أبو الحسن (ع) وهو يقول فقد كان أوقع في خلدي أنكم أرباب ، قال : فسجد أبو الحسن (ع) وهو يقول فقد كان أوقع في خلدي أنكم أرباب ، قال : فسجد أبو الحسن (ع) وهو يقول

⁽٢) سورة النحل ، الآية : ٤٣ وسورة الأنبياء ، الآية : ٧ .

في سجوده : راغماً لك يا خلقي داخراً خاضعاً ، قال : فلم يـزل كذلـك حتى ذهب الليل .

ثم قال: يا فتح كدت أن تهلك وتهلك وما ضرعيسى ابن مريم (ع) إذ هلك من هلك، انصرف إذا شئت يرحمك الله تعالى قال: فخرجت وأنا فرح بما كشف الله عني من التلبس بأنهم هم، وحمدت الله على ما قدرت عليه، فلما كان في المنزل الآخر دخلت عليه وهو متكيء وبين يديه حنطة مقلية وهو يعبث بها، وقد كان أوقع الشيطان في خلدي أنه لا ينبغي أن يأكلون ويشربون إذا كان ذا آفة والإمام غير ذي آفة، فقال: اجلس يا فتح فإن لنا بالرسل أسوة، يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق وكل جسم مغذو بهذا إلا الخالق الرزاق تعالى لأنه جسم الأجسام ولم يجسم ولم يتزايد ولم يتناقص، الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، منشىء الأشياء المجسم الأجسام، وهو السميع، العليم، اللطيف، الخبير، الرؤوف، مجسم الأجسام، وهو السميع، العليم، اللطيف، الوكان كما يوصف لم يعرف الرب من المربوب، ولا الخالق من المخلوق، ولا المنشىء من المنشأ، ولكنه فرق بينه وبين من جسمه وشاء الأشياء إذا كان لا يشبه شيء ولا يشبه شيئاً، وفي هذا المعنى قيل:

علي هو الهادي إلى منهج الهدى به طلعت شمس الرشاد ولم يكن فويل لمن عاداه بغياً وقد عتى لقد هدموا الإسلام إذ قتلوه أيقتل مسموماً ولم يك جرمه وأودعه تلك المعاجز في الورى فيا معشر الأرجاس أنتم قرابة

فاكرم به هاد كما قاله الله لله شبه في خلقه يوم صفاه عتواً عظيماً في جهنم مشواه ولم يرقبوا فيه هنالك مولاه إليه سوى أن المهيمن زكاه وأعطاه أعلى المكرمات وولاه إليه ولا ترعوا هنالك تقواه

في رثائه (ع)

قال بعضهم:

يا راكب الشدنية الوجناء قبر تضمن بضعة من أحمد قبر تضمن من سلالة حيد قبر سما شرفاً على هام السها يا ابن النبي المصطفى ووصيه اناؤك بغيا عن مرابع طيبة كم معجز لك قد رواه ولم يكن إن يجحدوه فطالما شمس الضحى براً وتعظيماً أروك وفي الخفا كم حاولوا انقاص قدرك فاعتلى فقضيت بينهم غريباً نائياً في المدى قدارك بي المدى فلأبكينك ما تطاول بي المدى

عرج على قبر بسامراء وحشاشة للبضعة الزهراء ببدراً يشق حنادس الظلماء وعلا بساكنه على الجوزاء وابن الهداة السادة الأمناء وقلوبهم ملأى من الشحناء يخفى على الأبصار نور ذكاء حفيت على ذي مقلة عمياء يسعون في التحقير والإيذاء رغماً لأعلى قنة المعلياء بأبي فديتك من غريب نائي لعظيم داهية وطول بلاء ولأمرجن مدامعي بدمائي

وقال السيد صالح النجفي المعروف بالقزويني من قصيدة : لقد مني الهادي على ظلم جعفر بمعتمد في ظلمه والمجرائم

ومعتمد في الجور غاش وغاشم الى الرجسأشخاص المعادي المخاصم جفاء وغدرا وانتهاك محارم يبجرع من أعداء سم الأراقم ضريحاً له شقته أيدي الغواشم يسالم أعداء لم تسالم عن الأهل والأوطان جم المهاضم مواليه من ذكر اسمه في المواسم بما لقى الهادي ابنه من مظالم على بسم بعد هتك المحارم رمتها الأعادي في ابنها بالقواصم وحيا مغانيها هبوب النسائم بنور هداها يهتدى كل عالم تضيء هنا منكم بأكرم تائم وفي الله لم تاخيذه ليومية لائم قد امتلأت أقطارها بالمظالم من الجور داجي غيه المتراكم وينصف المظلوم من كل ظالم

أتباحت له غدراً يبدا متوكيل وأشخص رغماً عن مدينة جده ولاقى كما لاقى من القوم أهله وعاش بسامراء عشرين حجة بنفسى مسجونأ غــريبــأ مشـــاهــدأ بنفسى مموتموراً عن الموتمر مغضيماً بنفسي مسمومأ قضى وهمو نازح بنفسى من تخفى على القرب والنوى فهل علم الهادي إلى الدين والهدى وهمل علم المولى على قضى ابنه وهمل علمت بنت النبي محمد سقى أرض سامراء منهمر الحيا معالم قد ضمِنَ أعلام حكمة لئن أظلمت حزناً لكم فلقر بما ومنتدب الله لم يشنه الردى ويملأ رحب الأرض بالعدل بعدما إمام هدى تجلو كواكب عدله به تدرك الأوتار من كل واتر

وقال علي بن عيسى الأربلي في مدح الإمام على الهادي (ع) :

عرج عملى سيدنا المهادي فعل كليم الله في الوادي فيها العلى والشرف العادي مستخرج من صلب أجواد في المحل يروى غلة الصادي يا أيسها السرائح السغادي واخسلع إذا شارفت ذاك السشرى وقسب الأرض وسف تسرسة وقسل سلام الله وقسف عسلى مؤيسد الأفسال ذو نسائسل

يعفوعن الجاني ويعطى المنى مبارك الطلعة ميمونها ولاهم من خيسر ما نلته

في حالتي وعد وايعاد وماجد من نسل أمجاد وحير ما قدمت من زاد

وقال أبو الغوث المنجي أسلم بن مهوز شاعر آل محمد ، وكان معاصراً للبحتري فالبحتري يمدح الملوك ، وهو يمدح آل محمد (ص) وكان البحتري ينشد هذه القصيدة لأبي الغوث :

ولهت إلى رؤياكم وله الصادي محلي عن الورد اللذيذ مساغه فأعليت فيكم كل هو جاء جسرة أجوب بها بيد الفيلا وتجوب فلما تراءت من رأى تجشمت إذا ما بلغت الصادقين بني الرضا مقاويل إن قالوا بها ليل إن دعوا إذا أوعدوا أعفوا وإن وحدوا وفوا كرام إذا ما أنفقوا المال أنفدوا ينابيع علم الله أطواد دينه نجوم متى نجم خبا مثله بدا عباد لمولاهم موالي عباده هم حجج الله اثنتا عشرة متى بميلاده الأنباء جاءت شهيرة

يذاد عن الورد الروى بذواد إذا طاف ورّاد به بعد وراد ذمول السرى تقتاد في كل مقتاد إليك ومالي غير ذكرك من زاد إليك تعوم الماء في مفعم الوادي فحسبك من هاد يشير إلى هادي وفاة بميعاد كفناة لمرتاد فهم أهل فضل عند وعد وإيعاد وليس لعلم أنفقوه من إنفاد فهل من نفاد إن علمت لأطواد فصلي على الخابي المهيمن والبادي شهود عليهم يوم حشر واشهاد عدد فثاني عشرهم خلف الهادي

قال شاعر آل البيت المقبول الشيخ على البازي :

إن جئت سامرا فحي الوادي اخلع نعالك قبل لثم ترابه وقل السلام على الرسول وآله

بعد التحية للإسام الهادي عند الدخول لمرقد الأمجاد فخر الورى من حاضر أوباد منذ خصهم بشفاعة الميعاد جلت عن التصوير والتعداد لله في التبليخ والإرشاد ضلوا ليقفوا علة الإسجاد ويتيمهم وأسيرهم بالزاد قاموا وزاحوا غيهب الإلحاد قرم وأفصح ناطق بالضاد بعد الرسول بحكمة وسداد عنهم أخذناه بلا إجحاد إلا وكان مالها لبداد وعلومهم تتلى على الأعواد فهم الأئمة زينة العباد وتجرعوا غصصاً من الأوغاد أودى بها صرف الزمان العادي فى كىل حىي آهمل وبسلاد أن لا يشيدوا للهدى بعساد أرحامهم لا وفقوا لرشاد والظلم والتنكيسل والاجهاد عن جدهم في بدر كالمعتاد طمعاً بأخذ الثار بالأحقاد والسم بعد السجن والإبعاد بالسم إذ لما يجد من فاد واحر قلبي للسيد المهادي تدعموه يمارى الفؤاد الصادي والبجود والإرشاد والوفاد

من أوجب الله العظيم ولائهم وحبا همم من فضله بفضائل الواهبين لدى الجهاد جهودهم والباذلين حياتهم لحياة من والمؤثسرين على النفسوس فقيسرهم آل العبافي عبء أوزار الملا ورثوا الشجاعة والندى عن تالد بدعائهم للعالمين تطوعوا فرقانه السامي ونص حديشه ما قادمتهم في الأنام عصابة هندى مأثرهم وتلك قبورهم حكموا بحكم الله بين عباده كم حمّلوا العدوان من أعدائه فتفرقوا شيعبأ وجبل ديبارهم وتتبعت أثمارهم خصماؤهم فكسأنما المختار قمد أوصاهم قطعوا الصلات لرحمهم مذ قطعوا ما واصلوا بسوى القطيعة والأذى لم يصفحوا عنهم كصفح محمد قتلاً وصلباً قد أبادوا جمعهم ملأوا السجون بهم بدون جناية كابن الجواد على الهادي قضى غدروا به يا لهف نفسى غيلة قمد شيعوه وخلفه أيتامه من للعلوم وللعبسادة والتسقى

من مبلغ عني النبي وحيدرا أن الإمام سليلها هادي الدورى واسأل بيوم الطف عن سبط الهدى منعبوهم ماء الفرات ببغيهم جزروا الرجال على ظما ورضيعهم ونساؤهم سقيت على عجف المطى أخذوا البقية منهم لطليقهم وعلى الرماح رؤوسهم قد أهديت أبدى الشماتة والجفا وقد اشتفى هذي المصائب لا مصائب مثلها ما ذنب أبناء النبي وآله

والطهر فاطم كعبة المرتاد عصفت به للنائبات عوادي ورجاله الأعلام والأسياد وعداوة الآباء والأجداد جزر الأضاحي يا اهيل ودادي أسرى لشر مذمم بفساد مضنى يعاني الغل بالأصفاد للشام والأعداء بالمرصاد فيهم يزيد كما اشتفى ابن زياد توهي القوى وتفت بالأعضادي تجزى جزاء المجرم المتمادي

قال محمد بن إسماعيل بن صالح الضميري رحمه الله:

الأرض خوفاً زلزلت زلزالها وأخرجت من جزع أثقالها

إلى أن قال:

ويطلع الله لننا أمشالها تدرك أشياع الهدى إمامها يظل جوّاب الفلا جزالها التي لا يقبل الله من استطالها آلت بشانى عشرها مالها

عشر نجوم أفلت في فلكها بالحسن الهادي أبي محمد وبعده من يرتجي طلوعه ذو الغيبتين طول الحق ياحجج الرحمان إحدى عشرة

وقال أيضاً عند مرض الإمام (ع) :

مادت الأرض بي وآذت حين قيل الإمام نضوعليل

فؤادي واعتمرتني مموارد المعمرواء قبلت نفسي فمدتمه كمل المفداء عجباً إن منيت بالداء والسقم وأنت الإمام حسم الداء

مرض الدين لاعتلالك واعتل وغارت له نجوم السماء وأنت أسى الأدواء في السديس والسدنيا ومحي الأمسوات والأحياء

المجلس الثالث فيما جرس عليه من أهل زمانه

إلى أن نقله الله إلى بحبوحات جنانه وتردأ برداء رضوانه وتأريخ وفـاته (ع) وما لقى من هوانه .

روي في الخرائج عن ابن أرومة قال : خرجت أيام المتوكل إلى سر من رأى ، فدخلت على سعيد الحاجب وقد دفع المتوكل إليه علي الهادي (ع) ليقتله ، فلما دخلت عليه قال : أتحب أن تنظر إلى إلهك ؟ فقلت : سبحان الله ولا تدركه الأبصار (١) قال : هذا الذي تزعمون أنه إمامكم قلت : ما أكره ذلك ، قال : إني أمرت بقتله وأنا فاعل ذلك غداً ، وعنده صاحب البريد فإذا خرج فادخل إليه ، فلم ألبث أن خرج ، فقال لي : أدخل فدخلت الدار التي هو فيها محبوساً فإذا بحياله قبر قد حفر ، فدخلت وسلمت عليه وبكيت بكاءً شديداً فقال لي (ع) : ما يبكيك ؟ فقلت : لما أرى فقال : لا تبك فلا يتم لهم ذلك ، فسكن ما كان بي فقال (ع) : إنه لا يلبث أكثر من يومين حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته ، قال : فوالله ما مضى غير يومين حتى قتلا .

فقلت لأبي الحسن (ع) : أخبرني عن حديث رسول الله (ص) لا تعادوا الأيام فتعاديكم ؟ فقال (ع) : نعم إنه لحديث رسول الله (ص) تأويله : فأما

⁽١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

السبت فرسول الله (ص) ، وأما الأحد فأمير المؤمنين (ع) وفاطمة ، والأثنين الحسن والحسين (ع) ، والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (ع) ، والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا علي بن محمد (ع) ، والخميس ابني الحسن (ع) ، والجمعة القائم عجل الله فرجه منا أهل البيت (ع) .

وفيه أيضاً عن أبي العباس بن محمد بن أسرائيل الكاتب أنه جرى ذكر أبى الحسن (ع) فقال : يا أبا سعيد إنى أحدثك بشيء حدثني به أبي قال : كنا مع المعتز وكان أبي كاتباً له فدخلنا الدار وإذا المتوكل على سريره قاعداً ، فسلم المعتز عليه ووقفت خلفه ، وكان عهـدي به إذا دخــل رحب به وأمــره بالقعــود ، فأطال القيام وجعل يرفع رجلًا ويضع أخرى وهو لا يأذن له بـالجلوس ، ونظرت إلى وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ويقبل على الفتح بن خاقان هذا الذي تقول فيمه ما تقول ويسردد القول ، والفتح مقبل عليه يسكنه ويقـول مكذوب عليـه يا أميـر المؤمنين ، وهو يقول : والله لأقتلنّ هذا المرائي الزنديق وهو يدعي الكذب ويـطعن في دولتي ، ثم قال : جئني بـأربعة من الخـزرج فجيء بهم ودفع إليهم أربعة أسياف ، وأمرهم أن يرطنوا بالسنتهم إذا دخيل أبو الحسن (ع) ، ويقبلوا عليه بأسيافهم ويخبطوه وهو يقول : والله لأحرقنه بعــد القتل ، وأنــا منتصب قائم خلف المعتز وراء الستر ، فما شعرت إلاّ أبي الحسن (ع) قد دخل ، فبادر الناس قدامه وقالوا: قد جيء به ، فالتفت لـه (ع) وإذا أنا بـه وشفتاه يتحركان وهو غير مكروب ولا جازع ، فلما بصر به المتوكل رمي بنفسه عن السرير إليه وهو سبقه وانكب عليـه وقبل مـا بين عينيه ويـديه وسيفـه بيده ، وهـو يقول : يـا سيدي يا ابن رسول الله يا خير خلق الله يا ابن عمى يـا مولاي يـا أبا الحسن ، وأبو الحسن (ع) يقول : أعيذك بالله يـا أمير المؤمنين من هـذا ، فقال : مـا جاء بك يا سيدي في هذا الوقت ؟ قال : جائني رسولك فقال المتوكل : قد كذب ابن الفاعلة ، ارجع يا سيدي من حيث جئت ، يا فتح ، يا عبدالله ، يا معتز شيعوا سيدكم وسيدي ، فلما بصر به الخزرج خروا سجداً ، فلما خرج (ع) دعاهم المتوكل ثم أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون ، فقال لهم : لم لا فعلتم ما أمرتكم به فقالوا : هيبة منه وقد رأينا حوله أكثر من مائة ألف سيف لم نقدر أن نتأملها فمنعنا ذلك عما أمرتنا ، وامتلئت قلوبنا رعباً من ذلك ، فقال المتوكل : يا فتح هذا صاحبك وضحك في وجه الفتح وضحك الفتح في وجهه ، وقال : الحمد لله الذي بيض وجهه وأنا حجته ، فيالله من هذه النفوس الملعونة التي قدمت على مخالفة ربها ولم تبالي بمقارفة ذنبها ، فسحقاً لها وتباً فلقد باءت بالخسران وأطاعت الشيطان وقطعت الأرحام ، ونصرت العدوان .

وبله در من قال :

ثلت عروشك يا بني العباس عمدت يداك لهدم كل مشيد من آل سفيان وآل أمية وهم وإن قتلوا الحسين عداوة صيرتم حفراً لهم ومبانياً فلأنشرن مدامعي بمجامعي تالله لا أنسى الحزين مصابه هيهات أسلوا حزنكم ومصابكم

مذ صرت أعداء لخير الناس في الدين قد زادت على الأرجاس أهل الشقاق نتيجة الخناس لكنهم عفوا عن الأرماس سكنوا بها فالحزن أصبح راسي وأدير كأس الحزن في جلاسي فلحزنكم والله لست بناسي فمصابكم أدهى لطود رواسي

وفي مهج الدعوات بإسناده عن زرافة صاحب المتوكل وكان شيعياً أنه قال: كان المتوكل يحضر الفتح بن خاقان عنده ويقربه منه دون ولده وأهله ، فأراد أن يبين فضله وموضعه عنده ، فأمر جميع مملكته من الأشراف ومن سائر الجند وغيرهم والوزراء والأمراء والقواد وسائر العسكر ووجوه الناس أن ينونوا بأحسن زينة ، ويظهروا في أفخر عددهم وذخائرهم ، ويخرجوا مشاة بين يديه ، وأن لا يركب أحد إلا هو والفتح بن خاقان خاصة بسر من رأى . ومشى الناس بين أيديهما على مراتبهم رجالة ، وكان يوماً قائضاً شديد الحر ، فأخرجوا

في جملة الأشراف أبا الحسن (ع) ، فشق عليه ما لقيه من الحرقال زرافة : فأقبلت إليه وقلت : يا سيدي يعز علي ما تلقى من هذه الطغاة ، وما قد تكلفته من المشقة ، فقال (ع) : يا زرافة ، ما ناقة صالح عند الله بأكرم مني ولم أزل أسائله وأستفيد منه وأحادثه إلى أن نزل المتوكل من الركوب وأمر الناس بالإنصراف ، فقدمت إليهم دوابهم فركبوا إلى منازلهم وقدمت بغلة له (ع) فركبها وركبت معه إلى داره (ع) ، فنزل فودعته وانصرفت إلى داري .

وكان لولدي مؤدب يتشيع من أهل العلم والفضل ، وكانت لي عادة بإحضاره عند الطعام ، فحضر ذلك اليوم وتجاريت معه الحديث وما جرى من ركوب المتوكل والفتح ومشي الأشراف وذوي الأقدار بين أيديهما ، وذكرت له ما شاهدته من أبي الحسن الهادي (ع) وما سمعته من قلوله (ع) : ما ناقلة صالح بأعظم عند الله قدراً مني ، وكان المؤدب يأكل معي فرفع يده وقال : بالله إنـك سمعته يقول بهذا اللفظ؟ فقلت له : والله إني سمعته يقول ذلك ، فقال : اعلم أن المتوكل لا يبقى في مملكته أكثر من ثلاثة أيام ويهلك ، فانظر في أمرك واحرز ما تريد احرازه ، وتأهب كيلًا يفجأكم أمره ثم جعل يجري في كـلامه ، فقلت له : من أين لك هذا العلم ؟ فقال : أما قرأت القرآن في قصة الناقة في قوله تعالى : ﴿فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾(١) الآية ؟ ولا يجوز أن يبطل قول الإمام (ع) ، قال زرافة : فما جماء اليوم الثالث حتى جاء المنتصر ومعه بغمايا ووصيف والأتراك على المتوكل ، فقتلوه هو والفتح بن خاقـان وقطعـوهم قطعـاً قطعاً حتى لا يعرف أحدهما من الآخر ، وأزال الله نعمته ومملكته ، فلقيت الإمام أبا الحسن (ع) وعرفته ما جرى من المؤدب وما قالمه فقال صدق إنه لما بلغ بي الجهد من المسير رجعت إلى كنوز عندنا كنا نتوارثها من آبائنا ، وهي أعز من الحصون وأمنع من السلاح والجنن ، وهـ و دعاء المظلوم على الظالم فقلت : یا سیدی تعلمنیه فعلمنیه :

١١) سورة هود ، الآية : ٦٥ .

أيا متوكل الأرجاس فابشر أتهدم من رسول الله صرحاً عمدت إلى الذي ساد البرايا زعمت بأن تبيد الدين جوراً أتعلو فوق من خضعت إليه كأنك قد عمدت لخير نور فكيف تظن أنك بالغ ما وكان إمامنا الهادي عملي عمليه الله صلى ما تغنت

بخري في الحياة وفي القيامة علا في المكرمات وفي الدعامة ومن جمع الشجاعة والحزامة فأولاك المخسارة والمندامة ملائك قدسها وأولو الكرامة لتطفيه فيا لك من ذمامة أردت له وتظفر بالسلامة دعا الباري فبلغه مرامة بأعلى الدوح من طرب حمامة

وروى المسعودي في مروج الذهب أنه سعي إلى المتوكل بعلي بن محمد الهادي أن في منزله كتباً وسلاحاً من شبعته من أهل قم ، وكان عازم على الوثوب بالدولة عليه ، فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا عليه في داره ليلا فلم يجدوا فيها شيئاً ، ووجدوه في بيت مغلوق عليه وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجه إلى الله تعالى يتلو آيات الله من القرآن ، فحمل على حالته تلك إلى المتوكل وقالوا له : لم نجد في بيته شيئاً ، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة ، وكان المتوكل جالساً في مجلس الشراب فدخل عليه والكاس في يد المتوكل ، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه ، وناوله الكأس التي كانت في يده (ع) عليه بترك ، فقال : والله لا يخامر لحمي ودمي قط فاعفني فأعفاه ، فقال له : أنشدني شعراً فقال (ع) : إني قليل الرواية في الشعر فقال له : لا بد من ذلك فأنشده هذه الأبيات لأمير المؤمنين (ع) :

غلب الرجال فلم تنفعهم القلل وأسكنوا حفراً يا بئس ما فعلوا أين الأسرة والتيجان والحلل من دونها تضرب الأستار والكلل

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم وأنزلوا بعد عز عن معاقلهم ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا أين الوجوه التي كانت منعمة

ف افصح القبسر عنهم حين سائلهم من يعدما أكلوا دهراً وما شربوا

تلك السوجوه عليها الدود يقتسل فأصبحوا بعد طيب الأكل قد أكلوا

قال: فبكى المتوكل حتى بلت دموعه لحيته وبكى الحاضرون ثم دفع إلى علي (ع) أربعة آلاف دينار ورده إلى منزله مكرماً، فيا قاتله الله من ملعون قد تولد من سفاح، فلم يزل ذلك اللعين يظهر الداء الدفين ليقتل ذلك السيد الأمين والله غالب على أمره فقطع الله منه الوتين.

وقد روي في كتاب كشف الغمة أن المتوكل كان ديدنه ودأبه يحرص على مجالسة على الهادي (ع) ، ويعرض عليه أموراً يريد أن يسقط بها وقاره ومحله من القلوب ، فإذا لم يجبه إلى ما يريد يعظم ذلك عليه ، حتى أنه وجه إلى أخيه موسى وأحضره لعله أن يرى فيه ما يسقط منه محله فيكون له في ذلك الكلام ليحتج به على الهادي (ع) حتى أعيته الحيلة فيه .

قال الراوي: وكان يعقوب بن ياسر يقول: إن المتوكل كان يقول قد أعياني أمر ابن الرضا (ع) ، وإني أريد أن يشرب معي أو يناد مني لأجل أن نجد فيه فرصة في هلاكه ، فقيل له: إن لم تجد فيه ذلك فهذا أخوه موسى قصّاف عراف يأكل ويشرب ويتعشق ، فقال: جيئوني به حتى نمّوه به على الناس ونقول له يا بن الرضا فكتب إليه وأشخصه مكرماً ، فتلقاه جميع بني هاشم والقواد والناس حتى أنه إذا وافى أقطعه له قطيعة وبنى له فيها داراً ، وحوّل الخمارين والقينات إليه وفضله ودبره وجعل له منزلاً سرياً حتى يزوره هو فيه ، فلما وافى موسى تلقاه على الهادي (ع) في قنطرة وصيف وهو موضع يتلقى فيه القادمين ، فسلم عليه ووفاه حقه ، ثم قال له: إن الرجل قد بعث إليك ليهتك عرضك ودينك ويضع من قدرك ، فلا تقر له أنك شربت نبيذاً قط ، فقال له: إذا دعاني إليه فما حيلتي ؟ قال : لا تضع من قدرك ولا تفعل فانما أراد بهذا هتكك فأبى عليه فكرر عليه القول ، فلما رأى أنه لا يجيب قال له : ان هذا مجلس لا تجتمع أنت وهو فيه أبداً قال : فأقام فيه ثلاث سنين يتردد عليه كل

يوم فيقال له: قد تشاغل فيخرج ثم يرجع في الثاني فيقال له: قد سكر فبكر غداً فيبكر فيقال له: قد شرب دواء ، فما زال على هذا ثـلاث سنين حتى قتل المتوكل ولم يجتمع معه أبداً .

وروي أن المتوكل وقيل الواثق أمر العسكر في تسعين ألف فارس من الأتراك الساكنين بسر من رأى أن يملأ كل واحد منهم مخلاة فرسه من الطين الأحمر ، ويجعلون بعضه على بعض في وسط برية واسعة هناك ، فلما فعلوا ذلك صار كالجبل العظيم فصعد فوقه واستدعى علي الهادي (ع) وقال له : ما استحضرتك إلاّ لترى نضارة خيولي وعسكري ، وقد أمرهم أن يلبسوا التخافيف ويكملوا الأسلحة ويعرضوا عليه بأتم عدة وأعظم هيبة ، وكان غرضه كسر قلب كل من يخرج عليه من أهل البيت (ع) وغيرهم ، فقال له علي الهادي : أتريد أن أعرض عليك عسكري كما عرضت علي عسكرك ؟ قال : نعم ، فدعا الله تعالى فإذا من السماء إلى الأرض ما بين المشرق والمغرب ملائكة على نجب من الجنة ، بأيديهم الحراب تلتهب فغشي على المتوكل فقال له الهادي لما أفاق : نحن لا ننافسكم على هذه الدنيا ونحن مشغولون عنكم بأمور الأخرة ، فلا يدخلك منى مما تظن بأس .

وروي عن أحمد بن داوود بن محمد بن عبدالله الطلحي قال: حملنا مالاً من خمس ونذر من عين وورق ودنانير وحلي وجواهر وثياب من قم وما يليها فخرجنا نريد أبا الحسن (ع)، فلما صرنا إلى دسكرة الملك تلقانا رجل راكب على جمل ونحن في قافلة عظيمة فقصدنا ونحن سائرون في جملة الناس وهو يعارضنا بحمله، فقال: يا أحمد بن داوود ومحمد بن إسحاق معي رسالة إليكما فقلنا: ممن ؟ فقال: من سيدكما أبي الحسن الهادي (ع) يقول لكما: إني راحل إلى الله تعالى في هذه الليلة فأقيما مكانكما حتى يأتيكما أمر من أبي محمد الحسن (ع)، فخشعت قلوبنا وبكت عيوننا وأخفينا ذلك ولم نظهره، وزلنا دسكرة الملك واستأجرنا منزلاً وأحرزنا ما كان معنا فيه، وأصبحنا والخبر

شائع في الدسكرة بوفاة إمامنا (ع) لا إله إلاّ الله أترى أن الرسول الذي جاء برسالته أشاع الخبر في الناس ؟ فلما تعالى النهار رأينا قوماً من شيعة على أشد قلقاً مما نحن فيه ، وأخفينا أمر الرسالة ولم نظهره ، فلما جن الليل جلسنا بلا ضوء ولا سراج حزناً على الهادي (ع) نبكي ونشكو إلى الله تعالى فقده ، وإذا نحن بيد داخلة علينا من الباب فأضاءت بنا كما يضيء المصباح وقائلاً يقول : يا أحمد يا محمد هذا التوقيع ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من الحسن المستكين لربّ العالمين إلى شيعته المساكين أما بعد ، فالحمد لله على ما نزل بنا منه ونشكره إليكم على جميل الصبر إليه ، وهو حسبنا في أنفسنا وفيكم ونعم الوكيل .

قال الراوي ولما انتقل الإمام علي الهادي (ع) إلى روح الله ورضوانه وقد سمه المعتمد في رمان وقيل في ماء ، فلما فاضت روحه المقدسة علا الصياح في داره ، وقامت الواعية في الهاشميين والعلويين والطالبيين يلطمون الخدود ويخدشون الوجوه ، وينادون واضيعتاه ، واوحدتاه ، من لليتامي والمساكين ، ومن للفقراء والمنقطعين ، ثم غسله ابنه الحسن العسكري (ع) وحنطه وأدرجه في أكفانه وصلى عليه ، وخرج في جنازته حافي الأقدام ، وقد شق قميصه حزنا على مصاب أبيه ، فكتب إليه الأبرش في ذلك وأعاب عليه في شقه قميصه فقال (ع) : يا أحمق ما أنت وذاك وقد شق موسى (ع) قميصه على أخيه هارون (ع) . وكانت وفاته على ما رواه إبراهيم بن هاشم القمي قال : توفي أبو الحسن (ع) يوم الأثنين لشلاث خلون من رجب سنة ٤٥٢ أربع وخمسين الحسن (ع) يوم الأثنين لشلاث خلون من رجب سنة ومثله ما رواه ابن عياش ، وكانت مدة إقامته بسر من رأى ودفن في داره بها في آخر ملك المعتمد ، وقد استشهد (ع) على يده مسموماً .

وفي رواية ابن بابويه في أدعية شهر رمضان أنه سمه المعتمد، وفي بعضها أنه المتوكل، وكانت مدة إمامته (ع) بقية ملك المعتصم ثم ملك

المواثق ، ثم ملك المتوكل ، ثم ملك المنتصر ، ثم ملك المستعين ، ثم ملك المعتز ، ثم ملك المعتمد أخ المتوكل ثمان سنين وستة أشهر ، وفي آخر ملكه استشهد ولي الله الهادي (ع) ، وهكذا في رواية المناقب ودفن في داره بسر من رأى وكان مقامه (ع) بها إلى أن توفي عشرين سنة ، وأشهر الأخبار بيوم وفاته (ع) مختلفة جداً وما ذكرناه أشهرها رواية ، فيالله لهدم مباني هذا الدين ، ويا ضيعة الفقراء والمساكين ، فيجب على النفوس أن تموت أسفاً إلى يوم الدين وأن تنثر درر المدامع في الحدود ، وتدير كاسات الأحزان على الحاضرين من المؤمنين ، كيف لا وهم ركن الحق المبين والقطب الذي دارت عليه رحاء الإسلام بحسن الإدارة والتمكين .

شعر للمؤلف رحمه الله تعالى:
فيا قلبي المضنا أدم في صبابة
فإن علياً خير من وطأ الشرى
قضى وهو مسموماً فوالهفتي له
لقد أصبح الدين الحنيفي ثاوياً
على الدار من بعد الوصي عليها
أيقتل مسموماً على غير جرمة

إلى أن تقوم الناس في الحشر والنشر وصي رسول الله في العلم والسر ويا طول حزني ما بقيت من المدهر على الأرض ملحوداً وقد ضم في القبر سلام مدى الأيام في منتهى العمر وتهتك أستار الشرائع والأمر

وهذا آخر ما انتهى إلينا من وفاة سيدنا ومولانا علي بن محمد الهادي (ع) على التمام والكمال ، ونستغفر الله العظيم المنان عن الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان إنه غفور منان ، وصلى الله على محمد وآله سادات الزمان والحمد لله ربّ العالمين .

وَفَاهُ الاَهِامِ المُسَن لَعْسَاكُرِي "عَلَيْهُ إِلْمَالِمِ"

تأليف العلامة الثيخ لمسين بن الثيخ محدب الشيخ أمحدب عصنصر الدارزي البواني

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي اختار لأوليائه الشهادة ، وبوأهم بها الحسنى وزيادة ، والصلاة والسلام على محمد وآله أرباب الخير والسعادة الممتحنين في أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، حسب مقتضى الحكمة والإرادة ، الصابرين في السراء والضراء ، والشاكرين في الشدة والرخاء ، والمتبوئين منزل السعادة .

وبعد: فيقول الراجي لعفو ربّه العميم حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرازي: أنه قد التمس مني من لم يسعني ترك إجابته في أن أؤلف كتاباً وجيزاً على حسب الاطلاع والإحادة، مشتملاً على وفاة إمامنا ومولانا وسيدنا أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع)، لتجتمع على استماعه أهل الإيمان والولاية للأئمة القادة، ليربحوا في متاجرتهم كمال الأرباح والإفادة، فإن ذلك من أعظم الفوائد المستفادة، وليكن لي ذخراً يوم المعاد ومنفعة وزيادة، وقد رتبته على ثلاثة فصول وقد سميته (الشجون الوقادة في وفاة إمامنا العسكري من أئمتنا السادة) وبالله أستعين إنه خير موفق ومعين لكل طلب وإرادة.

الفصل الأول

كان مولده في غرة شهر رمضان ، أو في غرة شهر ربيع الآخر ، سنة إثنين وثلاثين ومائتين بسر من رأى ، وأمّه أمّ ولد . ويقال لها حديث ، وقد جرت له في ولادته آيات ومعجزات ، وكان غير مترقب الولادة إخفاء لأمره بين الخاصة والعامة ، حتى أنه لم يوص إليه والده (ع) قبل مضيه إلاّ بأربعة أشهر ، وأشهد على ذلك خواص شيعته ، وكان المترقب للإمام في تلك الاعصار أخاه محمد كما صرحت به الأخبار .

ففي خبر النوفلي كما في الكافي قال: كنت مع أبي الحسن (ع) في صحن داره ، إذ مر بنا محمد ابنه فقلت له: جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك ؟ فقال: لا صاحبكم بعدي الذي يصلي عليّ .

قال الراوي عبدالله بن محمد الأصبهاني: ولم فعرف أبا محمد (ع) قبل ذلك ، قال: فخرج أبو محمد فصلى عليه ، وفي رواية جماعة من الثقات والخواص له (ع) منهم الحسن بن الحسن الأفطس أنهم حضروا يوم توفي (ع) محمد بن علي بن محمد دار أبي الحسن ، وقد بسط له في صحن داره والناس جلوس حوله ، فقالوا: حتى قدرنا ان نكون حوله من آل أبي طالب وبني العباس وقريش مائة وخمسين رجلاً سوى مواليه وسائر الناس ، إذ نظر إلى الحسن بن علي (ع) قد جاء مشقوق الجيب حتى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه ،

فنظر إليه أبو الحسن بعد ساعة فقال : يا بني أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً ، فبكى الفتى وحمد الله تعالى واسترجع وقال : يا أباه أسأل الله تمام النعمة علينا ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فسألنا عنه فقالوا : هذا ابنه وقدرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة أو أرجح ، فيومئذ عرفناه وعلمنا أنه أشار إليه بالإمامة وأقامه مقامه .

كما في حديث آخر عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن (ع) بعد ما مضى ابنه أبو جعفر (رض) وإني لأفكر في نفسي ، وأقول هذه قصة أبي إبراهيم وقصة إسماعيل فأقبل علي أبو الحسن (ع) قبل أن أنطق ، فقال: نعم يا أبا هاشم بدا لله أبي جعفر فصيّر مكانه أبا محمد (ع) كما بدا له في إسماعيل ، بعد ما دلّ عليه أبو عبدالله (ع) ونصبه ، وهو كما حدثتك نفسك وان كره المبطلون . أبو محمد ابني الخلف من بعدي ، عنده ما تحتاجون إليه ومعه آلة الإمامة والحمد لله . وليس البلد المذكور في هذا الخبر ونحوه على جهة الحقيقة ، لأن الإمامة منصوص عليها من الله ورسوله (ص) أزلاً وأبداً ، فالمراد بها ظهور الشيء على ما هو عليه في نفس الإمامة بعد أن يكون الظاهر عكسه ، وكيف وقد قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴿ (١) وقال تعالى : ﴿ وما نسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ (٢) ولقد كان أبو محمد أكبر من جعفر الكذاب .

ولله در من قال:

همو الشمس نموراً لا خفاء بهما ولكنما جمار العمدو عليهم وقد شتتوا في كل شرق ومغمرب أبادوهم قتلاً وسماً ومشلة

إذاً فكيف ونور الله فيها مخلد وقد قصدوهم بالبلا وتمردوا وفي كل قفر من فنا الأرض مشهد فيا لك خطب في الورى ليس يوجد

⁽١) سورة التوبة، الآية : ١١٥ .

⁽٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

وفي كتاب الكافي عن جماعة من الثقات ومشايخه ، قالوا : كان أحمد بن خاقان على الضياع والخراج بقم ، فجرى بمجلسه يوماً ذكر العلوية . ومذاهبهم ، وكان شديد النصب والعداوة ، فقال : ما رأيت ولا عرفت رجلًا بسر من رأى من العلويين مثل الحسن بن على بن محمد بن الرضا (ع) في هديه وسكونه وعفافه ونبالته وكرمه عنـد أهل بيتـه وبني هاشم ، وتقـديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر ، وكذلك القواد والوزراء وعامة الناس ، فإني كنت يوماً واقفاً على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس ، إذ دخل عليـه حاجبـه فقال : إن أبا محمد بن الرضا (ع) بالباب ، فقال بصوت عال : ائذنوا له ، فتعجبت مما سمعت منهم أنهم جسروا يكنون رجلًا على أبي بحضرته ، ولم يكن عنده إِلَّا خَلَيْفُتُهُ أَوْ وَلَى عَهِدُ أَوْ مِنْ أَمْرِ السَّلْطَانُ أَنْ يَكُنَّى ، فَدْخُلِّ رَجِلُ أسمر ، حسن القامة ، جميل الوجه ، جيد البدن ، حدث السن ، له جلال وهيبة ، فلما نظر إليه أبى قام يمشى إليه يتخطى مطاطأ ، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد ، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره ، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه ، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه ، وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل الحاجب فقال : الموفق قد جاء ، وكان الموفق إذا دخل على أبي يقدم حجابه وخاصته وقواده ، ثم قاموا بين مجلس أبي وبين الدار وبسطوا سماطين إلى أن يدخل ويخرج ، ولم يزل أبي مقبلًا على أبي محمد (ع) يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة فقال حينتلذ: إذا شئت جعلني الله فداك، ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا ـ يعنى الموفق ـ فقام وقام أبي وعانقه ومضى .

فقلت لحجاب أبي وغلمانه: من هذا الذي كنيتموه على أبي ، وفعل أبي معه هذا الفعل ؟ فقالوا: هذا علوي يقال له الحسن بن علي بن محمد (ع) يعرف بابن الرضا (ع) ، فازددت تعجباً ولم أزل يومي ذلك كله قلقاً مفكراً في

أمـره (ع) وأمر أبي ، ومـا رأيت منه ، حتى كـان الليل وكـانت عـادة أبي يصلي العتمة ثم يجلس فينظر ما يحتاج إليه من المؤآمرات وما يرفعه إلى السلطان ، فلما صلى وجلس جئت وجلست بين يديه وليس معنا أحد ، فقال لي : يا أحمد ألك حاجة ؟ قلت : نعم يا أبت ، فإن أذنت لي سألتك عنها فقال لي : مأذون لك يا بني فقلت : يا أبت من الرجل الذي رأيتك الغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل وفيديته بنفسك وأبويك؟ فقال : يـا بني ذاك إمام الرافضة ، ذاك الحسن بن علي (ع) المسمى بابن الرضا (ع) فسكت ساعة ثم قـال : يا بني لـو زالت الإمامـة من خلفاء بني العبـاس ما استحقهـا أحد من بني هاشم غير هذا ، وإن هذا يستخلفها في فضله وعفافه وزهده (ع) وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه ، ولو رأيت أباه رأيت رجلًا جزيلًا نبيلًا فاضلًا ، فازددت قلقاً وتفكراً وغيظاً على أبي وما سمعت منه واستزهدته في فعله وقوله فيه بما قال ، ولم يكن لي همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره ، فما سألت أحداً من بني هاشم ، والقواد ، والكتاب ، والقضاة ، والفقهاء ، وسائر الناس ، إلا وجدته عنده في غابة الإجلال والإعظام ، والمحل الرفيع ، والقول الجميل ، والتقدم على جميع أهل بيته ومشايخه ، فعظم قدره عنــــدي إذ لم أر له ولياً ولا عـدواً إلا يحسن القول والثناء عليه ، فقال له بعض من حضر مجلسه من الأشعريين يا أبا بكر فما خبر أخيه جعفر ؟ فقال : ومن جعفر ؟ حتى يسأل عنه أو يقرن جعفر بـالحسن (ع) وجعفر معلن بـالفسق ، فاسق ، فـاجر ، شريب للخمور ، أقل من رأيته من الرجال وأهتكهم لنفسه ، خفيف ، قليل في نفسه ، الحديث .

وستأتى بقية فضائله في الحديث عن وفاته (ع) .

جميع الورى من شامت وحسود يعم جهات الست بعد خمود على رغم أنف للبغي وحسود

فيا لك شخصاً قد أقر بفضله وكيف يغطى نور شمس ضياؤها وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

وهـذا الـذي أبـدا لهم من حقـودهم أيقتــل من هــذا صفــات كمــالــه فـوا لهف نفسي بعـد إخمـاد نـورهم

فبعداً لهم من ظالم وحقود بسم زنيم مبعد وكبود وطول عنائي لا نعمت بعيدي

ومن معجزاته الخارقة للعادة ، ما رواه الكليني رحمه الله أيضاً عن جماعة من أصحابنا ، عن بعض فصادي العسكر من النصارى : أن أبا محمد (ع) بعث إليه يوماً في وقت صلاة الظهر ، فقال : أفصد هذا العرق قال : فناولني عرقاً لم أفهمه من العروق التي تفصد ، فقلت في نفسي ما رأيت أمراً أعجب من هذا ، يأمرني أن أفصده في وقت الظهر وليس بوقت الفصد ، والثانية عرق لا أفهمه . قال : ثم قال انظر وكن بالدار ، فلما أمسى دعاني وقال لي : سرح الدم فسرحته ، ثم قال لي : كن في الدار ، فلما كان نصف الليل أرسل إلي فقال لي : سرح الدم ، فتعجبت أكثر من عجبي الأول ، فكرهت أن أسأله ، قال : فسرحت الدم فخرج دم أبيض كأنه الملح ، قال : ثم قال لي اجلس ، فجلست وقال لي : كن في الدار . فلما أصبحت أمر قال ي عطيني ثلاثة دنانير فأخذتها .

فخرجت حتى أتيت إلى بختيشوع النصراني فقصصت عليه القصة ، قال : فقال لي : ما أفهم ما تقول ، ولا أعرفه في شيء من الطب ، ولا قرأته في كتاب ، ولا أعلم في دهرنا أعلم بكتب النصرانية من فلان الفارسي فأخرج إليه قال : فاكتريت زورقاً إلى البصرة وأتيت الأهواز ، ثم صرت إلى فارس إلى صاحبي فأخبرته الخبر ، قال : فقال لي : أنظرني أياماً ، فأنظرته ثم أتيت متقايضاً ، قال : فقال لي : إن هذا الذي تحكيه من أمر هذا الرجل فعله عيسى ابن مريم (ع) في دهره مرة واحدة ، ولقد حسده الناس على هذا الفضل الباذخ والمقام الشامخ ، ولقد أنجز ذلك إلى أخيه جعفر الكذاب لمقابلة لجعفر الصادق (ع) .

وقد أفصح عن ذلك خبر الكابلي عن علي بن الحسين (ع) على ما في

كتاب الإكمال قال: دخلت عليه فقلت له: يا بن رسول الله أخبرني عن اللذين فرض الله تعالى طاعتهم ومودتهم. وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله (ص)، فقال: بلى يا كابلي إن أولي الأمر الذين جعلهم الله أثمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم أولهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين (ع) حتى انتهى الأمر إلينا، فسكت (ع)، فقلت: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين (ع) انه قال: إن الله عزّ وجلّ لا يخلي الأرض من حجة له على عباده فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد واسمه في التوراة باقر يبقر العلم بقراً، وهو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق، فقلت: يا سيدي كيف اسمه الصادق وكلكم صادقون؟ قال: حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: إذا ولد ابني جعفر بن علي بن الحسين فسموه الصادق، فإن الخامس من ولده اسمه جعفر الكذاب المفتري على الله عزّ وجلّ المدعي بما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف ستر الله عند غيبة ولى الله.

ثم بكى على بن الحسين (ع) بكاءً شديداً ، ثم قال : كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته ، وحرصاً منه على قتله ، إن ظفر به طمعاً في ميراث أخيه حتى يأخذه بغير حقه .

قال أبو خالد: فقلت له: يا بن رسول الله إن ذلك لكائن؟ قال: هو مكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها المحن التي تجري علينا بعد رسول الله (ص)، قال أبو خالد: فقلت: يا بن رسول الله ثم يكون ماذا؟ قال: تمد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله (ص) والأئمة بعده، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته (ع) القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول ما صارت

الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (ص) بالسيف ، أولئك هم المخلصون حقاً حقاً ، وشيعتنا صدقاً ، والمدعاة إلى دين الله سراً وجهراً ، ثم قال علي بن الحسين (ع) انتظار الفرج أفضل من العمل .

وفي رواية ، عن فاطمة بنت محمد بن الهيثم المعروف بابن النسابة قال : كنت في دار أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) في الوقت الذي ولد فيه جعفر فرأيت أهل الدار في سرور به ، فسرت إلى أبي الحسن (ع) فلم أره مسرور بذلك فقلت له : يا سيدي مالي أراك غير مسرور بهذا المولود ؟ قال : يهون عليك أمره فإنه سيضل خلقاً كثيراً .

ولله در من قال :

قل للذي يرضى مقالة جعفر شتان بين الجعفرين فصادق فتعم ذاك من الإله صلاته لا يدخلن الريب قلبك في الذي إذ نوح أولد ابنه كنعان في

ما أنت إلا هوج مرتاب يهدي الأنام وآخر كذاب وتعم هذا نقمة وعذاب ولد الكذاب وإنه لصواب الذكر الحكيم وطابت الأنساب

الفصل الثاني

وتلك شاهدة على أنه السري ابن السري ، فلا تشك في إمامته ولا تمتري ، واعلم أنه إذا بيعت مكرمة فسواه بائعها ، وهو المشتري ، الفائق نوره على زحل والمشتري ، سيد أهل عصره وإمام أهل دهره ، فالسعيد من وقف عند نهيه وأمره ، ذو العلا الذي فاز وعلا على النجوم الزواهر ، والمحتدى الذي فزعت إليه العظماء عند الفادح والتفاخر ، والمنصب الذي ظهرت في عقوده أسنى فرائد وجواهر :

شرف تقادم كابراً عن كابر لكنما هذا الزمان بريبه أضحت به أهل الفضائل والعلا ما بين مقتول بسيف عداته أو بين مأسور بثقل قيوده

كالرمح أنبوباً على أنبوب أضحى يعاندهم بكل كروب في محنة شعوا ونيل شحوب أوبين مسموم لذي المشروب أوبين مشجون بها متعوب

وروى أبو هاشم الجعفري (رض) قال : كنت عند الحسن (ع) فاستؤذن لرجل من أهل اليمن ، فدخل رجل جسيم طويل جميل ، فسلم عليه بالولاية ، فرد عليه بالقبول ، وأمره بالجلوس ، فجلس إلى جنبي فقلت في نفسي : ليت شعري من هذا ؟ فقال (ع) : هذا ولد الأعرابية صاحبة الحصاة التي طبع فيها آبائي (ع) ثم قال : هاتها ، فأخرج حصاة وناوله إياه فأخرج (ع) خاتمه

وطبعها ، وكأني أقرأ الخاتم الساعة الحسن بن علي (ع) فقلت لليماني : أرأيته قبل هذه الساعة ؟ قال : لا والله وإني منذ دهري حريص على رؤيته حتى أذن لي في الدخول ، ثم نهض وهو يقول : رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ذرية بعضها من بعض ، أشهد أن حقك واجب كوجوب حق رسول الله (ص) وحق أمير المؤمنين (ع) والأثمة من بعده (ع) وإليك انتهت الحكمة والإمامة ، وإنك والله الإمام ولا عذر لأحد في الجهل بك ، فسألت عن اسمه فقيل لي : مهجع بن الصلت بن عقبة بن سمعان بن غانم بن أمّ غانم الأعرابية صاحبة الحصاة التي طبع فيها أمير المؤمنين (ع) ، وفي ذلك يقول أبوهاشم الجعفرى (رض) :

له الله صفا بالدليل فاخلصا وأعطاه آيات الإمامة كلها فما قمص الله النبيين حجة فمن كان مرتاباً بذاك فقصره

بدرب الحصا مولى لنا يختم الحصا كموسى وفلق البحر واليد والعصا ومعجزة إلا الوصيين قمصا من الأمر ما يتلوا الدليل ويفحصا

ومن معجزاته (ع) ما رواه الجعفري (رض) قال: كنت في الحبس المعروف بحبس حسيس في الجوشق الأحمر ، أنا ومحمد بن الحسن العصفي ، ومحمد بن إبراهيم العامري وفلان وفلان ، إذ دخل علينا الحسن العسكري وأخوه جعفر ، فحففنا به وكان المتولي بحبسه صالح بن وصيف ، وكان معنا في الحبس رجل جمحي يقول إنه علوي ، فقال العسكري : لولا أن فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم ، وأومى بيده إلى الجمحي أن يخرج ، فخرج ، فقال (ع) هذا رجل ليس منكم فاحذروه ، فإن في ثيابة رقعة قد كتبها إلى السلطان يخبره بما تقولون فيه ، فقام بعضهم وفتش ثيابه فوج الرقعة ، يذكرنا فيها بكل عظيمة .

وروي عن الجعفري (رض) قال : كان الحسن العسكري (ع) يصوم في الحبس ، فإذا أفطر أكلنا معه من طعام كان يحمله إليه غلامه في جوزة

مختومة ، وكنت أصوم معه ، فلما كان ذات يوم أكلت كعكة كبيرة ، ولم يشعر بي أحد ، ثم جثت فجلست معه فقال لغلامه : أطعم أبا هاشم فإنه مفطر ، فتبسمت فقال : ما يضحكك يا أبا هاشم ؟ إذا أردت القوة فكل اللحم فبإن الكعك لا قوة فيه ، صدق الله ورسوله (ص) وأنتم أهل بيت رسوله (ص) ثم قال لي : افطر ثلاثاً فإن الصحة لا ترجع إذا نهكها الصوم في أقل من ثلاث ، فلما كان في اليوم الذي أراد الله تعالى أن يفرج عنه فيه ، جاءه الغلام فقال : يا سيدي أحمل فطورك إليك ؟ قال : احمله وما أحسبنا نأكله ، فحمل الغلام الطعام عند الظهر وأطلق العصر وهو صائم ، فقال (ع) : كلوا هناكم الله تعالى .

فيا لها من مناقب كشفت عن تلك الأنوار المضيئة ، وأبرزت محجبات أبكار الأسرار من الأفكار ، فلا غرو حسدوهم الليل والنهار ، وارتكب ما ارتكب في شأنهم الحسدة الأشرار ، فحرصوا أن يفنوهم من جديد الأرض ، ويضيقوا عليهم في الطول والعرض ، فسجنوهم في السجون والقيود ، ودفنوهم أحياء في الأخدود .

وعن أبي القاسم كاتب راشد في كشف الغمة ، قال : خرج رجل من العلويين بسر من رأى في أيام الحسن (ع) إلى الجبل يطلب الفضل ، فلقيه رجل بهلول فقال له : من أين أتيت ؟ فقال : من سر من رأى ، فقال له : تعرف درب كذا ودرب كذا ؟ فقال : نعم فقال : هل عندك من أخبار الحسن بن علي (ع) ؟ فقال : لا قال : فما أقدمك الجبل ؟ قال : أطلب الفضل قال : لك عندي خمسون ديناراً فاقبضها وانصرف معي إلى سر من رأى حتى توصلني إلى الحسن بن علي (ع) ، واستأذنا على الحسن بن علي (ع) فأذن لهما فدخلا ، والحسن بن علي (ع) قاعد في صحن الدار ، فلما نظر الحسن (ع) إلى الجبلي قال له : أنت فلان بن فلان ؟ قال : نعم قال : أوصى إليك أبوك وأوصى إلينا بوصية جئت لتؤديها وهي معك ، أربعة آلاف دينار هاتها فقال الرجل : نعم ،

فدفع إليه المال ، ثم نظر إلى العلوي فقال : خرجت إلى الجبل تطلب الفضل فأعطاك هذا الرجل خمسين ديناراً ، فخرجت معه ونحن نعطيك خمسين ديناراً ، فأعطاه .

وروى جعفر بن شريف الجرجاني قال : حججت سنة فدخلت على الحسن بن علي (ع) بسر من رأى ، وقد كان أصحابنا حملوا معي شيئاً من المال ، فأردت أن أسأله إلى من أدفعه فقال لي قبل أن أسأله : ادفع ما معك إلى مبارك خادمي ، ففعلت ، فقلت : شيعتك بجرجان يقرؤنك السلام ، فقال (ع) : أو لست منصرفاً بعد فراغك من الحج ؟ قلت : بلى قال : إنك تصير إلى جرجان من يومك هذا إلى مئة وتسعين يوماً ، وتدخلها يوم الجمعة لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر في أول النهار ، فأعلمهم اني أوفيهم في ذلك اليوم آخر النهار فامض راشداً ، فإن الله تعالى سيسلمك ويسلم من معك ، فققدم على أهلك وولدك ، ويولد لك ولد شريف ، فسمه الصلت ، وسيبلغ وسيكون من أوليائنا ، فقلت : يا بن رسول الله إن إبراهيم بن إسماعيل الحلختي من شيعتك وهو كثير المعروف إلى أوليائك ، يخرج إليك في السنة من ماله أكثر من مئة درهم ، وهو أحد المبتلين في نعم الله تعالى بجرجان ، فقال (ع) : شكراً لله لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل صنيعه إلى شيعتنا ، وغفر الله ذنوبه ورزقه ذكراً سوياً قائماً بالحق ، فقل له : يقول لك الحسن بن على : سم ابنك أحمد .

فانصرفت من عنده وحججت ، فسلمني الله تعالى حتى وافيت جرجان يوم الجمعة أول النهار لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر على ما ذكره (ع) فجاء أصحابي يهنوني ، فأعلمتهم أن الإمام الحسن العسكري (ع) وعدني أنه يوافيكم في هذا اليوم ، فتأهبوا إلى ما تحتاجون إليه ، وأعدوا مسائلكم وحوائجكم كلها ، فلما صلوا الظهر والعصر واجتمعوا في داري فو الله ما شعرنا إلا وقد وافانا الإمام (ع) ، فدخل ونحن مجتمعون فسلم علينا فاستقبلناه وقبلنا

يديه ورجليه ، ثم قال (ع) اني وعدت جعفر الشريف (رض) أن أوافيكم هذا اليوم ، فصليت الظهر والعصر بسر من رأى وصرت إليكم وها أنا قد جئتكم الآن ، فاجمعوا مسائلكم وحوائجكم كلها ، فأول من ابتدر بالمسألة النصر بن جابر فقال : يا بن رسول الله (ص) إن ابني جابراً بلي في بصره فاذع الله تعالى أن يرد عينيه ، فقال (ع) : هاته ، فجاء به فمسح بيده على عينيه فعاد بصره ، ثم تقدم رجل فرجل يسألونه حوائجهم فأجابهم ودعا لهم بالخير ، ثم انصرف (ع) من يومه ذلك إلى سر من رأى .

وعن علي بن شابور قال: قحط الناس بسر من رأى في زمن الحسن بن علي العسكري (ع) فأمر المتوكل بالاستسقاء ، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فما سقوا ، وخرج الجاثليق في اليوم الرابع مع النصارى والرهبان ، وكان فيهم راهب فلما مد يده هطلت السماء بالمطر ، وخرجوا في اليوم الثاني فمطرت السماء ، فشك أكثر الناس وتعجبوا وصبوا إلى دين النصرانية ، فأنفذ المتوكل إلى الحسن العسكري (ع) وكان محبوساً فأخرجه من الحبس ، وقال : إلى الحدث أمة جدك (ص) فقد هلكت فقال (ع) : إني خارج ومزيل الشك إن شاء الله تعالى ، قال : فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرهبان معه ، وخرج الحسن (ع) في نفر من أصحابه ، فلما بصر بالراهب قد مد يده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين أصبعه ففعل ، وأخذ منه عظماً أسوداً ، فأخذه الحسن (ع) وقال له استسق الآن فاستسقى ، وكان في السماء غيماً فتقشع الغيم وطلعت الشمس بيضاء ، فقال المتوكل : ما هذا العظم يا أبا محمد ؟ فقال (ع) : إن هذا الرجل مر بقبر من قبور الأنبياء فوقع في يده هذا العظم ، وما كشف عن عظم نبي إلا هطلت السماء بالمطر :

لحا الله قــومـاً وازنــوك بمن عتى يــظنــون أن القــطر ينــزل ســرعــة ولــم يعــلمـــوا عــظم النـبي بـكفــه

على الله عدواناً فهدم دينه إذا مد من غطى العقول يمينه ومن أين هذا السر يستخرجونه

فلولاك ردت للتنصر أمة أيا شرخلق الله كيف عمدتم صلاة إلهى لا تنزال تحفه

لجدك قدماً دينه يرتضونه إلى نور خلاق الورى تطفئونه متى البان أهفى الريح منه غصونه

وكم له (ع) من معاجز لا تأتي عليها الأقلام وكتاب الأرقام ، وهي التي حسدوهم عليها الطغاة الظلام ، سيما الأرجاس من بني العباس ، فقد تقصدوهم في كل محنة ومقام ، فسقوهم كؤوس الحمام بكل لدن وحسام ، على أنهم لا يشاركونهم فيما بأيديهم من الحلال والحرام .

ومنها ما كتب الحسن بن طريف يسأله ما معنى قول النبي (ص) لعلي (ع) : من كنت مولاه فعلي مولاه ؟

قال (ع): أراد بذلك أن يجعله علماً يعرف به حـزب الله عنـد الفرقة ، قال : وكتبت إليه أسأله وقد تركت التمتع ثلاثين سنة وقد نشـأت لذلك ، وكان في الحي امرأة وصفت لي بالجمال ، فمال قلبي إليها ، وكانت لا تمنع يـد لامس فكرهتها ثم قلت : قد قال رسول الله (ص) تمتع بالفاجرة فكأنها تخرجها من حرام إلى حلال ، فكتب إلي : إنما تحيي سنّة وتميت بـدعة ، فـلا بأس ، وإياك وجارتك المعروفة بالعهر ، فإن حدثتك نفسك أن آبائي (ع) قالوا : تمتع بالفاجرة فإنك تخرجها من حرام إلى حلال ، فهذه امرأة معروفة بالهتـك وهي جارة ، وأخاف عليك استفاضة الخبر فيها ، فتركتها ولم أتمتع بها وتمتع بها شاذان بن مسعود رجل من إخواننا ، فاشتهر بها حتى انتهى أمره إلى السلطان ، وغرم بسببها مالاً جزيلاً ، وأعاذني الله تعالى من ذلك كله ببركة سيدي .

وروي أنه كان عند المستعين بغل لم ير مثله حسناً وكبراً ، وكان يمنع ظهره اللجام ، وكان قد جمع عليه الرواض فلم يكن لهم حيلة في ركوبه . فقال لهم بعض ندمائه : يا أمير المؤمنين ألا تبعث إلى الحسن العسكري (ع) ابن الرضاحتى يجيء ، فاما أن يركبه واما أن يقتله ، فبعث إلى

الحسن العسكري (ع) ، فلما دخل الدار نظره واقفاً في صحن الدار ، فوضع يده على كفله ، قال : فنظر إلى البغل وقد عرق حتى سال العرق منه .

ثم صار(ع) إلى المستعين فسلم عليه ورحب به وقربه وقال: يا أبا محمد ألجم هذا البغل، فقال (ع) لغلامه وكان اسمه أبي إلجمه يا غلام فقال المستعين: وأسرجه، فأسرجه (ع)، فقال المستعين: أرى أن تركبه فركبه من غير أن يمتنع عليه، ثم أركضه في الدار ثم حمله إلى الهملجة، فمشى أحسن مشي، ثم رجع فنزل (ع) فقال له المستعين: كيف رأيته ؟ فقال (ع): ما رأيت مثله حسناً ورفاهة، فقال له المستعين: فإن أمير المؤمنين قد حملك عليه فقال (ع) لغلامه: خذه يا أبي فأخذه أبي فقاده.

وعن أبي هاشم قال: شكوت إلى أبي محمد (ع) ضيق الحبس وضيق القيود، فكتب إلي أن تصلي اليوم الظهر في منزلك فكان كما قال (ع)، وكنت مضيقاً فأردت أن أطلب منه معونة في الكتاب الذي كتبته فاستحيت، فلما صرت إلى منزلي وجه إليّ بمائة دينار وكتب لي: إذا كانت لك حاجة فلا تستحى ولا تحتشم، واطلبها تأتك على ما تحب إن شاء الله تعالى.

وعن محمد بن علي بن إبراهيم بن جعفر ، قال : ضاق بنا الأمر فقال أبي : امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل يعني أبا محمد (ع) فقد وصف عنه سماحة ، فقلت : أتعرفه ؟ قال : لا والله ولا رأيته قط ، ثم قصدناه فقال أبي ونحن في الطريق : ليته يأمر لي بخمسمائة درهم مائتي درهم للكسوة ، ومائتي درهم للدقيق ومائة درهم للنفقة ، وقلت أنا في نفسي : ليته يأمر لي بثلاثمائة درهم مائة أشتري بها حماراً ، ومائة للنفقة ، ومائة للكسوة ، وأخرج إلى الجبل ، فلما وافينا الباب خرج علينا غلامه فقال : يدخل علي بن إبراهيم وابنه ، فلما دخلنا وسلمنا قال لأبي : يا علي ما خلفك عنا إلى هذا الوقت ؟ فقلت يا سيدي استحييت أن ألقاك على هذه الحال ، فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبي صرة فيها دراهم فقال : هذه خمسمائة درهم مائتان للكسوة غلامه فناول أبي صرة فيها دراهم فقال : هذه خمسمائة درهم مائتان للكسوة

ومائتان للدقيق ومائة للنفقة ، وأعطاني صرة وقال : هذه ثلاثمائة درهم اجعلها مائة في ثمن حمارك ، ومائة للكسوة ، ومائة للنفقة ، ولا تخرج للجبل ، وصر إلى سورا قال : فصار إلى سورا وتزوج امرأة منها ، فدخلُهُ اليوم أربعة آلاف دينار ومع هذا يقول بالوقف .

قال محمد بن إبراهيم الكردي : أتريد أمراً أبين من هذا . قال : صدقت ولكنا على أمر جرينا عليه قلت : هذا هو التقليد الذي ذمه الله تعالى في كتابه فقال حكاية عن الكفار : ﴿إِنَا وَجَدْنَا آبِاءَنَا عَلَى أُمَّةً وَإِنَا عَلَى آثَارِهُم مهتدون ﴾(١) .

ولله درّ من قال :

هم النور نور الله جل جلاله زها نورهم في الأفق في الصبح والمسا فوا عجباً من أمة شهدت لهم وقد جحدوهم بعد ما شاع فضلهم ولم يكفهم هذا وقد عمدوا لهم ولا مثل أبناء العمومة ويلهم أيقتل مثل العسكري الذي به عليه سلام الله ما ذر لعنة

يجلي بهم تلك الحنادس والظلم ولم يك نورهم في الليل يبدوعلى علم مناقب لا يأتي على عدها قلم وقد فضلوا في الخلق من أزل القِدم بسيف رسم حيث واروهم الرجم فلا راقبوا فيهم عهوداً ولا ذمم وجود الورى بعد التخلد في العدم على مستعين بالتوكل معتصم

وروي أنه لما مات أبوه علي بن محمد الهادي (ع) ، خرج إلى جنازة أبيه (ع) مشقوق الجيب ، فكتب إليه ابن عوف وقرابة بن نجاح بن سلمة : أرأيت أو بلغك أن أحداً من الأئمة (ع) شق ثوبه مثل هذا ؟ فكتب إليه : يا أحمق ما يدريك ما هذا قد شق موسى (ع) على هارون (ع) .

⁽١) سورة الزخرف ، الآية : ٢٢ .

وكتب إليه داود بن هاشم الجعفري يسأله عن قول الله عزّ وجلّ : وثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله فن الله عن الله من آل محمد (ص) الظالم لنفسه منا الذي لا يعرف حق الإمام ، والمقتصد منا العارف بحق الإمام ، والسابق بالخيرات هو الإمام (ع) قال : فدمعت عيني وجعلت أفكر في نفسي والسابق بالخيرات هو الإمام (ع) قال : فدمعت عيني وجعلت أفكر في نفسي في عظم ما أعطى الله آل محمد (ص) فنظر إليّ وقال : الأمر أعظم بما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد (ص) فاحمد الله ان جعلك متمسكاً بحبلهم به نفسك من عظم شأن آل محمد (ص) فاحمد الله ان جعلك متمسكاً بحبلهم بدعى يوم القيامة بهم إذا دعي كلّ أناس بإمامهم، إنك على خير .

وقعد إليه إسماعيل بن محمد بن علي بن إسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس قال : فلما مربي شكوت إليه الحاجة وحلفت له ليس عندي درهم واحد فما فوقه ، ولا غذاء ولا عشاء . قال : فقال (ع) : أتحلف بالله كاذباً وقد دفنت مائتي دينار ، وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطية ، أعطه يا غلام ما معك فأعطاني مائة دينار ، ثم قال لي : إنك تحرم الدنانير التي دفنتها ، وإنك أحوج ما يكون إليها ، وصدق (ع) فيما قال ، وذلك أني أنفقت ما وصلني واضطررت منا يكون إليها ، فيء أنفقه ، فأتيت إلى الدنانير التي دفنتها فلم أجدها ، فإذا ابن لي قد عرف موضعها فأخذها وهرب ، فما قدرت منها على شيء .

وقال علي بن زيد بن علي بن الحسين (ع) : كان لي فرس وكنت به متعجباً أكثر من ذكره في المجالس ، فدخلت يوماً على الحسن العسكري (ع) فقال : ما فعل فرسك ؟ فقلت : ها هو عند بابك الآن قد نزلت عن ظهره ، فقال (ع) : استبدل به قبل المساء إن قدرت على مشتر له لا تؤخر ذلك ، ودخل داخل فانقطع الكلام ، فقمت مفكراً وقلت : ما معنى ذلك ، وسرت إلى منزلي فأخبرت أخى فقال : ما أدري ما أقول في هذا ، وشححت به ، وأمسينا فلما

⁽١) سورة فاطر، الآية : ٣٢ .

صلينا العتمة جاءني السائس فقال: نفق فرسك الساعة ، فاغتممت وعلمت أنه عنى هذا بذلك القول ، ثم دخلت على أبي الحسن (ع) بعد أيام وأنا أقول في نفسي ليته يخلف علي دابة ، فلما جلست قال: قبل أن أحدثه بشيء: نعم يخلف الله عليك ، يا غلام أعطه برذوني الكميت. ثم قال: هذا خير من فرسك وأوطأ وأطول عمراً.

وقال أحمد بن محمد : كنت كتبت إلى أبي محمد الحسن (ع) حين أخذ المهدي في قتل الموالي يا سيدي الحمد لله الـذي شغله عنا ، فقد بلغني أنه يتهددك ويقول : والله لأخلينهم عن جـدد الأرض ، فوقع بخطه ذلك أقصر لعمره ، فعد من يومك هذا إلى خمسة أيام ، فيقتل يمر به في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف بموته . فكان كما قال (ع) .

ودخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حبس (ع) عنده وقالوا له : ضيق عليه ولا توسع فقال صالح : ما أفعل به فقد وكلت به رجلين من أشر ما قدرت عليه ، وقد صار إلى العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم ، ثم أمر بإحضار الموكلين فقال لهما : ويحكما وما شأنكما في أمر هذا الرجل ؟ فقالا له : ما تقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله ، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة ، فإذا نظر نظر إلينا ارتعدت فرائصنا ، ودخلنا مما لا نملكه على أنفسنا ، فلما سمع العباسيون انقلبوا .

وذكر جماعة من أصحابنا قالوا: سلم الحسن (ع) إلى حباس يقال له نحير ويقال نحرير فكان يضيق عليه ويؤذيه ، فقالت له امرأته: اتق الله فإنك لا تدري من في منزلك ، وذكرت له صلاحه وعبادته ، وقالت : إني أخاف عليك منه فقال : والله لأرمينه إلى السباع ، ثم استأذن الخليفة في ذلك فأذن له ، فرمى به إليها ولم يشكوا في هلاكه ، فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجدوه قائماً يصلي والسباع حوله ، فأمر بإخراجه إلى داره .

ولله در من قال :

لحى الله هدذا الخارجي بما جنا أيسرمي بهذا النور بغياً بسركة فنفسي فداء الذي جار دهره فاني عليه بعد ذلك في عنى وكيف وقد مضت مصيبته التي وخرت له السبع الطباق وزلزلت فيا مدعي حب الإمام فنح له وشق له جيب التصير والعزا

على من له أمر الخلافة والأمر السباع ولم ينهيه ردع ولا زجر عليه فأرداه الخداعة والعذر ونيران أحزاني يزيد لها سعر تكور منها الشمس والنجم والبدر لها طبقات الأرض بل نضب البحر بشجو عظيم في الزمان له نشر ومت أسفاً حياً وإن ضمّك القبر

والروايات في مناقبه (ع) كثيرة ، أجل من أن تستقصى ، وكيف تأتي أقلامي وجنود كلامي على من مدحه الله وأثني في الكتاب ، وجعله قدوة لعباده الأنجاب ، وقص مصيبته في ملائكته وأنبيائه إلى يـوم الحساب ، وفيمـا ذكرنـاه كفاية لثبوت إمامته (ع) التي أوجبها الخالق كلها وفتح بها تلك الأبواب .

الفصل الثالث

وقد سقي ذلك السم في أول شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين ، ومات في يـوم الجمعة لثمـان مضين منه من ذلك العام ، ولـه يوم وفـاتـه (ع) ثمـانيـة وعشرون سنة ، وكان أعظم سبب في هلاكه ما وشا به أخوه جعفر الكذاب حيث قد نازع الإمامة كما أخبره النبي (ص) الأواب .

وقد تقدم في خبر الكابلي الذي رواه عن مشائخه الثقاة المنبىء عن قصته مع عبدالله بن خاقان وزيره وولي الضياع والخراج ، أن ابن الرضا (ع) قد اعتل فركب من ساعته ، فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلًا ومعه من خدم أمير المؤمنين ، كلهم من ثقاته وخواصه فيهم نحرير ، فأمرهم بلزوم دار الحسين (ع) وتعرف خيره وحاله ، وبعث إلى نفر من المطبين فأمرهم بالإختلاف إليه وتعاهده صباحاً ومساء ، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف ، فأمر المطبين بلزوم داره ، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يثق بهم في دينه وأمانته وورعه ، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن (ع) وأمرهم بلزومه ليلًا ونهاراً ، فلم يزالوا هناك حتى توفي صلوات الله عليه ، فصارت سر من رأى في صيحة واحدة وبعث السلطان إلى داره ففتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها ، وطلبوا أثر ولده ، وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن جواريه ينظر إليهن ، فذكر

بعضهن أن جارية هناك بها حمل ، فجعلت في حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئة وعطلت الأسواق ، وركب بنو هاشم والقواد وعبدالله بن خاقان الوزير الأعظم وسار الناس إلى جنازته (ع) ، وكانت سر من رأى شبيهة بالقيامة ، فلما فرغوا من تهيئته (ع) بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه ، فلما وضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منه ، فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم ، والعبابسة ، والقواد ، والكتّاب ، والقضاة ، والمعدّلين ، وقال : هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا (ع) ، مات حتف أنف على فراشه حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ، ومن المطبين فلان وفلان ، ثم غطى وجهه وأمر بحمله من وسط داره (ع) ، ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه (ع) .

فلما دفن أخذ السلطان في طلب ولده ، وأكثر التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه (ع) ، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهموا عليها بالحمل ملازمين لها حتى تبين بطلان الحمل عندهم ، فقسموا ميراثه بين أمه وأخيه جعفر الكذاب ، وادعت أمه وصيته ، وثبت ذلك عند القاضي والسلطان وبطل أثر ولده ، فجاء بعد ذلك جعفر الكذاب إلى عبدالله بن خاقان فقال : اجعل لي مرتبة أخي (ع) وأوصل لك في كل سنة عشرين ألف دينار فنربره ، وقال : يا أحمق إن السلطان قد جرد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ، ليردهم عن ذلك ، فلم يتهيأ له ذلك ، فإن كنت عند شبعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة لك بالسلطان ولا غير السلطان في ترتيبك مراتبهم ، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا ، فاستقله عبيدالله بن خاقان عند ذلك واستضعفه ، وأمر أن يحجب عنه فلم يؤذن له بالدخول حتى مات ، وخرج وهو على تلك الحال يطلب أثر ولده الحسن بن علي (ع) .

وفي كتاب الإكمال عن محمد بن الحسن بن عباد قمال : مات أبو

محمد (ع) يوم الجمعة مع صلاة الغداة ، وكان في تلك الليلة قد كتب كتباً كثيرة إلى المدينة ، وذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون منه سنة ستين وماثتين من الهجرة ، ولم يحضره إلا صقيل الجارية وعقيد الخادم ومن علم الله غيرهما - وهو القائم عجل الله فرجه - فدعا بماء قد غلى بالمصطكي ، فجئنا به إليه ، فقال : ابدؤوا بالصلاة فوضئوني ، فجئنا بالمنديل فبسطناه في حجره وأخذ ابنه الماء من صقيل فغسل به وجهه وذراعيه مرة مرة ، ومسح على مقدمة رأسه وظاهر قدميه مسحاً وصلى صلاة الصبح على فراشه ، وأخذ القدح ليشرب وجعل القدح يضطرب ويضرب ثناياه ويده ترتعش ، فأخذت القدح من يده ومضى (ع) من ساعته ودفن في داره بسر من رأى إلى جانب أبيه (ع) ، وصار إلى كرامة الله تعالى وقد كمل عمره تسع وعشرون سنة .

قال وقال لي ابن عباد في هذا الحديث ، قدمت أمّ أبي محمد من المدينة واسمها حديث حين اتصل بها الخبر إلى سر من رأى ، فكانت لها أقاصيص يطول شرحها مع جعفر في مطالبته إياها بميراثه وسعايته بها إلى السلطان ، وكشف ما أمر الله تعالى بستره ، وادعت عند ذلك صقيل أنها حامل فحملت إلى دار المعتمد ، فجعلن نساء المعتمد وخدمه ونساء القاضي ابن أبي الشوارب يتعاهدن أمرها في كل يوم ووقت ، إلى أن دهمهم أمر الصفار وموت عبدالله بن يحيى بن خاقان بغتة ، وخروجهم من سر من رأى وأمر صاحب الزنج بالبصرة وغير ذلك وفي هذا قيل :

مضى خير خلق الله بعد محمد قضى وهو مسموم فوا لهفي لهم فلا وفق الله الموفق إذ أتى أدك رواسي الكائنات بأصلها وأخمد نور الله بعد سنائه في صبابة فيا قلبى المضنى أدم في صبابة

وآبائه تلك الكرام الأماجد فياك من نور إلهي خامد بخطب شنيع ياله من منابد وطبق أرباب النهي والفوائد وعظل أركان الهدى في الهوامد ويا دمع عينى سل دماً غير نافد

فقد مات سلطان الورى وابن خيرة فكيف ألذ العيش أو أعرف الكرى ستبكيك أعواد المنابر والدعا ويبكيك دين الله لما تعطلت فيا خير من قد ضمه باطن الحشا عليك سلام الله ما ذر شارق

الأنام وكهف للملا في الشدائد وأنت رهين في الشرى والجلامد وتبكيك أنواع الثنا والمحامد مداركه من ثابتات الأساند وياخير من قد حط بطن الملاحد وقام أذان الذكر من كل عابد

وفي كتاب الإكمال عن أبي الأديان قال: كنت أخدم الحسن بن علي العسكري (ع) ، وأحمل كتبه إلى الأمصار ، فدخلت عليه في علته التي توفي فيها (ع) ، فكتب معي كتباً وقال: امض إلى المدائن والأمصار فإنك مستغيب خمسة عشر يوماً وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل ، وتدخل إلى سر من رأى يوم الخامس عشر فترى ما أخبرتك به .

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدي إذا كان ذلك كذلك فمن آتيه ؟ قال: من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم قلت: زدني ، قال: من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي ، ثم منعتني هيبته أن أسأله عما في الهميان ، فخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ، ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما قال لي (ع) وإذا الواعية في داره وإذا هو على المغتسل ، وإذا بجعفر أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنونه ، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة لأني كنت أعرفه يشرب الخمر ويقامر في الجوسق ويلعب بالطنبور ، فتقدمت إليه فهنيته وعزيته فلم يسألني عن شيء .

ثم خرج عقيد الخادم فقال: يا سيدي قد كفن أخوك فقم للصلاة عليه ، فدخل جعفر والشيعة من حوله يقدمهم السمان والحسن بن علي قتيل المعتصم المعروف بسلمة ، فتقدم جعفر ليصلي على أخيه فلما همّ بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة بشعره قطط بأسنانه فلج فجذب رداء جعفر بن علي وقال: تأخر

فأنا أحق بالصلاة على أبي (ع) ، فتأخر جعفـر وقد اربـد واصفر وجهـ، فتقدم وصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه (ع) . فقال لي : يا بصري هات جوابات الكتب التي معك ، فدفعتها إليه وقلت في نفسي هـذه إثنتان ، بقي الهميـان ثم خرجت إلى جعفر الكذاب وهو يزفر وقال له حاجز الوشاء : يا سيدي من الصبي لنقيم الحجة عليه ؟ فقال : والله ما رأيته قط ولا أعرفه فبينما نحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي (ع) فعرفوا بموته ، فقالوا : فمن نعزي ، فأشار الناس إلى جعفر بن على فسلموا عليه وعزّوه وهنوه ، فقالوا: معنا كتب ومال ، فأخبرنا ممن الكتب وكم المال ، فقام وهو ينفض أثوابه وقال : تـريدون منا علم الغيب قبال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب من فبلان وفيلان، وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية ، فدفعوا الكتب والمال وقالوا: الذي وجه بك لأجل ذلك فهو الإمام ، فدخل جعفر بن على على الموفق وكشف ذلك له ، فوجه الموفق خدمه فضيقوا على صقيل الجارية وطلبوهما بـالصبي فأنكـرت وادعت حملًا بهـا لتغطى خبـر الصبي ، فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي فبلغهم موت عبيدالله بن يحيى بن خاقان وخروج صاحب الزنج بالبصرة ، فتشغلوا بذلك عن الجارية ، فخرجت من أيديهم والحمد لله رب العالمين.

ولله در من قال :

نفسي الفداء لسيد قدحت به طمست به أعلام دين محمد وعلا به طود الفسلالة والعمى وبه تغيب نور أحمد والذي وبقى الأنام بحيرة لا ترتجى يا قلبي الولهان مت أسفاً له إن الخلفة من له حكم الورى

تلك القوادح من بني العباس من بعد عدل صرن في انكساس وغدت شموس الحق في اطماس يجلو ظلام الحق والوسواس كشفاً لها مذغاب في الأرماس وتصدعي يا زفرة الأنفاس حكمت عليه طوائف الأرجاس فنفتمه من عقسر السديسار ببخيهسا ف إلهي عجل لسلانسام ظهسور من صلى الإلسه عليسه مسا هبت صبساً

حتى تغيب خفيفة الأرجاس يحي الورى عن وصمة الخناس وهناً ففاح أريج طيب الآسي

وفي الإكمال عن سيار الموصلي قال: لما قبض سيدنا أبو محمد الحسن العسكري (ع)، قدم قـوم من قم ومعهم الجمال وفـود بالمـال التي كانت على الرسم، ولم يكن عندهم خبر وفاته، فقيل لهم إنه (ع) قد فقـد فقالـوا: فمن وارثه ؟ قالوا: أخوه جعفر الكذاب بن علي الهادي، فسألوا عنه قيـل لهم: إنه قد خرج متنزها وركب زورقا ولحقه بالدجلة يشـرب الخمر ومعـه المغنين قال: فتشـاور القوم وقـالوا: ليس هـذه صفة الإمـام فقال بعضهم لبعض: امضـوا بنا حتى نرد هذه الأموال إلى أهلها، فقال أبو العباس جعفر بن محمـد الحميري: قفوا بنا حتى يرجع هذا الرجل ونختبر أمره على الصحة.

قال: فلما انصرف دخلوا عليه فسلموا عليه وقالوا: يا سيدنا نحن قوم من قم ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها، وكنا نحمل إلى سيدنا الحسن بن علي (ع) الأموال فقال: وأين هي ؟ فقالوا: معنا فقال: احملوها إلي فقالوا: إن هذه الأموال تجمع إن لهذه الأموال خبراً طريفاً قال: فما هو ؟ فقالوا: إن هذه الأموال تجمع ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران ثم يجعلونها في كيس ويجتمعون عليه، وكنا إذا أوردنا المال إلى سيدنا أبي محمد (ع) يقول: جملة المال كذا وكذا دينار من عند فلان كذا وكذا، ومن عند فلان كذا وكذا ، حتى يأتي على أسماء أصحابه كلها ويقول بما على الخواتيم من النقش فقال جعفر: كذبتم تقولون على أخي بما لا يفعل ، هذا علم الغيب. فلما سمع القوم كلامه جعل ينظر بعضهم إلى بعض فقال: ألا تحملون هذا المال إليّ ؟ فقالوا: إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب المال، ولا نسلم المال إلّا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا الحسن بن علي (ع) ، فإن كنت الإمام فبرهن لنا وإلّا رددنا المال إلى أصحابه يرون فيه رأيهم.

قال: فدخل جعفر على الخليفة وكان بسر من رأى ، فاستدعى عليهم ، فلما حضروا قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر فقالوا: أصلح الله أمير المؤمنين ، إنا قوم مستأجرون ووكلاء لأرباب هذه الأموال ، وهي وديعة لجماعة عندنا وأمرونا ألا نسلمها إلا بعلامة ودلالة ، وقد جرت هذه العادة مع أبي محمد (ع) فقال الخليفة: ما الدلالة لأبي محمد (ع) ؟ قال القوم كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي ، فإذا فعل ذلك سلمنا إليه المال ، وقد وفدنا عليه مراراً فكانت هذه علامتنا معه (ع) ودلالتنا ، وقد مات فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر ، فليقم لنا ما كان يقيم لنا أخوه وإلا رددناها على أصحابها . فقال الحليفة: القوم رسل وما على الرسول إلا أخي ، وهذا علم الغيب . فقال الخليفة: القوم رسل وما على الرسول إلا البلاغ المبين ، قال : فبهت جعفر ولم يحر جواباً فقال القوم : يقول أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى من يدبرنا حتى نخرج من هذه البلدة ، قال : فأمر الهم بنقيب فأخرجهم منها .

فلما أن خرجوا من البلد خرج لهم غلام أحسن الناس وجهاً كأنه خادم ، فنادى يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان أجيبوا داعي الله أجيبوا مولاكم ، فقالوا : أنت منولانا ؟ فقال : معاذ الله ، أنا عبد مولاكم فسيروا إليه قالوا : فسرنا معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي (ع) وإذا ولده القائم (ع) سيدنا قاعد على سرير كأنه فلقة قمر عليه ثياب خضر ، فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقال : جملة المال كذا وكذا ديناراً ، حمل فلان كذا ، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع ، ثم وصف ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدواب ، فخررنا سجداً لله عزّ وجلّ شكراً ، وقبّلنا الأرض بين يديه ، ثم سألنا عما أردنا فأجابنا ، وحملنا إليه الأموال وأمرنا القائم (ع) أن لا نحمل إلى سر من رأى بعد هذا شيئاً من المال ، وانه ينصب إلينا في بغداد رجلاً نحمل إليه الأموال ، ويخرج من عنده التوقيعات ، قال : فانصرفنا من عنده ، ودفع إلى أبي العباس جعفر بن محمد الحميري شيئاً من الحنوط والكفن ، وقال : عظم الله أجرك في نفسك .

قال : فما بلغ أبو العباس عقبة همدان حتى توفي رحمه الله ، وكان بعد ذلك تحمل الأموال إلى بغداد إلى النواب المنصوبين وتخرج منهم التوقيعات .

ولما قدم الحسن (ع) على ربُّه ، واستتر عن أهله وأصحابه ، ووقعت الغيبة الصغرى ، ولم يعلم به ولا يدري من نصب لقبض الأموال والأخماس وإزالة الوسواس الخناس من الناس وكشف الشكوك والأقياس ، فذهبت الخواص من شيعته إلى الاطلاع على أمره واستجلاء ديجور ليل استتار نور بدره ، وكان ممن طلب إبراهيم بن مهزيـار وهو من الثقـاة الأخيار قـال : قدمت المدينة مدينة الرسول (ص) فبحثت عن أخبار آل أبي محمد الحسن بن على (ع) الأخير ، فلم أقع على شيء منها ، فرحلت إلى مكة مستبحثاً عن ذلك ، فبينما أنا في الطواف الأخير إذ تراءى لي فتى أسمر اللون ، ربع ، حسن الوجه ، جميل المخيلة ، يطيل التوسم إلى ، فعمدلت إليه مؤملًا منه عرفان الوجه لما قصدت إليه ، فلما قربت منه سلمت عليه فأحسن الرد والإجابة ، ثم قال : من أي البلاد أنت ؟ قلت : أنا رجل من العراق ، قال : من أي العراق أنت ؟ فقلت : من الأهواز ، قال : مرحباً بلقائك ، هل تعرف بها جعفر بن محمد الحضيني ؟ قلت : دعى فأجاب قال : رحمة الله عليه ما كان أطول ليله وأجزل نيله ، فهل تعرف إبراهيم بن مهزيار ؟ فقلت : أنا إبراهيم بن مهزيار ، فعانقني ملياً ثم قال : مرحباً بك يا أبا إسحاق ما فعلت العامة التي وشجت بينك وبين أبي محمد ، قلت : لعلك تريد الخاتم الذي آثرني الله بـ من طيب أبي محمد بن علي (ع) ؟ فقال : ما أردت سواه ، فأخرجته إليه ، فلما نظر إليه استعبر وقبله ، ثم قرأ كتابته وكانت : يا الله يـا محمد يـا على ثم قال : يـا أبا إسحاق أخبرني من عظيم ما توخيت به بعد الحجج قلت : وأبيك ما نـوخيت إلا ما سأستعلمك مكنونه قال : سل عما تريد فإني شارح لك إن شاء الله تعالى ، قلت : هل تعرف من آل أبي محمد الحسن بن علي (ع) شيئاً ؟ قـال : وأيم الله إني لأعرف الضوء من جبين محمد (ع) وموسى أبناء الحسن بن علي (ع) ، ثم

إني لرسولهما إليك قـاصداً لأنبئـك أمرهما ، فإذا أحببت لقـاءهما والإكتحـال بالتبرك بهما فارتحل معي إلى الطائف ، وليكن ذلك في خفية واكتتام .

قال إبراهيم: فشخصت معه إلى الطائف نتخلل رملة رملة حتى أخذ في بعض مخارج الفلوات، فبدت لنا خيمة شعر قد أشرفت على أكمة رمل تتلألأ تلك البقاع منها تلألأ، فبدرني إلى الإذن ودخل مسلماً عليهما وأعلمهما بمكاني فخرج علي أحدهما وهو الأكبر سناً، المهدي بن الحسن (ع) وإذا هو غلام أمرد، ناصع اللون، واضح الجبين، أزج الحاجبين، مسنون الخد، أقنى الأنف، أشم أروع، كأنه غصن بان، صفحة غرته كوكب دري بخده الأيمن خال كأنه قناة مسك على بياض الفضة، له سمة ما رأت العيون أقصد منه ولا أعرف حسناً وسكينةً وحياءً.

فلما مثل لي أسرعت إلى تلقيه ، فأكببت عليه ألثم كل جارحة منه ، فقال : مرحباً بك يا أيا إسحاق ، لقد كنت اليوم تعدني وشك لقائك ، والمقالب بيني وبينك على تشاحط وخيال المشاهدة ، وأنا أحمد الله ربي على ما قيض من التلاقي ورفه من كربة التنائي والاستشراف ، ثم سألني عن أحوالي متقدمها ومتأخرها فقلت : بأبي وأمي ما زلت [أسأله] عن أمرك بلداً بلداً منذ استأثر الله سيدي أبا محمد فاستغلق ذلك علي ، حتى منَّ الله علي بمن أرشدني إليك ودلني عليك ، والشكر لله على ما أوزعني فيك من كريم اليد والطول ، ثم نسب نفسه (ع) وأخاه موسى واعتزل بي ناحية ، ثم قال لي : إن أبي صلوات الله عليه عهد لي أن لا أوطن من أرض الله إلا أخفاها وأقصاها إسراراً لأمري ، وتعصيناً لمحلي ومن كيد أهل الضلال والمردة من احداث الأمم الضؤال ، فأنبذني إلى عثيالة التلال والرمال وجنبني صرائم الأرض ، ينتظر لي الغاية التي عندها يحل الأمر وينجلي الهلع ، وكان بسط لي من خزائن الحكم وكوامن العلم ما ان نعشت إليك منه جزءاً أغناك عن الجملة .

اعلم يا أبا إسحاق أنه قال صلوات الله عليه : يا بني إن الله جل ثناؤه لم

يكن يخلى أطباق أرضه وأهل الجد في طاعته وعبادته بـلا حجة يستعمل بها ، وإماماً يؤتم به ويقتدي بسبيل سنته ومنهاج قصده ، وأرجو يا بني أن تكون أحد من عـده الله تعالى لنشـر الحق وطي الباطـل وإعـلاء الـدين واطفـاء الضـلال ، فعليك يا بني بلزوم خوافي الأرض واتبع قواصيها ، فإن لكل ولي من أوليـاء الله عدوأ مقارعاً وضداً منازعاً افتراضاً لثواب مجاهدة أهل نفاقه وخلافه أولى الإلحاد والعناد ، فلا يوحشنك ذلك واعلم أن قلوب أهل الطاعة والإخلاص تفزع إليـك كالأطيار إلى أوكارها ، وهم معشر يطلعون بمخايل الذلة والإستكانة وهم عند الله بررة يبتزون بأنفس مختلفة محتاجة ، وهم أهل القناعـة والإعتصام استبـطوا الدين فوازروه على مجاهدة الأضداد ، وخصهم الله باحتمال الضيم في الدنيا ليشملهم اتساع العز في دار القرار ، وجبلهم على خلائق الصبر على موارد أمورك تفز بدرك الصنيع في مصادرها ، واستشعر العز في ما ينويـك تحض بما عليه إن شاء الله تعالى ، وكأنـك بتأييـد نصر الله وقـد آن ، وبتيسير الفـرج وعلو الكعب وقد حان ، وكأنك بالرايات الصفر والأعلام البيض تخفق على أثناء أعطافك ما بين الحطيم وزمزم ، وكأنـك بترادف البيعـة وتصادف الـولى يتناظم عليك الدار في مثاني العقود وتصافق الأكف جنات الحجر الأسود تلوذ بفنائك من ملاً برأهم الله في طهارة الولادة ونفاسة التربة ، مقدسة قلوبهم من دنس النفاق مهذبة أفئدتهم من رجس الشقاق لينة عرائكهم للدين ، خصبة ضرائبهم على المعتدين ، واضحة بالقبول وجوههم نضرة بالفضل عيدانهم ، يدينون بدين الحق وأهله ، فإذا اشتدت أركانهم وتقومت أعمدتهم قدمت بمكاففتهم طبقات الأمم إلى بيعتك في ظلال دوحة بسقت أفنان غصونها على حافات بحيرة الطبرية ، فعندما يتلألأ صبح الحق وينجلي ظلام الباطل ويقصم الله بك الطغيان ويعيد معالم الإيمان فيطهر بك أقسام الأفاق ويظهر بك السلام الرقاق ، يود الطفل في المهد لو استطاع إليك نهوضاً لنهض ونواشط الوحش لو وجد نحوك مجازأ تهتز بك أطراف الدنيا بهجة وتهتز بك أعطاف العز نظرة وتستقر بواقى الحق في قرارها وتثوب شوارد الدين إلى أوكارها تتهاطل عليك سحائب الظفر ويخنق كل عدو وينصر كل ولي ، فلا يبقى على وجه الأرض جبار قاصد ولا جاحد فاجر غادر غامض ولا شأن مبغض ولا معاند كاشح ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾(١) .

ثم قال (ع): يا أبا إسحاق ليكن مجلسي هذا عندك مكتوماً إلاّ عن أهل التصديق والأخوة الصادقة في الدين ، وإذا بدت لك تلك الإمارات والتمكن فلا تبطىء بإخوانك عنا، وبأهل المنازعة إلى منار اليقين وضياء مصابيح الدين .

قال إبراهيم بن مهزيار (رض): فمكثت عنده حيناً أقتبس ما يروي من موضحات الأعلام ونيرات الأحكام، وأروي نبات الصدور من نضارة ما ذخره الله في طبعائه من لطائف الحكمة وطرائف فواضل القسمة، حتى خفت إضاعة مخلفي بالأهواز لتراخي اللقاء عنهم، فاستأذنته في القفول وأعلمته عظيم ما أصدر به عنه من التوحش لفرقته والتجرع للظعن عن مجالسته، فأذن لي، وأردفني بصالح دعائه ما يكون عند الله ذخراً لي ولعقبي ولقرابتي ان شاء الله تعالى.

فلما أزف ارتحالي وتهيأ اعتزام سفري ، غدوت عليه مودعاً مجدداً للعهد ، وعرضت عليه مالاً كان معي يزيد على خمسين ألف درهم ، وسألته أن يتفضل بقبوله مني ، فتبسم (ع) وقال : يا أبا إسحاق استعن بها على مصرفك فإن الشيعة مدنفة وفلوات الأرض أمامك جمة ، ولا تحزن لإعراضنا عنه فإنا قد أحدثنا لك شكره ونشره وربطناه عندنا بالتذكرة وقبول المئة ، وبارك الله لك فيما حولك وأدام لك ما هو لك وكتب لك ثواب المحسنين وأكرم آثار الطائعين ، فإن الفضل له ومنه ، واسأل الله تعالى لأصحابك بأوفر الحظ وسلامة الأربة وأكناف الغبطة بلين المنصرف ، ولا أوعث الله لك سبيلاً ولا حيّر لك دليلاً ، واستودعه نفسك وديعة لا تضيع ولا تزول بمنه ولطفه ان شاء الله تعالى ، يا أبا إسحاق

⁽١) سورة الطلاق ، الآية : ٣ .

متعنا الله بفوائد إحسانه وفوائد امتنانه ، وصان أنفسنا في معاونة الأوصياء لنا على الإخلاص في النية وامحاظ النصيحة ومحافظة على ما هو أبقى وأرفع ذكراً .

قال: فقمت من عنده وأقفلت حامداً لله عنز وجل على ما هداني وأرشدني ، عالماً بأن الله لم يكن ليعطل أرضه ولا ليخليها من حجة واضحة وإمام قائم ، وألقيت هذا الخبر المأثور والنسب المشهور توخياً للزيادة في سائر أهل اليقين ، وتعريفاً لهم بما من الله عز وجل به من إنشاء الذروة الطيبة والتربة الزكية ، وقصدت أداء الأمانة ، والتسليم لما استبان ليضاعف الله تعالى للملة الهادية والطريق المرضية قوة عزم وتأييد نية وشدة واعتقاد عصمة ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾(١) .

وهذا الحديث قد جلاعن الصدور وعرى الشكوك والريبة ، ويكشف أستار الغيبة عن أسرار الرجوع والأوبة ، ويمكن في قلوب المؤمنين أعمدة الثبات على الإيمان والتصديق والبعد عن الزلة والحوبة ، ولقد أمرضت مصيبة فقد والده (ع) قلوب أوليائه المؤمنين ، وطبقتها غيوم عموم الغيبة عن الأعين لاختلال الدين ، وتسليط الفاسقين والمضلين على أرباب الحق واليقين ولولا ما ندبنا إليه من التأسي بهم والصبر على مضاضة هذه اللواذع الصادرة في هذه الأيام ، لبكينا بدل الدموع دماً ، وجعلنا العمر كله مأتماً ، فأي مصيبة أعظم من هذه النائبة المنيبة ، فلقد أحدثت فينا فتنا ليس منتهي لحدها وبلايا لا يأتي الحساب على عدها ، ونسأل الله سبحانه ليس منتهي لحدها وبالايا لا يأتي الحساب على عدها ، ونسأل الله سبحانه الثبات على الإيمان بأربابها ، والكون في خدمة ناصريها وأصحابها ، وأن يدير تلك الأفلاك من سماوات العدل بإيثار نوائبها ولنختم هذا الكتاب ببعض الأبيات تلك الأفلاك من سماوات العدل بإيثار نوائبها ولنختم هذا الكتاب ببعض الأبيات التي حملنا الحزن والتأوه عليها والشرب من أوصابها ونعزى بها صاحب العزاء التي حملنا الحزن والتأوه عليها والشرب من أوصابها ونعزى بها صاحب العزاء التي حملنا الحزن والتأوه عليها والشرب من أوصابها ونعزى بها صاحب العزاء

⁽١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣ .

وآله الطاهرين ، ابتغاء لثوابها ورجاءً لنيل الدخول في جناته وفتح أبوابهـا وهذه الأبيات هي :

جل المصاب بسيد السادات أعنى نتيجة من علا فوق السهى ختم الإمام بابنه حقاً كما بئس الرمان فقد أراهم جوره فسقى النبي كؤوس سم ناقع وغدا الوصى بسيف ابن قدارها وسقت جعيمدة لملزكي سممومهما والفرقد الثاني مضى في كربلا من بعدما خدعت له في كتبها منعوه شرب الماء حتى إن قضا ونساؤه أسرت وقد شهدت له وعمليله زيىن العمابمدين مقيمدأ كم نبال من بعبد التعبزز ذلبة والساقس المسولى كندلك ابنه والكاظم المسموم من أردى الورى ولذى الرضا جارت عليه ببغيها وعدت على المولى الجواد وقوضت والسيد الهادي لقد أردته في والعسكري أبو الإمام ببغيها وتقصدت ابن الخليفة سيدي أغبر آفاق البلاد وكورت والدرس مندرس وباب الشرع في ومنسابس السوعاظ لا وعظ بهسا

نجل الأئمة أفضل القادات وانحط عنيه عياليات سمات ختم النبوة جده بشبات ورماهم بسمهامه وشتات وأعل فاطم بعد ضغط جنات لرضا قطام مجدلًا بصلاة في نسك صوم يا لها نكسات بسيموف أشقاها وشرعداة فأتى لها بالأهل خير حماة مقطوع رأس شيبل فوق قنساة فموق الرغمام مرضض الجنبات لا راحم منهم له بجهات فقضا بسم ناقع وترات قتلتهما أشرارها لهنات من بعد تعنيف وذل حياة ابنسا العمومة أقلز القذرات تلك القياب فيالها نكبات عجل وشرعصابة وبعاة جلبت لـه من سمها الكاسات يشير ورها فغيدا بيدار شتات شمس المعلوم وعطل الأيات غلق ورايات الهدى نكسات ومحارب أمست بغيسر صلاة

لاقيم فيها بغير حماة أخذ الدخول من العدا وبغاة واغمده في أعناق شرعداة وبنو أمية والعمومة عات وسبوا حريمك يا بن حمات من بعد ذبيح مفضع وشتات في العالمين وبين الأيات في العالمين وبين الأيات فيكم أقل قليل في المدحات فيكم أقل قليل في المدحات عنا الذوب ومعظم السيئات رغدت تأمكم مدى الساعات

والمحكمات البينات تعطلت يا صاحب العصر الذي فرض له عجل وجرد سيف جدك أحمد لا سيما تيم لها وعديها فلقد أبادوا نسلكم وتمردوا حملوا لرأس حسين فوق سنانهم قم فالرأس شاب من البلايا والعنا أهديتكم قدري وما قد قلته منعوا علينا بالقبول وكفروا صلى إله الخلق خير صلاته فاللعن في أعدائكم متواتر

وهذا آخر ما أوردناه في وفاة إمامنا وابن إمامنا الحسن العسكري ، عليه وعلى آبائه وابنه السلام على التمام والكمال ، ونستغفر الله العظيم عن السهو ، والغلط ، والعمد ، والنسيان ، إنه غفور منّان ، والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على من لا نبي بعده محمد وآله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً مباركاً آمين .

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة ظهر يوم السادس من شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٤ الرابعة والستين وثلاثمائة والألف هجرية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة والسلام والتحية .



تأليف العلا<u>م</u>ة الجليل *لثيخ فرج آل عموان القطي*في

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الميامين ، ولعنة الله على أعدائهم الظالمين .

وبعد: فيقول الراجي لعفو ربّه المنان ، فرج بن حسن بن أحمد العمران ، هذه وفاة الصديقة الصغرى قد اقتطفتها من كتاب (زينب الكبرى) تأليف العلّمة الجليل الشيخ جعفر بن محمد النقدي ، المتوفى في اليوم التاسع من شهر محرم الحرام من السنة التاسعة والستين والثلاثمائة والألف من الهجرة النبوية ، إجابة لالتماس بعض المؤمنين راجياً من الله سبحانه أن ينفعني بها وإياهم ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ (١) وقد رتبتها على أربعة فصول:

سورة الشعراء ، الآية : ٨٨ ـ ٨٩ .

الفصل الأول فى ميلادها وكناها وألقابها ونشأتها وتزويجها

كانت ولادة الميمونة الطاهرة ، والدرة الفاخرة ، في اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى ، في السنة الخامسة _ أو السادسة للهجرة _ على ما حققه بعض الأفاضل . وقيل في غرة شعبان في السنة السادسة .

وعن الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته الزينبية: ولـدت في حياة جدها رسول الله (ص)وكانت لبيبة جزلة عاقلة لها قوة جنان ، فإن الحسن (ع) ولـد قبـل وفـاة جـده بثمـان سنين ، والحسين (ع) بسبع سنين وزينب الكبـرى بخمس سنين انتهى كلامه .

ولما وللت (ع): جاءت بها أمها الزهراء إلى أبيها أمير المؤمنين (ع) وقالت له: سم هذه المولودة ؟ فقال (ع) ما كنت لأسبق رسول الله (ص) وكان في سفر له، ولما جاء النبي (ص) وسأله عن اسمها فقال: ما كنت لأسبق ربي تعالى، فهبط جبرائيل يقرأ على النبي (ص) السلام من الله الجليل وقال له: سم هذه المولودة (زينب) فقد اختار الله لها هذا الإسم، ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب، فبكى النبي (ص) وقال: من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين (ع) وتكنى بأم كلشوم، وأم الحسن، وتلقب: بالصديقة الصغرى، والعقيلة، وعقيلة بني هاشم، وعقيلة الحسن، وتلقب: بالصديقة الصغرى، والعقيلة، وعقيلة بني هاشم، وعقيلة

الطالبيين ، والموثقة ، والعارفة ، والعالمة غير المعلمة ، والكاملة ، وعابدة آل علي ، وغير ذلك من الصفات الحميدة والنعوت الحسنة ، وهي أول بنت ولدت لفاطمة صلوات الله عليها .

ولقد كانت نشأة هذه الطاهرة الكريمة وتربية تلك الدرة اليتيمة في حضن النبوة ، ودرجت في بيت الرسالة ، رضعت لبان الوحي من ثدي الزهراء البتول ، وغذيت بغداء الكرامة من كف ابن عم الرسول (ص) فنشأت نشأة قدسية وربيت تربية روحانية متجلبة جلابيب الجلال والعظمة ، متردية رداء العفاف والحشمة ، فالخمسة أصحاب العباء (ع) هم الذين قاموا بتربيتها وتثقيفها وتهذيبها ، وكفى بهم مؤدبين ومعلمين .

ولما غربت شمس الرسالة ، وغابت الأنوار الفاطمية ، وتزوج أمير المؤمنين (ع) بامامة بنت أبي العاص وأمها زينب بنت رسول الله (ص) بوصية من الزهراء (ع) إذ قالت : وأوصيك أن تتزوّج بأمامة بنت أختي زينب ، تكون لولديَّ مثلي فقامت أمامة بشؤون زينب خير قيام كما كانت تقوم بشؤون بقية ولد فاطمة (ع) ، وكانت أمامة هذه من النساء الصالحات القانتات العابدات ، وكانت زينب (ع) تأخذ التربية الصالحة والتأديب القويم من والدها الكرار وأخويها الكريمين الحسن والحسين (ع) إلى أن بلغت من العلم والفضل والكمال مبلغاً عظيماً .

ولما بلغت صلوات الله عليها مبلغ النساء ، ودخلت من دور الطفولة إلى دور الشباب ، خطبها الأشراف من العرب ورؤساء القبائل ، فكان أمير المؤمنين (ع) يردهم ولم يجب أحداً منهم في أمر زواجها ، وممن خطبها الأشعث بن قيس وكان من ملوك كندة على ما في الإصابة ، فربره أمير المؤمنين (ع) وقال : يا ابن الحائك أغرك ابن قحافة زوجك أخته والحائك هنا المحتال والكذاب ـ وكان أبو بكر زوّج أخته أم فروة بنت أبي قحافة من الأشعث ، وذلك أن الأشعث ارتد فيمن ارتد من الكنديين وأسر ، فأحضر

إلى أبي بكر فأسلم وأطلقه وزوّجه أخته المذكورة ، فأولدها محمد بن الأشعث وهو أحد قتلة الحسين (ع) ، ثم أن الذي كان يدور في خلد أمير المؤمنين (ع) أن يروج بناته من أبناء إخوته ليس إلا امتثالاً لقول النبيّ (ص) حين نظر إلى أولاد علي (ع) وجعفر وقال : بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا ، ولذلك دعا بابن أخيه عبدالله بن جعفر وشرفه بتزويج تلك الحوراء الإنسية إياه على صداق أمها فاطمة أربعمائة وثمانين درهماً ، ووهبها إياه من خالص ماله (ع) .

وذكر بعض حملة الآثار أن أمير المؤمنين (ع) لما زوج ابنته من ابن أخيه عبدالله بن جعفر اشترط عليه في ضمن العقد أن لا يمنعها متى أرادت السفر مع أخيها الحسين ، وكان عبدالله بن جعفر أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة ، وكان ممن صحب رسول الله (ص) وحفظ حديثه ثم لازم أمير المؤمنين (ع) والحسين (ع) وأخذ منهم العلم الكثير .

قال في الإستبعاب: وكان كريماً ، جواداً ، ظريفاً ، خليقاً ، عفيفاً ، سخياً ، وأخبار عبدالله بن جعفر في الكرم كثيرة ، وكان يدعوه النبي (ص) من أيسر بني هاشم وأغناهم ، وله في المدينة وغيرها قرى وضياع ومتاجرة عدا ما كانت تصله من الخلفاء من الأموال ، وكان بيته محط آمال المحتاجين ، وكان لا يرد سائلاً قصده ، وكان يبدأ الفقير بالعطاء قبل أن يسأله فسئل عن ذلك فقال : لا أحب أن يريق ماء وجهه بالسؤال ، حتى قال فقراء المدينة بعد موته : ما كنا نعرف السؤال حتى مات عبدالله بن جعفر ، فيحق له أن يتمثل بقول الشاعر :

نحن أناس نوالهم خضل يرتبع فيه الرجاء والأمل تجود قبل السؤال أنفسنا خوفاً على ماء وجه من يسل

ولا زالت الصديقة زينب الكبرى سلام الله عليها في بيت زوجها عبدالله بن جعفر الجواد ، وهو من علمت ثروته ، ويساره ، وكثرة أمواله ، وخدمه ، وحشمه يوم ذاك كانت تخدمها العبيد والاماء والأحرار ، ويـطوف حول بيتها الهلاك من ذوي الحوائج وطالبي الاستجداء ، وكـان بيتها الـرفيع وحـرمها المنيع لا يضاهيه في العز والشرف وبعد الصيت إلا بيوت الخلفاء والملوك .

وقد ولدت لعبدالله بن جعفر كما في الجزء الثاني من تاريخ الخميس علياً وعوناً الأكبر وعباساً وأم كلثوم ، وذكر النوري في تهذيب الأسماء واللغات جعفراً الأكبر ، وذكر السبط بن الجوزي في تذكرة الخواص محمداً ، فأما العباس وجعفر ومحمد فلم نقف لهم على أثر ولا ذكرهم النسابة من المعقبين ، وأما على وهو المعروف بالزينبي ففيه الكثرة والعدد ، وفي ذريته الذيل الطويل والسلالة الباقية .

وأما عون الأكبر فهو من شهداء الطف ، قتل في جملة آل أبي طالب ، وتوفي وهو مدفون مع آل أبي طالب في الحفيرة مما يلي رجلي الحسين (ع) ، وتوفي عبدالله بن جعفر رضي الله عنه في المدينة المنورة سنة ثمانين من الهجرة النبوية عام الحجاف ـ وهو سيل كان ببطن مكة حجف بالناس فذهب بالحاج والجمال بأحمالها وذلك في خلافة عبدالله بن عبد الملك بن مروان ـ وصلى عليه السجاد أو الباقر (ع) كان أمير المدينة يـومئذ أبان بن عثمان ، وخرجت الولائد خلف سريره قد شققن الجيوب والناس يزدحمون على سريره ، وممن حمل السرير أبان بن عثمان وما فارقه حتى وضعه بالبقيع ودموعه تسيل وهو يقول : كنت والله شريفاً واصلاً براً ، قال هشام المخزومي : أجمع أهل الحجاز وأهل البصرة وأهل الكوفة على أنهم لم يسمعوا ببيتين أحسن من بيتين رأوهما على قبر عبدالله بن جعفر وهما :

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى وأنت قريب تريد بلى في كل يوم وليلة وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

الفصل الثاني في شرفها ، وعلهما ، وعبادتها ، وزهدها

أما شرفها (ع): فهو الشرف الباذخ الذي لا يفوقه شرف ، فإنها من ذرية سيد الكاثنات وأشرف المخلوقات محمد بن عبدالله (ص) ، قال رسول الله (ص): كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم ، وعنه (ص): أن الله عزّ وجلّ جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وأن الله تعالى جعل ذريتي في صلب عليّ بن أبي طالب (ع). فهذا الشرف الحاصل لزينب (ع) شرف لا مزيد عليه ، فإذا ضممنا إلى ذلك أن أباها علي المرتضى وأمها فاطمة الزهراء ، وجدتها خديجة الكبرى ، وعمها جعفر الطيار في الجنة وعمتها أم هانىء بنت أبي طالب ، وأخواها سيدا شباب أهل الجنة ، وأخوالها وخالاتها أبناء رسول الله (ص) وبناته ، فماذا يكون هذا الشرف وإلى وأخوالها وزهدها وورعها وكثرة عبادتها ومعرفتها بالله تعالى ، كان شرفها وتقواها وكمالها وزهدها وورعها وكثرة عبادتها ومعرفتها بالله تعالى ، كان شرفها شرفاً خاصاً بها وبأمثالها من أهل بيتها ومما زاد في شرفها ومجدها أن الخمسة الأطهار أهل العباء (ع) كانوا يحبونها حباً شديداً .

وحدّث يحيى المازني قال: كنت في جوار أمير المؤمنين في المدينة مدة مديدة ، وبالقرب من البيت الـذي تسكنه زينب ابنته ، فلا والله مـا رأيت لهـا شخصاً ولا سمعت لها صوتاً ، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله تخرج ليلاً والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين (ع) أمامها ، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين (ع) فأخمد ضوء القناديل ، فسأله الحسن (ع) مرة عن ذلك فقال (ع) : أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب .

وورد عن بعض المطلعين أن الحسن (ع) لما وضع الطشت بين يديه وصار يقذف كبده وسمع بأن أخته زينب تريد المدخول عليه أمر وهو في تلك الحال برفع الطشت إشفاقاً عليها ، وجاء في بعض الأخبار أن الحسين (ع) كان إذا زارته زينب يقوم إجلالاً لها وكان يجلسها في مكانه ، ولعمري إن هذه منزلة عظيمة لزينب (ع) وأخيها الحسين (ع) .

كما أنها كانت أمينة أبيها على الهدايا الإلهية .

ففي حديث مقتل أمير المؤمنين (ع) الذي نقله المجلسي في تاسع البحار نادى الحسن (ع) أخته زينب أم كلشوم: هلمي بحنوط جدي رسول الله (ص) فسادرت زينب مسرعة حتى أتت به ، فلما فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب ، وقال الفاضل الأديب حسن قاسم في كتابه (السيدة زينب السيدة المساهرة السزكية) ، زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (ع) ابن عم الرسول (ص) وشقيقة ريحانتيه لها أشرف نسب وأجل حسب وأكمل نفس وأطهر قلب ، فكأنها صيغت في قالب ضمّخ بعطر الفضائل ، فالمستجلي آثارها يتمثل أمام عينيه رمز الحق رمز الفضيلة رمز الشجاعة رمز المروءة ، فصاحة اللسان قوة الجنان مثال الزهد والورع ، مثال العفاف والشهامة المروءة ، فصاحة اللسان قوة الجنان مثال الزهد والورع ، مثال العفاف والشهامة ان في ذلك لعبرة . وقال أيضاً فإن عد في النساء الشهيرات فالسيدة أولاهن وإذا عدت الفضائل فضيلة فضيلة من وفاء وسخاء وصدق وصفاء وشجاعة وإباء وعلم وعبادة وعفة وزهادة فزينب أقوى مثال للفضيلة بكل مظاهرها .

وقـال العلامـة السيد جعفـر آل بحر العلوم الـطباطبـاثي في كتابــه (تحفة

العالم) المطبوع بالنجف زينب الكبرى زوجة عبدالله بن جعفر تكنى أم الحسن ، ويكفي في جلالة قدرها ونبالة شأنها ما ورد في بعض الأخبارمن أنها دخلت على الحسين (ع) وكان يقرأ القرآن ، فوضع القرآن على الأرض وقام إجلالاً لها .

وقال محمد علي المصري في رسالته التي طبعها بمصر السيدة زينب رضي الله عنها: هي بنت سيدي الإمام علي كرم الله وجهه ، وبنت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) ، وهي من أجل أهل البيت حسباً وأعلاهم نسباً ، خيرة السيدات الطاهرات ، ومن فضيلات النساء وجليلات العقائل التي فاقت الفوارس في الشجاعة ، واتخذت طول حياتها تقوى الله بضاعة ، وكان لسانها الرطب بذكر الله على الظالمين غصباً ولأهل الحق عيناً معيناً ، كريمة الدارين وشقيقة الحسنين ، بنت البتول الزهراء التي فضّلها الله على النساء ، وجعلها عند أهل العزم أم العزائم وعند أهل الجود والكرم أم هاشم ، إلى أن قال ولدت رضي الله عنها سنة خمس من الهجرة النبوية قبل وفاة جدها (ص) بخمس سنين فسر بمولدها أهل بيت النبوة أجمعون ، ونشأت نشأة حسنة كاملة فاضلة عالمة ، من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وكانت على جانب عظيم من الحلم والعلم ومكارم الأخلاق ، ذات فصاحة وبلاغة تفيض من يدها عيون الجود والكرم .

وقد جمعت بين جمال الطلعة وجمال الطوية حتى أنها اشتهرت في بيت النبوة ولقبت بصاحبة الشورى ، وكفاها فخراً أنها فرع من شجرة أهل بيت النبوة الذين مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز .

وأما علمها (ع) ، فهو البحر الذي لا ينزف فإنها سلام الله عليها هي المترباة في مدينة العلم النبوي ، المعتكفة بعده ببابها العلوي ، المتغداة بلبانه من أمها الصديقة الطاهرة سلام الله عليها ، وقد طوت عمراً من الدهر مع الإمامين السبطين يرقانها العلم زقاً فهي [اغترفت] من عباب علم

آل محمد (ع) وعباب فضائلهم الذي اعترف [به] عدوهم الألد يزيد الطاغية بقوله في الإمام السجاد (ع) : أنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً ، وقد نص لها بهذه الكلمة ابن أخيها عليّ بن الحسين (ع) : أنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة ، يريد (ع) أن مادة علمها من سنخ ما منح بــه رجالات بيتهــا الرفيع أفيض عليها إلهاماً لا يتخرج على أستاذ أو أخذ عن مشيخة ، وإن كان الحصول على تلك القوة الربانية بسبب تهذيبات جدها وأبيها وأمها وأخويها أو لمحض انتمائها (ع) إليهم واتحادها معهم في الطينة المكهربين لـذاتهـا القدسية ، فازيحت عنها بـذلك المـوانع المـادية وبقي مقتضى اللطف الفيـاض وحده وإذكان لا يتطرقه البخل بتمام معانيه عادت العلة لإفاضة العلم كله عليها بقدر استعدادها تامة فافيض عليها بأجمعه إلّا ما اختص به إئمة الدين (ع) من العلم المخصوص بمقامهم الأسمى ، على أن هناك مرتبة سامية لا ينالها إلا ذو حظ عظيم وهي الرتبة الحاصلة من الرياضات الشرعية والعبادات الجامعة لشرائط الحقيقة لا محض الظاهر الموفى لمقام الصحة والأجزاء ، فإن لها من الآثار الكشفية ما لا نهاية لأمدها ، وفي الحديث : من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، ولا شك أن زينب الطاهرة قد أخلصت لله كل عمرها فماذا تحسب أن يكون المنفجر من قلبها على لسانها من ينابيع الحكمة .

ويظهر من الفاضل الدربندي وغيره أنها (ع) كانت تعلم علم المنايا والبلايا ، كجملة من أصحاب أمير المؤمنين (ع) ، منهم ميثم التمار ورشيد الهجري وغيرهما ، بل جزم في أسراره أنها صلوات الله عليها أفضل من مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وغيرهما من فضليات النساء ، وذكر (قدس سره) عند كلام السجاد (ع) لها : يا عمة أنت بحمد الله عالمة غير معلمة ، وفهمة غير مفهمة . إن هذا الكلام حجة على أن زينب بنت أمير المؤمنين (ع) كانت محدثة أي ملهمة ، وأن علمها كان من العلوم اللدنية والآثار الباطنية .

ومن نظر في كتاب أسرار الشهادة رأى فيه من الأدلة والتحقيقات في حق زينب (صلوات الله عليها) ما هو أكثر مما ذكرناه .

وفي (الطراز المذهب) أن شؤنات زينب الباطنية ومقاماتها المعنوية كما قيل فيها أن فضائلها وفواضلها ، وخصالها ، وجلالها ، وعلمها ، وعملها ، وعصمتها ، وعفتها ، ونورها ، وضياءها ، وشرفها ، وبهاءها ، تالية أمها وثانيتها ، وقال ابن عنبة في (أنساب الطالبيين) زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (ع) كنيتها أم الحسن ، تروي عن أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) وقد أمتازت بمحاسنها الكثيرة وأوصافها الجليلة وخصالها الحميدة وشيمها السعيدة ومفاخرها البارزة وفضائلها الطاهرة .

وقال العلامة الفاضل السيد نور الدين الجزائري في كتابه الفارسي المسمى بـ (الخصائص الزينبية) ما ترجمته عن بعض الكتب : أن زينب كان لها مجلس في بيتها أيام إقامة أبيها (ع) في الكوفة ، وكانت تفسر القرآن للنساء ، ففي بعض الأيسام كانت تفسر (كهيعص) للنساء إذ دخل أمير المؤمنين (ع) ، فقال لها : يا نور عيني سمعتك تفسرين (كهيعص) للنساء ، فقالت : نعم فقال (ع) : هذا رمز لمصيبة تصيبكم عترة رسول الله (ص) ثم شرح لها المصائب فبكت بكاءً عالياً صلوات الله عليها .

وفي كتاب (بلاغات النساء) لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور قال : حدثني أحمد بن جعفر سليمان الهاشمي ، قال : كانت زينب بنت علي (ع) تقول : من أراد أن لا يكون الخلق شفعاؤه إلى الله فليحمده ، ألم تسمع إلى قولهم سمع الله لمن حمده فخف الله لقدرته عليك واستع منه لقربه منك .

وقال الطبرسي أن زينب روت أخباراً كثيرةً عن أمّها الزهراء (ع) . وعن عماد المحدثين أن زينب الكبرى كانت تروي عن أمها وأبيها وأخويها وعن أم مسلمة وأم هانىء وغيرهما من النساء ، وممن روى عنها ابن عباس وعلي بن الحسين (ع) وعبدالله بن جعفر وفاطمة بنت الحسين (ع) الصغرى وغيرهم .

وفي (مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج الأصبهاني: زينب العقيلة بنت علي بن أبي طالب (ع) وأمّها فاطمة بنت رسول الله (ص) ، والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة (ع) في فدك فقال: حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي (ع).

وقال الفاضل العلامة الأجل المولى محمد حسن القزويني في كتابه المسمى بـ (رياض الأحزان وحداثق الأشجان): يستفاد من آثار أهل البيت جلالة شأن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (ع) ووقارها وقرارها بما لا مزيد عليه ، حتى أوصى إليها أخوها ما أوصى قبل شهادته ، وأنها من كمال معرفتها ووفور علمها وحسن أعراقها وطيب أخلاقها كانت تشبه أمها سيدة النساء فاطمة الزهراء في جميع ذلك والخفارة والحياء ، وأباها (ع) في قوة القلب في الشدة والثبات عند النائبات والصبر على الملمات والشجاعة الموروثة من صفاتها والمهابة المآثورة من سماتها ، وقد يستند في جميع ما ذكرناه إلى ما رواه في (كامل الزيارات) من موعظتها لابن أخيها الإمام السجاد زين العابدين (ع) حين المرور بمصارع الشهداء ، ثم ساق حديث أمّ أيمن الآتي ذكره ، وعن الصدوق محمد بن بابويه طاب ثراه : كانت زينب (ع) لها نيابة خاصة عن الحسين (ع) وكان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام حتى برىء زين العابدين (ع) من مرضه .

وأما عبادتها: فهي تالية أمها النزهراء (ع) وكانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن، ففي (مثير الأحزان) للعلامة الشيخ شريف الجواهري (قدس سره): قالت فاطمة بنت الحسين (ع) وأما عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة أي العاشرة من المحرم في محرابها، تستغيث إلى ربها،

فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة .

وعن الفاضل النائيني البرجردي : أن الحسين لما ودع أخته زينب وداعه الأخير قال لها : يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل ، وهذا الخبر رواه هذا الفاضل عن بعض المقاتل المعتبرة .

وقال بعض ذوي الفضل : أنها (صلوات الله عليها) ما تركت تهجدها لله تعالى طول دهرها حتى ليلة الحادي عشر من المحرم .

وروي عن زين العابدين (ع) أنه قال: رأيتها تلك الليلة تصلي من جلوس، وروى بعض المتبقين عن الإمام زين العابدين (ع) أنه قال: إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام من قيام، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس فسألتها عن سبب ذلك فقالت: أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة.

وعن الفاضل النائيني البرجردي المتقدم ذكره عن بعض المقاتل المعتبرة عن مولانا السجاد (ع) أنه قال: إن عمتي زينب مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إلى الشام ما تركت [تهجدها] لليلة انتهى كلامه .

فإذا تأمل المتأمل إلى ما كانت عليه هذه الطاهرة من العبادة لله تعالى والإنقطاع إليه ، يكاد يتيقن بعصمتها (صلوات الله عليها) وأنها كانت من القانتات اللواتي وقفن حركاتهن وسكناتهن وأنفاسهن للباري تعالى ، وبذلك حصلن على المنازل الرفيعة والدرجات العالية التي حكت رفعتها منازل المرسلين ودرجات الأوصياء (عليهم الصلاة والسلام).

وأما زهدها (ع): فيكفي في إثباته ما روي عن الإمام السجاد من أنها (ع) ما أدخرت شيئاً من يومها لغدها أبداً.

وفي كتاب (جنات الخلود) ما معناه: وكانت زينب الكبرى في البلاغة، والزهد، والتدبير، والشجاعة، قرينة أبيها وأمّها، فإن انتظام أمور أهل البيت بل الهاشميين بعد شهادة الحسين (ع) كان برأيها وتدبيرها.

وعن النيسابوري في رسالته العلوية : كانت زينب بنت علي في فصاحتها وبلاغتها وزهدها وعبادتها كأبيها المرتضى (ع) ، وأمّها الزهراء (ع) .

ولله در المؤلف النقدي حيث يقول :

عقيلة أهل بيت الوحي بنت شقيقة سبطي المختار من قد حكت خير الأنام علا وفخراً وفاطم عفة وتنقى ومنجداً ربيبة عصمة طهرت وطابت فكانت كالأئمة في هداها وكان جهادها بالليل أمضى وكانت في المصلى إذ تناجي ملائكة السماء على دعاها روت عن أمها الزهرا علوماً مقاماً لم يكن تحتاج فيه ونالت رتبة في الفخر عنها ونالت رتبة في الفخر عنها

الوصي المرتضى مولى الموالي سمت شرفاً على هام الهلال سمت شرفاً على هام الهلال وحيدر في الفصيح من المقال وأخلاقاً وفي كرم الخلال وفاقت في الصفات وفي الفعال وإنقاذ الأنام من المضلال من البيض الصوارم والنصال وتدعو الله بالدمع المذال تؤمن في خضوع وابتهال بها وصلت إلى حد الكمال المارت الأواخر والأوالي ناحرت الأواخر والأوالي نساء العالمين بلا جدال

الفصل الثالث في أسفارها همي ستة أسفار

السُّفَر الأول

(من المدينة إلى الكوفة مع أبيها أمير المؤمنين (ع))

لما هاجر إليها سافرت (ع) هذا السفر وهي في غاية العز ونهاية الجلالة والإحتشام ، يسير بها موكب فخم رهيب من مواكب المعالي والمجد ، ومحفوف بأبهة الخلافة ، محاط بهيبة النبوة ، مشتمل على السكينة والوقار ، فيه أبوها الكرار أمير المؤمنين (ع) وإخوتها الحسنان سيدا شباب أهل الجنة ، وحامل الراية العظمى محمد بن الحنفية ، وقمر بني هاشم العباس بن علي (ع) ، وزوجها الجواد عبدالله بن جعفر ، وأبناء عمومتها عبدالله بن عباس وعبيدالله واخوتهما وبقية أبناء جعفر الطيار وعقيل بن أبي طالب وغيرهم من فتيان بني هاشم ، وأتباعهم من رؤساء القبائل وسادات العرب مدججين بالسلاح فتاصين في الحديد ، والرايات ترفرف على رؤوسهم وتخفق على هاماتهم وهي غبطة وفرح وسرور .

السّفر الثاني

(من الكوفة إلى المدينة مع أخيها الحسن (ع) بعد صلحه مع معاوية)

سافرت (ع) هذا السفر وهي أيضاً في موكب فخم في غاية العز والدلال والعظمة والإجلال ، تحوطها الأبطال من إحوتها وبني هاشم الكرام ، حتى وصلت إلى حرم جدها الرسول الأكرم (ص) ، ومسقط رأسها المدينة المنورة محترمة موقرة .

السُّفَر الثالث

(من المدينة إلى كربلاء مع أخيها الحسين ويشتمل هذا السفر على نبذة من مصائبها وصبرها وإخلاصها وثابتها)

لما عزم الحسين (ع) على السفر من الحجاز إلى العراق ، استأذنت زينب زوجها عبدالله بن جعفر أن تصاحب أخاها الحسين (ع) ، مضافاً إلى ما عرفت سابقاً من اشتراط أمير المؤمنين (ع) عليه في ضمن عقد النكاح أن لا يمنعها متى أرادت السفر مع أخيها الحسين (ع) ، فأذن لها وأمر ابنيه عوناً ومحمداً بالمسير مع الحسين (ع) ، والملازمة في خدمته والجهاد دونه ، فسافرت (ع) في ذلك الموكب الحسيني المهيب ، في عز وجلال وحشمة ووقار ، تحملها المحامل المزركشة المزينة بالحرير والديباج ، قد فرشت بالفرش الممهدة ووسدت بالوسائد المنضدة ، تحت رعاية أخيها الحسين (ع) ، تحف بها الأبطال من عشيرتها وتكتنفها الأسود الضارية من إخوتها وأبناء إخوتها وعمومتها كأبي الفضل العباس ، وعلي الأكبر ، والقاسم بن الحسن ، وأبناء جعفر وعقيل ، وغيرهم من الهاشميين والعبيد والإماء طوع أمرها ورهن جعفر وعقيل ، وغيرهم من الهاشميين والعبيد والإماء طوع أمرها ورهن إشارتها ، ولكنها (ع) سافرت هذه السفرة منقطعة من علائق الدنيا بأسرها في سبيل الله ، قد أعرضت عن زهرة الحياة من المال والبيت والزوج والولد والخدم والحشم ، وصحبت أخاها الحسين (ع) ناصرة لدين الله وباذلة النفس والنفيس والنفيس

لإمامها ابن بنت رسول الله مع علمها بجميع ما يجري عليها من المصائب والنوائب والمحن ، كما يدل عليه الحديث المروي في كتاب (كامل الزيارات) للشيخ الفقيه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه طاب ثراه ، قال :

حدثني أبو عيسى عبيدالله بن الفضل بن محمد بن هلال الطائي البصري قال : حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد قال : حدثنا محمد بن سلام بن يسار الكوفي قال : حدثني نوح بن دراج قال : حدثني قدامة بن زائدة عن أبيه قـال : قال عليّ بن الحسين بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبدالله الحسين (ع) أحياناً ، فقلت : إن ذلك لكما بلغك فقال لي : ولماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هـذه الأمة من حقنًا ؟ فقلت : والله ما أريـد بذلـك إلا الله ورسـولـه ، ولا أحفل بسخط من سخط ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه ، فقال : والله إن ذلك لكذلك ، فقلت : والله إن ذلك لكذلك يقولها ثـ لاثاً وأقولها ثـ لاثاً . فقال : أبشر ثم أبشر ثم أبشر ، فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزون ، فإنه لما أصابنا في الطف ما أصابنا وقتـل أبي وقتل من كـان معه من ولده وإخوته وسائر أهله وحملت حرمه ونساؤه على الأقتباب يراد بنا الكوفة ، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا فعظم ذلك في صدري ، واشتـد لما أرى منهم قلقني ، فكادت نفسي تخرج ، وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت على (ع) فقالت : ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي ؟ فقلت : وكيف لا أجـزع وأهلع وقد أرى سيـدي وإخوتي وعمـومتي وولــد عمي مضرجين بدمائهم مرملين بالعراء مسلبين ، لا يكفنون ولا يوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر ، فقالت : لا يجبزعنك مـا ترى فــوالله إن ذلك لعهــد من رســول الله (ص) إلى جــدك وأبيــك وعمك ، ولقد أخذ الله ميثاق أنـاس من هذه الأمـة لا تعرفهم فـراعنة هـذه الأمة وهم معروفون من أهل السماوات ، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة ، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد

الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا ينزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً .

فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟ فقالت: نعم حدثتني أم أيمن أن رسول الله (ص) زار منزل فاطمة (ع) في يوم من الأيام ، فعملت له حريـرة وأتاه على بطبق فيه تمر ، ثم قالت أم أيمن : فأتبتهم بعس فيه لبن وزبد فأكمل رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين من تلك الحريرة ، وشرب رسول الله (ص) وشربوا من ذلك اللبن ، ثم أكلوا وأكل من ذلك التمر والزبـد ، ثم غسل رسول الله (ص) يده وعلى (ع) يصب عليه الماء ، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثم نظر إلى على (ع) وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا به السرور في وجهه ، وتوجه نحو القبلة وبسط يديه ودعا ثم خر ساجداً وهو ينشبج وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر، فحزنت فاطمة (ع) وعليّ والحسن والحسين (ع) وحزنت معهم لما رأينا رسول الله (ص) ، وهبنا أن نسأله حتى إذا طال ذلك قال له عليّ (ع) وقالت له فاطمة (ع): ما يبكيك يا رسول الله ؟ لا أبكي الله عينيـك ، فقد أقـرح قلوبنا ما نرى من حالك . فقال (ص) : يـا أخى سررت بكم . وقـال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه هنا فقال: يما حبيبي سررت بكم سروراً ما سررت مثله قط ، وإني لأنــظر إليكم وأحمــد الله على نعمتــه علىّ فيكــم ، إذ هبط عــلى جبرائيل فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى أطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك فأكمل لك النعمة وهناك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في المجنة لا يفرق بينك وبينهم ، يحبون كما تحب ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملتك ، ويزعمون أنهم من أمتك براء من الله ومنك خبطاً خبطاً وقتلًا قتلًا شتى مصارعهم نائية . قبـورهم خيرة من الله لهم ولك فيهم ، فاحمد الله عزّ وجلّ على خيرته وارض بقضائه ، فحمدت الله

ورضيت بقضائه بما اختاره لكم .

ثم قال لى جبرائيل: يا محمد إن أخاك مضطهد بعدك مغلوب على أمتك متعوب من أعدائك ثم مقتول بعدك ، يقتله أشر الخليقة وأشقى البرية ، يكون نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته وهو معرس شيعته وشيعة ولده وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم ، وإن سبطك هذا وأومى بيده إلى الحسين (ع) مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بضفة الفرات بأرض يقال لها كربلاء ، من أجلها يكثر الكرب والبلا على أعدائك وأعداء ذريتك في اليـوم الذي لا ينقضي كـربه ولا تفني حسـرتـه ، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة يقتل فيها سبطك وأهله وإنها من بطحاء الجنة ، فإذا كان اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله ، وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة ، تزعزعت الأرض من أقطارها ، ومادت الجبال وكشر اضطرابها ، واصطفقت البحار بأمواجها ، وماجت السماوات بأهلها غضباً لك يا محمد ولـذريتك ، واستهضاماً لما ينتهك من حرمتك ولشر ما تكافي به في ذريتك وعترتك ، ولا يبقى شيء من ذلك إلا استأذن الله عـز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك ، فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبـال والبحار ومن فيهن: إني أنـا الله الملك القادر الـذي لا يفـوتــه هارب ، ولا يعجزه ممتنع ، وأنا أقدر فيه على الإنتصار والإنتقام ، وعزتي وجلالي لأعذبن من وتر رسولي وصفيي وانتهك حرمته وقتل عتىرته ونبـذ عهده وظلم أهل بيته عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين ، فعند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك ، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تنولي الله عزّ وجلّ قبض أرواحها بيده ، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنة وطيب من طيب الجنة ، فغسلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل وحنطوها بذلك الطيب ، وصلَّت الملائكة صفاً صفاً عليهم ،

ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية ، فيوارون أجسادهم ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز ، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة ، ويصلون عليه ، ويطوفون حوله ، ويسبحون عنده ، ويستغفرون الله لمن زاره ، ويكتبون أسماء زائرية من أمتك متقربين إلى الله تعالى وإليك بذلك وأسماء آبائم وعشائرهم وبلدانهم ، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء ، فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عددهم ونحن نلتقط ذلك الموسوم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده ، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا يريد به غير الله عز وجل ، ويجتهد أناس ممن حقت عليهم اللعنة من الله والسخط أن يعفو رسم وجلً ، ويجتهد أناس ممن حقت عليهم اللعنة من الله والسخط أن يعفو رسم ذلك القبر ويمحو أثره فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً .

ثم قال رسول الله (ص): فهذا أبكاني وأحزنني. قالت زينب (ع) فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي (ع) ورأيت عليه أثر الموت، دنوت منه وقلت له: يا أبت حدثتني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال: يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن وكأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبراً فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولي غير محبيكم وشيعتكم، ولقد قال لنا رسول الله (ص) حين أخبرنا بهذا الخبر: إن إبليس لعنه الله في ذلك اليوم يطير فرحاً، فيجول الأرض كلها بشياطينه وعفاريته، فيقول: يا معاشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم

وحملهم على عداوتهم واغرائهم وأوليائهم ، حتى تستحكموا ضلالة الخلق وكفرهم ، ولا ينجو منهم ناج ، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وهو كذوب انه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنباً غير الكبائر .

قال زائدة: ثم قال عليّ بن الحسين بعد أن حدثني بهذا الحديث: خذه إليك ما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً ولكون زينب (ع) عالمة بجميع ما يجري عليها من المصائب والنوائب والمحن وأنها على بصيرة من أمرها قابلت تلك الرزايا والفوادح بجميل الصبر وعظيم الاتزان وقوة الإيمان وكامل الإخلاص.

وإليك نبذة يسيرة من مصائبها العظيمة وفوادحها الكبرى ، فإنها (ع) رأت من المصائب والنوائب ما لو نزلت على الجبال الراسيات لانفسحت واندكت جوانبها ، لكنها في ذلك تصبر الصبر الجميل كما هو معلوم لكل من درس حياتها ، وأول مصيبة دهمتها هو فقدها جدها النبيّ (ص) وما لاقى أهلها بعده من المكاره ، ثم فقدها أمها الكريمة بنت رسول الله بعد مرض شديد وكدر من العيش والاعتكاف في بيت الأحزان ، ثم فقدها أباها علياً وهو مضرج بدمه من سيف ابن ملجم المرادي (لع) ، ثم فقدها أخاها المجتبى المسموم تنظر إليه وهو يتقيأ كبده في الطشت قطعة قطعة ، وبعد موته (ع) ترشق جنازته بالسهام ، ثم رؤيتها أخاها الحسين (ع) تتقاذف به البلاد حتى نزل كربلاء ، وهناك دهمتها الكوارث العظام من قتله (ع) وقتل بقية إخوتها وأولادهم وأولاد عمومتها وخواص الأمة من شيعة أبيها (ع) عطاشى ، ثم المحن التي لاقتها من هجوم وخدواص الأمة من شيعة أبيها (ع) عطاشى ، ثم المحن التي لاقتها من هجوم النبوة وودائع الرسالة ، وتكفلها حال النساء والأطفال في ذلة الأسر ، ثم سيرها النبوة وودائع الرسالة ، وتكفلها حال النساء والأطفال في ذلة الأسر ، ثم سيرها من المرزايا التي يعجز عنها البيان ويكل اللسان ، وهي مع ذلك كله صابرة من الرزايا التي يعجز عنها البيان ويكل اللسان ، وهي مع ذلك كله صابرة

محتسبة ومفوضة أمرها إلى الله ، قائمة بوظائف شاقة من مداراة العيال ومراقبة الصغار واليتامى من أولاد إخوتها وأهل بيتها ، رابطة الجأش بإيمانها الثابت وعقيدتها الراسخة ، حتى أنها كانت تسلي إمام زمانها زين العابدين (ع) ، وأما ما كان يظهر منها بعض الأحيان من البكاء وغيره فذلك أيضاً كان لطلب الثواب أو للرحمة التي أودعها الله عزّ وجلّ في المؤمنين ، أما طلب الثواب فلعلمها بما أعده الله عزّ وجلّ للبكائين على الحسين .

قال الصادق (ع) من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح البعوضة ، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر . وأما الرحمة التي أودعها الله في المؤمنين فمثل ما كان من النبي (ص) على ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك عندما دخل رسول الله (ص) وولده إبراهيم يجود بنفسه قال : فجعلت عينا رسول الله (ص) تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ، فقال : يا ابن عوف إنها رحمة . ثم اتبعها بأخسرى فقال رسول الله (ص) : إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وبالجملة فنرينب (ع) صبرت صبر الكرام على تلك المصائب العظام والنوائب الجسام .

فمن عجيب صبرها وإخلاصها وثباتها ما نقله في الطراز المذهب أنها سلام الله عليها وعلى أبيها وأمها وأخسويها لما وقفت على جسد أخيها الحسين (ع) قالت: أللهم تقبل منا هذا القليل من القربان قال: فقارنت أمها في الكرامات والصبر في النوائب بحيث حرقت العادات ولحقت بالمعجزات.

قال المؤلف النقدي أعلا الله مقامه : فهذه الكلمات من هذه الحرة الطاهرة ، في تلك الوقفة التي رأت بها أخاها العزيز بتلك الحالة المفجعة ، التي كانت فيها تكشف لنا قوة إيمانها ورسوخ عقيدتها وفنائها في جنب الله تعالى ، وغير ذلك مما لا يخفى على المتأمل .

وقال عمر أبو النصر اللبنـاني في كتابـه الحسين بن علي المطبـوع حديثـاً

ومما يجب أن يصار إلى ذكره في هذا الباب ما ظهر من زينب بنت فاطمة وأخت الحسين (ع) من جرأة وثبات جأش في موقفها هذا يـوم المعركـة وعند ابن زيـاد وفي قصر يزيد إلى آخر ما قال .

ولله در الشاعر الخطيب السيد حسن بن السيد عباس البغدادي حبث يقول:

فيك الرزايا وكل الصبر قد جمعا في قلب أقوى جبال الأرض لا نصدعا تفسطرت للذي لاقيت جيزعاً يا قلب زينب ما لاقيت من محن فلو كان ما فيك من صبر ومن محن يكفيك صبراً قلوب الناس كلهم

السُّفَر الرابع

(من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام بعد قتل أخيها الحسين (ع) وأصحابه الأبرار تحت رعاية الظالمين ويشتمل هذا السفر على خطبتيها البلغتين في الكوفة وفي مجلس يزيد في الشام)

الإشارة إلى بلاغتها وشجاعتها:

لما عزم ابن سعد على الرحيل من كربلاء ، أمر بحمل النساء والأطفال على أقتاب الجمال ، ومروا بهن على مصارع الشهداء فلما نظرن النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههن وفيهن زينب بنت علي (ع) تنادي بصوت حزين وقلب كثيب : يا محمداه صلى عليك مليك السماء ، هذا حسين مسرمل بالدماء ، مقطع الأعضاء ، وبناتك سبايا ، إلى الله المشتكى ، وإلى محمد المصطفى ، وإلى علي المرتضى وإلى فاطمة النزهراء وإلى حمنة سيد الشهداء ، يا محمداه هذا حسين بالعراء ، قتيل أولاد البغايا ، واحزناه واكرباه عليك يا أبا عبدالله ، اليوم مات جدي رسول الله يا أصحاب محمداه ، هؤلاء فرية المصطفى يساقون سوق السبايا ، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا فرية المصطفى يساقون سوق السبايا ، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا

مسلوب العمامة والرداء ، بأبي من أضحى معسكره يوم الاثنين نهباً ، بأبي من فسطاطه مقطع العرى ، بأبي من لا غائب فيرجى ولا جريح فيداوى ، بأبي من نفسي له الفداء ، بأبي المهموم حتى قضى ، بأبي العطشان حتى مضى ، بأبي من شيبه يقطر بالدماء ، بأبي من جده محمد المصطفى ، بأبي من جده رسول إله السماء ، بأبي من هو سبط نبي الهدى ، بأبي محمد المصطفى ، بأبي من خديجة الكبرى ، بأبي على المرتضى ، بأبي فاطمة الزهراء (ع) ، بأبي من ردت له الشمس حتى صلى ، فأبكت والله كل عدو وصديق .

ولله در الشاعر حيث يقول:

والطهر زينب تستغيث بندبها غرقت بفيض دموعها وجناتها رقت لعظم مصابها أعداؤها ومن الرزية أن ترق عداتها

ثم أنها (ع) سافرت هذا السفر المحزن وهي حزينة القلب كسيرة الخاطر باكية العين ناحلة الجسم مرتعدة الأعضاء ، قد فارقت أعز الناس عليها وأحبهم إليها ، تحف بها النساء الأرامل والأيامي الثواكل ، وأطفال يستغيثون من الجوع والعطش ، ويحيط بها القوم اللئام من قتلة أهل بيتها وظالمي أهلها وناهبي رحلها ، كشمر بن ذي الجوشن وزجر بن قيس وسنان بن أنس وخولي بن زيد الأصبحي وحرملة بن كاهل وحجار بن أبي أبحر وأمثالهم لعنهم الله ، ممن لم يخلق الله في قلوبهم الرحمة إذا دمعت عيناها أهوت عليها السياط ، وإن بكت أخاها لطمتها الأيدي القاسية ، وهكذا كان سفرها هذا .

ولقد تواترت الروايات عن العلماء وأرباب الحديث بأسانيدهم عن حذلم ابن كثير قال: قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف علي بن الحسين (ع) [ومعه النساء والأطفال] من كربلاء ومعهم الأجناد يحيطون بهم ، وقد خرج الناس للنظر إليهم ، فلما أقبلوا بهم على الجمال بغير وطاء وجعلن نساء الكوفة يبكين وينشدن ، فسمعت علي بن الحسين (ع) يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلة وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه: إن

هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا ، قال : ورأيت زينب بنت علي (ع) ولم أر خفرة أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أميـر المؤمنين (ع) قال : وقـد أومت إلى الناس أن اسكتوا فقالت (ع) : الحمد لله والصلاة على محمـد وآله الـطيبين الأخيار ، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر ، أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون ايمانكم دخـــلًا بينكم ، ألا وهـل فيكم إلّا الصلف النــطف ، والصـدر الشنف ، وملق الاماء ، وغمز الأعداء ، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون ، أتبكون وتنتحبون ؟ أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلًا ، فلقـد ذهبتم بعارهـا وشنارهـا ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً ، وأنَّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ حيرتكم ومفزع نازلتكم ومنار حجتكم ومـدره سنتكم ألا ساء مـا تزرون ، وبعـداً لكم وسحقاً ، فلقـد خـاب السعى ، وتبت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبئتم بغضب من الله وضربت عليكم اللهة والمسكنة ، ويلكم يا أهل الكوفة : أتدرون أي كبـد لرسـول الله (ص) فريتم ، أي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم، ولقد جئتم بها صلعاء عنقاء، سوداء، فقماء ، خرقاء ، شوهاء ، كطلاع الأرض ، أو ملىء السماء ، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ، ولعذاب الأخرة أخزى وأنتم لا تنصرون ، فلا يستخفنكم المهل ، فإنه لا يحفزه البدار ، ولا يخاف فوت الثار ، وإن ربَّكم لبالمرصاد .

قال الراوي : فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون ، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم ، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته بالدموع ، وهو يقول : بأبي أنتم وأمي : كهولكم خير الكهول ، وشبابكم خير الشباب ، ونساؤكم خير النساء ، ونسلكم خير نسل ، لا يخزى ولا يبزى .

قيال المؤلف النقدي أعيلا الله مقامه ، أقول : وهيذا حذلم بن كثير من فصحاء العرب أخذه العجب من فصاحة زينب وبلاغتها ، وأخذته الدهشية من براعتها وشجاعتها الأدبية ، حتى أنه لم يتمكن أن يشبهها إلا بأبيها سيد البلغاء ، فقال : كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين (ع) ، وهذه الخطبة رواها كل من كتب في وقعة الطف ، أو في أحوال الحسين (ع) ، ورواها الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) عن خزيمة الأسدي قال : ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن مهتكات الجيوب ، ورواها أيضاً أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور في (بلاغات النساء) وأبو المؤيد الموفق بن أحمد الخوارزمي في الجزء الثاني من كتابه (مقتل الحسين) وشيخ الطائفة في أماليه وغيرهم من أكابر العلماء ، ومن بلاغتها وشجاعتها الأدبية ما ظهر منها (ع) في مجلس ابن زياد .

قال السيد ابن طاوس وغيرهم وممن كتب في مقتل الحسين (ع) أن ابن زياد (لع) جلس في القصر وأذن للناس إذناً عاماً ، وجيء برأس الحسين (ع) فوضع بين يديه ، وأدخلت عليه نساء الحسين (ع) وصبيانه ، وجاءت زينب بنت علي (ع) وجلست متنكرة ، فسأل ابن زياد (لع) : من هذه المتنكرة فقيل له هذه زينب ابنة علي (ع) فأقبل عليها فقال : الحمد الله الذي فضحكم وأكذب زينب ابنة علي (ع) فأقبل عليها فقال : الحمد الله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم ، فقالت (ع) : إنما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا ، فقال : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيته ؟ فقالت : ما رأيت إلا خيراً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك فغضب اللعين وهم أن يضربها فقال له عمرو بن حريث : إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ، فقال لها ابن زياد (لع) : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك ، فقالت : لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي ، فإن كان هذا شفاؤك فلقد أشتفيت ، ابن زياد (لع) : هذه سجاعة ولعمري لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً ، فقالت : يا ابن زياد ما للمرأة والسجاعة وإن لي عن السجاعاً شاعراً ، فقالت : يا ابن زياد ما للمرأة والسجاعة وإن لي عن السجاعة لشغلا .

وفي (لواعج الأشجان) للسيد محسن الأمين (أعلا الله مقامـه) : وكتب

ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين (ع) وخبر أهل بيته ، وساق الحديث إلى قال : وأما يزيد فإنه لما وصله كتاب ابن زياد أجابه عليه يأمره بحمل رأس الحسين (ع) ورؤوس من قتل معه ، وحمل أثقاله ونسائه وعياله ، فأرسل ابن زياد الرؤوس مع زجر بن قيس ، وأنفد معه أبا بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان في جماعة من أهل الكوفة إلى يزيد ، ثم أمر ابن زياد بنساء الحسن (ع) وصبيانه فجهزوا ، وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه ، وفي رواية في يديه ورقبته ، ثم سرح بهم في أثر الرؤوس مع محفر بن ثعلبة العائدي وشمر بن ذي الجوشن ، وحملوهم على الأقتاب وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار ، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس ، فلم يكلم علي بن الحسن (ع) أحداً منهم في الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام ، فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع محفر بن ثعلبة صوته فقال : هذا محفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة ، فأجابه علي بن الحسين (ع) ما ولدت أم محفر أشر وألأم ، وعن الزهري أنه لما جاءت الرؤوس كان يزيد (لع) على منظرة أشر وألأم ، وعن الزهري أنه لما جاءت الرؤوس كان يزيد (لع) على منظرة جيرون فأنشد لنفسه :

تلك الشموس على ربى جيرون فلقد قضيت من النبي ديوني

لما بدت تلك الحمول وأشرقت نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح

قال السيد ابن طاوس ، قال الراوي : ثم أدخل ثقل الحسين (ع) ونساؤه ومن تخلف من أهل بيته على يزيد بن معاوية وهم مقرنون في الحبال ، فلما وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال قال له على بن الحسين : أناشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله (ص) لورآنا على هذه الصفة ؟ فأمر يزيد بالحبال فقطعت ثم وضع رأس الحسين (ع) بين يديه . وأجلس النساء خلفه لشلا ينظرن إليه ، فرآه على بن الحسين (ع) فلم يأكل بعد ذلك أبداً ، واما زينب فإنها لما رأته أهوت إلى جيبها فشقته ثم نادت بصوت حزين يقرح القلوب : يا حسيناه يا

حبيب رسول الله يا بن مكة ومنى ، يا بن فاطمة الزهراء سيدة النساء ، يا بن بنت المصطفى .

قال الراوي: فأبكت والله كل من كان في المجلس ويزيد ساكت، قال السيد ابن طاوس: ثم دعا يزيد بقضيب خيزران فجعل بنكت به ثنايا الحسين (ع)، فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد أتنكث بقضيبك ثغر الحسين (ع) ابن فاطمة (ع)، أشهد لقد رأيت النبي (ص) يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن (ع) ويقول: أنتما سيدا شباب أهل الجنة فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيراً.

قال الراوي : فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأخرج سحباً ، قال : وجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعرى :

ليت أشياخي ببدر شهدوا الأهلوا واستهلوا فرحاً قد قتلنا القرم من ساداتهم لعبت هاشم بالملك فلا لست من خِندف إن لم أنتقم

جزع الخزرج من وقع الأسل شم قالوا يا يريد لا تشل وعدلناه ببدر فاعتدل خبر جاء ولا وحي نزل من بني أحمد ما كان فعل

خطبة زينب (ع) في مجلس يزيد في الشام :

قال الراوي: فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب (ع) فقالت: الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول: ﴿ثم كان عاقبة الله ن أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون (١٠) أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسراء أن بنا هواناً على الله، وبك عليه

⁽١) سورة الروم ، الآية : ١٠ .

كرامة ، وأن ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسروراً حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة . والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ﴾ (١) أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك وإمائك ، وسوقك بنات رسول الله (ص) سبايا قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن القريب والبعيد والدني والشريف ، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن الشهداء ؟ وكيف ترتجي مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ؟ وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن ، والإحن والأضغان ؟ ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوايايزيد لاتشل

منحنياً على ثنايا أبي عبدالله (ع) سيد شباب أهل الجنة تنكثها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك! وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد (ص) ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ، ولتودن انك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت ، أللهم خذ بحقنا وانتقم من ظالمنا ، واحلل غضبك ممن سفك دماءنا وقتل حماتنا ، فوالله ما فريت إلا جلدك ، ولا حززت إلا لحمك ، ولتردن على رسول الله (ص) مما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم ، ﴿ولا تحسبن اللّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون ﴿(٢) وحسبك الله حاكماً وبمحمد (ص)

⁽١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٨ .

⁽٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٩ .

خصيماً وبجبراثيل ظهيراً ، وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين ، وبشس للظالمين بدلاً ، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً ، ولئن جرت عليً المدواهي مخاطبتك ، إني لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، وأستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى والصدور حرّى ، ألا فالعجب كل العجب لقتل حسزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، والأفواه تتجلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعل ، ولئن اتخذتنا مغنماً لتسدنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك ﴿وما ربّك بظلام للعبيد﴾(١) فإلى الله المشتكى وعليه المعول ، فكدكيدك واسع سعيك وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا تدحض عنك عارها ، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلاّ عدد وجمعك إلا بدد ، يوم ينادي المنادي : ألا لعنة الله على الظالمين ، فالحمد لله ربّ العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ، ولأخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فقال يزيد:

يا صيحة تحمد من صوائع ما أهون الموت على النوائع

قال المؤلف النقدي (أعلا الله مقامه): إن بلاغة زينب وشجاعتها الأدبية ليست من الأمور الخفية ، وقد اعترف بها كل من كتب في وقعة كربلاء ، ونوه بجلالتها أكثر أرباب التاريخ ، ولعمري إن من كان أبوها علي بن أبي طالب (ع) الذي ملأت خطبه العالم وتصدى لجمعها وتدوينها أكابر العلماء ، وأمها فاطمة الزهراء صاحبة خطبة (فدك الكبرى) وصاحبة (الخطبة الصغرى) التي ألقتها على مسامع نساء قريش ، ونقلتها النساء لرجالهن ، نعم إن من كانت كذلك

⁽١) سورة فصّلت ، الآية : ٤٦ .

فحرية بأن تكون بهذه الفصاحة والبلاغة ، وأن تكون لها هذه الشجاعة الأدبية والجسارة العلوية ، وينزيد الطاغية ينوم ذاك هنو السلطان الأعظم والخليفة الظاهري على عامة بلاد الإسلام تؤدى له الجزية الأمم المختلفة والأمم المتبانية في مجلسه ، الذي أظهر فيه أبهة الملك وملأه بهيبة السلطان ، وقد جردت على رأسه السّيوف، واصطفت حوله الجلاوزة، وهـو وأتباعـه على كراسي الـذهب والفضة وتحت أرجلهم الفرش من الديباج والحرير ، وهي صلوات الله عليها في ذلة الأسر ، دامية القلب باكية الطرف ، حرّى الفؤاد من تلك الذكريات المؤلمة والكوارث القاتلة ، قد أحاط بها أعداؤها من كل جهة ، ودار عليها حسادها من كل صوب ، ومع ذلك كله ترمز للحق بالحق ، وللفضيلة بالفضيلة ، فتقول ليزيد غير مكترثة بهيبة ملكه ولا معتنية بأبهة سلطانه: أمن العدل يا ابن الطلقاء ، وتقول له أيضاً : ولئن جرّت على الـدواهي مخاطبتـك إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك واستكثر توبيخك ، فهذا الموقف الرهيب الذي وقفت به هذه السيدة الطاهرة مثل الحق تمثيلًا ، وأضاء إلى الحقيقة لطلابها سبيلًا ، أفحمت يزيد ومن حواه مجلسه المشؤوم بذلك الأسلوب العالى من البلاغة ، وأبهتت العارفين منهم بما أخذت به مجامع قلوبهم من الفصاحة ، فخرست الألسن وكمت الأفواه وصمت الآذان ، وكهربت تلك النفس النورانية تلك النفوس الخبيثة الرذيلة من يزيد وأتباعه بكهرباء الحق والفضيلة ، حتى بلغ به الحال أنه صبر على تكفيره وتكفير أتباعه ، ولم يتمكن من أن ينبس ببنت شفة ليقطع كلامها أو يمنعها من الإستمرار في خطابتها ، وهذا هـو التصرف الـذي يتصرف به أرباب الولاية متى شاؤوا وأرادوا بمعونة الباري تعالى لهم ، وإعطائهم القدرة على ذلك .

وما أبدع ما قالمه الشاعر الجليل السيد مهدي بن السيد داود الحلي عم الشاعر الشهير السيد حيدر رحمهما الله في وصف فصاحتها وبالاغتها من قصيدة: قد أسروا من خصها بآية إن ألبست في الأسر ثوب ذلة ما خطبت إلا رأوا لسانها وجلببت في أسرها آسرها والفصحاء شاهدوا كلامها

التطهير ربّ العبرش في كتبابه تسجميلت ليلعيز في أشوابه أمضي من الصمصام في خطابه عباراً رأى الصغار في جلبابه مقال خير الرسيل في صوابه

ومن شجاعتها الأدبية في مجلس يزيد ما نقله أرباب المقاتل وغيرهم من رواة الأخبار: أن يزيد دعا بنساء أهل البيت والصبيان فأجلسوا بين يديه في مجلسه المشؤوم ، فنظر شامي إلى فاطمة بنت الحسين (ع) فقام إلى يزيد وقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه المجارية تكون خادمة عندي ؟ قالت فاطمة بنت الحسين (ع): فارتعدت فرائصي ، وظننت أن ذلك جائز لهم ، فأخذت بثياب عمتي زينب فقلت: عمتاه أوتمت وأستخدم ؟ فقالت عمتي للشامي: كذبت والله ولؤمت ، ما جعل الله ذلك لك ولا لأميرك . فغضب يزيد وقال: كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت لفعلت قالت: كلا والله ما جعل ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا ، فاستطار يزيد غضباً وقال: إياي تستقبلين بهذا الكلام إنما خرج من الدين أبوك وأخوك فقالت زينب: بدين أبي وأخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً قال: كذبت يا عدوة الله قالت: يا يزيد أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك ، فكأنه استحى وسكت فأعاد الشامي كلامه أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك ، فكأنه استحى وسكت فأعاد الشامي كلامه هب لى هذه الجارية فقال له يزيد: أسكت وهب الله لك حتفاً قاضياً .

وروى السيد ابن طاوُس في اللهوف هذه الرواية كما يأتي : قال نظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين (ع) فقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية ، فقالت فاطمة لعمتها زينب (ع) : أوتمت وأستخدم ؟ فقالت زينب (ع) : لا ولا كرامة لهذا الفاسق فقال الشامي : من هذه الجارية ؟ فقال يزيد : هذه فاطمة بنت الحسين ، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب ، فقال الشامي : الحسين بن فاطمة وعلى بن أبي طالب ؟ قال : نعم ، فقال الشامي :

العنك الله يا يزيد ، أتقتل عترة نبيك وتسبي ذريته والله مـا توهمت إلاّ أنهم سبي الروم ، فقال يزيد : لألحقنك بهم ، ثم أمر به فضربت عنقه ، والذي يـظهر ان هاتين القضيتين كلتيهما وقعتا في ذلك المجلس المشؤوم .

قال السيد محسن الأمين في لواعجه: ثم دخلت نساء الحسين (ع) وبناته على يزيد فقمن إليهن وصحن وبكين وأقمن المأتم على الحسين (ع) ، ثم أمر لهم يزيد بدار تتصل بداره ، وقيل أمر بهم إلى منزل لا يكنهم من حر ولا برد ، فأقاموا فيه حتى تقشرت وجوههم ، وكانوا مدة مقامهم في الشام ينوحون على الحسين (ع) .

السفر الخامس

(من الشام إلى كربلاء ومن كربلاء إلى المدينة في رعاية النعمان بن بشير وأصحابه ، وقد أمرهم يزيد بالرفق بنساء الحسين (ع))

قال المفيد في (الإرشاد): ندب يزيد النعمان بن بشير وقال له: تجهز لتخرج بهؤلاء النسوة إلى المدينة ، وأنقذ معهم في جملة النعمان بن بشير رسولاً تقدم إليه أن يسير بهم في الليل ، ويكونوا أمامه حيث لا يفوتون طرفه ، فإذا نزلوا انتحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم ، وينزل منهم بحيث ان أراد إنسان من جماعتهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم ، فسار معهم في حملة النعمان ولم يزل ينازلهم في الطريق ويرفق بهم كما وصاه يزيد حتى دخلوا المدينة .

وقال السيد ابن طاوس لما بلغوا العراق قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء ، فوصلوا إلى موضع المصرع ، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري (رحمه الله) وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول (ص) قد وردوا لزيارة قبر الحسين (ع) فتوافوا في وقت واحد ، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم ، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد ، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على

ذلك أياماً ، قال: ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة ، قال بشر بن حذلم: فلما قربنا منها نـزل علي بن الحسين (ع) فحط رحله وضرب فسطاطه وأنـزل نساءه وقال: يابشر رحم الله أباك لقد كـان شاعـراً ، فهل تقـدر على شيء منه ؟ فقلت بلى يا ابن رسول الله إنى لشاعر فقال (ع): ادخل المدينة وانع أبا عبد الله (ع) قال بشر: فركبت فرسى وركضت حتى دخلت المدينة ، فلما بلغت مسجد النبي (ص) رفعت صوتى بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يشرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فادمعي مدرار

الجسم منه بكرب الاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

قال: ثم قلت هذا علي بن الحسين (ع) مع عماته وإخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه ، قال: فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن ، مخمشة وجوههن ، مضروبة خدودهن ، يدعون بالويل والثبور ، فلم أر باكياً وباكية أكشر من ذلك اليوم ولا يوماً مر على المسلمين مثله ، وقال أبو مخنف في مقتله نظير ما نقله السيد ابن طاوس ثم قام السجاد (ع) يمشي إلى أن دخل المدينة ، فلما دخلها زار جده رسول الله (ص) ثم دخل منزله ، وفي (المنتخب) : وأمام أم كلثوم فحين توجهت إلى المدينة جعلت تبكى وتقول:

> وكــنـــا فـــي أمـــان الله جـــهـــرأ ومولانيا الحسين لينيا أنيس فنحن الضبائعيات ببلا كفيبل ونحن السائمرات على المطايما

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا خرجنا منك بالأهلين جمعا رجعنا لا رجال ولا بنينا وكنا في الخروج بجمع شمل رجعنا حاسرين مسلبينا رجعنا بالقيطيعية خيائفينيا رجعنا والحسين به رهينا ونحن النائحات على أخيسا نشال على جمال المبغضينا

ونحن الباكيات على أبينا ونحن المصطفون المخلصونا ونحن الصادقون الناصحونا ولم يرعوا جناب الله فينا مناها واشتفى الأعداء فينا على الأقتباب قهرأ أجمعينا وفاطم واله تبدى الأنينا تنادي الغوث رب العالمينا

ونسحسن بسنسات يس وطسه ونحن الطاهرات بلا خفاء ونحن الصابرات على البلايا ألايا جدنا قتلوا حسينا ألا يسا جسدنسا بسلغست عسدانسا لقد هتكوا النساء وحملوها وزينب أخسرجسوهما من خبساهما سكينسة تشتكي من حر وجد

والقصيدة تركناها خوف الإطالة .

قال الراوي : وأما زينب (ع) فأخذت بعضادتي باب المسجد ونادت: يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين (ع) ، وهي مع ذلك لا تجف لها عبرة ولا تفتر من البكاء والنحيب ، وكلما نظرت إلى على بن الحسين (ع) تجدد حزنها وزاد وجدها ، أقول: وكأني بها (ع) بعد أخيها الحسين (ع) لا زالت باكية العين حزينة القلب منهدة الركن من المصيبة وكأنى بلسان حالها يقول: ـ

يا غائباً عن أهله أتعود أم تبقى إلى ينوم المعاد مغيبا يا ليت غائبنا يعود لأهله فنقول أهلا بالحبيب ومرحبا لوكان مجروحاً لعولج جرحه كيف العلاج ونور بهجته حبا

السفر السادس

(من المدينة إلى الشام تحت رعاية زوجها عبد الله بن جعفر)

أو إلى مصر ، مع بعض النساء من بني هاشم على اختلاف الروايـات ، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الآتي إن شاء الله

الفصل الرابع في وفاتما ومدفنها ورثائها وكراماتها وزيارتها ومدفنها

فنقول: إن من الماسوف عليه أن حملة التاريخ على توسعهم في سرد القصص والأحوال في أشياء كثيرة بما يكون القارىء في غنى عنها ، أهملوا حقائق من التاريخ تمس إليها حاجة المنقب ويشاق إليها طلبة الباحث ، ولسنا الآن في صدد الأسباب الباعثة على ذلك ، ولعلها لا تخفى على الناقد غير أن المهم في هذا الكتاب هي ناحية واحدة أصبحت من مواضيعه ، وهو البحث عن وفاة عقيلة بني هاشم زينب الكبرى ، وتحري الوقوف على مدفنها ، وإن كانت المصادر التي نستمد منها لا تخلو جملة منها من تشويش واضطراب ، وعلى العلات فنحن نقدم إلى القارىء الكريم ما قيل في ذلك ونحيل الحكم إليه ، فقيل أنها توفيت في المدينة المنورة ، وكان ذلك بعد رجوعهم من الشام ، ذكره صاحب (الطراز) عن (بحر المصائب) ، ولو صح هذا لبقي لعظيمة بيت الوحي أثر خالد ومشهد يزار كما بقي لمن دونها في المرتبة من بني هاشم بل لمن يمت إليهم بالولاء من رجالات الأمة ، وقيل أنها توفيت حوالي الشام ، نقله صاحب (الطراز) أيضاً عن (أنوار الشهادة) و (بحر المصائب) في تفصيل لا مقيل له من ظل الحقيقة ، وهو بالروايات الخرافية أشبه فالإعراض عنه أجدر ،

وقيل أنها توفيت في الشام نقله في (الـطراز) أيضاً عن (كنـز الأنساب) لكن قائله تفرد برواية قصة في ذلك لم تتأكد ، وقيل أنها توفيت في إحدى قرى الشام نسبه في (الطراز) أيضاً إلى بعض المتأخرين ، وتلهج الألسن في سبب ذلك بحمديث المجاعة التي أصابت أهمل المدينة المنورة ، فهاجرت مع زوجها عبد الله إلى الشام وتوفيت هنالك ، وهو حديث لا أثر له في كتب التاريخ والسير والأنساب والتراجم ، ولم يذكره المنقبون في الآثار ممن في كتب أهــل البيت ، كالكليني ، والصدوق ، والشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، والشيخ طاؤس والوزير الاربلي ، والمجلسي الذي جمع فأوعى وقد احتوت مكتبته على ما لا يوجد في غيرها من آلاف الكتب ، وتبرز هـ و في الإحاطـة بالسيـر والأثار وأخبــار أهــل البيت (ع) ، إلى غيــرهم كسبط ابن الجــوزي ، وابن الصبــاغ المالكي، وابن طلحة الشافعي ، والحافظ الكنجي ، وابن الصبان ، والشبلنجي ، والمحب الطبري ، والبدخشي ، والسيد على الهمداني ، إلى نظرائهم ، وما أدري ولا المنجم يدري من أين جاء القائل بحديث المجاعة ، وقد خلت عند زبر الأولين الذين هم اقرب عهد بأمثال هـذه الوقـائع من هـذا القائل وذويه ، وأغرب من يدعي وصلا بليل عزاه إلى كتاب لم نجده فيه بعد الفحص والتتبع .

أما هذا القبر الذي هو في الشام فقد ذكر جماعة من المؤلفين أنه للسيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين ، والمشهور أن أسمها زينب أيضاً ، ويفرق بينها وبين اختها زينب الكبرى بالوسطى ، ولعل الأصح وأن اسمها رقية للحديث المروي في (ينابيع المودة) ، وبه قال جماعة من أهل العلم منهم صاحب كتاب (ذخائر العقبى) قال في ضمن كلامه: وولدت فاطمة (ع) حسناً وحسيناً (ع) وزينب ورقية وأم كلثوم ، وولدت هذه السيدة بعد أختها زينب الكبرى وكانت من أجل النساء فضلاً وزهداً وتقوى وعبادة وشرفاً وعفة إلى غير الكبرى وكانت من أجل النساء فضلاً وزهداً وتقوى وعبادة وشرفاً وعفة إلى غير

ذلك من الصفات الكريمة والأخلاق الفاضلة ، أخذت العلم عن أبيها وأخويها وأختها ونشأت نشأتها المباركة في البيت العلوي الطاهر ، ومحل قبرهــا الشريف بقرية راوية من غوطة دمشق المعروفة بقرية الست .

وقيل أن زينب الكبرى توفيت بمصر ولعل الأصح كما نص عليه العبيدلي كما سيأتي ، ونقل الموافقة له ناشر كتاب (الزينبيات) عن ابن عساكر الدمشقي في تاريخه الكبيـر ، والمؤرخ ابن طولـون الدمشقي في (الـرسالـة الزينبيـة) ، ووجـدنا المـوافقة لــه أيضاً في كتــاب (لواقــح الأنوار) للشعــراني ، وفي كتاب (إسعاف الراغبين) للشيخ محمد صان بهامش (نور الأبصار) وفي كتاب (نـور الأبصـار) للشبلنجي ، وفي (الاتحـاف) للشبـراوي ، وفي (مشـارق الأنوار) لحسن العدوي نقلًا عن الشعراني في (الأنوار القدسية) و (المنن) ، وعن العلامة المناوي في طبقاته ، وعن جلال الدين السيوطي في رسالته الـزينبية ، وعن العـلامة الأجهـوري في رسالتـه على مسائـل عاشـوراء ، وقـال البحاثة فريد وجدي على ما نقله عنه بعض الأجلاء السيدة زينب بنت عليّ كانت من فاضلات النساء وشريفات العقائل ، ذات تقى وطهر وعبادة ، هاجـرت إلى مصر وتوفيت بها ، وقال العلامة المحقق المطّلع الشيخ محمـد علي الأردوبادي في قصيدة قالها في رثاء الصديقة زينب وهي طويلة:

قد عاد مصر للحفيظة مغرباً فسنا ذكاها واضح لن يغربا بمليكة حسباً زكت فيه ولم يعقد عليه غير صنويها الحبا ومن النبوة في أسرة وجهها وتضوع منها للخلافة عبقة بجللل أحمد في مهابة حيدر فيجمع الشرفين بضعة فاطم

بلج كمثل الشمس يجلو الغيهب تبطوي بنفحتها الصحاصح والربي قد أنجبت أم الأئمة زينبا حصلت على أكرومة علظمت نبا

فأشار في البيت الأول وهـ ومطلع القصيـدة إلى محل قبـرها الشـريف في مصر، وإليك ما ذكره النسابة شيخ الشرف ابن الحسن يحيى بن الحسن العقيقي العبيدلي في (أخبار الزينبيات) على ما حكاه عنه مؤلف كتاب (السيدة زينب) ، ذكر أن زينب الكبرى بعد رجوعها من أسر بني أمية إلى المدينة ، أخذت تؤلب الناس على يزيد بن معاوية ، فخاف عمرو بن سعيد الأشدق انتقاض الأمر ، فكتب إلى يزيد بالحال فأتاه كتاب يزيد يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس ، فأمر الوالي بإخراجها من المدينة إلى حيث شاءت ، فأبت الخروج من المدينة وقالت: قد علم الله ما صار إلينا قتل خيرنا وسقنا كما تساق الأنعام ، وحمَّلنا على الأقتاب ، فوالله لا أخرج وإن أهرقت دماؤنا . فقـالت لها زينب بنت عقيل: يا ابنة عماه قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض نتبوء منها ما نشاء فطيبي نفساً وقري عيناً وسيجزي الله الظالمين ، أتريدين بعد هـ ذا هواناً ، إرحلي إلى بلد آمن ، ثم اجتمعت عليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام ، فاختارت مصر وخرج معها من نساء بني هاشم فاطمة بن الحسين (ع) وسكينة ، فدخلت مصر لأيام بقيت من ذي الحجة ، فاستقبلها الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري في جماعة معه ، فأنزلها داره بالحمراء فأقامت بها أحد عشر عشراً وخمسة عشر يوماً ، وتوفيت عشية الأحد لخمسة عشر يـ وما مضت من رجب سنة اثنتين وستين هجرية ، ودفنت بمخدعها في دار مسلمة المستجدة بالحمراء القصوى ، حيث بساتين عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهري ، انتهى نص العبيدلي .

يقول مؤلف هذه الوفاة وجامع هذه المقتطفات: لا يخفى على الناقد البصير. أن حديث العبيدلي المذكور ، الذي استدل به المؤلف النقدي (أعلا الله مقامه) على مهاجرة زينب الكبرى إلى مصر لا يخلو من الملاحظات والانتقادات والأشياء التي لعلها لا تتناسب مع مقام الصديقة الصغرى (سلام الله عليها) ، مثل أنها كانت تؤلب الناس على يزيد ، ومثل أنها حلفت أن لا تخرج من المدينة ثم خرجت ، ومثل أنها خرجت مع النساء ولم يتعرض لذكر أحد من رجالها كزوجها عبد الله بن جعفر أو أحد بني هاشم ، ولم يتعرض إلى

أنها استأذنت من زوجها أو من حجة الله الإمام زين العابدين (ع) ، غير ذلك مضافاً إلى ما في الخبر من التهافت والتدافع ، مثل أنها دخلت مصر لأيام بقيت من ذي الحجة وأقامت بها أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً ، وتوفيت لخمسة عشر يوماً مضت من رجب ، وإن كان الصحيح أن دخولها مصر على تقدير صحة الخبر في غرة شعبان كما في كتاب (بطلة كربلاء) لبنت الشاطىء كما لا يخفى وكيف كان فالأرجح عندي أنها (ع) توفيت في الشام في النصف من شهر رجب من العام الخامس والستين من الهجرة وهو عام المجاعة ، وذلك بمحضر زوجها الجواد عبد الله بن جعفر ، ودفنت في إحدى قراه المعروفة براوية من غوطة دمشق المشتهرة الآن بقرية الست ، والدليل على ما اخترناه ثلاثة أمور:

الأمر الأول

ما ذكره الفاضل الشيخ محمد مهدي المازندراني في الجزء الثاني من كتابه (معالي السبطين) ، والفاضل الخطيب السيد جاسم السيد حسن شبر في كتابه (البلاغة العلوية) نقلاً عن البحاثة المحقق آية الله السيد حسن صدر الدين (طاب ثراه) ، قال في كتابه (نزهة أهل الحرمين) : زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (ع) وكنيتها أم كلثوم قبرها في قرب زوجها عبد الله بن جعفر الطيار خارج دمشق الشام معروف ، جاءت مع زوجها عبد الله بن جعفر أيام عبد الملك بن مروان إلى الشام سنة المجاعة ليقوم عبد الله بن جعفر في مكان له من القرى والمزارع خارج الشام حتى تنقضي المجاعة ، فماتت زينب (ع) هناك ودفنت في بعض تلك القرى ، هذا هو التحقيق في وجه دفنها هناك ، فغيره غلط لا أصل له ، فاغتنم فقد وهم في ذلك جماعة فخبطوا خبط العشواء وغيره غلط لا أصل له ، فاغتنم فقد وهم في ذلك جماعة فخبطوا خبط العشواء انتهى كلام السيد الصدر (أعلى الله مقامه) ، وقوله : قبرها في قرب زوجها تصحيف وغلط مطبعي ، والصحيح قبرها في قرى زوجها كما تدل عليه العبارة الآتية وهي قوله : ودفنت في بعض تلك القرى ، فتنبه .

الأمر الثاني

ما نقله المازندراني في الجزء الثاني من (المعالي) عن العلامة الجليل ثقة الإسلام السيد هبة الدين الشهرستاني أنه قال: لأمير المؤمنين (ع) بنتان بهذا الإسم الصغرى تلقب أم كلثوم والكبرى هي سيدة الطف ، وكان ابن عباس ينوه عنها بعقيلة بني هاشم ولدتها الزهراء (ع) بعد شقيقها الحسين بسنتين ، وتزوجها عبد الله ابن عمها جعفر الطيار ، وكانت قطب دائرة العيال في المخيم الحسيني وقد أفرغ لسان الملك ترجمتها في مجلد خاص من موسوعة (ناسخ التواريخ) ، وجاء في (الخيرات الحسان) وغيره: أن مجاعة أصابت المدينة فرحل عنها بأهله عبد الله بن جعفر إلى الشام في ضيعة له هناك ، وقد حمت زوجته زينب (ع) من وعثاء السفر أو ذكريات أحزان وأشجان من عهد سبي يزيد لأل الرسول (ص) ، ثم توفيت على أثرها في نصف رجب سنة خمس وستين من الهجرة ودفنت هناك حيث المزار المشهور .

الأمر الثالث

قول الذاكر الخطيب الشيخ حسن بن الشيخ كاظم سبتي في أو أخر قصيدته التي قالها في شرح أحوال الصديقة الصغرى قال تحت عنوان سبب وفاتها: _

> وزوجها ابن عمها الطيار عبد لما أصابت يشرباً مجاعة فسار عبد الله ينحو الشام في لكن وعشاء الطريق أثرت فعندما تذكرت دخولها حمّت وما زالت تعاني سقما وعام خمسة وستين قضت

الله بارى في السخاء السحبا وشدة وعامهم قد قطبا عياله يحملهم وزينبا بها فكابدت عناءً نصبا للشام حسرى وهي في أسر السبا وسقمها في جسمها قد نشبا صابرة بالصبر حازت رتبا فكأنى بها (صلوات الله عليها) لما قرب منها الموت وحانت منها المنية ، اضطجعت على فراشها واستقبلت القبلة ، وقالت: أشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن جدي محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الـدين كله ولوكـره المشركـون ، وأن أبي أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، وأخوي الحسن والحسين وعلي بن الحسين وبقيـة الأئمة الطاهرين (ع) أئمتي وأوليائي وإن جميع ما جاء بـه جدي رسـول الله (ص) حق ومن عند الحق ، وأن الجنة والنارحق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيهما ، وأن الله يبعث من في القبور ، وكأني بها سلام الله عليها عند احتضار الموت قد غمضت عينيها ومدت يديها ورجليها وقرأت سورة يس والصافات ، وفاضت نفسها الطبية وفارقت روحها الدنيا ، وكأني بمن حضر هذه الكارثة العظمي والفادحة الكبري من نساء ورجال قد علا منهم الصياح ، وارتفع النياح ، وكثر منهم الضجيج والعجبج ، ولطموا الخدود ، وشققوا الجيوب ، ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمـور ، فلم ير في ذلـك اليوم إلا بـاك وباكيـة وناع ونـاعية ، ونـائح ونـائحة ، وصارخ وصارخة ، ينادون وا زينباه ، وا سيدتاه ، وا غريبتاه ، وا مصيبتاه ، وا فجعتاه ، وا وحشتاه ، وا طول حزناه ، وا ثكلاه ، وكأنى بزوجها الحزين مـ م من حضر من الجمع قد قاموا في جهازها ، فغسّلوها وكفنوها ، وصلوا عليها ، ودفنوها في قبرها ، وأهالوا عليها التراب فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولله در الفاضل الخطيب الميرزا محمد الخليل النجفي حيث يقول في قصيدة له في رثائها عليها السلام: ـ

إذا نسابسك السدهر لا تسعجب ولا تسعدر بسابست اسات وكن جلداً عند دهم الخطوب وإن دهمتك صروف النزمسان

فليس على الدهر من متعب فبالناب يغدر والمدخلب فمن يعرف ي الصبر لم يغلب تعذك عقيلة آل النبي وحمر الدموع عليها اسكب نوائب خير النسا زينب فمهما تحدثت لم تكذب احتمالاً ومنها يشيب الصبي وصبر البتول وحلم الوصي بصبر لدى الدهر لم ينضب ويا عين فيضي لها واسكبي تذكر مصائبها سلوة في كل النوائب تسلى لدى وناهيك أرزاؤها في الطفوف رزايا يحار لديها الصبور وقد قابلتها بكظم الوصي إلى أن قضت وهي حلف الأسى فيا قلب ذب بعدها حسرة

أما رثاؤها(ع)

فه و كثير لا يحصى نظماً ونشراً ، ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور ، فنقول من جليله الحقائق أن نظم القريظ في أي أحد فيه إشادة بذكره ، وإقامة لأمره ، فإن المائرة مهما عظمت فقد تنسى ويخمل ذكرها بمرور الحقب والأعوام ، لكن الشعر الخالد الذي تسير به الركبان يؤيد ذلك الفضل البائد ، ويلفت الأنظار إلى جهته ، وبما أن ذكرى أهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم) هي أساس الدين وجذم الإصلاح لما يتبعها من اعتناق تعاليمهم واقتفاء آثارهم ، تواتر الحث على سرد الشعر فيهم مدحاً ورئاء ورتبت عليه المثوبات العظيمة في أحاديث أئمة الهدى (ع) وعد ذلك أفضل الطاعات .

ففي (عيون الأخبار) لشيخنا الصدوق رحمه الله بالإسناد عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قال أبو عبد الله الصادق (ع) من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة ، وفيه عن علي بن سالم عن أبيه عن الصادق (ع) أنه قال ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس ، إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة .

وبما أن زينب العقبلة (سلام الله عليها) من أولئك الأفراد الذين هم عمد الدين وأعضاد الشريعة وقد شاركت الحسين (ع) في نهضته المقدسة والذب عن

شريعة جدها الرسول ، تبادر أفذاذ ممن يمتهم الولاء إلى تحري ذلك الأجر الجزيل بنظم مدائحها ومراثيها .

فمن أولئك الأفذاذ حجة الإسلام آية الله المغفور له الشيخ محمد حسين الأصفهاني المتوفي ٥- ١٢ عام ١٣٦١هـ.

قال أعلى الله مقامه :_

وليت وجهى شيطر قبلة البورى قمطب ممحيط عمالمم الموجمود ففي النبزول كعبهة البرزايسا بل هي باب حيطة الخيطاييا ام الكتباب في جنواميع البعبلا رضيعة الوحى شقيقة الهدى ربة خدر القدس والطهارة فسإنها تمشل الكنز الخفى تمثل الغيب المصون ذاتها مليكة الدنيا عقيلة النسا شريكة الشهيد في مصائب بل هي ناموس رواق العظمة ما ورثبت من الرحمة سرابيها في علو المصمة ثباتها ينبيء عن ثباته لها من الصبر على المصائب بىل كساد أن يىلحق بىالىمعساجىز فإنها سلالة الولاية بيانها يفصح عن بيانه

ومن بها تشرفت أم القرى فى قبوسى النيزول والصعود وفى الصعود قبلة البسرايا ومبوثيل البهبات والبعبطاييا أم المصاب في مجامع البلا ربيبة الفضل خليفة الندى في الصون والعفاف والخفارة بالسر والحياء والتعفف تعرب عن صفاته صفاتها عديلة الخامس من أهل الكسا كفيلة السجاد في نوائب سيدة العقائل المعظمة جوامع العلم أصول الحكمة والصبرفي الشدائد الملمة كان فيها كل مكرماته ما جل أن يعد في العجائب لأنه حرفة كيل عاجيز ولاية ليس لها نهاية كأنها تفرغ عن لسانه فإنها كالدرر المنشورة كاللؤلؤ المنضود في نظامها والمدهما فمارس تملك المساحمة فهوتراثها بطف كربلا من الحبرب شاهدت دهاها خبائها أو محور السبع العلى منذ سلبوا إزارها خمارها عار على الإسلام أي عار سبي بنات الوحي والتنزيل جل عن الوصف بيان حالها منذرأت السبط على رمالها لهفى على جمال سلطان القدم كالشهب الزهر تحف القمرا عقد نظام الغيب والشهود بأى ذنب سفكت دماؤها تبدوستها حبوافير التخبيول حلبة خيل الجبت والطاغوت ترضه الخيل على الدنيا العفا مدرجة لذروة الكمال أو أنها البراق والمعراج كقاب قوسين دنا أو أدنى من شجر القناة في طور القنا سعياً على الرأس إليك لا القدم أشجى فجيعة وأدهى داهية يندهب بالعقول والأحلام

ناهيك فيه الخطب المأثورة بل هي لولا الحط من مقامها فإنها وليدة الفصاحة ومسا أصساب أمسهسا مسن السبسلا لكنها عظيمة باواها رأت هجموم الخيسل بسالنسار على وأسلبوا يا ويلهم قرارها وسبيهم ودائع المختار يكادأن يلذهب بالعقول وما رأت بالطف من أهوالها ومن يطيق وصف سوء حالها معفس السخيد مضرجياً بيدم وحسولها فتيانه على الشرى واها على كواكب السعود كيف هموت وانتشرت أشلاؤهما وشاهدت ريحانة الرسول فأصبحت خزانة اللاهوت صدر تربى فوق صدر المصطفى تسرى العسوالي مسركسز المعسالي وهيى عيرش وعيليه التياج نسال مسن العسروج ما تسمنسي حستى تسجلى قسائسلاً إنسي أنسا لسان حاله لسلطان القدم وسوقها إلى يريد الطاغية وما رأته في دمشق السام أساسها رأس الإسام السزاكسي أو الكتباب النساطق المبين وأفيظع الكيل دخيول البطاهرة ومنالها ومسجلس البشراب أتبوقف البحرة من آل العبيا بيشتمها طاغية الإلحاد بيل سمعت من ذلك اللعين واحر قبلباه لقبل البحرة واحر قبلباه لقبل البحرة تلك الثنايا مرشف البرسول وما حناه بالبلسان أعظم وقد أبانت كفر ذاك البطاغي وقد أبانت كفر ذاك البطاغي ينا صيحة تحمد من صوائع

وخلفها النوائح البواكي حف به الحنين والأنين والأنين والأنين وهي ابنة السنة والكتاب بين يدي طليقها واعجبا وهي سلالة النبيّ الهادي سب أبيها وهو أصل الدين للكذب وهي أصدق الخليقة فما رأته لا أطيق ذكره وملثم الطاهرة البتوليول وكفره المكنون منه يعلم وكفره المكنون منه يعلم بأحسن البيان والبلاغ على أخيها فأجابها الشقي من أهون النوع على النوائح

ومن أولئك الأفذاذ الخطيب الشيخ حسن بن الشيخ كاظم سبتي ، وإليك ما قاله شارحاً أحوال الصديقة (ع) وفضلها:

عما عليهم جرى سل زينبا الحبر ابن عباس وعنها كتبا ولدت أهلاً بها ومرحبا أضاء نورها فأخفى الكوكبا وهو على المنبر يلقي الخطبا وافاه جبريا بالله مطنبا

سل زينباً عما عليهم جرى هي العقيلة التي عنها روى عامين من بعد شقيقها الحسين أول شعبان أتى ميلادها وبشر النبي لما ولدت بشره سلمان فيها بعدما

بىزىنىب لىما تقىاسىي نىربىا مىهنىياً لها يها مرحسا وقال سماها الإله في السما فأم دار ابنته فاطمة

جلالة قدرها

شوقاً إلىه إذ هم بيشربا والحسين والزكي المجتبى الضوء الذي في القبر قد ترتبا أخشى بأن تنظر عين زينبا إن قصدت تنزور قبس جدها اخرجها ليلاً أميس المؤمنين يسبقهم أبوهم فيطفىء قيل له لم ذا فقال إنني

مكارم أخلاتها

زكسة كريسمة ذات إبا من شرفت أمّاً وجداً وأبا وفاطم أم فأكرم نسبا بعد أمها من أيام الصبا من الأذى ما منه تنسف الربى روحي لها الفداء من مصونة ذات عفاف ووقار وحجى أحمد جدي وعلي والدي تكفلت أثقل ما في الدار وجرعت ما جرعته أمها

علمها

غريسزة ولم يكن مكتسبا طول المدى سوى التقى لن تصبحا شقيقة السبط الحسين المجتبى طاشت بها الألباب والفكر كبا في حمل كمل مشكل قمد صعبا حيناً تخال المرتضى قد خطبا مد خطبت ماج بهم واضطربا عيبة علم غير أن علمها عالمة عاملة لربها تقية من أهل بيت عصمة صديقة كبرى لجم علمها فيا لها داعية إلى الهدى ذات فصاحة إذا ما نطقت سل مجلس الشام وما حيل به

صبرها

تجرعت مع الحسين الكربا وخيلهم ملؤ الفيافي والربى من دمه سمر الرماح والضبا مصافحاً ذاك المحيا التربا الجسم لقى معفراً قد سلبا والشمر فوق صدره قد ركبا نشاعلى صدر النبي قربا مرتفع أمامها قد نصبا لكن بالدماء شيبه قد خضبا إلى العدى مغتنماً حتى الخبا صبت على الهضاب هد الهضا

لله مسن صابرة على الأذى السفت فرداً أو عداه أقبلت واحتوشته بالرماح فارتوت وأبصرت مل هوى إلى الشرى رأته في مصرعه مخذم ملقى على وجه الصعيد عارياً وغيلهم تعدو على جثمان من ورأسه شيل على مشقف مرتبلاً آيات أهل الكهف وشاهدت ما في الحما مقسما فكابدت بالطف ما لو بعضه فكابدت بالطف ما لو بعضه

في أنها كانت سلوة وعزاء للسجاد طيلة مرضه

بالطف لما عانى بلاء مكربا بعد أبيه دون كل الأقربا الله بأحسن الحديث والنبا يشكو السقام والعنا والوصبا ومن عرا زين العباد السقم كان له بها السلو والعزا فلم ترل تنبى بما يريده ما دام زين العابدين مجهداً

سبب وفاتها

الله بارى في السخاء السحبا وشدة وعامهم قد قطبا عياله يحملهم وزينبا بها فكابدت عناءً نصبا وزوجها ابن عمها السطيار عبد لما أصابت يشربا مجاعة فسار عبد الله بنحو الشام في لكسن وعشاء السطريس أشرت

فعندما تذكرت دخولها حمت وما زالت تعاني سقماً وعام خمسة وستين قضت وقد مضت عنا بنصف رجب

للشام حسرى وهي في أسر السبا وسقمها في جسمها قد نشبا صابرة بالصبر حازت رتبا يا ليت أنا لم نشاهد رجبا

للعالم الفاضل شاعر أهل البيت (ع) الشيخ محمد نصار:

فادح في الطفوف هدد قواها والسمر فيه هاج وغاها تصدع الهضب في حنين بكاها من خطوب تربوعلى ما سواها جفا جفنها لذيذ كراها ناحل الجسم أم على قتلاها أم مخضوبة بفيض دماها أم رض صدر حامي حماها أم عظم سيرها وسراها ثاكلات يندبن يا آل طاها ندبته الأملاك فوق سماها

هاج وجدي لوينب إذ عراها يوم أضحت رجالها غرضاً للنبل ونعت بين نسسوة شاكلات آه والهفتاه ماذا تقاسي ولمن تسكب المدامع من عين ألينهب الخيام أم لعليل أم لأجسامهم على كثب الغبر أم لوفع الرؤوس فوق عوالي السمر أم لأطفالها تقاسي سياق الموت أم لسير النساء يين الأعادي وهي ما بينهن تندب من قد

وأما الكرامات المروية عن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (ع) والمنقولة في الكتب العربية والفارسية كثيرة ، ولا بأس بذكر واحدة من تلك الكرامات تيمناً وتبركاً فنقول:

من كراماتها الباهرة ما نقله العلامة النوري في كتابه (دار السلام) قال: حدثني السيد السند، والحبر المعتمد، العالم العامل، وقدوة أرباب الفضائل، البحر الزاخر، عمدة العلماء الراسخين السيد محمد باقر السلطان آبادي نفع الله به الحاضر والبادي قال: عرض لي في أيام اشتغالي ببروجرد

مرض شديد ، فرجعت من بروجرد إلى سلطان آباد ، فاشتد بي المرض بسبب هذه الحركة ، وانصبت المواد في عيني اليسرى فرمدت رمداً شديداً ، واعتراها بياض وكان الوجع يمنعني من النوم ، فأحضر والدي أطباء البلد للعلاج ، ولما رأوا حالتي قال أحدهم: يلزم أن يشرب الدواء مدة ستة أشهر ، وقال الآخر: مدة أربعين يوماً ، فضاق صدري وكثر همي من سماع كلماتهم لكثرة ما كنت شربت من الدواء في تلك المدة وكان لي أخ صالح تقي أراد السفر إلى المشاهد العظيمة وزيارة سادات البرية ، فقلت له: أنا أيضاً أصاحبك للتشرف بتلك الأعتاب الطاهرة ، لعلى أمسح عيني بتـرابها الـذي هو دواء لكـل داء ، ويأتيني ببركاتها الشفاء فقال لي: كيف تطبق الحركة مع هذا المرض العضال وهذا الوجع القتال؟ ولما بلغ الأطباء عزمي على السفر قالوا بلسان واحد: إن بصره يـذهب في أول منزل أو ثـاني منزل ، فتحرك أخي وأنـا جئت إلى بيتـه بعنـوان مشايعته في الظاهر ، وكمان هناك رجـل من الأخيار سمـع قصتي فحرضني على الزيارة وقال لي: لا يوجد لك شفاء إلا لدى خلفاء الله وحججه ، فإني كنت مبتلى بـوجع في القلب مـدة تسع سنين وكلت الأطبـاء عن تداويـه ، فـزرت أبـا عبد الله الحسين (ع) فشفاني بحمد الله من غير تعب ومشقة ، فلا تلتفت إلى خرافات الأطباء ، وامض إلى الزيارة متوكلًا على الله تعالى ، فعـزمت من وقتى على السفر، فلما كنا في المنزل الثاني من سفرنا اشتد بي المرض ليلاً. ولم استقر من وجع العين ، فأخذ من كان يمنعني من السفر بلومني ، واتفق أصحابي كلهم على أن أعود إلى بلدي الذي جئت منه ، فلما كان وقت السحر وسكن الوجع قليلاً رقدت فرأيت الصديقة الصغرى زينب بنت إمام الأتقياء عليه آلاف التحية والثناء ، فدخلت على وأخذت بطرف مقنعة كانت في رأسها وأدخلته في عيني ومسحت عيني به ، فانتبهت من منامي وأنا لم أجد للوجع أثراً في عيني ، فلما أصبح الصباح قلت لاصحابي لم أجد اليوم الما في عيني فلا تمنعوني من السفر، فما تيقنوا مني فحلفت لهم وسرنا، فلما أخذنا في السير رفعت المنديل الذي كان على عيني المريضة ونظرت إلى البيداء وإلى الجبال فلم أر فرقاً بين عيني اليمنى الصحيحة واليسرى المريضة ، فناديت الرفقاء وقلت لهم: تقربوا مني وانظروا في عيني ، فنظروا وقالوا : سبحان الله لا نرى في عينك رمداً ولا بياضاً ولا أثراً من المرض ، ولا لفرق بين عينك اليمنى واليسرى ، فوقفت وناديت الزائرين جميعاً وقصصت لهم رؤياي وكرامة الصديقة الصغرى زينب (سلام الله عليها) ، ففرح الجميع وأرسلت البشائر إلى والدي فاطمأن خاطره بذلك .

قال العلامة النوري: وحدثني بتلك الكرامة شيخنا الجليل النبيل والعالم الذي عدم له النظير والبديل المولى فتح علي السلطان ، آبادي قال : إنه شاهد هذه الحكاية بنفسه .

يقول مؤلف هذه الوفاة وجامع هذه المقتطفات: وجدت في كتاب (السيدة زينب) تأليف الشيخ أحمد فهمي زيارة الصديقة زينب (ع) قال: وقد ذكر في كتاب ذخيرة العباد في زيارة قبر السيدة زينب بنت علي (ع) قف عند قبرها وقل:

زبارة زبنب (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا بنت سلطان الأنبياء ، السلام عليك يا بنت صاحب الحوض واللواء ، السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء ، السلام عليك يا بنت خسديجة الكبرى ، السلام عليك يا بنت سيد الأوصياء وركن الأولياء أمير المؤمنين ، السلام عليك يا بنت ولي الله ، السلام عليك يا ام المصائب يا زينب بنت علي ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك أيتها الفاضلة الرشيدة ، السلام عليك أيتها الفاضلة الرشيدة ، السلام عليك أيتها المظلومة الجميلة ، السلام عليك أيتها المظلومة المقهورة ، السلام عليك أيتها المظلومة المقهورة ، السلام عليك أيتها الرضية المرضية ، السلام عليك يا تالية المعصوم ، السلام عليك يا ممتحنة في تحمل المصائب بالحسين المظلوم ، السلام عليك أيتها البعيدة عن الأفاق ، السلام عليك أيتها الأسيرة في البلدان ، السلام على من البعيدة عن الأفاق ، السلام عليك أيتها الأسيرة في البلدان ، السلام على من وناديت جدك رسول الله (ص) بهذا النداء: صلى عليك مليك السماء هذا حسين بالعراء مسلوب العمامة والرداء مقطع الاعضاء وبناتك سبايا ، السلام على روحك الطيبة وجسدك الطاهر ، السلام عليك يا مولاتي وابنة سيدتى وابنة ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنك قد أقمت الصلام وآتيت

الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله وصبرت على الأذى في جنب الله حتى أتاك اليقين ، فلعن الله من جحدك ولعن الله من ظلمك ولعن الله من لم يعرف حقك ولعن الله أعداء آل محمد من الجن والإنس من الأولين والآخرين وضاعف عليهم العذاب الأليم .

أتيتكِ يا مولاتي وابنة مولاي قاصداً وافداً عارفاً بحقك فكوني شفيعاً إلى الله في غفران ذنوبي ، وقضاء حواثجي ، واعطاء سؤلي وكشف ضري ، وأن لك ولأبيك وأجدادك الطاهرين جاهاً عظيماً وشفاعة مقبولة ، السلام عليك وعلى آبائك الطاهرين المطهرين وعلى الملائكة المقيمين في هذا الحرم الشريف المبارك ورحمة الله وبركاته .

ثم صل ركعتين لله تعالى قاصداً إهداء ثوابهما إليها ، ثم ادع الله عز وجل بما أحببت فإن قبرها أحد الاماكن المجاب فيها الدعاء .

وقبل انصرافك اتجه إلى قبرها وودعه بهذا: السلام عليك يا سلالة سيد المرسلين ، السلام عليك يا بنت أمير المؤمنين ، السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، أستودعك الله واسترعيك وأقرأ عليك السلام ، أللهم لا تجعله آخر العهد مني لزيارة أم المصائب زينب بنت علي ، فإني أسألك العود ثم العود أبداً ما أبقيتني وإذا توفيتني فاحشرني في زمرتها وادخلني في شفاعتها وشفاعة جدها وأبيها وأمها وأخيها برحمتك يا أرحم الراحمين . أللهم بحقها عندك ومنزلتها لديك اغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات وآتنا في الدنيا حسنة وفي الأخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الفمرس

وع الصفحة	الموض
إمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ٥	وفاة الا
إمام الحسن بن علي (ع)	
إمام السجّاد عليّ بن الحسين (ع)	
إمام محمد الباقر (ع)	
إمام جعفر الصادق (ع)	
إمام موسى الكاظم (ع)	
إمام علي الرضا (ع)	وفاة الإ
إمام محمد الجواد (ع) ٢٢٥	وفاة الإ
إمام علي الهادي (ع)	
إمام الحسن العسكري (ع)	
سيدة زينب الكبرى (ع)	